سمير فراج

ابن الشاطئ

قطوف من أوراق

أسامة الباز

خصوصياته

الاجتماعية والسياسية والعاطفية

نبيلة عبيد: اتجوزت «الباز» بمعرفة مبارك



مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

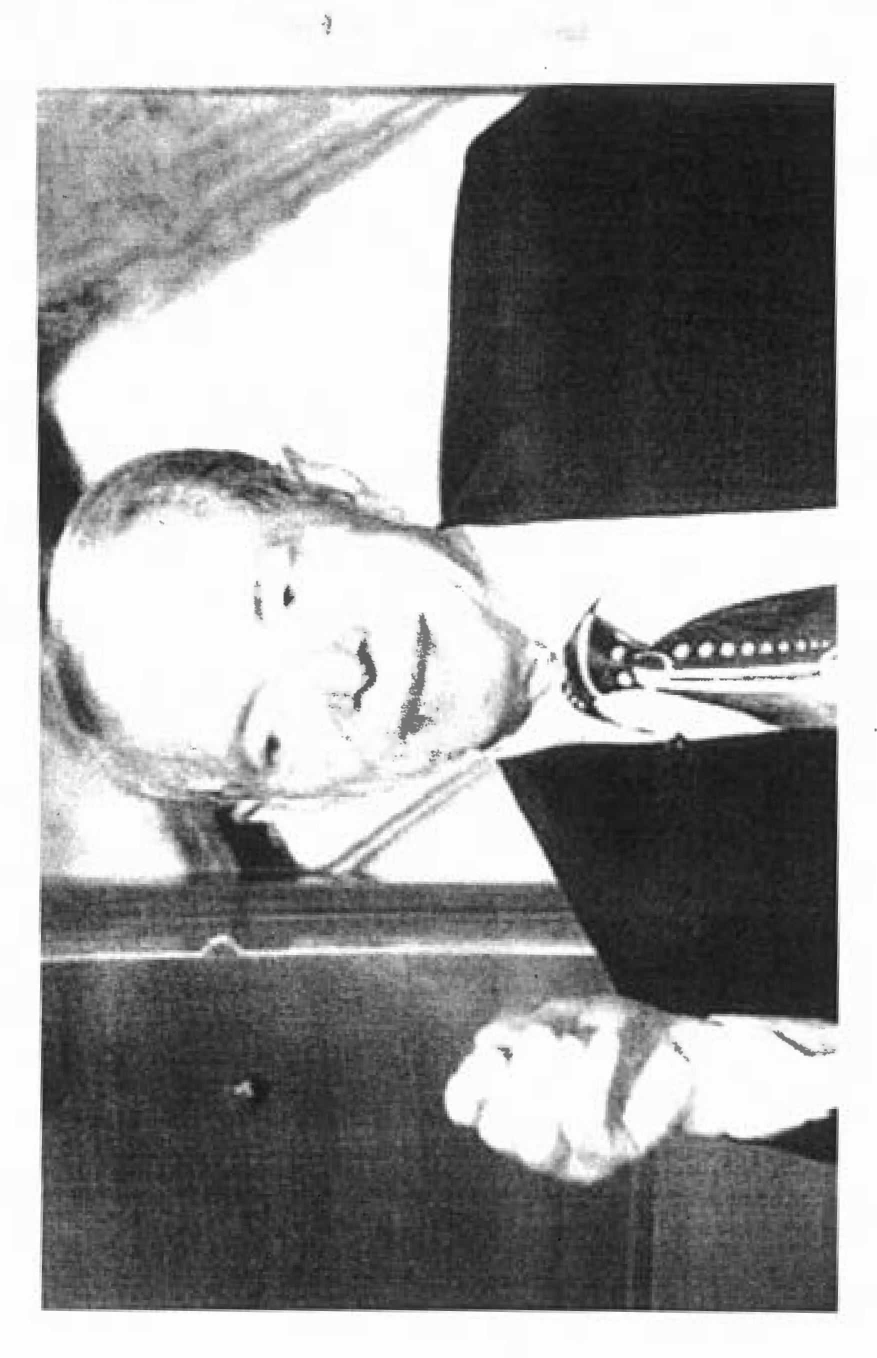
اسم الكتاب:قطوف من أوراق أسامة الباز
اسم المؤلف: سمير فراج «ابن الشاطئ»

رقم الايداع ٢٠١٧/٣٧٦٠

الطبعة الأولى٢٠١٤



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٩٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com



يارب..

لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت..

ولا باليأس إذا فشلت..

بل ذكرني بأن الفشل هو الخطوات التي تسبق النجاح

يارب علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة..

وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف..

يارب إذا جردتني من نعمة الصحة دع لي الأمل

وإذا أسأت إلى الناس أعطني شجاعة الاعتذار

وإذا أساء الناس لي اعطني مقدرة العفو..

يارب.. إذا نسيتك لا تنسني

أسامة البـــاز

الإهداء

إلى الأستاذة الدكتورة **درية شرف الدين** ابنة الشاعر الدمياطي الكبير الراحل الأستاذ **عبد الحق شرف الدين** الصديق الحميم للعالم الجليل الشيخ **السيد الباز** والدكتور **أسامة الباز**، ووالدنا المربي الفاضل والصحفي القديم الأستاذ **طاهر محمد فراج**، مهنئًا بمنصب وزيرة الإعلام ، والذي شرف كثيرًا بها، وشرفت دمياط بابنتها وفخرها الإعلامية الرائدة

معالي الوزيرة الدكتورة درية شرف الدين



مقدمة الكتاب للمؤلف

رحل ومعه خزينة أسرار السياسة المصرية

أسامة الباز

عميد الدبلوماسية المصرية



الدكتور أسامة الباز

عاش عقودًا ثلاثة في دهاليز القصر الجمهورى إبان فترة حكم الرئيس الأسبق حسنى مبارك، وتوفي فجر السبت (١٤ سبتمبر ٢٠١٣عن عمر يناهز (٨٢) عامًا، هو المستشار السياسى لمبارك ، وهو شقيق عالم الجيولوجيا في وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» الدكتور فاروق الباز، والأهم أنه خزينة أسرار الرئيس الأسبق مبارك، وربما هو الخزانة الأهم لأسرار رؤساء وقادة الشرق الأوسط.

عمل مستشارًا بمركز الدراسات الإسرائيلية والفلسطينية بمؤسسة الأهرام، ومديرًا لمكتب الأمين الأول للجنة المركزية للشؤون الخارجية، ثم مقررًا للجنة الشؤون الخارجية المنبثقة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، ومديرًا للمعهد الدبلوماسي، ومديرًا لمكتب نائب رئيس الجمهورية، ثم مديرًا لمكتب رئيس الجمهورية للشؤون السياسية ووكيل أول وزارة الخارجية.

لم ينتم يومًا لحزب أو جماعة ، وبرغم منصبه الحساس فى دائرة الحكم المصرى ، لم يكن من عاشقى الأضواء أو الظهور المكثف ، عرف عنه الهدوء والاتجاه نحو الإصلاح التدريجي، وكانت له عدة آراء فيما يتعلق بالتوريث أو الطوارئ ، ألف كتاب «مصر.والقرن الحادى والعشرين» ، وأدرك منذ البداية حساسية منصبه كمستشار وحيد للرئيس ، فعمل على إحداث التوازن دون ميل إلى أقصى-اليمين ولا أقصى-اليسار ، مايسترو السياسة الخارجية المصرية ، الذى شيعت جنازته يوم السبت (١٤ سبتمبر ٢٠١٣) من مسجد النزهة بمدينة نصر حاملًا معه خزينة أسرار وزنها ٣٠ عامًا، صفحات تطوى برحيله.

ولد الدكتور أسامة الباز بقرية طوخ الأقلام ، وهى إحدى قرى محافظة الدقهلية عام (١٩٣١م) ، حصل على ليسانس الحقوق عام (١٩٥٤) ، ودكتوراه فى القانون العام من أمريكا عام (١٩٦٢) ، بدأ حياته العملية بالعمل وكيلًا للنيابة ، ثم عين بوزارة الخارجية سكرتيرًا ثانيًا عام (١٩٥٨م) ، ووكيلًا للمعهد الدبلوماسى ، ثم مستشارًا سياسيًا لوزير الخارجية ، ويُعد أصغر من حصل على درجة سفير عام (١٩٧٥م) .

تولى أسامة الباز الملف الفلسطينى -الإسرائيلى لفترة طويلة ، وشارك فى مفاوضات اتفاقية كامب ديفيد بين مصر-وإسرائيل ، وشارك أيضًا فى صياغة اتفاقية السلام عام (١٩٧٩) ، وهو أحد الذين اشتهروا فى الحياة السياسية المصرية طوال العقود الثلاثة الماضية بمستوييها الرسمى والشعبي، فقد عمل مستشارًا سياسيًا للرئيس الأسبق حسنى مبارك منذ فترة طويلة، ويبدو أنه كان حريصًا على التمسك بهذا المنصب، ومتفهمًا لحساسيته، حيث مثل له صيغة متوازنه فى اقترابه من الحكم دون تحمل مسؤولية محددة حتى أنه أطلق عليه «خزانة الأسرار» ، و«عميد الدبلوماسية المصرية».

عُرف عن الدكتور أسامة الباز مشاركته فى الندوات الفكرية والثقافية ، ولديه

اهتمامات مختلفة ، وكان لهذه العوامل دور هام حيث إنها خلقت نوعًا من الاقتراب، وأزالت الاغتراب بينه وبين الكثيرين، لا سيما أن خطابه الإصلاحى بدأ أمام معظم النخب المصرية متطورًا عن شخصيات متعددة قريبة من النظام، وعليه كان السؤال الحاضر الغائب «لماذا لم تر رواه لأهمية الإصلاح والتغيير طريقها للتطبيق طوال السنوات الماضية ، باعتباره المستشار السياسى للرئيس الأسبق حسنى مبارك وأحد المقربين منه؟

إن أسامة الباز واحد من الشخصيات التى دار حولها انقسام فى الشارع المصري، فهو فى نظر بعض الأوساط من «الحرس القديم» الذى يرى بقاءه قريبًا من السلطة مرهونًا بعدم تغيير الأوضاع الراهنة، وأن أى إصلاح يجب خروجه من كنف وآليات ووسائل النظام نفسه ، فى حين يرى البعض أن اجتهاداته فى بعض قضايا الإصلاح فضفاضة وحمّالة وجوها يمكن تفسيرها بطرق متباينة ، وفى هذه الحدود يمكن القول: إنه مع الإصلاح وضد التغيير.

أما فى نظر أوساط أخرى فيُعتبر من المطالبين بالإصلاح والتغيير فى الوقت نفسه، ومع أنه من الذين رفضوا فكرة تعديل الدستور أو بعض مواده ورأى تأجيلها ، ووصف تعديل المادة بأنها الأبرز والأهم فى مسيرة الإصلاح السياسي، وتوقع خطوات أكثر تصورًا فى هذا المجال فى المرحلة المقبلة ، واعتبر أسامة الباز أن إصلاح نظام اختيار رئيس الجمهورية سيؤدى إلى نقلة سياسية كبيرة فى مصر. لها تداعياتها وتأثيراتها فى الجوانب كافة، وأكد أن خطوات التعديل تثبت جدية سياسيات الإصلاح الديموقراطى فى مصر.

على خلاف بعض المسؤولين فى النظام السابق ، فقد انتقد الباز الدعوات التى تطالب بتعطيل مسيرة الإصلاح السياسى لحين اكتمال برامج الإصلاح الاقتصادي، وأوضح أن عملية الإصلاح تتم على مسارات متوازية ووفقًا لرؤية متكاملة، كما نفى أية ضغوط خارجية لتعديل الدستور، وقال: إنها جاءت من رؤية خاصة ورغبة من مبارك، حتى إنه ذهب فى أوائل مارس ٢٠٠٥م إلى أن قانون الطوارئ لا يمثل قيدًا على ممارسة المواطن العادى حقوقه السياسية ، وأكد أنه لا نية لإلغائه.

إخلاص الباز للرئيس الأسبق مبارك أوقعه فى بعض المطبات، ففى الخامس من نوفمبر (٢٠٠٢) قال: إن الرئيس مبارك «لن يرشح نفسه فى انتخابات الرئاسة القادمة» ،

وأكد الباز ترحيب بتوسيع المشاركة السياسية، وعدم حصرها فى عدد محدود، وأشار إلى أن الرئيس وقتها -لا يفكر فى توريث الحكم لابنه، وفى اليوم التالى (٦ من نوفمبر ٢٠٠٢) قال بعبارة التوائية: «إن الرئيس مبارك لا ينوى تحديد حكمه مدى الحياة»، وأوضح أنه من المبكر جدًا قول: ما إن كان سيخوض الانتخابات، ونفى قيام الرئيس بتهيئة «جمال مبارك» لتسلم السلطة، وأن جمال بالذات لا يعد نفسه لتسلم السلطة أو أى شيء من هذا القبيل.

رغم الخلاف والاتفاق حول مواقفه السياسية إلا أن الباز كان يحظى بمكانة رفيعة بين مؤيديه ومعارضيه، بل وفى أوساط معارضى الرئيس الأسبق مبارك الأشداء.

يقول السيد عمرو موسى رئيس لجنة الخمسين لإعداد الدستور الجديد عن أسامة الباز: إنهما عاشا معًا لسنوات فى مجال يمس مصالح البلاد العليا، وكان خير دبلوماسى يجيد فنون المهنة وقواعدها، ويعلمها للأجيال الشابة جيلًا بعد جيل.

يضيف عمرو موسى: أذكر لأسامة الباز يرحمه الله أمورًا كثيرة لا حصر لها، يكفى منها أنه كان مفاوضًا صلبًا، بل كان المفوض الأساسى مع إسرائيل فى مفاوضات شاقة، أسفرت عن استرداد الأراضى المصرية المحتلة، بجانب دوره فى المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية.

يقول عنه محمد كامل عمرو وزير الخارجية السابق: «إن مصر فقدت واحدًا من أفضل أبنائها، ورجلًا من الطراز الأول».

ووصفه سامى شرف: بأنه كان صديقًا وفيًا وابنًا غاليًا.

ويؤكد الدكتور مصطفى الفقى الكاتب والمفكر السياسى عن الدكتور أسامة الباز: أنه كان يمتلك قدرات هائلة وقوى كبيرة، مشيرًا إلى أنه كان رجلًا لطيفًا ومتواضعًا ومهذبًا، مضيفًا إلى أن أسامة الباز كان لا يتطلع للحصول على أعلى المناصب أثناء توليه منصب المستشار السياسى لرئيس الجمهورية.

وقال الدكتور بطرس غالى:

إن الدكتور أسامة الباز قدم إسهامات جليلة لمصر، ودافع بكل قوة عن الحقوق

المصرية والعربية بكل المحافل إيمانًا بان العرب «رعاة سلام» ، وأشار إلى أن أسامة الباز خاض معارك دبلوماسية فى مفاوضات السلام مع إسرائيل ، وكان واحدًا ممن قدموا رؤى وأفكارًا حول المواقف الدولية لصالح الحق العربى والفلسطيني، وأضاف غالى : « لقد تشاركنا وعملنا سويًا من أجل صنع وبناء السلام فى أدق المراحل الاقتصادية والسياسية التى مرت بها مصر».

ويقول الكاتب الصحفى نبيل عمر : إن أسامة الباز مفكر دبلوماسى مهم ، ولعب دورًا هامًا لكسب نقاط من إسرائيل لصالح مصر فى اتفاقية كامب ديفيد الأولى، حين كان مستشارًا للرئيس «أنور السادات».

أما زوجته الإعلامية أميمة تمام فقالت:

إن زوجها الراحل الدكتور أسامة الباز كان على يقين من ترنح نظام مبارك فى السنوات الأخيرة التى سبقت ثورة يناير ، موضحة أنه احتجب عن العمل السياسي، لأنه توقع سقوط النظام وصعود الإخوان المسلمين إلى الحكم ، مشيرة إلى أنه لفت نظر النظام الأسبق إلى مخاوفه منذ عام (٢٠٠٥م) ، لكن أحدًا لم يستمع إليه على حد تعبيرها!

وأضافت : «كان متابعًا جيدًا للأحداث السياسية ، وكان يتعجب مما يراه ، ورفضه التعليق على الأحداث، أو إجراء أحاديث صحفية ، كان نابعًا من حزنه الشديد على مصر وبعد صعود «الإخوان» إلى الحكم قال: «إن مؤسسة (الإخوان) لن تستمر طويلًا، لكنه للأسف الشديد لم يشهد هذه اللحظة ، لأنه دخل فى غيبوبة قبل ثورة (٣٠ يونيو).



الدكتور أسامة الباز يشجعنى على كتابة تاريخ دمياط:

أذكر وأنا أجلس إلى جوار العزيز الأستاذ الدكتور أسامة الباز فى مؤتمر كبير حضره وفود من العالم العربى والإسلامى فى أكاديمية الخط العربى، كان الدكتور الباز رئيسًا شرفيًا للمؤتمر وأنا مديرًا له على المنصة، وقدمت له قبل أن يبدأ المؤتمر مجموعة من مؤلفاتى التاريخية كإهداء منها: كتاب قطوف من حياة الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق، وكتاب قطوف من حياة الدكتور عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»، وهما يعرضان معًا لقصة حياة القطبين الدمياطيين الكبيرين وتاريخهما من دمياط إلى القاهرة إلى العالمية، ولاحظت الإعجاب الشديد من الدكتور أسامة وهو يتصفح الكتابين على المنصة، ويشجعنى على الاستمرار فى كتابة تاريخ دمياط، وإبراز مسيرة كل دمياطى شهير فى الشعر والأدب والسياسية والثقافة والرياضة لدرجة أنه أشار لى باسم ثلاثة أبطال فى ميادينها وهم من الرياضيين وأنه لا ينبغي إهمال تاريخهم المشرف وهم: بطل رفع الأثقال العالمى مختار حسين، وبطل المانش العالمى عبد المنعم عبده، والكابتن رفعت الفناجيلى أعظم مدافع فى العالم فى إحدى الدورات الأوليمبية لكرة القدم، والثلاثة دمايطة، وقال لى الدكتور أسامة الباز: هذا على سبيل المثال، لكنه لم ينس فى نفس الوقت أن يلفت نظرى إلى ضرورة إلقاء الضوء على التاريخ القديم لكل هؤلاء النجوم: الدكتور الزيات والدكتورة بنت الشاطئ والآخرين وهو ما لاحظه بالفعل، وقال لى: أنت تفعل ذلك، وأنا معجب تمامًا بأسلوبك وجهادك الواضح فى مؤلفاتك، ليكون الكتاب وثيقة تاريخية هامة تتداولها الأجيال. وشجعنى رحمه الله بأن أستمر فى كتابة تاريخ دمياط وكواكبه ونجومه جميعًا فى كل الميادين والمجالات المختلفة، مؤكدًا لى أن هذا سيكون بمثابة العلم الذى ينتفع به.

مذكرات أسامة الباز:

كان هذا الوقت فى التسعينيات والسماء ملبدة بالغيوم وتكثر الرياح والعواصف فى حياة هذا النجم السياسى البارع الرائع المهذب المؤدب المحترم أسامة الباز، ولاحظت أنه أصبح شاردًا تمامًا، وهو يتأمل مؤلفى الخاص عن الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأشهر، والذى كان يرتبط معه، كما قال لى بصلات وثيقة، وكان الزيات يعتبره بلدياته من دمياط لما لاحظه عليه من اهتمام بالدمايطة وتاريخهم، وكان الدكتور

أسامة الباز يحترم الدكتور الزيات لدرجة كبيرة، ويعتبره أستاذًا له فى الدبلوماسية والخارجية والعمل السياسى بشكل عام، ولم ينس أن ينبهنى لصلة المصاهرة بينه وبين الدكتور طه حسين أيضًا عندما أكد لى أن الثقافة لا تنفصل عن السياسة ، وأن السياسة فى حد ذاتها ثقافة، وضحك من قلبه وهو يتذكر مقولة للدكتور محمد حسن الزيات بصفته دمياطيًا ، قالها أمامه فى أحد المحافل السياسية الدولية الكبرى وأعقبها ضجة وضحك ، وتصفيق من الجميع عقب ترجمة هذه الجملة من العربية التى كان يحرص الزيات على التحدث بها إلى اللغات الأجنبية المختلفة وأبرزها الإنجليزية والفرنسية.

هوا الكلام عليه جمرك..!

كان المؤتمر يناقش قضية القرار رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م من الأمم المتحدة الذى يقضى بانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة ، وتلاعبت به إسرائيل لتؤكد أنه يقول: الانسحاب من أراضٍ محتلة فقط! وهنا انبرى الدكتور محمد حسن الزيات كما أوضح لى الدكتور أسامة الباز، وبأعلى صوته يقول ردًا على هذا الادعاء الكاذب من جانب إسرائيل ما يقولوا اللى يقولوه : **هو الكلام عليه جمرك..!**

وضجت قاعة المؤتمر بالضحك، وشرح لهم الدكتور الزيات أنه من دمياط وهم شطار ويتعاملون مع اليهود منذ قديم الزمان، ولهم أصدقاء من بينهم فى مصيف رأس البر ، وكانت هذه هى لغة أهل دمياط مع اليهود وغيرهم ، ولذلك يقولون دائمًا: إن اليهود لم يقدروا فى العالم كله على الدمايطة، واستطرد الدكتور الزيات يقول ضاحكًا:

«وأنا أقول الآن للإسرائيليين: قولوا اللى انتم عاوزينه ، ودعونى أرد عليكم: هو الكلام عليه جمرك»..!

تحمست وقلت للدكتور أسامة الباز :

بالفعل أنا أكتب تاريخ دمياط الآن منذ أقدم العصور وبنفس الطريقة التى تفضلها من الألف إلى الياء وبتوسع فى سرد الحقائق التاريخية فى السيرة الذاتية، وأوضحت له رحمه الله على سبيل المثال : دعنى أذكر لك أن والدكم العالم الجليل الشيخ السيد الباز كان صديقًا لوالدى وجدى المرحومين ، والدى الأستاذ طاهر فراج، وجدى الشيخ محمد فراج، أثناء فترة وجوده بدمياط كأستاذ بالمعهد الديني، ووضح أن

الدكتور أسامة الباز لم يكن يعرف أن الذى يحدثه حتى هذه اللحظة هو دمياطى حتى النخاع بكل الوفاء لدمياط والمفاجأة هو معرفته التامة كما شرح لى رحمه الله لوالدى وجدى وكيف أنه كان يذهب مع والده إلى **الصالون الأدبى والثقافى فى مقهى مِعبِد** ويسعدَ كثيرًا بالمشاهير من الشيوخ والعلماء والأدباء والمثقفين من أهل دمياط. وعرف فى هذا الصالون الشاعر محمد الأسمر والشاعر الغاياتى والشاعر البدرى محمدين، وكانت له علاقة زمالة بولديه بمدرسة دمياط الثانوية، وتعرف لأول مرة على الشاعر طاهر أبو فاشا، وكان أصغرهم سنًا ، وأستاذًا له بنفس المدرسة ، وأنه تعرف هناك أيضًا على أصدقاء لوالده أمثال : الشاعر الأستاذ عبد الحق شرف الدين، وشقيقه الأستاذ مأمون شرف الدين، وأنه يعرف نجله الدبلوماسى الآن عادل شرف الدين من أيام دمياط، وأنه زامل الشاعر فاروق شوشة الفالح البارع الموهوب منذ صغره فى مدرسة دمياط الثانوية، ولم ينس حتى الآن الفصل الذى كان يجلس فيه أو فناء المدرسة، وأن من الأصدقاء المقربين منه جدًا فى ذلك الوقت زميله السفير عبد الرؤوف الريدى ، وفجأة ضحك الدكتور أسامة وهو يقول لي:

احنا اتكلمنا بما فيه الكفاية ، هو الكلام عليه جمرك!؟

وبدأ المؤتمر وأنا أغلى فى داخلى ، لقد كنت أريد أن أعلن له رغبتى الملحة فى كتابة مذكراته! هذه فرصة كبرى لابد من اغتنامها وأنا جالس معه على المنصة.

إننى أعتبر مذكرات هذا الرجل الموسوعة المحترم تاريخيًا وسياسيًا صاحب المواقف التاريخية المعروفة والشهيرة خاصة عقب انتصارنا فى حرب ١٩٧٣م ، واتفاقية كامب دايفيد الذى وقعها السادات مع كارتر وبيجين، ومن أعضاء الوفد أسامة الباز «رحمه الله» صاحب الآراء القوية لصالح مصر الغالية بعد المؤتمر الذى بدأ بمشادة بينى وبين أحد السادة الحضور عندما قدمت من على المنصة الدكتور **أسامة الباز قائلًا : إننى أشرف بأن أقدم لكم السيد مستشار السيد رئيس الجمهورية، الذى تشرف دمياط وأنا بأنه من أبنائها وأعتز كثيرًا بالدمياطى الأشهر الدكتور أسامة الباز.**

وهنا وقف أستاذ فاضل فى لهجة حاسمة يقول:

لا – يا أخى الدكتور أسامة الباز ليس دمياطيًا ، إنه بلدياتى من المنصورة، هذه عملية نشل بحسن نية أو بسوء نية ، الله أعلم، لكن واضح أن الأخ الذى يقدم للمؤتمر على المنصة منحاز إلى دمياط، وأرجو أن يبدأ أستاذنا الدكتور أسامة الباز فى البداية بتأكيد أنه من الدقهلية! وضحك الدكتور أسامة ، وضحك الحضور، ووجدت نفسى اندفع بالكلام وأستأذن فى المقاطعة لأقول:

يا أخى هل نسيت الكاتب الكبير **أنيس منصور** وهو يستولى كل يوم على مشاهير دمياط أمثال الدكتور زكى نجيب محمود ، والدكتور عبد الرحمن بدوى ، والدكتور رفعت المحجوب، والدكتور محمود حافظ ، والفنان سعد أردش ، والفنان سراج منير، والفنان رياض السنباطي، والفنانة سهير البابلى ، وغيرهم ، ويقول عنهم: إنهم بلدياته من المنصورة، ولولا الدكتورة عائشة عبد الرحمن نسبت إلى شاطئ دمياط ، وأصبحت بنت الشاطئ وهذا الشاطئ لأخذها أيضًا الأستاذ أنيس منصور ، ونسبها للدقهلية! إن الدكتور أسامة الباز هو ابن دمياط، ربما جاء من الدقهلية فى طفولته ، لكنه عاش أخصب فترة فى حياته – فترة صباه وشبابه ومراهقته فى دمياط – تعلم فى مدارسها الابتدائية والأميرية والثانوية ، وكان الطالب المثالى الأول نجم أوائل الطلبة ، وأحد الرموز فى الحياة الطلابية على مستوى مصر ، ثم أنه هزم مدرسة المنصورة الثانوية وهو فى فريق مدرسة دمياط الثانوية فى الثقافة وفى التوجيهية ضمن فريق أوائل الطلبة ، بل كان رئيس هذا الفريق ، وهو الطالب المثالى أيضًا على مصر كلها ، وهو ينتمى إلى مدرسة دمياط الثانوية..!

تصفيق حاد للدكتور أسامة الباز فى المؤتمر:

كانت المفاجأة أن وقف الرجل المهذب الدكتور أسامة الباز على الفور ليفك هذا الاشتباك بين دمياط والمنصورة على شخصه، ويعلن احترامه وتقديره لهما معًا، وأيدنى أن فترة شبابه كانت فى دمياط، وأنه بالفعل ولد خارج هذه المدينة العزيزة والغالية عالية، لكن لا ينس دراسته بمدرسة دمياط الأميرية ومدرسة دمياط الثانوية التى زامل فيها : **الدكتور يوسف إدريس ، والوزير حسب الله الكفراوي، والسفير عبد الرءوف الريدي، والإذاعى الشاعر فاروق شوشة** على سبيل المثال وليس الحصر.

وأن دمياط بالفعل عزيزة عليه وعلى أسرته وعلى والده رحمه الله بصفة خاصة حيث

ارتبط بهذه المدينة التاريخية العريقة، وأن دمياط له فيها أحلى الذكريات المليئة بالمواقف التى يتذكرها الآن بكل الحنين فى أن تعود، لم أنس أصدقائى بدمياط، لم أنس حتى حبى الأول فى دمياط، كانت زميلتى فى مدرسة اللوزى الثانوية للبنات، وهى مدرسة مجاورة لمدرستى الثانوية بنين ، كان بيننا الاحترام الكامل، تحركنا مشاعر الأدب الجم والأخلاق الحميدة، كنا جيلًا محترمًا ، وكان أبى شيخًا جليلًا بالمعهد الدينى بدمياط أعمل له ألف حساب، أما المنصورة فهى بالفعل مسقط رأسى ولها كل التقدير عندي، وأشكركم جميعًا على كل حال ، اشتعلت القاعة منذ البداية هكذا بفريقين من دمياط والمنصورة كلاهما يسعى للفوز بنسب العزيز الغالى الدكتور أسامة الباز إلى محافظته ، ولم ينس الدكتور أسامة هذه المرة أيضًا أن يقول أمام الجميع مقولة أهل دمياط الخالدة : **هو الكلام عليه جمرك؟!**

عقب المؤتمر كانت معى زوجتى ، وسألنى الدكتور أسامة : واضح أنها دمياطية، على الفور قلت له : نعم بكل تأكيد.

قال: الدمايطة لا يتزوجون فى أغلب الأحوال إلا بنات دمياط.

كانت أمى رحمها الله تقول لنا لى ولأخواتى الذكور : البنت الدمياطية ليس لها أى مثيل على مستوى البلد – مصر كلها – تعيش فقط لزوجها وأولادها وبيتها ، هذا فى المقام الأول ، ثم بعد ذلك هى وش السعد على زوجها، وتحفظ له ميزانية البيت، وشائعة أن الدمايطة بخلاء كاذبة ، البيت الدمياطى مستور باستمرار، معمول حساب للأكل والشرب والدواء والملبس وكل شيء، حتى نهاية الأسبوع يسرع الزوج وزوجته إلى رأس البر للاستجمام من شقاء الأسبوع كله..!

الدكتور أسامة الباز يستفسر عن :

- **البط الدمياطي.**
- **الصيادية بالسمك الوقار.**
- **الصيادية الكدّابة..!**

توجه الدكتور أسامة الباز بالسؤال إلى زوجتي:

يا ترى إيه أخبار البط الدمياطي؟ واستطرد يقول : كانت أكلة مفضلة عندنا وعندى

أنا شخصيًا ، وكنا نذهب لسوق الجمعة نشترى قفص بط دمياطى بجنيه واحد..! تصوري!

قالت له زوجتي:

والله شيء يشرفنا لو حضرتك قبلت دعوتنا على الغذاء بط دمياطي، سأصنعه لك بنفسى كدمياطية أتقنت هذا ، وتعلمته من أمي، ضحك الدكتور أسامة الباز وهو يقول:

«يا ريت ، بس أجيب الوقت منين..؟! نفسى بالفعل أعيش فى دمياط لمدة شهر كامل، أتذكر كل شيء فى ماضى الأيام الجميلة فى دمياط ورأس البر»، واستطرد قائلًا:

«طيب وأخبار السمك الصيادية أيه»؟

وهنا ضحكت مع زوجتى والجالسين، قلت أنا وزوجتى فى نفس واحد: ما زال السمك الصيادية الأكلة المفضلة على مائدة الدمايطة!

قال أسامة الباز : أعرف ذلك بكل تأكيد.. أكلة ليس لها أى مثيل!

لكن وجدنا الدكتور أسامة يسأل عن أكلة الصيادية الكدَّابة!

قال ضاحكًا: طيب والصيادية الكدَّابة!

ردت زوجتى على الفور : وهل حضرتك تعرف أسرار هذه الأكلة؟

قال : نعم بكل تأكيد ، كانت عبارة عن فول أخضر.يتم وضعه فى الأرز الأحمر بدل من السمك! ولقد اعتبروها الصيادية الكدَّابة لأنها ليس بالسمك إياه!

وتذكر الدكتور أسامة الباز :

الصيادية بالسمك القاروس والوقار والبورى ممتعة ، كنت أحبها جدًا ، وأيضًا الصيادية الكدَّابة كانت متعة أيضًا ، وأنا بنفسى كنت أذهب لمحل مخللات شهير بالمدينة على ما أتذكر اسمه «اللفات» ، أشترى منه بخمس مليمات كوكتيل من الطرشي، كان قريبًا من منزلنا – نحن كنا نقطن فى منطقة سوق القلل والسوق الخضار فى ذلك الوقت – وهى من المناطق الشهيرة التاريخية فى دمياط حتى الآن.. كما عرفت.

العودة ثانية إلى مذكرات الدكتور أسامة الباز:

كان شاغلى الأكبر هو التحدث مع الدكتور أسامة الباز فى موضوع مذكراته.. كنت ألاحظ حالة الهم والغم والقرف واضحة على الدكتور أسامة ، مزاجه السياسى غير معتدل، يرى البلد فى طريقها إلى المجهول، وهو بحاسته وموهبته وقيمته السياسية وخبراته الطويلة يعانى من أوضاع قادمة لا محال فى البلاد فى غاية الخطورة..!

مسلسل التوريث بدأت أولى حلقاته مكشوفة أمام الجميع، وواضحة للجميع ، ظهور الدكتور أسامة الباز على المسرح السياسى فى مصر أصبح منعدمًا ، ترا قصت علامات استفهام كثيرة حول الدكتور أسامة الباز ..؟ كيف ولماذا هو بعيد عن ممارسة عمله السياسي؟

يا ترى إيه المسألة وإيه دخل جمال مبارك هذا النبت الغريب الساعى لحكم مصر فى موقف الدكتور أسامة الباز ..؟!

فجأة غاب البطل الدبلوماسى رفيع المستوى عن مسرح الأحداث الملتهبة فى مصر..!

ولا أدرى لماذا وكيف تصورتها النهاية فى قصة هذا العالم والخبير السياسى المهذب والرائع والبارع المستشار السياسى للرئيس الدكتور أسامة الباز!

ومن أجل ذلك قلت فى نفسى : حان وقت التنفيس عن النفس كما يقولون: لا بد أن يدلى الدكتور أسامة بشهادة للتاريخ ، وتشجعت ، وقلت له فى نفس اليوم: «يا ريت يا دكتور أكتب مذكراتك مثل ما كتبت للدكتور الزيات وغيره، وفجأة تكهرب الموقف!؟

لاحظت أن الدكتور أسامة الباز يتألم من شيء ما ..!

قلت له على الفور : هل ضايقتك فى شيء بشأن كلامى عن مذكراتك؟

قال الرجل المهذب : «لا والله – أنا بكل تأكيد سأفعل ذلك – لكن لا أدرى فى أى وقت ، عمومًا الوقت غير مناسب الآن، والظروف لا تسمح بذلك كما أرى» واستطرد يقول بأدب جم وهدوء تام :

«اصبر على شوية، وسوف أعطيك أكثر مما تطلب فى الوقت المناسب»، قلت بسرعة:

«وأنا أعتز بذلك تمامًا ، وربنا يبارك فى عمر سيادتك ويجعل القادم فى مصر كله خيرًا إن شاء الله».

وفجأة أيضًا تكهرب الجو مرة أخرى ، لكن هذه المرة أسرع يقول فى حسم: مش باين..!

كانت هذه الجملة الأخيرة التى نطقت بها تعبيرات وجه الدكتور أسامة قبل لسانه، هى الحقيقة كما كان يراها ويعيش فيها ويتأملها وحده، أغلب المصريين لم يكن أحدًا منهم يفكر بنفس تفكير هذا الرجل، الذى يعيش فى مطبخ الأحداث السياسية، ويرى كل شيء بمنظار السياسى المحنك ، البعيد النظر.!

كان يرى مخاطر كثيرة من حول المصريين ، وكان يدرك تمامًا أن السياسية لعبة قذرة ! يمارسها البعض بشرف، والبعض الآخر بدون شرف، وبالطبع هو من الفريق الأول..!

لكن ماذا يفعل مع الفريق الثانى الذى كان يعد نفسه لجولة حاسمة تعيد البلاد إلى الخلف وإلى التقهقر وإلى التخلف وإلى النكسة! فريق اشتم كل مصرى قريب من الأحداث السياسية فى مصر فى السنوات الأخيرة من التسعينيات وما بعدها روائح التوريث الكريه والمكروهة والكريهة ، ويبدأ يبزغ نجم **«جيمي» أو جمال مبارك!**

وينتهى عهد المستشار السياسى لعدة رؤساء مصريين الدكتور أسامة الباز

كان الدكتور أسامة الباز حسن النية فى كل تصرفاته ، كل شيء عنده بحساب، حافظ على كبريائه وكرامته عندما لاحظ حالة من الفوضى على المسرح السياسي، انسحب فى هدوء دون أن يفصح حتى عن الأسباب، لكن بشكل غير مباشر أيضًا عبر عن موقفه عندما ظهر فى ميدان التحرير فجأة إبان ثورة ٢٥ من يناير ٢٠١١م ، هذا معناه أنه نعم مؤيد للثورة على النظام ، والتصدى لحالة الفوضى السياسية، وكل من هب ودب أصبح «جيمي» ، ومثله أى «جيمي» يعمل بالسياسة، وتحول رجال الأعمال إلى سياسيين لصالح مصالحهم ومراكزهم وبإصرار كل شيء كان آيلًا للسقوط فى النظام المصرى فى عهد مبارك، الذى سقط بالفعل من أعلى أدوار هذا النظام منذ سنوات ظهر فيها **«جيمي»** ..! عندا أسلم له أبوه كل شيء فى حكم مصر علنًا، وبغير العلن ، كانت لعبة رخيصة ودنيئة

وكأن مصر عزبة تباع وتشترى ، تشرف على ذلك بكل تأكيد وترسخه لصالح «جيمي» **الرئيس القادم السيدة سوزان التى تمنت أن تصبح الملكة الأم مثلها مثل الملكة السابقة لمصر «نازلي» أم فاروق ملك مصر المخلوع..!**

هذا كله كان يراه الشعب المصرى البطل والشديد الذكاء ، وهو يقترب من قمة الأحداث بالثورة على مبارك وعلى مسلسل التوريث ، ومأساة الدكتور أسامة الباز أنه كان يرى عذابات مصر عن قرب ، وهو الإنسان المرهف الحس الصادق الأمين، وأن الساحة تخلو «لجيمي» دلوعة أمه سوزان!

تحمل أسامة الباز ما لم يتحمله بشر. ، وعلامات الاستفهام تتراقص أمامه بشدة.. إلى أين مصر تسير..؟ كان أهم علامة!

الزلزال قادم لا شك – عصر مبارك كله يحتج عليه المصريون الشرفاء، وظهر بركان غضب المصريين ، وكانت الثورة التى تنبأ بها أستاذ مبارك التلميذ البليد..!

كان الدكتور أسامة الباز أستاذه بتكليف من السادات عندما اختاره نائبًا له، وكان الباز المستشار السياسى البارز الفالح الناجح المتفوق المتألق، لكن التلميذ لم يصن نعمة وجود أستاذه الذى يلقنه الدروس الخصوصية فى السياسة وفنون ممارستها، وانحاز إلى جانب «جيمي» الابن الذى كان مثل الدبة التى قتلت صاحبها ، تسبب «جيمي» وأمه فى انهيار عصر ونظام استمر لمدة ثلاثين عامًا فى مصر ، ولم يرد مبارك أن يترك «العزبة» أقصد مصر. ، دون أن يمنحها «لجيمي» - الذى لم يعجبه وجود الأستاذ الدكتور الباز ، ليكون لجنة السياسات ويعتلى المنبر السياسى ، ويقدم مشاهده على المسرح السياسى أيضًا ، كل هذا زاد من آلام أسامة الباز ، الذى كان يفكر فى حال مصر، وما وصلت إليه من تدهور سياسى واضح عندما نزل ميدان التحرير يعبر عن تأييده للثوار بوضوح ومخاطرة ، فقد تفشل الثورة ، وهنا يصبح أسامة الباز عدوًا للنظام الحاكم جيمى ووالده ، لكن الثورة اقتلعتهما تمامًا ، وظهر أسامة الباز فى الميدان فى اليوم السابع من فبراير بكل البطولة والجسارة ، لأن ظهوره كان قبل سقوط النظام، ويسجل موقفًا تاريخيًا شامخًا لم يظهر عقب سقوط مبارك إنما قبل السقوط، لم يشمت فى الرئيس ولا زوجة الرئيس ولا ابن الرئيس الذين سقطوا سقوطًا مدويًا، ولعل أسامة الباز فى نفس الوقت كان يتأمل المشهد السياسى

الذى تنبأ به من قبل ، بأن الناس سوف تثور ضد النظام ، الفقر يسود، الظلام موجود، والثراء الفاحش ، ونهب الشعب، وأطماع «جيمي» فى الحكم، ومسلسل التوريث ورائحته العفنة!

لم يكن الدكتور أسامة الباز مؤيدًا لهذا التوريث على الإطلاق..! فقط هو كان يقوم بتعليم جمال مبارك الثقافة السياسية ، ويجعله ملمًا بأصولها ومفاهيمها، لكن رافضًا تمامًا لأن يصبح الرئيس القادم لمصر، وكان يؤكد فى كل مناسبة يدور فيها مثل هذا الكلام عن التوريث : أنه من الصعب جدًا أن يحدث ذلك ، ولم ينفع ولن يجدى فى مصر.، والدكتور أسامة الباز كان يقول فى مثل هذه الأوقات : لكم دينكم ولى دين..! يقصد كل شيخ وله طريقة ، وطريقته تختلف عن طريقة جمال مبارك وأبوه الرئيس مبارك، والشِّلل المحيطة بهما ، وكل هذا ليس من المقبول له ، وأوضح الباز أيضًا أنه يختلف تمامًا عن فكر هذه الشِّلل المحيطة بالقصر الحاكم!

وكان يؤكد فى نفس الوقت للمقربين جدًا منه أن الإخوان المسلمين يتربصون ويراقبون بدقة للسطو على الحكم فى أقرب وقت، وأنهم أذكياء ، وسوف يتسللون إلى حيث توجد طبقات الشعب الكادحة لكسب تأييدهم، وأن الثورة القادمة لصالح الإخوان، وهذا هو الخطر الأعظم والبالغ ..! كان أول من تنبأ بسطو الإخوان على الحكم، أسامة الباز فرقته أهوال التفكير فى سلامة مصر وصالح أبنائها الفقراء ، وداهمه المرض المفاجىء اللعين، وامتثل له رغم مقاومته له، لكن فى النهاية خضع خضوعًا تامًا، وتغير حاله من حال إلى حال..!

أدخلوه المستشفى فى الفاتح من سبتمبر ٢٠١٣م ليموت فى يوم السبت الرابع عشر من نفس الشهر، ومن قبل عام ١٩٩٥ فى شهر أكتوبر بالتحديد كان يلزم له إجراء عملية قلب منهك من السياسة ومتاعبها ولابد من تغيير أربعة شرايين مسدودين، وبالفعل أجرى العملية بسلام، ولم يرد أن يخبر ابنه الوحيد «باسل» قبل العملية بها خوفًا من زعله..! لكن الموت كان سيأخذه منا أثناء محاولة اغتيال مبارك فى «أديس أبابا» ، ونجاه الله عزَّ وجل صاحب القرار الوحيد الذى لا يأتى إلا بإذنه، فقد شاءت إرادة الله أن تنقذ الدكتور أسامة الباز من الموت المحقق ، لكن الدكتور أسامة لم ينس تلك اللحظات

الرهيبة المهيبة الصعبة ، وكان يحمد الله فى كل وقت، خاصة عندما يسمع صوت ابنه «باسل» «باسل الباز» ابن الدكتور أسامة كان روحه وحياة قلبه ونور عينيه ، كما كان يقول عنه ، كان يحبه حبًا جمًا قطعة من روحه ، ولم يحب فى الحياة كلها هذا الحب إلا للسيدة الفضلى والدته التى كانت تضعه دائمًا فى المرتبة الأولى عندها ، وتقول له باستمرار : قلبى وعقلى داعين لك يا ابنى ، روح ربنا يحبب فيك خلقه، وكانت هذه الكلمات أحب الكلمات لأسامة الباز قيلت له فى حياته ، أما والده فقد تعلم منه أسامة الباز الشموخ وحب العلم والدين والثقافة.

قال لى الوزير الأسبق حسب الله الكفراوى : لم أنس يومًا ذهبت فيه إلى منزل صديقى العزيز الغالى الدكتور أسامة الباز فى كوبرى القبة عند السيدة والدته حيث أغرانى أن يكون اللقاء عندها لمناقشة بعض الأمور السياسية ، وكنت قد اتخذت قرارًا بالاستقالة ، والدكتور أسامة الباز هو زميلى فى مدرسة دمياط الثانوية ، وكان اللقاء معه فى منزل ست الحبايب أحسن ترضية لى ، يرحمها الله ، ومن المعروف أنها توفيت عام ٢٠٠٢ بعد أن أدت رسالتها كاملة نحو أبنائها وزوجها الجيل الراحل والدهم، كانت صديقة لوالدة الدكتور عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، وهما معًا من أعظم سيدات القرن العشرين ، كانت أم أسامة كما كان يناديها البعض تميل كثيرًا لابنها الأكبر أسامة ، لم تكن تفرق فى المعاملة بينه وبين أخواته ، إنما هى تدعو لهم جميعًا فى كل وقت.

الكتاب حافل بقطوف من رحلة حياة وعمر الأستاذ الدكتور العزيز الغالى أسامة الباز ولقد حرصت أن أتتبع حياته الأولى فى مسقط رأسه دمياط ، ودراسته فى مدارسها الابتدائية والأميرية والثانوية ، وكيف ربطت الوشائج بينه وبين علماء دمياط أثناء وجود والده أستاذًا بالمعهد الدينى بدمياط، كان رفيقه ، يعرِّفه على العلماء، ويذهب به إلى الصالونات الأدبية والثقافية المنتشرة فى دمياط فى ذلك الوقت، وسيجد القارئ العزيز فى هذا الكتاب الكثير عن مشيخة العلماء بدمياط منذ أقدم العصور، وهى المدينة التى وفد إليها عالم الأزهر الجليل الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز ، كذلك سيتعرف القراء على زملاء وأصدقاء هذا العالم الأزهرى الشيخ السيد الباز فى دمياط ، مثل الشيخ محمد فراج العالم الجليل جدنا صاحب مدرسة «فراج» الهداية التى أسست فى نهاية القرن

التاسع عشر، وتولاها بعد ذلك والدنا المرحوم الشاعر والأديب والصحفى والمربى الجليل الأستاذ طاهر محمد فراج، كذلك بعض القطوف من أوراق الشاعر الدمياطى الكبير الأستاذ عبد الحق شرف الدين والد الوزيرة الإعلامية الدكتور درية شرف الدين – الصديق الحميم للشيخ السيد الباز، والذى كان يحب أن يسمع أشعاره، ويجد سعادة فى ذلك، وفى نفس الوقت كان الشيخ السيد الباز صديقًا فى دمياط للمربى الفاضل الجليل الأستاذ مأمون شرف الدين شقيق الأستاذ عبد الحق شرف الدين وعم درية شرف الدين، وكانت مجموعة بارزة فى دمياط فى الزمن الجميل الذى شهده مع والده وأسرته الدبلوماسى الكبير الدكتور أسامة الباز – عاش أسامة فى دمياط قريبًا من الحركة الأدبية والثقافية، واستفاد كثيرًا من النخبة أصدقاء وزملاء والده عالم الأزهر الجليل وحب الناس له، وستتعرف على مدرسة دمياط الثانوية للبنين التى درس بها الدكتور أسامة الباز وعاش فيها أحلى أيام حياته كما كان يؤكد للجميع، وأعجب أسامة الباز بمشاهير دمياط وأعلامها من الوزراء والأدباء والشعراء وغيرهم، ونال البطل الدمياطى رأفت الهجان «رفعت الجمال» احترامه وإعزازه وتقديره، وكان يتابع مسلسله التليفزيونى بشغف لأنه كان يعرفه شخصيًا فى دمياط.

وكان الدكتور أسامة الباز يسخر من النكت التى تطلق على الدمايطة بكل الافتراء ويؤكد أهل دمياط شطار وليس هؤلاء البخلاء على الإطلاق، يا ريت كل مصر مثل الدمايطة الذين عشت معهم وبينهم، وأعرفهم جيدًا، والجميل أن أسامة الباز فى آخر سنوات حياته رأى أن يزور دمياط، ويذهب مع السفير عبد الرءوف الريدى إلى مدرسة دمياط الثانوية وهما معًا من زملاء الدراسة بها، ومعهما الوزير حسب الله الكفراوى، والأديب الدكتور يوسف إدريس، والشاعر الإذاعى فاروق شوشة، وكان أسامة الباز أسعد إنسان وهو يذهب إلى الفصول التى درس بها يتلقى العلم فى مدرسة دمياط الثانوية، والشيء الذى لا يعرفه كثيرون أن عشق أسامة الباز للخط العربى وفنونه كان عن طريق الشيخ الجليل محمد محمد عمر أستاذ الدين والخط العربى بالمعهد الديني، وصديق والده وصاحب مدرسة عمر بعد ذلك، حتى أصبح أسامة الباز من رواد هذا الخط العربى يحضر مهرجاناته ومؤتمراته، ويصبح رئيسًا شرفيًا لجمعيته، ويمنحه فنان الخط العربى

مسعد خضير شهادات متعددة من التقدير، ويتم تكريمه كثيرًا ، واهتمامات أسامة الباز بالفنون والثقافة شعرًا وأدبًا كان جنبًا إلى جنب مع منصبه الحساس مستشارًا لرئيس الجمهورية يرسم سياسات الدولة ويوجه الرؤساء ، وفى أوج نشاطه السياسى خاصة مع السادات فى القدس وكامب دافيد، اعتذر عن قبول منصب وزير الخارجية ، كان يرى أن يخدم مصر أكثر من خلال منصبه كمستشار رئيس الجمهورية السياسى ، ويتيح له مساحة واسعة من التحرك السياسى والاجتماعى ، ويتغلغل داخل المجتمع أكثر وهو الذى عاش حياته بين الناس بكل الحب.

وستتعرف على حكاية «جيمي» وأفول نجم الدكتور أسامة الباز.

وبمناسبتها سنتعرض لأبو الأنوار ، الذى تسبب فى موت أم كلثوم! والعلاقة بين «جيمي» وجيجى وأسامة الباز وأم كلثوم ، والألم الذى لحق بهما! وسنقترب كثيرًا من كواليس السياسة ودور أسامة الباز فى أخطر أحداثها إن أسامة الباز كان:

المايسترو الذى لا يتكرر وشخصية فريدة وأسطورة نجاح، وكان فى نفس الوقت بسيطًا متواضعًا فى التعامل مع كل الناس، ومترفعًا شريفًا ، كان أسامة الباز أيقونة الدبلوماسية والمحبة الشعبية ، كان اسمه يكفيه ، وأعماله تحميه، كان الداهية السياسى العنيد، والمفاوض الصعب لصالح مصر ، وصفوه بأنه صانع الملوك وراكب المترو، وقال عنه مبارك «المخلوع» ، افتقدت حكمته وتوجيهه بعد اعتزاله السياسة..! كان رجل دولة من طراز نادر ، وهو راهب الدبلوماسية، بل كان فى وقت من الأوقات أشهر دبلوماسى فى مصر، وكان الصندوق الأسود ولأهم أحداث السياسية المصرية، واعتبر رمزًا مهمًا للوطنية المصرية والعربية ، وهو رجل من قصر الرئاسة يسير على قدميه فى الشارع ، يستقل مترو الأنفاق أو يستوقف تاكسيًا!

ولذلك كانت مصر كلها فى وداعه ، وظهر نجوم السياسة والسلطة والمجتمع فى وداعه يوم وارى جثمانه إلى مثواه الأخير ، وتحدثت زوجته بنت الأصول العريقة الإعلامية المصرية الكبيرة السيدة أميمة تمام، وقالت: إن رفضه «للتوريث» تسبب فى استبعاده من الرئاسة! كما فتحت الكثير من خزائن أسراره.

بكل الاحترام والإعزاز تذكره ..وبكل الوفاء والتقدير والعرفان تتحدث عنه.

وخرجت جريدة الوطن الغراء تكشف أسرار ١٧ عامًا فى حياة أسامة الباز عن طريق زوجته السيدة الفضلى أميمة تمام التى أكدت أنه توقع صعود الإخوان وسقوطهم سريعًا، وأنه وصف الفريق أول عبد الفتاح السيسى بأنه محارب «الساموراي» ، وأعلنت أنها تفكر فى إعداد كتاب ذكرياتها مع رحلة زواج مع أسامة الباز الأب والأخ والصديق وكل شيء، كان هذا الكلام فى الجزء الأول من كتابنا بين يديك عزيزى القارئ .. عزيزتى القارئة .

●● والآن نذهب إلى الجزء الثانى الذى لابد من التعرض لما فيه ، لأنه كان مثار أحاديث كثيرة حول زواج قيل أنه تم بين هذا العملاق السياسى الكبير أسامة الباز والفنانة نبيلة عبيد التى أعلنت بنفسها فى مصر. وخارجها عن طريق الصحف والمجلات أنها تزوجت من أسامة الباز ، واستمر هذا الزواج تسع سنوات كاملة ، وأنه كان زواج الحب بعيدًا عن السياسة!

وقبل الخوض أكثر فى هذا الجزء الثانى ، نعرض للحياة الخاصة للرؤساء والملوك وكبار المسؤولين بأدق تفاصيلها ، لأنها تستهدف الكثير ، وهى مادة بشرية، ولذلك يحرص المسؤول على إحاطتها بسياج من السرية والتكتم الشديدين! ونعرض لمقولة «تولستوي» : لن تستطيع معرفة حقيقة أى امرأة ، إلا بعد أن تتأكد أنهم أغلقوا عليك باب قبرك بإحكام ..!!

وأقول: إن الدكتور أسامة الباز رجل دولة وأسرة من الطراز الأول ، فكيف ولماذا تم هذا الزواج بينه وبين الفنانة الشهيرة ؟ وأين الحقيقة الغائبة حتى هذه اللحظة فى قصة هذا الزواج؟!

وأسامة الباز فى حياته أحب زميلته الطالبة بمدرسة اللوزى الثانوية للبنات، كانت معه فى برامج أوائل الطلبة والطالبات تمثلان دمياط وهى إحدى بنات الأسر العريقة فى دمياط، كان يحترم فيها العلم والخلق ومكانتها فى الأسرة الكبيرة الأشهر فى دمياط، هكذا أخبرنى أحد الأصدقاء من جيله فى دمياط ، متعه الله بالصحة والعافية، ولولا أنه غادر دمياط بعد حصوله على التوجيهية لكلية الحقوق لتزوجها على الفور، كان بينهما كل المودة والاحترام، وليس الحب بلغة هذا الزمان ، وأحب أسامة الباز شجرة الدر ، وكليوباترا – هما امرأتان أحبهما كثيرًا لمنزلتهما فى التاريخ – وبالتالى فإن الحب الحقيقى فى حياة

أسامة الباز كان لفتاة دمياط وشجرة الدر وكليوباترا ، ويأتى أى حب بعد ذلك أقل كثيرًا من حبه للسيدة والدته التى كان يقبل يديها ويطلب دعائها ، ونعرض للحكمة التى تقول:

ما ضاعت أمة على طريق الحياة .. إلا وكان السبب فى ضياعها .. كأس.. ووتر.. وامرأة!

وأن النساء أيضًا يحكمن العالم ، ونشير إلى قصة كريستين كيلر التى أطاحت بوزير الحرب البريطانى ، وانتهت بتحطيم حكومة بأكملها..! وحكاية فاروق وكاميليا – وهى قصة غرام هزت عرش مصر..! وكانت جميلة وفنانة تعتبر إحدى جميلات السينما المصرية.. وستظل قصتها مع ملك البلاد فاروق ومصرعها اللغز.. تمثل حديثًا وجدلًا لا ينقطع..!

وقصة الفنانة برلنتى عبد الحميد، ولماذا اختارت أن تتزوج من المشير عبد الحكيم عامر ، وفى الجزء الثانى الهام نكشف عن زواج نبيلة عبيد وأسامة الباز بأقوال نبيلة عبيد نفسها ، وكل كلمة موثقة تمامًا، لأن الأمر حساس للغاية ، وأنا نفسى فى حيرة من الأمر ، وحتى الآن أقول: ما حقيقة هذا الزواج؟

أعرف تمامًا سعى الطبيب الأشهر فى المخ والأعصاب لنيل رضا نبيلة عبيد، وقصة الحب الشائعة بينهما فى وقت بعيد من الزمان، وحكاية وزير الثقافة الأسبق البعيد عن وزارة الثقافة فى الزمن الحالى ، كان يسعى أيضًا للحب مع نبيلة عبيد، وغيره وغيره وغيره! لكن أنا هنا أعرض لشيء محدد قائم عندى على إحساس ما نشر فى بعض الصحف والمجلات على لسان نبيلة عبيد من أنها تريد أن تحب وتتزوج وتنجب أولادًا..!

أقول تحديدًا: بناء على هذه الوثائق المنشورة هنا فى الكتاب: يا عزيزتى نبيلة عبيد، وتعرفين كم أقدرك، وعلاقتى القديمة بك كصحفى أجرى معك عشرات اللقاءات الصحفية :

ما هو تاريخ زواجك من الدكتور أسامة الباز ؟

وهل كان زواجًا عرفيًا أو زواجًا رسميًا على سنة الله ورسوله؟

أرجوك انشرى وثيقة الزواج بالحقيقة.. لأنها مسألة تتراقص بشأنها علامات

الاستفهام بقوة ؟؟؟؟

الزواج حلال..

لكن إخفاء الحقيقة الكاملة فى زواجك من أسامة الباز هو الخطأ..! لأن أسامة الباز شخصية كبيرة وعزيزة ومؤثرة وهامة جدًا فى حياة المصريين ، بل والعرب، بل والتاريخ ، والحب ليس عيبًا ، وإذا كان أسامة الباز تزوجك بالفعل ، فأشهرى لنا يا سيدتى وثيقة الزواج..! وأسامة الباز لم يرتكب والعياذ بالله ما يغضب الله ، هو أحب فى هذه الحالة وتزوج، وأنت كذلك فعلت نفس الشيء ، لم يرتكب أحدكما أى خطأ - فقط نريد الحقيقة خاصة أن الأمر شائع بين الناس، ولأسامة الباز زوجة فاضلة، شخصية عامة، ومذيعة تليفزيونية شهيرة ، ونجله الوحيد المهذب المحترم صاحب المنصب الرفيع، وشقيقه العالم الكبير الدكتور فاروق الباز ، ومن حق هؤلاء وأنا معهم ، لأن الدكتور أسامة الباز كان صديقًا لى ، ووالده صديقًا لوالدى وجدى فى دمياط ، من فضلك يا مدام نبيلة أو بلبلة كما نناديك من الزمن البعيد اجعلينا نقف على الحقيقة الغائبة فى قصة زواجك من أسامة الباز ، لأنه وأنت أيضًا من الشخصيات العامة الكبيرة ، ومن حق الناس التعرف على هذه الحقيقة الغائبة!

وأكرر : متى تحديدًا تم هذا الزواج؟

لقد كنت فى لقاء معك عام ١٩٩٤م نشرته لك فى ملحق الأنباء بالكويت، قلت فيه: أحلم بالزواج والبيت المليء بالأطفال..!

فى عام ٢٠٠٠ نشرت مجلة الكواكب:

زواج نبيلة عبيد .. التفاصيل الكاملة!

بالطبع لم يكن زواجك من الدكتور أسامة الباز ، وإنما من رجل آخر..!

وفى عام ٢٠١٢ تحت عنوان «نبيلة عبيد وعشاقها» ، وجهت لك نداء بضرورة الإفصاح عن حقيقة زواجك من أسامة الباز كما تقول الشائعات حتى الآن! وكان ذلك فى جريدة صوت الأمة الغراء .

وتحت عنوان الفنانة والسياسي..

نشرت مجلة الإذاعة والتليفزيون فى ٢١ من سبتمبر ٢٠١٣ تحت هذا العنوان: لأول

مرة .. نبيلة عبيد تعترف:

اتجوزت أسامة الباز بموافقة مبارك..!

ونشرت مجلة كلام الناس تحت عنوان :

نبيلة عبيد وأسامة الباز «القصة الكاملة – كان ذلك فى أكتوبر ٢٠١٣ ، وفى سبتمبر ٢٠١٣ أيضًا عادت مجلة الإذاعة والتليفزيون لتنشر تحت عنوان فى بيت نجمة مصر الأولى .. أسرار تنشر لأول مرة عن الزواج الأسطوري! وأقول لنبيلة عبيد أى زواج أسطورى هذا الذى لا نعرف عنه شيئًا .. يا ست نبيلة الدكتور أسامة الباز فى رحاب ربه الآن ، ولن ينهض من قبره رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته ليقول والله العظيم ما كان زواجًا أسطوريًا على الإطلاق..! وهذه هي الحقيقة كاملة..!

وتداولت فى الأوساط الفنية والسياسية أن قصة إحسان عبد القدوس الراقصة والسياسى ، تروى أساسًا قصة نبيلة عبيد وأسامة الباز، حيث مثلت نجمة مصر الأولى، كما يُعرف بطولة هذا الفيلم عن القصة، والشيء الذى يجب أن يعرفه الجميع أن الأستاذ إحسان عبد القدوس رحل عن الدنيا قبل أن ينطق أى إنسان بقصة حب وزواج نبيلة وأسامة! وعرفنا أيضًا من الشائعات أن أسامة الباز رفض أن يطلق نبيلة عبيد بناء على طلب الرئيس الأسبق مبارك! لأن هذا أمر شخصي..!

ثم تقول أخيرًا نبيلة عبيد:

تزوجت أسامة الباز تسع سنوات كاملة حب بلا سياسة ، وكأن الدكتور أسامة الباز اعتزل العمل السياسى ليتفرغ للحب..! ما هذا الهراء..؟!

إن ما يقال يسيء إلى هذا الرجل العظيم!

ما معنى أن يتفرغ أسامة الباز فى هذه المرحلة من حياته التى شهدت تضحية السياسى واعتزاله السياسة لقصة حب مع ممثلة شهيرة مع احترامنا لها ، وهو متزوج من إذاعية لامعة وتليفزيونية شهيرة، وما معنى أن يختار أسامة الباز الحب والغرام بديلًا لمنصبه كمستشار سياسى لرئيس الدولة منذ عهد السادات إلى عهد مبارك؟ إن ما تقوله نبيلة عبيد بأنها فوق السياسة وفوق شغف هذا الرجل المنهك سياسيًا أسامة الباز، ولأنه أحبها حبًا جمًا يمارسان معًا لعبة الحب والغرام بعيدًا عن لعبة السياسة! هو إساءة للرجل بكل المقاييس..!

مشيخة العلماء بدمياط منذ أقدم العصور

المدينة التى وفد إليها العالم الجليل الشيخ السيد الباز والد الدكتور

أسامة الباز

وقام بالتدريس فيها بالمعهد الديني

من أعلام دمياط فى القرن الخامس عشر. فقيهان من آل «البهوتي» ومن علماء الدين والفقه واللغة ، ترجم لهما السخاوى فى «الضوء اللامع» بإيجاز شديد : واحتجبت عنا آثارهما أو ضاعت .

أما الأول فهو «خليل إبراهيم البهوتي» المولود بدمياط عام ١٤٣٢م ، والثانى هو «عبد السلام موسى البهوتي» المولود بدمياط أيضًا «١٤٣١ – ١٤٩١م» ، ونشأ بها، وحفظ القرآن عند أبيه ، إمام مسجد البدرى ، ويقول السخاوى إنه .. « كتب بخطه شيئًا كثيرًا حبس جميعه على بنيه» ، وتعرف فى أواخر صفر سنة ٨٩٦هـ ، ودفن بجوار الشيخ فاتح بتربة الشرفاء بنى عجلان، وله من العمر نحو ستين عامًا.

ومن شيوخ الدين والفقه الذين عاشوا فى القرن الثالث عشر الميلادي:

جلال الدين بن شاس شيخ المالكية، وصاحب كتاب «الجواهر الثمينة فى المذهب»، ومات بدمياط مجاهدًا عام ١٢١٩م ، والفرنج محاصرون لدمياط.

وأبو الحسين بن الجراح المتوفى بدمياط عام ١٢١٩م فى أثناء حصار الفرنج أيضًا، وكان فاضلًا وأديبًا شاعرًا ، سمع الحديث بالأسكندرية ، وحدث وسمع الناس عنه.

وعبد السلام الخراط «١١٧٥ – ١٢٢٢م» ، وقد رحل إلى بغداد ، فتفقه بها ، ورجع إلى دمياط، فأقام بها قاضيًا ومدرسًا.

ومنهم عبد الواحد بن ظافر الدمياطى «٥٥٦ – ٦١٣هـ» ، وكان إمامًا فقيهًا متكلمًا» ، وشمس الدين محمد الدمياطى المتوفى عام ١٢٩٤م ، وهو غير شمس الدين الدمياطى المتصوف الذى عاش فى القرن السادس عشر. ، وترجم له بوضوح الشعرانى فى طبقاته ، وعبد السلام بن عبد الناصر المتوفى عام ١٢١٦م، وأبو القاسم ابن البورى الدمياطى المتوفى سنة ١٢٠٣م .

وقد أنجبت دمياط عددًا وافرًا من الكتاب والأدباء والمؤلفين الأذكياء ، ولم تكن الكتابة فى الغالب مهنتهم ، فمنهم العالم الديني، ومنهم غير ذلك ، ونذكر منهم العلماء الدينيين:

الشيخ محمد الخضرى الدمياطى (١٧٩٨-١٨٧٠م):

وهو الإمام شمس الدين محمد بن مصطفى بن حسن الخضرى الدمياطي، الشافعي،

شيخ العلماء بدمياط، ولد فى حدود عام ١٧٩٨م أيام احتلال جيوش نابليون لمصر، ودرس بالأزهر فترة، ثم عاد لبلده، واشتغل بصناعة الحرير وبيعه، ولكنه كان شغوفًا بالتأليف والتعليم والإرشاد، وتخرج على يديه عدد من أفاضل العلماء بدمياط، ومن كتبه: رسالة فى تفسير مبادئ القرآن، وشرح لكتاب «اللمعة فى حل الكواكب السبعة»، وشرح لكتاب «زاد المسافر»، وله فى النحو حاشيته على شرح ابن عقيل، وشرح فى الميراث، وكثير غيرها.

وقد تولى مشيخة العلماء بعده، ولد الشيخ عبد الحى الخضري.. الذى ظل فى المشيخة حوالى الثلاثين عامًا، وبعد وفاته أعقبه فى **مشيخة العلماء ولده الشيخ عبد الرحمن الخضري**، وظل بها أكثر من ثلاثين عامًا أيضًا، وفى عهده أنشئ النظام الحديث بمعهد دمياط، وفى نوفمبر ١٩٤٧م **تولى مشيخة معهد دمياط الأستاذ الشيخ أحمد كامل عبد الرحمن الخضرى، حفيد الخضرى الكبير**، وقد تولى مشيخة المعهد الدينى بدمياط عام ١٩٤٧م، وكان للشيخ عبد الحى الخضرى المتوفى عام ١٣١١هـ عدة مؤلفات منها: رسالة فى الإسراء والمعراج، وتعليقات على بعض الكتب الكبيرة، وللشيخ عبد الرحمن الخضرى أبحاث كثيرة منها: «القول الصحيح فى آيات المسيح»، ورسالة فى ليلة القدر، وجزء كبير من تفسير القرآن أو رسالة فى المولد، وتوفى رحمه الله فى ٣٠ يونية ١٩٢٤م، وقد ولد الشيخ أحمد كامل الخضرى بدمياط عام ١٩٠٢م، وانتسب إلى الأزهر عام ١٩٢١م، ونال شهادة العالمية بتفوق عام ١٩٢٦ وعين مدرسًا بمعهد دمياط سنة ١٩٢٨م، فمدرسًا بكلية الشريعة عام ١٩٣٨م، ثم عين شيخًا لمعهد دمياط فى عام ١٩٤٧م، فأنشأ به قسمًا ثانويًا، ومن مؤلفاته:

التهذيب فى علم الفقه، والنحو الحديث، ورسالة التوحيد، أيضًا المواريث الإسلامية، ونهاية المأرب، وله مقالات وأبحاث كثيرة، وأنجبت أسرة خفاجى أو خفاجة، كما كانت تكتب فى الماضى البعيد عددًا من رجال الدين والفقه واللغة والأدب.

ونذكر اثنين من كبار الأعلام المحدثين وهما:

الدكتور على مصطفى مشرفة (١٨٩٨ - ١٩٥٠م):

ولد بدمياط فى ١١ يوليه ١٨٩٨م، وتلقى تعليمه الابتدائى بمدرستها الأميرية، ومن

قبلها بمدرسة الهداية الأولية (فراج) التى أسسها العالم الجليل الشيخ محمد فراج الحاصل على العالمية ، وصاحب الصيت المدوى فى حبه للدين والعلم، ونشر ذلك فى دمياط مسقط رأسه ، وله فيها مكانته المرموقة ، ثم انتقل مشرفة إلى مدرسة الكتبى الشهيرة باسم مدرسة «البنون والبنات» لصاحبها المربى الجليل الأستاذ أحمد الكتبي، وفى ذلك قصة طريفة نذكرها بإيجاز عندما جاء الأستاذ أحمد الكتبى لمقابلة الشيخ محمد فراج فى مدرسته ، وقال له : أرجوك يا شيخ محمد تعيرنى التلميذ على مصطفى مشرفة غدًا فى المدرسة عندي، لأن المفتش سوف يحضر ، وأنا أريد أن يكون هذا التلميذ النابغة عندى –على سبيل السلفة!

وضحك جدى الشيخ محمد فراج ، ووافق على الفور، كانت المسألة سهلة، وكلها من أجل العلم وإبراز النجباء فيه، لكن المفتش اكتشف اللعبة بذكاء!

عندما زار بالفعل مدرسة الكتبى ، ووقف هذا التلميذ على مشرفة يجيب على أسئلته، وعلى الفور تذكر أنه فى الأسبوع الماضى ناقش نفس التلميذ النجيب، وذهل من فرط تفوقه ونبوغه، وكان ذلك فى مدرسة فراج، وكشف عن ذلك للأستاذ أحمد الكتبى صاحب وناظر مدرسة الكتبي، الذى اعترف له بما حدث، وأنه سوف يرسل التلميذ فور مغادرته مدرسته إلى مدرسة الشيخ محمد فراج مدرسة الهداية «فراج»، وأنه أخذه على سبيل السلفة فقط فخورًا بعلمه وتفوقه ونبوغه! وضحك المفتش وسامحه، لكن على سبيل العقاب لم يترك الأمر هكذا ، والتلميذ مقيد فى صفوف مدرسة فراج، فقرر أن يبقى على طول فى مدرسة الكتبى ، ليحرم جدى الشيخ محمد فراج من إعانة التلميذ النابغة على مصطفى مشرفة، فقد كان نظام محاسبة المدارس الأولية فى ذلك الوقت من الزمان الجميل بالتلميذ ، أى بالعدد، ونسبة ضئيلة للمعرفة، لأنهم جميعًا أى التلاميذ كانوا من النابغين المتفوقين الفالحين الصالحين.

هذه قصة كان الأستاذان الجليلان **مأمون شرف الدين وشقيقه عبد الحق شرف الدين يتحدثان عنها فى حديث ذو شجون ، بكل الاحترام والفكاهة لأنهما من أصدقاء الطرفين الكتبى وفراج، الجميل أن هذا التلميذ النابغة هو بعينه العالم الكبير الدكتور على مصطفى مشرفة ، وكان العالم الجليل الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز وهو صديق كل**

هؤلاء أيضًا يتندر بها ، ويذكرها فى كل وقت ، وكيف كان العلم وأهله، يرحمهم الله جميعًا.

ونستمر فى عرض مشوار مشرفة بإيجاز: تابع تعليمه الثانوى بالقاهرة، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، وتخرج منها عام ١٩١٧م ، ولم يبلغ العشرين من عمره، ثم أرسل فى بعثة إلى إنجلترا حيث حصل من جامعة لندن على الدكتوراه فى الفلسفة عام ١٩٢٣م ، ثم حصل على الدكتوراه فى العلوم عام ١٩٢٤ م ، ولما عاد إلى مصر عام ١٩٢٣ عين أستاذًا للرياضيات بمدرسة المعلمين العليا بمصر. ثم اختير أستاذًا للرياضة بجامعة القاهرة ، وفى عام ١٩٣٦م انتخب عميدًا لكلية العلوم بجامعة القاهرة، **وقد ذاعت شهرته كعالم رياضى وكفلكى وباحث فى نظريات النسبية والذرة والكم**، واستطاع أن يضيف جديدًا إلى نظرية النسبية ، ونظرية الكم، وأبحاث العلاقة بين المادة والإشعاع، ونشر أبحاثه الأولى فى المجلة الفلسفية بإنجلترا ، وفى مجموعة الأعمال الملكية بلندن «وفى عام ١٩٢٩م أحدث نشره لبحثه الهام عن المادة والإشعاع رجة فى الأوساط العلمية ، وقد أعلن فيه أن المادة والإشعاع شيء واحد، وليست المادة سوى نوع من الإشعاع المتجمد، وكان مهتمًا فى سنينه الأخيرة بتعميم نظرية إينشتين الشهيرة ، وبالأبحاث الذرية.

ومن اهتمامه بكل هذا ، واشتغاله بالعلوم، كان من أنصار اللغة العربية ، الذين عملوا على النهوض بها كلغة للعلم، كما عمل فى نشر الثقافة العلمية المبسطة عن طريق المقالات والإذاعات والمحاضرات، وله فى ذلك ما يزيد على ثمانين مقالة ومحاضرة، وأنتج لمصر والعالم خمسة وعشرين بحثًا، وله عدة مؤلفات علمية باللغة العربية.

وكان أيضًا أديبًا ومفكرًا ، وفيلسوفًا يقرأ الشعر ، ويعزف على الكمان، ويكتب المقالات الأدبية فى الصحف والمجلات، وتوفى إلى رحمة الله بالقاهرة فى ١٦ يناير ١٩٥٠م، فنعته الأوساط العلمية فى العالم أجمع وإينشتين نفسه.

لم يكن الشيخ السيد الباز موجودًا فى دمياط أثناء حياة على مصطفى مشرفة، ولكنه علم بحكايته من أصدقائه الشيوخ والعلماء وكان يقول : يا رب أجد من أبنائى واحدًا مثل الدكتور على مشرفة ، ولم يكن يعرف أن ابنه الدكتور فاروق الباز هو عالم الجيولوجيا بوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) الآن فى عام ٢٠١٣م ، وكأن السماء قد استجابت له بالفعل.

الجميل أيضًا أن الدكتور أسامة الباز سألنى : هل قدمت للمكتبة.. شيئًا عن حياة

الدكتور على مشرفة..؟

قال ذلك وهو يتابع مؤلفاتى التاريخية وأبرزها عن علماء وأعلام دمياط، المدينة التى أحبها ، وكان يؤكد أن أحلى أيام حياته كانت فيها ، وفى إطار الوفاء الدائم منه لدمياط استفسر منى عن ضرورة إلقاء الضوء أكثر عن هذا العالم الكبير الدكتور على مشرفة فى عدة مؤلفات وليس فى مؤلف واحد عنه ، واقترح على تقسيم حياته إلى عدة أجزاء مجموعة من الكتب الصغيرة كل كتاب منها فى زاوية على سبيل المثال:

كتاب السيرة الذاتية مبسطة ، كتاب اهتمام بالعلوم وتفوقه وتألقه كتاب اهتمامه باللغة العربية والفنون والموسيقى جنبًا إلى جنب – وعندما قلت له: لقد انتهيت بالفعل من كتابى الشامل عن حياة الدكتور على مشرفة ، لم يتردد فى القول ، هذا جميل، ويجب أول ما يوزع يوزع على تلاميذ وطلاب المدارس فى دمياط نموذجًا للطالب الدمياطى المتفوق ، يجب أن يكون باستمرار عندنا المثل الأعلى أمام الصغار كقدوة، نحن نحتاج لذلك فى هذا الوقت من الزمن الذى نعيشه ، افتقدنا المثل الأعلى – وهذه مسألة أراها فى غاية الأهمية – الأجيال يجب باستمرار أن يتصدرها هذا المثل الأعلى ، والمجتمع فى أشد الاحتياج لهذا ، ولو أدركت كل محافظة فى مصر معنى هذا، وتفهمت وجهة نظرى لأمر كل محافظ بسد الفراغ الرهيب فى مكتبات المدارس والكليات والجامعات الإقليمية ، الناتج عن خلو هذه المكتبات من الرموز والأعلام فى كل محافظة على حدة ، حتى يتعرف الطلاب والكليات على المثل الأعلى باستمرار سواء كان ذلك فى العلوم أو الفنون أو الشعر أو الأدب أو السياسة أو الثقافة وإلى غير ذلك فى دمياط المدينة الساحلية الهادئة الجميلة التى عاش فيها الدكتور أسامة الباز بحكم عمل والده فضيلة المرحوم الشيخ السيد الباز من علماء الأزهر الشريف فى المعهد الدينى بدمياط مع صفوة من العلماء المرموقين منهم الشيخ محمد فراج، والشيخ محمد على عبد الرحمن والد الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء» ، وقد شهدت دمياط فى مختلف العصور عددًا من شيوخ الدين والمتصوفة ، الذين ذاع ذكرهم، وكان لهم أتباع ومريدون ، وكان بعضهم من أهل دمياط وأبنائها ، كما كان البعض الآخر يقصدها من سائر المدن والأقاليم ، وتتخذها رباطًا ومقامًا ، وما يقال عن المتصوفة، يقال أيضًا عن نفر من شيوخ الدين والفقه واللغة الذين نبغوا من أهلها أو جاؤوا لاستيطانها ،

وكان أقدم شيوخ فى الدين بدمياط بعد الفتح الإسلامى ممن وصلنا شيء من أخبارهم، الشيخ «شطا بن الهاموك» ، الذى استشهد بقرب دمياط عام ٦٤٢م أيام الفتح العربى لمصر. ودُفن بقرية شطا وما برح قبره هناك يزار إلى اليوم، وتقوم شهرته على تلك القصة المشهورة التى تدور حول إسلامه وانضمامه إلى الجيش العربي، وقد استشهد فى القتال.

بكر بن سهيل الدمياطي:

وكذلك كان من أقدمهم بكر بن سهيل الدمياطي، الشيخ الراوى المحدث الذى عاش فى القرن التاسع للميلاد، وقد مضى على الفتح العربى لمصر. نحو قرنين من الزمان، ولد عام ٨١١ م فى أيام خلافة المأمون، وتوفى بدمياط عام ٩٠٢م ، وقد نيف على التسعين، وكان كثير الأسفار ، تنقل بين مصر. والشام والحجاز، ونسبت إليه الأحاديث التى تعلى من شأن دمياط والإقامة بها، والاستشهاد وفى أرضها، ومن الشيوخ الذين عاصروه فى صباه : عبد الرحمن بن أبى جعفر الدمياطى ، وكانت له مؤلفات، وتوفى عام ٢٢٦هـ - ٨٢٦م على ما رواه الأسيوطي.

فاتح الأسمر:

أما فاتح بن عثمان الأسمر التكرورى المعروف **بأبى المعاطى** فقد نسب إلى دمياط، ولكنه لم يولد بها بل جاءها من مراكش حوالى عام ١٢٧٩م ، وتوفى بها عام ١٢٩٦م ولا يزال ضريحه يزار إلى الآن فى دمياط، وأمسى منذ نزوله وما برح ، علمًا من أشهر أعلامها، لا يذكر اسمه إلى مقرونًا بدمياط، وخير من قدم وترجم «الفاتح» هو المؤرخ المقريزي، فقال فى خططه: إنه قدم إلى دمياط على قدم التجديد ، وسقى بها الماء فى الأسواق احتسابًا من غير أن يتناول من أحد شيئًا ، ونزل أولًا فى ظاهر الثغر، ولزم الصلاة مع الجماعة ، وترك الناس جميعًا ، ثم خرج إلى جزيرة تونة ببحيرة المنزلة، وكانت مدينة عامرة ثم خربت..!

فمكث بها نحو سبع سنين ورم مسجدها ، ثم عاد إلى دمياط، وظل بها، إلى آخر حياته ، لم يتركها إلا للحج ، وكانت إقامته بجامع عمرو، فى وكر بأسفل المنارة، حتى اشتهر هذا المسجد باسم جامع فاتح أو مسجد «أبى المعاطي» - وأخذ فى ترميم هذا المسجد وتنظيفه بنفسه، وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس ، ورتب فيه إمامًا، وكان

المسجد منذ خربت دمياط عام ١٥٠م لا يفتح يوم الجمعة ، ثم تزوج آخر عمره بامرأتين يأتى إليهما أحيانًا قليلة ، وترك بعد موته ولدين ليس لهما قوت ليلة، ودُفن بجوار الجامع ، وضريحه هناك إلى اليوم.

وقد أسهب المقريزى فى وصف صفاته وزهده وكرمه وإحسانه، وكان يقرأ فى المصحف، ويطالع الكتب، ولم يره أحد يخط بيده شيئًا، ولم يعمل له سجادة قط، ولا أخذ على أحد عهدًا ، ولا لبس طاقية ، ولا قال : أنا شيخ ولا أنا فقير..

الحافظ شرف الدين (١٢١٦ - ١٣٠٦م) :

ويعد هذا العالم الفقيه الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى - من كبار الأعلام الحفاظ ، والمؤلفين الثقات، الذين ذاع صيتهم فى الشرق العربي، حتى لقد وردت سيرته فى أكثر من عشر من أشهر المؤلفات العربية القديمة، وأطنب المؤلفون فى مديحه، وخلعوا عليه أجمل الصفات.

وهو الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن التونى الدمياطي، الشافعي، ولد عام ١٢١٦م بجزيرة تونة ببحيرة المنزلة ن وكانت حتى ذلك الوقت بلدة عامرة قريبة من تنيس ودمياط، ثم خُربت دمياط كسائر مدن المنزلة، وارتحل منها صبيًا إلى دمياط، وكانت جيوش «جان دى برين» قد رحلت عنها، ونشأ بدمياط، وتعلم، وسمع بها دروس المذهب، ولما بلغ الثالثة والعشرين خرج من بلده ليجوب فى مختلف المدن والمراكز والقرى، وكانت قرية البستان فى دمياط من أشهر المناطق التى عاش فيها ويعتبرها بستانًا من الخضرة والثمار اليانعات ، ولفت نظره فيها صفاء المناخ وجودة التعامل وإخلاص الأيدى العاملة للأرض والدواب، وجاب بعد ذلك مختلف الأقطار العربية طلبًا للعلم والتحصيل ، وأقام بدمشق مدة يمارس التعليم، ثم سمع بحلب وحماة وسافر إلى العراق مرتين، حيث حدث وصنف الكتب، وعاش تسعين سنة قضاها فى التعليم والتأليف، ثم توفى بالقاهرة فى الخامس عشر من ذى القعدة سنة ٧٠٥ هـ - ١٣٠٦م ، ودفن بمقبرة باب النصر.

ومن مؤلفاته : المعجم فى سفرين، وكتاب قبائل الخزرج، والأربعون المتباينة الإسناد فى حديث أهل بغداد ، وفضل الخيل، وكثير غيرها إذ يقول ابن شاكر الكتبي: «أنه حمل

على الظعائن عشرين مجلدًا من تصانيفه فى الحديث واللغة».

❖❖❖

وإذا كانا قد تحدثنا عن الجذور مثل العالم الجليل الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز ، نقول أيضًا بمناسبة الحديث عن العالم الفقيه الذى ذاع صيته فى الشرق العربى وارتبط بدمياط، وهو الشيخ الجليل الحافظ شرف الدين، نشير إلى العلاقة الوثيقة التى ربطت آل شرف الدين فى البستان دمياط فروع وأغصان وثمار شرف الدين الكبير منذ مئات السنين حتى تحديدًا نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، ونوضحها بأن هناك علاقة وطيدة بين آل شرف الدين وأسرة العالم الشيخ السيد الباز.

حيث ربطت صلات وثيقة بين الأستاذين الجليلين عبد الحق شرف الدين ومأمون شرف الدين وهما من كبار أهل العلم والدين والشعر والأدب فى دمياط، مع الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز، وهى صلات أدركها أهل المنزلة الرفيعة فى دمياط مثل جدنا العالم الجليل الشيخ محمد فراج ووالدنا الجليل الأديب والشاعر ورجل العلم البارز والصحفى الأستاذ طاهر محمد فراج، وارتبط جدى ووالدى فى نفس الوقت بنفس الصلات الوثيقة محمد العالم الجليل الشيخ السيد الباز ومع الأستاذين العزيزين عبد الحق شرف الدين ومأمون شرف الدين، والأول هو والد المذيعة الشهيرة الدكتورة درية شرف الدين التى أصبحت وزيرة أيضًا، كما أسلفنا فى الإهداء وغيره من الكلام.

وتلك هي الجذور

والشاعر والأديب عبد الحق شرف الدين ولد بقرية البستان حاملًا لقب الشيخ الجليل الحافظ شرف الدين فى عام ١٨٩٧م ميلادية – فى دمياط والده هو العالم الشيخ على شرف الدين الحاصل على شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩١٨م مع جدنا الشيخ محمد محمد فراج – تخرج فى كلية دار العلوم سنة ١٩١٨م وهى السنة نفسها التى حصل فيها والده على شهادة العالمية وربطته قبل أن يأتى إلى دمياط الشيخ السيد الباز صداقة وطيدة استمرت فى دمياط.



العالم الجليل الشيخ محمد محمد فراج

صاحب وناظر مدرسة «فراج» الهداية

«جد المؤلف»

كان الدكتور أسامة الباز يذهب إليها يتعلم فيها القرآن الكريم

أثناء فصل الصيف على يد صاحبها الشيخ محمد فراج

الصديق الحميم لوالده



صورة لتلميذات مدرسة الهداية «فراج» وفيها يقف الشيخ محمد فراج على يساره بالصورة و خليفته الأستاذ طاهر فراج ابنه الأكبر



الراحل الأستاذ طاهر محمد فراج

والد المؤلف

وصاحب المدرسة ومديرها بعد ذلك حتى وفاته فى ١٥ من مايو عام ١٩٦٣م

ديوان الشاعر والأديب

عبد الحق شرف الدين



أحاسيس الحياة

فى ديوانه أحاسيس الحياة:

راقه اجتهادها وكمالها مشجعًا لها ، وداعيًا لها بالتوفيق، قصيدة الشاعر الكبير عبد الحق شرف الدين فى ابنته الحبيبة درية شرف الدين ، التى أصبحت بدعواته وزيرة الإعلام فى جمهورية مصر العربية عام ٢٠١٣ - ٢٠١٤م.

***

درية شرف الدين

لدرية المجد تلقاه دوما   حباها الإله نماء ونعمى

وعاشت بخير طوال الحياة   تفوق اللدات ذكاء وفهما

من النبل صيغت فكانت مثالا   لخُلُق كريم على الفضل نمَا

فكم من عويص تطامن لما   تبدت بلسب يحل المهما

وكم من دروس تعاصت   بفضل نجابتها لا تعَمّى

ويعجبنى البر ألقاه فيها   إذا ما رزنت بوعك ألما

هنالك ألقى الحنان الرفيع   وفيضا من البر ألقاه جما

تطيع الإله وتبغى رضاه   وفرض الصلاة تؤديه حتما

فيا رب أبلغ فتاتى المراد   وأسبغ عليها النعيم الأعما

قلتها فى ابنتى درية ، وقد راقنى اجتهادها وكمالها مشجعًا لها، وداعيًا لها بالتوفيق.



الدكتورة درية شرف الدين وزيرة الإعلام

قصيدة الشاعر الكبير الأستاذ عبد الحق شرف الدين فى رثاء والدنا المرحوم الأستاذ طاهر محمد فراج .. صديقه الحميم تحت عنوان «نجم أفل» . قالها عام ١٩٦٣م فى تأثر شديد عقب وفاة والدنا .. يرحمهما الله.

نجم أفل

رحم الله طاهرًا وأثابه — قد دعاه إلهه فأجابهُ

سار لله طاهرا مشرق الصفحة — يحدو إلى الكريم ركابهُ

تتلقاه الملائك الغُر بالبشر — وتُنهى إلى المتقين إيابه

فى فراديس جنة قد أعدّت — لمنيب يظل يلقى طِلابه

مهرجان على السماء وفى الأرض — نحيب يشيع فينا عذابه

كان والله فى البِر هماما — يألف الخير مخلصا فى صلابة

كان والله فى الحياة سراجا — مشرق النور لا يضل صحابه

كان والله فى الرجال أريبا — يسْتبينا إذا سمعنا خطابه

قد عرانا الوجيب يوم سمعنا — إن وعْكا من السقام أصابه

ما ظننا فجيعة فى حسام — ظل يُسنى فِرنده وقرابة

أى ثكل أصابنا يوم أُبنا — نتلقى من النعى مصابه

هالنا الرزء مفجعًا ومخيفا — وبقينا بحسرة وصبابه

نذرف الدمع ساكبا وسخينا — أرأيت الآتِى يُبدى عبابه

ثم أبنا إلى الصواب حِزانا — حين قفر الحياة أبدى سرابه

يا صديقى من القديم ومن كا	ن على الود يستعيد حسابه
أترانى مقصرا فى رثاء	حين ريب المنون أزجى حرابه
إن دأبى على الزمان وفاء	سأوفيِّه حقه ونصابه
ليس من عاش ناسيًا فضل خدن	بخليق بأن يساوى ذبابه
أيها الراحل الذى كان حِبّي	قد تركت الحياة وهى دعابه
ناسها الآن فيهمو من تراه	يحمل الضغن ويزرى بالقرابه
ليس يهوى سوى الوقيعة والختل	ويولى مكايدا وخلابه
ما أردت البقاء فيهم طويلا	فتركت الغَوِىّ ينسى متابه
عدت لله تبتغى دار خُلْد	وأمان لمن أعزّ كتابه
نضّر الله تربة صرت فيها	وسقتها من النعيم سحابه*

* اطلع الدكتور أسامة الباز على هذه القصيدة في والدنا وترحم عليه كثيرًا فقد كان يعرفه ويتذكر لقاءات معه في وكالة محرم بجوار «مسجد البحر».

ذكرى الأربعين :

دمعة وفاء

دمعة وفاء جرى بها قلم الشاعر الدمياطى الأستاذ أحمد عبد المجيد بمناسبة مرور أربعين يومًا على رحيل رجل العلم «الدمياطى الأستاذ عبد الحق شرف الدين»

«ولآل شرف الدين» على دمياط فضل المعلم.. ولهم عليها حق الوفاء .. وأنا أهدي هذه القصيدة المفاجأة إلى آل شرف الدين الأعزاء».

***

مضى يجريه من أجرى السحابا ... ومن أجرى المسومة العرابا

قضاء قد قضاه الله فينا ... وفق اللوح سجله كتابا

وحق قد دعا الحق إليه ... وعبد الحق للحق استجابا

قد احتلب المنى من كل شطر ... فأفرغ أشطر الدهر احتلابا

وقد هدى الصراط بخير سعى ... عليه يقابل الختم المجابا

***

أعبد الحق كم لك من جهاد ... وكم علمتنا الرأى الصوابا

فنم بعد الجهاد قرير العين ... ودعنا وحدنا نلقى الصعابا

إذا ما السيف جاهد فى مضاء ... وحقق ما ابتغى سكى القرابا

***

أرى الأحباب والأصحاب خفوا ... من الدنيا وخلوها خرابا

(ولا ينبيك عن خلق الليالي ... كمن فقد الأحبة والصحابا)

بغـــيرهم قـــد التـــأت علينـــا فـــلا نـــدرى مـــن الخطـــأ الصـــوابا
هـــى الـــدنيا ومـــن أنبـــاك عنهـــا وهـــى ملئـــت نعـــيما أو عـــذابا
(ومـــن يغـــتر بالـــدنيا فـــإني لبســـت بهـــا فأبليـــت الثيابـــا)
(جنيـــت بروضـــها وردًا وشـــوكا وذقـــت بكأســـها شـــهدًا وصـــابا)
(ويبقـــى النـــاس مختلفـــين فيهـــا) فـــلا صـــدقًا عرفـــت ولا كـــذابا
لكـــل مـــذهب يســـعى إليـــه ويأخـــذ مـــا يشـــاء لـــه ركابـــا
فكـــم فيهـــا غبـــى قـــد تـــذاكى وكـــم فيهـــا ذكـــى قـــد تغـــابى
وكـــم مـــن قاصـــد ذمًـــا فـــأثنى وكـــم مـــن قاصـــد مـــدحًا فعابـــا
تحيرنـــى أمـــور النـــاس فيهـــا وترهقنـــى فأضـــطرب اضـــطرابا
لكـــلٍ رأيـــه «وأبـــو ســـناء» عرفنـــا عنـــده الـــرأى الصـــوابا
قضـــاها طالبًـــا علـــمًا ومـــالًا ومـــا أســـناهما عنـــدى طلابـــا
ويبنـــى المـــرء مـــن هـــذين ملكـــا إذا مـــا لم يكـــن ملـــك اغتصـــابا
وخـــير النـــاس مـــن قـــد عـــاش يبنـــى عـــلى دنيـــاه أوســـعها رحابـــا
غـــدوا نحـــو الأمـــانى مـــن فـــراغ وراحـــوا بعـــد أن ملئـــوا الوطابـــا
أمانًـــا لـــلألى خـــافوا علـــيهم وألا يتركـــوا غرتـــى ســـنابا
وأن يبقـــى لهـــم صـــفو الليـــالي مخافـــة أن يكـــدر أو يشـــابا
وفـــرق بـــين مـــن أرضـــى المعـــالي ومـــن أرضـــى الطعـــام أو الشـــرابا

***

وكان كمن رأى سبعًا سمانًا | تجر وراءها سبعًا سنابا
ويحفظ شعر شوقى فى غلاء | يمض جشم الشعب الصعابا
غلاء راح شوقى فيه يدعو | وراح لأجله يزرع الشبابا
«شباب النيل إن لكم لصوتًا | ملبى حين يرفع مستجابا
«فهزوا العرش بالدعوات حتى | يخفف عن كنانته العزابا»
«أمن حرب البسوس إلى غلاء | يكاد يعيدها سبعًا صعابا»
«وهل فى القوم يوسف يتقيها | ويحسن حسبة ويرى صوابا»
«عبادك رب قد جاعوا بمصر | أنيلا سقت فيهم أم سرابًا»
«حنانك واهد للحسنى تجارًا | بها ملكوا المرافق والرقابا»
«ورقق للفقير بها قلوبًا» | محجرة وأكبادًا صلابا»
«أمن أكل اليتيم له عقابا | ومن أكل الفقير فلا عقابا»
«أصيب من التجار بكل ضار | أشد من الزمان عليه نابا»
«يكاد إذا غذاه أو كساه | ينازعه الحشاشة والإهابا
«وتسمع رحمة فى كل نادٍ | ولست تحسن للبر انتدابا»
«ولم أر مثل سوق الخير كسبًا | ولا لتجارة السوء اكتسابا»
«ولا كأولئك البؤساء شاء | إذا جوعتها انتشرت ذئابا»

***

لهذا كان أحصفنا اتجاها | وأحذرنا لما يأتى ارتقابا

لقد حسب الحساب له بحذق ... ولم نحسب له أبدًا حسابا

وتبنا بعد أن ذنبا ولكن ... ترى هل تقبل الدنيا المتابا؟!

أرى الدنيا هي الدنيا فمالي ... أكيل لها الملامة والعبابا

وأمر الناس مختلف عليها ... فلا خطأ عرفت ولا صوابا

لكل رأيه وأبو «صلاح»* ... عرفنا عنده الرأي الصوابا

***

هو البحر الذى لو عام فيه ... وعى العلم أغرقه وخابا

له عمق على الشط فأنى ... لو أنك منك أدركت العبابا

وما صحب امرأ مهما سباه ... هواه مثل ما صحب الكتابا

وفى العلماء إن يطرح سؤال ... عليهم كان أصوبهم جوابا

وفى الأدباء خذ مارق منه ... بيانًا مستساغًا مستطابا

وشعرًا كان من نبع مصفى ... رثى فيه الأحبة والصحابا

بكى فيه وأبكانا بشجو ... أذاب فؤاده فيه فذابا

فمن يرثيه؟ كيف أذيب قلبي ... وأسكبه فينسكب انسكابا

***

وقالوا قد ذرفت عليه دمعًا ... من العينين ينصب انصبابا

وما ذكروك فى القربى إليه ... ولا انتسبوك فى النعى انتسابا

* صلاح .. هو الابن الغالي للأستاذ عبد الحق شرف الدين.. وعمل نقيبًا للمحامين بدمياط ورئيسًا لأحد الأحزاب السياسية وهو الحزب الوطني ، وقد استقال منه قبل نهايته ، متعه الله بالصحة والعافية.

فقلـت لهـم بكـائى مـن وفـائي | وعنـد الله يحتسـب احتسـابا
ومـا أرجـو بـه أبـدًا ثوابًـا | ولا أخشـى بـه أبـدًا عقابـا
إذا لم يكـن لى فيـه قربـى | فـإن لنـا بقلبينـا اقترابـا
و(عبـد الحـق) يعرفنـا غراسًـا | مـن (البسـتان) فيـه نـما وطابـا
وعـاش نصـير حـق لا يحـابي | عـلى جثـث الحقـوق ولا يحـابى
لنـا حـق كـما لله حـق | ومـا جحـد الحقـوق ولا استرابا
وإن الحـق يعرفـه ذووه | وشـب عليـه عنصـرهم وشـابا
وهـل لشـبابنا إنكـار حـق | إذا لم ينكـر الحـق الشـبابا؟
وتربطنـا أواصـر محكـمات | من الفرعين هل أضحت سرابا؟
وفى (البلـد الأمـين) معًـا نشـأتا | وفى سرائـه ذقنـا الرضـابا
وفى ضرائـه فى الهـم ذقنـا | كئوسًـا اترعـت مـرًا وصـابا
وكنـا عنـده فرسـى رهـان | لنعـيش كـل مـا يجـرى إهابـا
فنضـحكه إذا مـا اليمن وافى | ونبكيـه إذا مـا الشـئوم نابـا
وكـان لنـا مـن (البسـتان) غـاب | ومـا والله أحصـن منـه غابـا

***

فيـا إقلـيم آبـائى فـؤادي | يـذوب جوى إذا هـو عنك غابـا
ويغتـنم السـلامة مـن جـواه | إذا بلـع المنـى وإليـك آبـا
نـذرت لأسـجدن عـلى حصـاه | أقبلـه وأسـتاف الترابـا

بــه ولاجلــه كنــا جميعًــا كــأسياف الـوغى سـكنت قرابا
ومــن ذا كنــت أقــربهم إليــه وأوثقهــم رباطًــا وانجــذابا

***

وإذا أرثيــه مــن قلبــى فــإني لأسكب فيـه وجـدانى انسكابا
وأرثــى فيــه إذ أرثيــه نفــسي فقــد صـار الرحيـل إليـه قابـا
وأرثــى فيــه أحبابًــا عــزازًا مضـوا للخلـد واستبقوا الركابا

***

أخــى (الأســتاذ) بلغهــم بأنــا صــلينا فى غيــابهم العزابــا
وخــاطبهم بلوعتنــا علــيهم إذا لم نســتطع لهــم خطابــا
ويهتــك المشــاب إلى حمــاهم فخــذ فى مغانيهــا الثوابــا

***



الشاعر أحمد أحمد عبد المجيد

الرابع من شهر ديسمبر عام ١٩٧٥

ونشرت القصيدة فى جريدة أخبار دمياط

هذه القصيدة أعطيتها للعزيز الصديق الراحل الكبير الدكتور أسامة الباز ضمن مجموعة من أرشيفى الخاص الموجود فى منزلى بالقاهرة ومنزلى بدمياط ومنزلى برأس البر.. وقد كان قارئًا مولعًا محبًا لأخبار دمياط حيث كان والده العالم الجليل الشيخ السيد الباز الأستاذ بالمعهد الدينى بدمياط حريصًا على اقتناء أعدادها، وكانت سعادة الدكتور أسامة الباز بالغة وأنا أسلمه بعض النسخ منها ، ولم أنس أنه رحمه الله طلب منى الإطلاع على هذا الأرشيف الخاص الذى أملكه عن تاريخ دمياط كله ، ووعدنى بزيارتى لقضاء بعض الوقت فى الإطلاع عليه فى منزلى بالقاهرة.

مدرسة دمياط الثانوية للبنين
التى درس بها الدكتور أسامة الباز وعاش فى دمياط
أحلى أيام عمره كما كان يؤكد

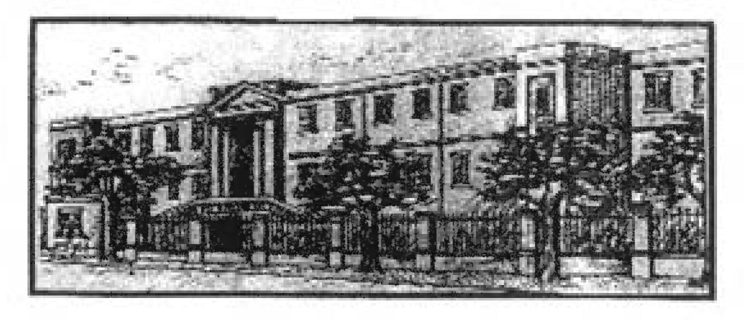


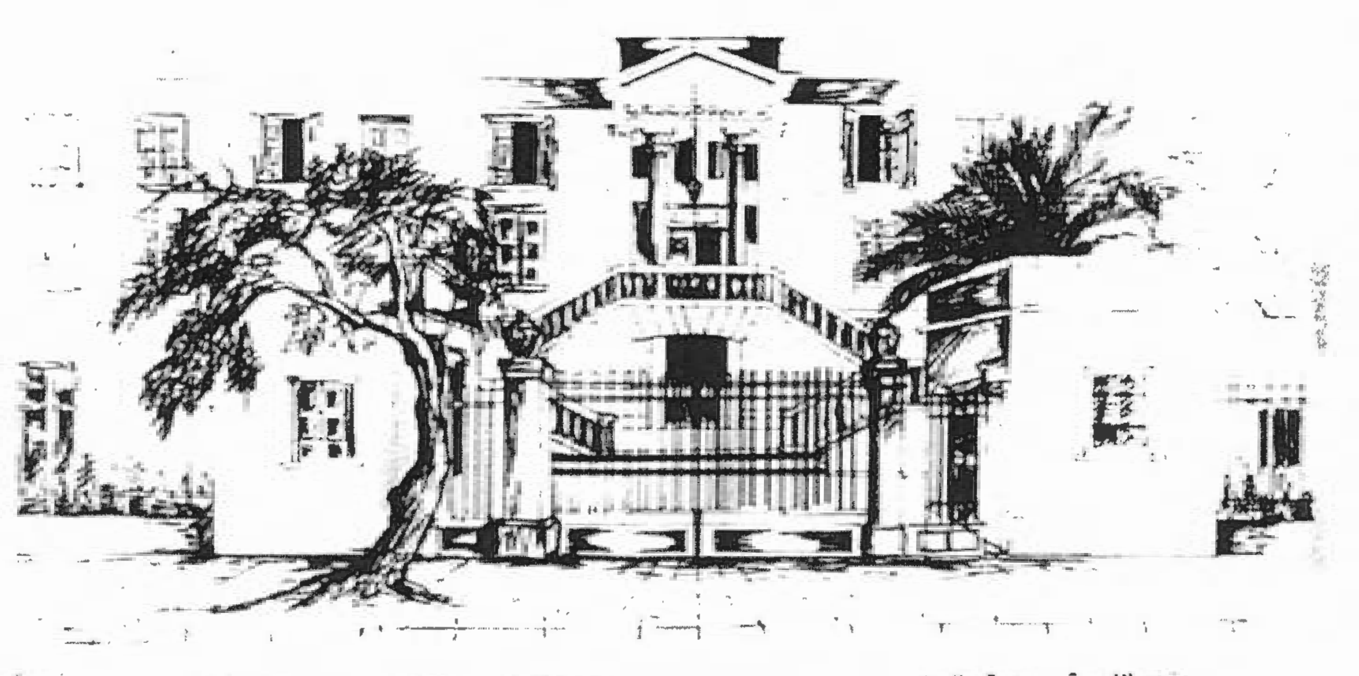
١٩٣٦ - ١٩٨٦



كتاب تذكاري
بمناسبة الاحتفال
باليوبيل الذهبي

مدرسة دمياط الثانوية العسكرية





هذه اللوحة بريشة الفنان سمير نصار رسمها فى عام ١٩٦٤ حينما كان مدرسا بالمدرسة . وقد وعد الفنان باهداء هدية قيمة لاول من يكتشف الاختلاف الجوهرى الذى حدث لمواجهة المدرسة خلال هذه الفترة ، والذى يتضح من خلال مقارنة اللوحة بالاصل .

على مدى نصف قرن من الزمان حفل بالعديد من الأحداث شهدتها مدرسة دمياط الثانوية العسكرية ، حيث تخرج منها من الشخصيات ما أثرى الوطن فى مصر والعالم العربي، بل والعالم أجمع فى شتى مجالات العلم والمعرفة، وأسهم أبناء الأقليم خريجو المدرسة فى بناء شخصية المواطن المصري، ودعم مسيرة التطور فى العصر الحديث.

واليوم تحتفل المدرسة مع أبنائها بذكرى العيد الخمسينى لإنشائها ، فقد اهتمت بدعوة أبنائها للحضور والمشاركة فى هذا اليوم العظيم من تاريخها.

ولقد حرصت اللجنة المنظمة للاحتفال على تسجيل تراث المدرسة وتاريخها فى كتاب يحوى العديد من الموضوعات تشكل موسوعة تسجيلية ، ويمثل أعلام الخريجين المحور الأساسى فيه.

ولقد كان اختيار اللجنة لتسجيل أعلام الخريجين اختيارًا موضوعيًا روعى فيه اختيار الجوانب النوعية للتخصصات المختلفة ، وذلك حسب ما توافر لها من معلومات ووثائق.

واللجنة إذ تهدى جهدها فى هذا الكتاب إلى المدرسة الأم لترجو الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه خير أمتنا.

أسرة
مدرسة دمياط الثانوية العسكرية*
١٩٨٦ م

* كانت المدرسة أيام وجود الدكتور أسامة البازبها تحمل اسم مدرسة دمياط الثانوية للبنين.



إنه لشرف لى أن أكون محافظًا لدمياط، وقت احتفالها بالعيد الذهبى للمدرسة الثانوية العسكرية (١٩٣٦ - ١٩٨٦)، وهذا المعهد التعليمى العريق كان منارة للنور والعلم خلال هذه المرحلة الطويلة، امتدت آثاره إلى أرجاء المحافظة ريفها وحضرها، وامتدت إلى المحافظات المجاورة، وتخرج منها أعلام فى العلم والثقافة والأدب والتكنولوجيا تعتز بهم مصر ومحافظة دمياط.

وما زالت المدرسة الثانوية العسكرية شامخة راسخة تؤدى دورها فى النهضة الحديثة لمحافظة دمياط بفضل رجال قائمين على إدارتها ومسيرتها وتطويرها لتخريج أجيال قادرة على البناء والتقدم.

وإننى أدعو الله العلى القدير أن يستمر عطاء هذه المدرسة متزايدًا ومتصاعدا دعما لمسيرة محافظة دمياط الجديدة بعد افتتاح الميناء.

والله ولى التوفيق ...

أحمد أحمد جويلي

محافظ دمياط



يروى التاريخ كثيرًا من عبقرية بعض المدن، وعبقرية بعض الحضارات، بما يتأتى لها من مجمل إنجازات شعوبها فى إطار حركة محدودة بزمن وبيئة وظروف معينة، كما تساق الروايات العديدة عن عبقرية عصر أو زمن بعينه، ويختلط مع كل ذلك الحديث عن العباقرة والأبطال، هل العبقرى أو البطل هو الذى يصنع ظروف البطولة وبمواصفاتها، أم أن تلك الظروف هى التى تصنعه وتتوجه رمزًا لها.

ونحن قد نتفهم بسهولة دور الأبطال الفاعل فى التاريخ، والعلاقة المتبادلة بينهم وبين ظروف العصر، وتفاعلات الزمن وتطوراته، ولكننا نتردد قليلا أو كثيرًا أمام فكرة أن المكان - وهو الجماد الذى لا يعى - يستطيع أن يلعب دورًا فى تشكيل مصائر ساكنيه أو المتعاملين معه، ولكن أليس الانتماء إلى الوطن، وما يخلقه من عصبية وفداء وبذل للدم رخيصًا فى سبيله، نوع من العبقرية، أليست مدارج الطفولة ومراتع الصبا التى تشكل الوجدان، وتستثير الأمانى والأحلام، وتؤلف القلوب، نوع من العبقرية.

وذلك فى اعتقادى هو ما نحتفل به هذا العام، عبقرية المدرسة التى ما أن قيل لأبنائها : هل تذكرون، حتى تداعيت السنون وهاجت الذكريات، والتمس كل مقعده وزميله وأستاذه ودفاتره وعلومه، ويتجدد الولاء، وتتدفق الآمال والحميم حلما يغسل الكثير من الآلام والمنغصات التى تعترض الطريق هنا وهناك، ويمنح المزيد من الطاقة الدافعة للتقدم، وليس فى ظنى سبب أجمل من ذلك يمكن أن نحتفل به.

طوبى لنا جميعًا .. وأخلص الآمال لأبنائنا الصاعدين لتتناغم عبقرياتهم مع عبقرية المدرسة والوطن فى كيان واحد شامخ.

زكى إبراهيم حامد
مدير عام التربية والتعليم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ (الأعراف : ٩٨)

لست أدرى . كيف أبدأ حديثى عن مدرسة دمياط الثانوية العسكرية الآن، وقد شرفت بإدارتها ؟

هل أتكلم عن الدور البارز الذى تقوم به فى دمياط الآن؟

أم أتكلم عن الخريجين منها الذين وصلوا بجهدهم، وجهادهم، وإيمانهم بالله والوطن إلى أعلى المناصب أمثال الدكتور أسامة الباز والسفير عبد الرءوف الريدى والنقيب الحبيب محمد عبد الوهاب شبانة.

إننى أكاد أرى التاريخ يطل علينا من عليائه وفى كلتا يديه تجربة تؤكد أن الثمار اليانعة تأتى من بذرة جيدة مباركة ، وأرض خصبة ويد طاهرة تتعهد البذرة فى مهدها ثم ترعى النبات حتى يثمر.

إن مدرسة دمياط الثانوية العسكرية ، هى الأرض الخصبة الطاهرة التى احتضنت أبناء دمياط وتعهد المعلمون بها هؤلاء الأبناء.

وها هى ذى مصر كلها تجنى الثمار.

فهنيئا لمصر بأبنائها الشرفاء الذين تخرجوا من مدرسة دمياط الثانوية العسكرية، وإننى لسعيد حقا أن أكون مديرًا لهذه المدرسة العديدة، التى يتحدى بنيانها الزمن والتى احتفظت بشبابها طوال نصف قرن من الزمان تعطى لمصر أطيب الثمار وأرقى العقول الذين أثبتوا وجودهم فى كل مكان.

أقول للمدرسة : لقد أنجبت رجالا عظماء فى زمن عز فيه الرجال.

منهم الوزراء الذين أعطوا لمصر عامة ولدمياط خاصة عطاء بلا حدود.

منهم الصحفيون ، ومنهم الشعراء والمحافظون ورجال الإعلام ورجال الأمن والأمان ، ونشرت العلم فى أوقات ساد فيها الظلام.

فكنت وما زلت – أيتها الدار – منارًا لدمياط وما جاورها.

وأقول لأبنائى فى المدرسة شباب اليوم:

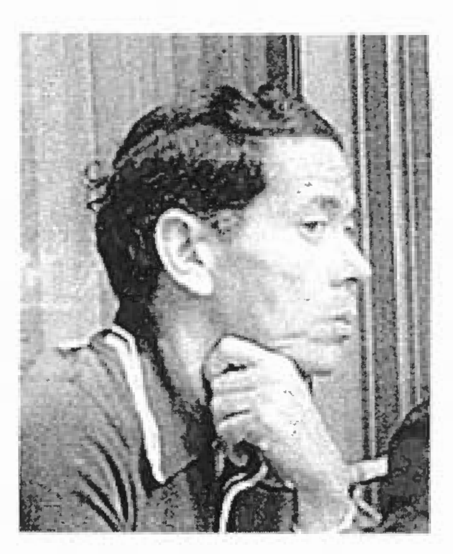
إن زوارنا اليوم هم طلاب المدرسة بالأمس، وهم زهرة مصر وخيرة رجالها الآن، فهل تحققون أملى وأمل آبائكم ، وأمل مصر كلها فيكم فتحذوا حذو طلاب المدرسة بالأمس ، عظماء اليوم.

إن المستقبل يفتح ذراعيه لكم فاعملوا لغدكم، فالمستقبل مشرق، ومصر تأمل فيكم خير الأمل، فشقوا طريقكم على بركة الله.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

(آل عمران : ٨)

عطية الديب
مدير المدرسة



الدكتور أسامة السيد الباز الطالب النابغ النابه

بمدرسة دمياط الثانوية ، وأحد خريجيها العظام المشاهير

السادة نظار ومديرى المدرسة طوال نصف قرن (الاســاتذة)



حسن الجندى
١٩٢٦ — ١٩٣٨

أحمد ســابق
١٩٣٨ — ١٩٣٩

محمد أمين ابراهيم
١٩٣٩ — ١٩٤٠

أحمــد زكى
١٩٤٠ — ١٩٤٢

مصطفى خيرى
١٩٤٢

مصطفى البدراوى
١٩٤٢

مأمون نجــا
١٩٤٢ — ١٩٤٣

جلال ياقوت
١٩٤٣ — ١٩٤٤

على حسنى
١٩٤٤ — ١٩٤٦



عبد العزيز السيد
١٩٤٦ – ١٩٤٨

محمود امين
١٩٤٨ – ١٩٥٠

زيدان أبو العز
١٩٥٠ – ١٩٥١

عبد المجيد السيسى
١٩٥١ – ١٩٥٢

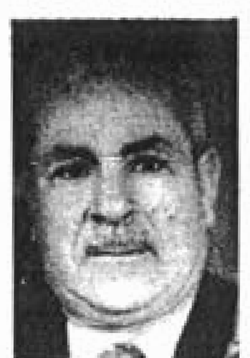
احمد عزام
١٩٥٢ – ١٩٥٤

عبد النبى خليل
١٩٥٤ – ١٩٥٦

محمد عبده نصار
١٩٥٦ – ١٩٥٩

وديع تـوما
١٩٥٩ – ١٩٦٠

عبد المجيد سيف الدين
١٩٦٠ – ١٩٦٢



توفيق أبو السعد
١٩٦٢ — ١٩٦٥



عبد الرحمن نقطة
١٩٦٥ — ١٩٦٧



مصطفى كامل عبد المنعم
١٩٦٧ — ١٩٧٠



محمد محمد الحبال
١٩٧٠ — ١٩٧١



محمد كامل أحمد جلال
١٩٧١ — ١٩٧٢



يحيى ظافر
١٩٧٢ — ١٩٧٤



محمد محمد زغدان
١٩٧٤ — ١٩٧٨



محمد كمال أحمد بركة
١٩٧٨ — ١٩٨٢

تحية واجبة

يطيب لى فى ذكرى إنشاء هذه المدرسة العريقة أن أهنئ دمياط وشعبها ، وأهنئ كل من عمل بها طالبا أو مدرسا أو قائدًا أو عاملًا، داعيًا الله لهم بالتوفيق فى خدمة وطنهم والنهوض به حتى يصل إلى المكان المرموق الذى يتطلع إليه الجميع، والحقيقة أن ذلك الاحتفال يستثير الذكريات والخواطر الغالية ، ويعود بنا إلى عام ١٨٨٨ م حين أنشئت أول مدرسة ابتدائية حكومية فى دمياط، أو «المدرسة الميري» كما كان يعرفها الناس، ولما كان اللحاق بتلك المدرسة الأميرية يقتضى إلمام التلميذ بمبادئ القراءة والحساب، وهو فى سن تتراوح بين السابعة والعاشرة ، فقد لزم أن تتغذى من تلاميذ المدارس الأولية والكتاتيب التى كانت منتشرة فى هذا العهد بدمياط، والتى كان الدمياطيون يقصدونها لتعليم أبنائهم قبل أن يلتحقوا بمهن الآباء، أو يرسلوا إلى المدرسة الأميرية ، وقليل ما هم.

ولا ينكر فضل هذه المدارس الأولية فى تعليم الأطفال بدمياط، وأذكر ما سمعته من المرحوم والدى من أن سعد باشا زغلول زار هذه المدارس فى عام ١٩٠٧م ، وذلك تقديرًا لما كانت تقوم به المدارس الأهلية من رسالة التعليم فى دمياط بتاريخها وبأبنائها الأعلام الذين برزوا بعد ذلك فى الحياة العامة ، وكان منهم أسماء أصبحت نجومًا فى سماء العمل والعلم، وفى مقدمتهم الدكتور على مصطفى مشرفة والدكتور أسامة الباز.

أما عن مدرستنا التى نحتفل اليوم بيوبيلها الذهبي، والتى أنشئت عام ١٩٣٦م لمواكبة التوسع والإقبال على التعليم فى دمياط، فيكفى أن نذكر أن من أبنائها الأحياء الذين ندعو الله أن يبارك فى أعمارهم: الأديب الأستاذ يوسف إدريس، والأستاذ ضياء الدين داود الذى كان عضوًا باللجنة التنفيذية العليا وهو الآن من نجوم المحاماة، واللواء طبيب الدكتور فؤاد العزبى المدير السابق لمستشفى المعادى للقوات المسلحة، ثم لا ننسى فى هذه العجالة أن نذكر بالفضل المرحوم محمد حمدى عاشور الذى كان له دوره الكبير على مستوى الجمهورية عامة ، ودمياط خاصة، وكذلك العزيز الأستاذ عبد الوهاب شبانة وتلك تحية واجبة فى ذكرى غالية لمعهد عريق.

زكريا محمد الحزاوي

صاحب ورئيس تحرير

جريدة أخبار دمياط

الحب هو الدستور

ثمان سنوات عشت بين حنايا أضلعها ، تضمنا فى رفق وحنان، ونحن نتنقل بين جدرانها، ونحصل منها كل عام على جواز مرور من مرحلة إلى أخرى ، وفى كل عام جديد يلتقى زملاء ويتفرق آخرون، وكنا فى نهاية كل عام نكتب على جدرانها (إلى لقاء أيتها العزيزة) ، وما أن حصلنا على شهادة التوجيهية من مدرسة دمياط الثانوية عام ١٩٥٠م ، وتفرق بنا السبيل إلى مراحل أخرى من التعليم شدتنا إليها فى عطلة نصف العام، وتجمع عدد منا فى فناء المدرسة الرحب ، ونظمنا حفل سمر متواضع، لكن هذا التجمع كان حافزًا لنا على أن نتفق مع الزملاء الموجودين فى المدرسة على الالتقاء فى يوم آخر من العام التالى نقدم فيه نشاطًا مشتركًا، وكان ذلك ، كان يومًا حافلًا بالحيوية والنشاط والذكريات الغالية.

هكذا كانت دمياط الثانوية، وهكذا كانت علاقتنا بها، البيت، والمنتدى ، ومركز الإشعاع ، والبوتقة التى انصهرت فيها كل طاقاتنا، ومنارة العلم فى المحافظة، لم تكن دمياط الثانوية مجرد حجرات نتلقى فيها العلم، أو معامل نجرى فيها التجارب، أو أساتذة يفرغون ما عندهم من معلومات ثم ينتهى الأمر ، لقد كان الحب هو الدستور الذى يسود أروقتها، فى حجرات المدرسة طلبة يحبون أساتذتهم ، ويقدرون بذلهم، وأساتذة يحبون أخوتهم الطلبة ، يكتشفون الموهبة، ويتعهدونها بالرعاية والصقل، ولعلى أذكر فى هذه المناسبة أننا كنا فى جماعة الخطابة نعد للاحتفال بمولد النبى عليه الصلاة والسلام، فأبلغنا أستاذنا الشاعر أحمد عبد المجيد، أن طالبا فى الصف الأول الثانوى سيلقى قصيدة من تأليفه فى هذه المناسبة، وأشفقنا مع الأستاذ المشرف على المناسبة وعلى الطالب حديث العهد بالشعر - فلم نكن نسمع عنه - وفى يوم الاحتفال تصفح الأستاذ أحمد عبد المجيد البرنامج، فلم يجد اسم الطالب ، فثار وأصر على أن يكتب اسمه، وأن يكون مسك ختام الاحتفال، وألقى الطالب فاروق شوشة قصيدة هزت القاعة، ونالت الإعجاب لسببين: الأول- أنها كانت جديدة وصادقة، والثانى - لصغر سنه وإجادته الإلقاء، وهكذا أصبح فاروق شوشة شاعر دمياط الثانوية المدرسة التى تزاملنا فيها أنا والدكتور أسامة الباز

والسفير عبد الرءوف الريدي.

لقد كانت دمياط الثانوية تموج بالنشاط، فهذه صالتها يمارس فيها التدريب على العقلة والمتوازيين والحصان، وغيرها فى أيام الشتاء، وقرب نهاية العام يقام فيها حفل رياضى تمثيلي موسيقى تترقبه دمياط كلها، وإذا كان لى أن أذكر أحد نجوم المسرح فى الأربعينيات فأننى أذكر الطالب إسماعيل البدرى الموهوب فى عزف الناي، ولولا اعتزاله العزف منذ سنوات لصار عازف الناى الأول فى مصر بلا منازع.

وهذا المدرج الرئيسى يشهد الندوات والمناظرات التى كان يشارك الأساتذة والطلبة فيها فى موضوعات تهم المجتمع، وكان يحضرها عدد كبير من المهتمين بالقضايا العامة.

لقد كان للساعات السبع التى كنا نقضيها يوميًا فى المدرسة طيلة السنوات الخمس - سنوات المرحلة الثانوية - ثمار وفيرة ، من صداقات توطدت بين الطلبة بعضهم البعض، وبين الطلبة والأساتذة ، ونشاطات متعددة تتفاعل مع المجتمع فتتأثر به ، والأكثر أنها تؤثر فيه، وكذا اكتشاف للمواهب وإفساح المجال لها للتعبير عن ذاتها، وإلى جانب ذلك روح الانتماء للمكان ، وقبل ذلك للوطن.

الذكريات كثيرة ، ولا يزال لها فى نفوسنا وقع مميز نتذكره عندما يلتقى بعضنا البعض، ولعل فرصا أخرى تسنح للحديث عنها.*

محمد عبد الوهاب شبانة
عضو مجلس الشعب

* عبد الوهاب شبانة : مفكر سياسى من الطراز الرفيع، كان أمينًا للشباب بدمياط، وأمينًا للاتحاد الاشتراكى العربي، وعضوًا بمجلس الشعب، وأخيرًا نقيبًا للمعلمين بدمياط.

الاحتفال بالعيد الخمسينى لمدرسة دمياط الثانوية
حكاية التعليم فى دمياط

رشحت الطبيعة دمياط بموقعها الممتاز للقيام بدور حضارى فى تاريخ المنطقة. إن البلاد التى تقع على مصبات الأنهار مرشحة دائمًا لأن تكون مراكز تجارية وملاحية. فهى آخر أرض تتركها السفائن وهى تغادر أرض الوطن كما أنها أول أرض تحط به رحالها فى عودتها وهى تتعامل معها - بطبيع الحال - فى رحلة الخروج وفى رحلة العودة.

وكذلك كانت دمياط - منذ كانت - ميناء نهريا تتوافد عليه السفائن من موانى شرق بحر الروم (البحر المتوسط) وشماله قاصدة مصر ، وباب مصر يومئذ دمياط فكانت السفن تحمل إليها عروض التجارة المختلفة : التبغ والطباق والحرير الخام والفحم والزيوت والصابون وفواكه الشام وأخشاب الأناضول ..إلى آخر ماكانت تحمله هذه السفائن إلى دمياط لتعود منها محملة بالأرز والملح والقمح والمنسوجات التى اشتهرت بها دمياط منذ عهود قديمة .

ولم تكن هذه السفائن تتبادل مع دمياط هذه العروض التجارية وحسب ، بل كانت تنقل مع ذلك العادات والتقاليد والمهارات المختلفة وبعض المفردات اللغوية التى كان يحملها التجار والملاحون ، وحدثت هجرات متعاقبة نرى أثرها فى الأسر والبيوتات التى تدميطت منذ زمن طويل . . وقد أحدث هذا بطريقة تلقائية عملية لقاح فكرى فتفاعلت الثقافات والتقت الحضارات على أرض دمياط وانعكس هذا كله على دمياط رواجًا وازدهارًا ورفاهة وعمرانا ، فكانت دمياط بحق عاصمة من عواصم التجارة والصناعة والمعرفة .

وفى مثل هذه البيئة تجد المعرفة طريقها إلى عقول الناس بأكثر وسيلة . فكانت الكنائس مدارس يقوم بالتعليم فيها آباء الكنيسة ، ثم كانت المساجد مدارس يتلحق فيها طلاب المعرفة حول الشيوخ . . وانتشرت الكتائب لحفظ القرآن الكريم وتعليم مبادىء القراءة والكتابة وربما الحساب الذى كان يتصعد إلى ماكان يعرف بالجنزير . وازدهرت المدرسة المتبولية ، وكان يقوم بإنشائها وإدارتها والتدريس فى أكثر الأحيان - كان يقوم بذلك رجال من أمثال : الشيخ على عمر ، والشيخ محمد فراج والأستاذ أحمد الكتبى وعلى العربى والحزاويين على ومحمد .

كانت هذه منافذ المعرفة فى دمياط فى تلك الأيام ، وكان الأعيان يلحقون أبناءهم بالمدرسة المتبولية (معهد دمياط الدينى فيما بعد) ، وكان التعليم فى المدرسة المتبولية لا يقف عند حد معين أو مرحلة معينة ، فهى دراسات حرة مفتوحة ، فكانت المدرسة المتبولية تمنح إجازة العالمية . فالطالب يقرأ المتون والشروح على الشيخ حتى إذا وصل إلى مرحلة النضج ، منحه الشيخ الإجازة وبهذه الإجازة قد يصبح صاحب عمود يجلس إليه ويتحلق حوله الطلاب .

وظل هذا النظام معمولًا به 'لى سنة ١٨٩٦ - عندما جاء الشيخ محمد عبده إلى دمياط على رأسى لجنة لتصفية هذا النظام القديم ، ووضع نظام جديد ، فامتحنت اللجنة علماء دمياط ، ومنحتهم أجازات العالمية . ورفض كبار علماء دمياط ذلك وكبر عليهم أن يمتحنوا أمام هذه اللجنة ، وهم لا يقلون عن أعضائها إن لم يزيدوا عنهم ، ولهذا بقوا بدون شهادات إلى أن لحقوا بربهم . . ولكن يجب أن نسجل هنا أن عدم حصولهم على أجازة العالمية من هذه اللجنة لم ينقص من أقدارهم فى دمياط ، بل لعلها زادت من تقدير الناس لهم باعتبارهم معارضة أحرارًا يتميزون بالجرأة أمام الأستاذ الإمام .

ومهما يك من شيء فقد صفى هذا النظام الذى كان قائما ووضع نظام جديد يقف بالتعليم فى المدرسة المتبولية عند المرحلة الابتدائية تحت اسم (معهد دمياط الدينى) .*

وفى أواخر عهد المدرسة المتبولية حدث فى تاريخ الحركة العلمية فى دمياط حدث هام، ففى عام ١٨٨٨ دخل التعليم المدنى دمياط ، وأنشئت المدرسة الأميرية الابتدائية فتحول إليها أبناء الأعيان من المياسير الذين كانوا يستطيعون دفع الصاردف المدرسية ، وكانت تبلغ ستة جنيهات ، وستة جنيهات فى تلك الأيام مبلغ لا يستهان به ، ولا يستطيع إلا الميامسير والمساتير من الناس .

وكان أبناء دمياط يدرسون بالمدرسة الأميرية بدمياط . ويؤدون امتحان الابتدائية فى المنصورة ، وكان الدمياطيون يعانون من مواصلة التعلم بعد المرحلة الابتدائية فكانوا يرحلون وراء التعليم الثانوى و المدارس الثانوية بعواصم المحافظات و المديريات ، وكان هذا يرهقهم نفسيًا وماديًا .

وانفرجت هذه الأزمة فى عام ١٩٣٦ عندما أنشئت المدرسة الثانوية التى نحتفل بعيدها الخمسينى فى هذه الايام .

طاهر أبو فاشا

---

* معهد دمياط الديني عمل به الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز مدرسًا فيه ،كما أسلفنا من قبل.

أول دفعة تخرجت فى المدرسة

حقيقة كانت من أجمل الأيام ، تلك الحقبة التى قضيتها طالبا بالسنة الخامسة (علمي) بمدرسة دمياط الثانوية وذلك فى العام المدرسى ٣٩/ ١٩٤٠ حيث تخرجت أول دفعة من هذه المدرسة.

وكانت قد بدأت الدراسة بها فى سبتمبر ١٩٣٦م بعد ان حضر إلى دمياط فى ١٢ أغسطس (حضرة صاحب العزة) الأستاذ محمد العشماوى (بك) وكيل (وزارة المعارف) وذلك لبحث إنشاء قسم ثانوى بدمياط ، واجتمع بحضرات محمد أحمد (بك) محافظ دمياط والأستاذين ناظر الثانوية بالمنصورة وناظر ابتدائية دمياط ، وعبد الفتاح اللوزى بك وحسين البدرى بك عضوى الشيوخ والنواب فى ذلك الوقت ومعهم لفيف من أبناء دمياط، وقد نشرت جريدة الأهرام فى صدر صفحتها الأولى ما دار فى هذا الاجتماع ومعه صورة للحاضرين.

فى العام الاول افتتح فصلان أحدهما للسنة الأولى والثانى للثانية ، ثم أفتتح فى العامين التاليين فصل للثالثة ، فالرابعة ، حتى كان افتتاح فصل الفرقة الخامسة مع بداية العام الدراسى ٣٩/ ٤٠ ، وكنت أنا ضمن ٢٢ طالبا فى هذا الفصل الذى مثل أبناؤه أول دفعة من المدرسة فى الشهادة الثانوية.

ومعذرة اذ أتناول الوضوع بالتواريخ والأرقام والأسماء أيضا فربما كان لهذا هدف ونتيجة سوف تكون عجيبة فى نظر أساتذة المدرسة وطلبتها اليوم . ذلك أن الفرقة الخامسة لم يكن بها فى ذلك العام سوى ٢٢ طالبا فقط ليس فيهم من دمياطى سوى ستة طلاب (يعنى حوالى الربع) والباقون كانوا أخوة المدرسين الغرباء أو ابناؤهم أو أبناء موظفين يعملون فى دمياط . . أما الطلاب (الدمايطة) فكان معى منهم : أحمد طاهر عوض خليل ، وجمال الدين عبد الرازق ، وعبد الفتاح الجمل ، وكمال ناشد بشارة . ومحمد أحمد قطارية . . كما كان معنا حسن كامل زاهر الذى توفى بعد بداية العام بقليل . . ولهؤلاء جميعا ولباقى الزملاء أكن شتى الذكريات .

فمن ذكرياتى فى مجال الاستعارة من المكتبة مثلا أن أحمد طاهر خليل استعار كتب طرطوف، وفاروق الأول، ومزيد من قصص شكسبير، وأخى جمال استعار القصة الإنجليزية (كلب آل بسكرفيلز) وعبد الفتاح الجمل* استعار (صبح الأعشى ج٢) ومحمد قطاريه) رواية هرنانى وصبح الأعشى جـ١) ، أما أنا فاستعرت مجموعة الرسالة لعام ٣٨ وقادة الفكر لطه حسين.

وكان ناظر مدرستنا هو الأستاذ محمد أمين إبراهيم، أما المدرسون فكانوا حوالى ٢٠ مدرسًا (ويشرفنى كثيرًا أن أذكر هنا الأسماء):

فى اللغة العربية : السيد على وعبد الحق شرف الدين ومحمد الشربينى والسيد الشافعى وفى اللغة الإنجليزية والمواد الاجتماعية : مستر هودجسون ومعوض جاد وعثمان عبد العزيز وأحمد البرى وممدوح أباظة وعبة الحليم عبد المقصود وفى اللغة الفرنسية : مسيو بوير وفهمى نجيب ، وفى التاريخ والجغرافيا : بانوب عبده وكامل اسطفانوس وفى الرياضة : عبد الحميد منصور ومحمد حنظر وعبد الجليل حسن وفى العلوم : صلاح سعيد ومحمد إسماعيل خفاجى وعزمى ويصا.

والرسم : عبد الحميد صالح . . وكان الإداريون : على توفيق أمين المعمل وعلى صحصح السكرتير ومحمد عبد الوهاب أمين التوريدات .

وكانوا جميعا من غير أبناء دمياط ، عدا اثنين هما : الأستاذ عبد الحق شرف الدين ومحمد خفاجى . . وليتأمل هذا مدرسو المدرسة وطلبتها اليوم . . وليقارنوا ما شاءوا.

وكانت المدرسة قد بنيت عام ٣٤ على أحدث طراز ومشتملة على كل المرافق ، نحن فى الدور الأول منها والمدرسة الابتدائية القديمة فى الثانى ، وفناؤها واسع غاية السعة، ولك أن تتصوره قبل استغلال أجزاء كبيرة منه فى بناء المدرسة الإعدادية ، ومبنى المديرية، ومتحف العلوم، والإدارة التعليمية.. إلخ، وقد أتاح هذا مع قلة عدد التلاميذ ومع الصلات الطيبة التى تجمعهم وتجمع بينهم وبين أساتذتهم ، أتاح هذا فرصة طيبة لشتى ألوان النشاط الثقافى والرياضى والاجتماعى وغيره ، فعلى ما أذكر كنت عضوًا فى جماعة

* عبد الفتاح الجمل ، أصبح الكاتب الصحفي والأديب الكبير على مستوى الجمهورية وبرز في جريدتي الجمهورية والمساء.

الخطابة والمحاضرات والمناظرات، وفى جماعة الفلاحة حيث خصص لكل عضو بها حوض سعة٣ × ٥ أمتار فى أحد جوانب الفناء يمارس فيه هواية البذر ورعاية النبات والمتعة به حين يبرز من الأرض فيزدهر وينمو، وكان لكل منا لافتة مثبتت على أرضه ومازلت أحتفظ بلافتتى من أيام أن كنت أحد (ملاك الاراضى الزراعية !!) . . كما كنت عضوا فى جماعة التحنيط (حفظ الأرانب والطيور والضفادع والثعابين . . الخ) . واشتركت فى جماعة التمثيل وأقمنا حفلنا السنوى فى ١٨ مارس ١٩٤٠ على مسرح سينما اللبان ومما قدمناه ليلتها رواية (المأمون) التى تصور الصراع على الحكم بينه وبين أخيه الأمين (ولا يزال عندى البرنامج المطبوع للحفل) . . إلخ ثم كنا إذا ما انتهينا من أنشطتنا نمضى باقى أوقات فراغنا نلعب كرة السلة والبنج بنج وغيرهما .

أما الدراسة فكانت جادة ومثمرة وساعد على ذلك قلة التلاميذ فى الفصول . وأذكر أن الخواجة الانجليزى عمل لنا فى أواخر العام امتحان تجربة . . كانت النهاية الكبرى فى هذه اللغة ٤٠ درجة والصغرى ١٦ وكان حظى أن أنال أعلى درجة ، ولا تضحك فلقد كانت الدرجة التى نلتها هى ٢١ لكنها كانت على أيامنا شيئا كبيّرا حتى أن الخواجة هنأنى بها وغبطنى الزملاء عليها .

وبعد.. فإننى وقد عشت فى هذه المدرسة فترة لا أنساها طالبا، ثم مدرسا، أحس بحنين جارف إلى ذكرى تلك الأيام، وإلى أساتذتى الذين كانوا يعتبروننا أبناء لهم وأخوة، وإلى زملائى الذين لا أدرى أين معظمهم اليوم، ثم عاد إلى الأبناء الذين عشت معهم بعد ذلك سبع سنوات معلمًا وأبا حانيا ، وعاشوا معى أبناء بررة وقد تركوا بصماتهم النقية على صفحات حياتي.

سعد الدين عبد الرازق
خريج أول دفعة من المدرسة ١٩٤٠
مدير قصر الثقافة السابق
كاتب وصحفى وشاعر

الدكتور أسامة الباز
فى زيارة لمدرسة دمياط الثانوية يوم ٢٠٠٩/٣/١ بدمياط

كان الدكتور أسامة الباز رحمه الله عاشقًا للزمن الماضى الجميل، وارتبط كثيرًا بنجوم ومشاهير هذا الزمن، وحكاياته أيضا وهو هذا التلميذ الصغير والطالب بمدارس دمياط الابتدائية والثانوية ومدرسة المرحوم الأستاذ شطا العزبى* التى أصبحت فيها بعد مدرسة المعالى، وقبيل اليوم الأول من مارس سنة ٢٠٠٩م اقترح عليه صديقه وزميله الدبلوماسى الكبير السفير عبد الرءوف الريدى زيارة مدرسته القديمة فى دمياط، والتجول فيها وفى مصيف رأس البر الذى كان يعشقه، ورحب الدكتور أسامة بذلك جدًا، واتجها معًا إلى دمياط مسقط رأس السفير الريدى فى عزبة البرج، واستقبلهما المحافظ النشيط الذى يحب هذا الماضى الجميل أيضًا الدكتور محمد فتحى البرادعى، ورحب بهما فى دمياط فى ندوة ثقافية أقيمت فى داخل الكوبرى الثقافى على نهر النيل بدمياط، ثم ذهب الدكتور أسامة الباز مع صديقه السفير الريدى وزميله أيضا فى المدرسة الثانوية المفكر السياسى عبد الوهاب شبانة، وفى الطريق إلى المدرسة فى شارع البحر كما يطلق عليه أهل دمياط، كان الدكتور أسامة الباز ينظر بشغف هائل وسعادة بالغة واضحة فى تقاسيم وجهه إلى شاطئ دمياط وشوارع دمياط الجانبية، والناس فى دمياط، والحارات الضيقة والمساجد والمآذن الشهيرة ومسجد البحر الذى كان يصلى فيه مع والده، واستفسر عن مدفع الإفطار الذى كان موضوعًا على النهر، ويفطر الدمايطة عليه فى رمضان وقت آذان المغرب، وأنه كان يتنظره بفارغ الصبر، وكان الدكتور أسامة الباز عاشقًا للزمن الماضى الجميل بحق.

بمجرد أن نزل من السيارة التى كانت تقله ومعه السفير عبد الرءوف الريدى بعد أن توقفت أمام بوابة مدرسة دمياط الثانوية للبنين نظر بعينيه، وبقلبه وبحواسه إلى المبنى الذى أسس عام ١٩٣٦م، وأخذ يتأمله، وكأنما يسترجع شريط ذكريات لأيام مر عليها حوالى ٥٣ عامًا عندما بدأ حياته التعليمية فى المدرسة، ومكث فيها خمس سنوات هى فترة المرحلة الثانوية وقتها.

* أكد ذلك الأستاذ عصمت صيادية زميل الدراسة مع الدكتور أسامة الباز ومدرسة شطا العربي من المدارس الخاصة في ذلك الوقت.

عندما دخل من بوابة المدرسة أخذ يتأملها طولا وارتفاعا وشكلا، ولاحظ أنه قد استقطع فيها جزءان الأول أصبح مبنى مديرية التربية والتعليم، والآخر أقيم فيه للأسف مبنى الإدارة التعليمية لدمياط ، وكان كل من المكانين حديقة فيها زهور وخضراوات ومناحل وحظائر لتربية بعض الحيوانات الأليفة التى كان يدرسها الطلاب، سواء فى المرحلة الابتدائية أو الثانوية.

وبعد خطوات من مدخل المدرسة من البوابة الحديدية ، ألقى نظرة شاملة إلى المبنى الذى ما يزال يحتفظ بأصالته، ولفت نظره أنه قد بنى فوق السطح القديم بعض الحجرات -وإن كانت ليست فى مستوى المبانى القديمة ، وسأل عنها، فقيل له أنها إضافات على المبنى القديم الذى بنى أصلا فى عام ١٩٣٦م.

فى المبنى الأصلى .. كانت فصول المدرسة الثانوية تشغل حجرات الدور الأول العلوي، وبالطبع حجرة واسعة لناظر المدرسة هى الأولى من الدور على اليمين، وأمامها غرفة السكرتارية الإدارية ، وبجوار غرفة السكرتارية غرفة بعض الإداريين، وفى نهاية الدور من جهة اليمين قاعة واسعة هى حجرة الرسم والتى يدرس فيها حصص الرسم، ومن جهة اليسار فى المقابل مدرج صغير للعلوم ، وبجواره حجرة للمدربين.

أيام وجود الدكتور أسامة كان فى المدرسة فقط فصلان كل من السنوات الأربعة الأولى من الملحة الثانوية ، وفصل واحد لسنة خامسة أولى ، ولم يكن بمصر قد وجد فصل للسنة الخامسة (رياضة) وكان الراغبون فى هذا الفرع يذهبون إلى المنصورة أو القاهرة أو الإسكندرية.

الدور الأرضى : يوجد فى هذا الدور معمل كبير للعلوم فيه (بنشات) وأجهزة علمية كثيرة ، وفى جناح منه طيور وحيوانات محنطة بعضها من جهود الطلبة ، مثل ضفادع محنطة أو أرانب أو طيور.

وفى الدور الأرضى قاعتان للتربية الفنية ، زودت ، وزينت أيضا بلوحات من إنتاج الطلبة، وكذلك عمل بعض التماثيل البدائية.

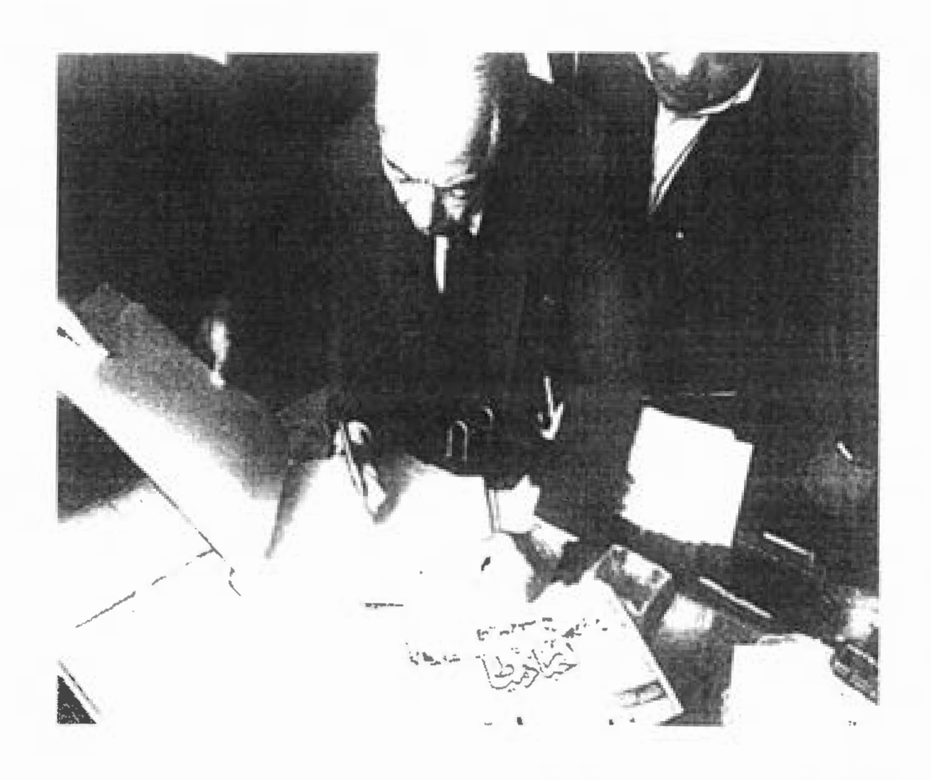
وفى الدور الأرضى يوجد مطعم المدرسة الذى كان يعد فيه وجبة غذاء مطهية يوميا (يقدم فيها أنواع من السمك واللحوم وغيرها) بالإضافة إلى الفاكهة الموسمية.. وكانت

هذه الوجبات تقدم فى بداية فسخة الظهيرة التى تصل إلى حوالى ساعة ، وفيها يمارس النشاط الرياضى .. أما الرياضة فكانت تشغل مبنين فى نهاية الفناء من الجهة الغربية ، ، ولا ينسى الطلبة صالة (الجمنزيم) التى تشتمل على أكثر من حصان خشبى وأكثر من عقلة ، وأكثر من متوازيين.

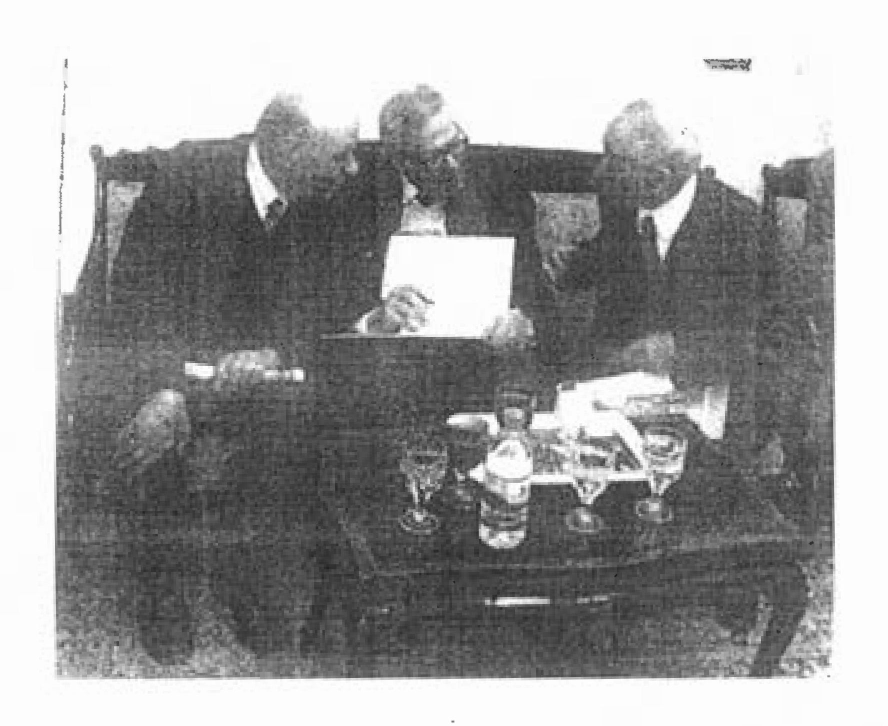
فى الدور الأول العلوى استقبل الدكتور أسامة الباز مدير المدرسة (شاب من خريجى المدرسة السابقين) ومجموعة من قيادات المدرسة ومدرسيها.

قبل أن ينهى جولته حرص على زيارة بعض الحجرات هى فصول حاليا ودخل أول حجرة أمام مكتب الناظر، وأشار أنه كان يجلس فى الصف الأول أمام السبورة ليركز مع الأستاذ ، وكان عدد الطلبة فى هذا الفصل على ما يذكر حوالى ٢٥ طالبا ، وكان من سنة رابعة ثانوى ، ثم بعد خطوات تذكر أنه كان فى سنة خامسة ثانوى أولى فى الحجرة المجاورة لمعاونى الناظر ، وكانت الفصل الوحيد (خامسة أولى) فى محافظة دمياط.

هذا وقد ودع الدكتور أسامة الباز والسفير عبد الرءوف الريدى ، ومعهما نقيب المعلمين عبد الوهاب شبانة وابن المدرسة ، ودعهم أغلب أساتذة المدرسة، ومجموعة من اتحاد طلاب المدرسة.



الدكتور أسامة الباز يوقع على كلمته فى سجل مدرسته القديمة دمياط الثانوية للبنين عندما زارها واستعاد ذكرياته فيها منذ أكثر من نصف قرن من الزمان



حوار بين الثلاثى السياسى الدكتور أسامة الباز مستشار رئيس الجمهورية السياسى والسفير عبد الرءوف الريدى والأستاذ عبد الوهاب شبانة داخل مكتب مدير المدرسة فى الوقت الحديث - واللقاء فى يوم ١/ ٣/ ٢٠٠٩ - هؤلاء الثلاثة كانوا طلابا فى أوج الشباب ومرحلة الصبا وهم من النجباء الفالحين.

نجحوا وتفوقوا وحفروا أسماءهم فى سجل التاريخ السياسى لمصر الغالية



المفكر السياسى عبد الوهاب شبانة يتجاذب أطراف الحديث مع زميله فى مدرسة دمياط الثانوية الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى للسيد رئيس الجمهورية ربما عن ذكريات تلك الفترة ، ويبدو فى الصورة فى منتصفها السفير عبد الرءوف الريدى منهمكًا فى كتابة كلمته فى سجل الزيارات بالمدرسة عندما زارها هؤلاء الأقطاب الثلاثة فى ١/ ٣/ ٢٠٠٩



الرئيس السادات وعبد الوهاب شبانة زميل الدراسة فى المدرسة الثانوية بدمياط مع الدكتور أسامة الباز والسفير عبد الرءوف الريدي

(يعرض على الرئيس إنتاج مصنع الأخشاب الذي أقيم في الستينيات في فارسكور بدمياط)



صورة أخرى للرئيس السادات وهو يبتسم مع عبد الوهاب شبانة المفكر السياسى الكبير

زميل الدكتور أسامة الباز فى مدرسة دمياط الثانوية

بمناسبة سفر عبد الوهاب في وفد نقابة المعلمين لمؤتمر المعلمين العرب في عام ١٩٧١م



زميل الدراسة مع الدكتور أسامة الباز فى مدرسة دمياط الثانوية المفكر السياسى عبد الوهاب شبانة فى صورة تجمعه مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» و لسيد على صبرى رئيس الوزراء واللواء محمود طلعت محافظ دمياط

أنـــــبـاء دمـــــيــاط

أبريل ٢٠٠٩

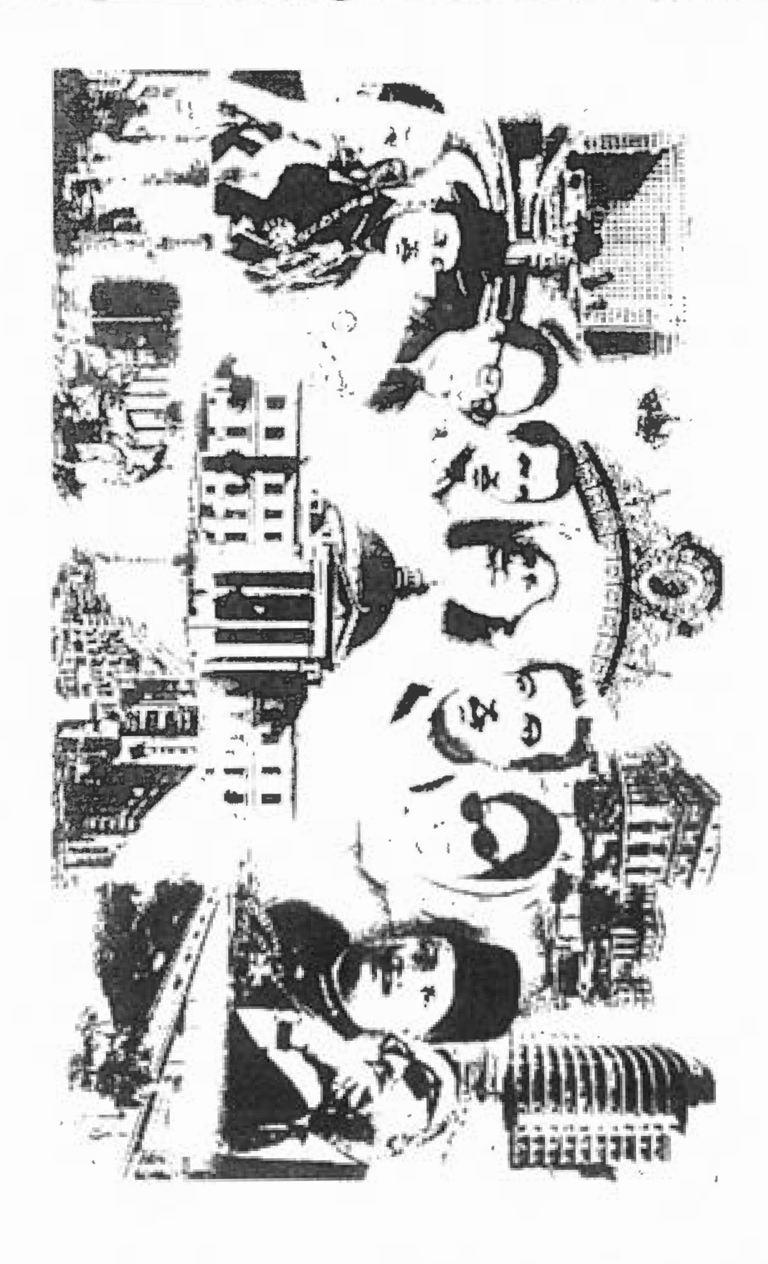
تكريم الدكتور أسامة الباز في دمياط



قدم الدكتور محمد فتحي البرادعي محافظ دمياط درع مكتبة مبارك إلى الدكتور أسامة الباز تكريما له وتقديرا لتاريخه السياسي والدبلوماسي الحافل على مستوى مصر والمنطقة كلها جاء ذلك عندما استضافت دمياط مع السفير عبد الرؤوف الريدي رئيس مجلس إدارة مكتبة مبارك العامة بالقاهرة والدكتور أسامة الباز المستشار السياسي للسيد الرئيس تأتي هذه الزيارة من جانب الدكتور أسامة الباز في إطار الرغبة في زيارة المدينة التي قضى بها فترة من عمره وتلقى تعليمه في مدرسة دمياط الثانوية مع رفاق عمره ومنهم السفير الريدي الذي اصطحبه إلى فرع مكتبة مبارك بدمياط حيث تم عقد لقاء فكري مع الجيل الجديد من شباب ورواد المكتبة وقد رحب به الدكتور محمد فتحي البرادعي محافظ دمياط في بداية اللقاء الذي يعد أول تشغيل تجريبي لكوبري دمياط التاريخي تمهيدا لافتتاحه كمركز ثقافي حضاري يجمع بين أصالة وعراقة التاريخ ومعاصرة الحاضر بكل تقنياته الحديثة.

حضر اللقاء جمع كبير من المثقفين والسياسيين بدمياط رغم سوء الأحوال الجوية ثم قام الدكتور أسامة الباز في اليوم التالي بزيارة مدرسته القديمة مدرسة دمياط الثانوية العسكرية حاليا والتقى بطلابها وهيئة التدريس بها وأشاد بما شاهده من إنجازات كبيرة غيرت وجه دمياط تغييرا حضاريا كبيرا وأعرب عن تفاؤله الشديد بمستقبل مصر عامة ودمياط خاصة لما لاحظه من نبوغ وثقافة الجيل الجديد من الشباب.

الدكتور أسامة الباز عاشق الزمن الماضي الجميل



أعلام دمياط الذين أعجب بهم الدكتور أسامة الباز




قطوف من مذكرات
وزير خارجية مصر الأسبق
سمير فراج
دار الفكر الحديث

"أعلام دمياط"

٦

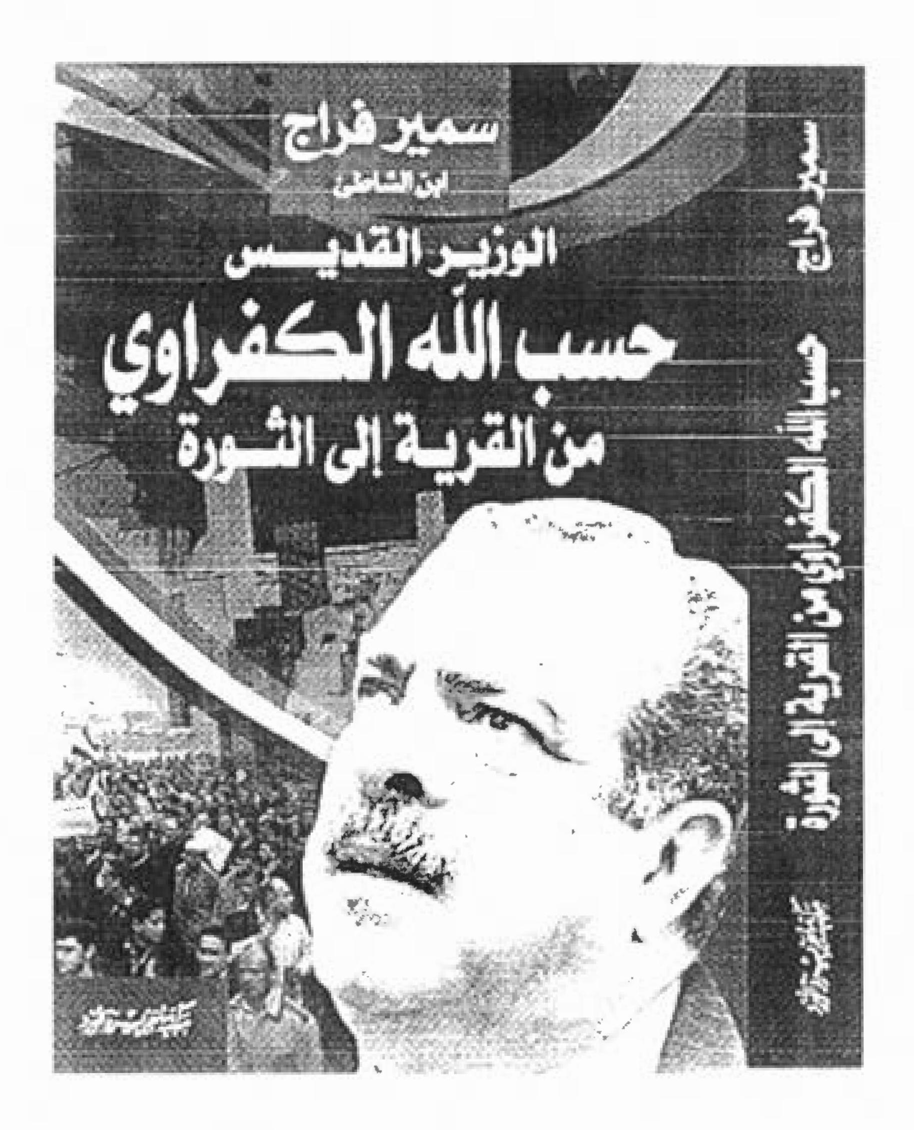
قطوف من حياة سيدة نساء العصر

د/ عائشة عبد الرحمن

"بنت شاطئ دمياط"



الهيئة العامة لقصور الثقافة - إقليم شرق الدلتا الثقافي - فرع ثقافة دمياط الثقافي


سمير فراج
ابن الشاطئ
الوزير القديس
حسب الله الكفراوي
من القرية إلى الثورة
سمير فراج
حسب الله الكفراوي من القرية إلى الثورة



السفير عبد الرءوف الريدي



فى واشنطن تعرف السفير الريدى على الساحة الأمريكية بتفاعلاتها سواء على مستوى الإدارة أو على مستوى الكونجرس ، والدور الكاسح للإعلام وقوى الضغط، وعندما عاد لمصر وجذبه العمل التطوعى إلى عالم جديد آخر بعيدًا عن العمل الحكومى فى مجالى الثقافة والسياسة الخارجية ، استولت عليه فكرة تقديم رحلة العمر منذ بدايتها، ولم يكتف بتسجيل الأحداث الكبرى التى عاشتها مصر، وكان فى قلبها أثناء مشواره، ولكنه كتب أيضًا رأيه وخلاصة تجربته ليتعرف عليها أبناء مصر وهم يبحثون عن طريقهم إلى المستقبل.

تفتحت مدارك الريدى فى بقعة عبقرية على أرض مصر ، ملتقى النيل بالبحر المتوسط، حيث تشكل وجدانه ، ثم تفتحت مداركه السياسية فى لحظة تاريخية فارقة مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبدء مرحلة جحديدة فى الكفاح الوطنى والصراع العربى – الإسرائيلى – أخذته اهتماماته السياسية بعد دراسته الجامعية إلى الالتحاق بعالم الدبلوماسية، وأصبح عضوًا فى بعثة مصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك فى منتصف الخمسينيات، فانفتح أمامه عالم جديد، وشاهد المنظمة الدولية فى أزهى عصورها وهى تتعامل مع أزمة السويس والعدوان الثلاثى ودورها فى إرغام الدول الثلاث المعتدية (إنجلترا وفرنسا وإسرائيل) على الانسحاب من مصر.

كان فى وفد مصر المصاحب للرئيس عبد الناصر إلى مؤتمر قمة الدول غير المنحازة، عندما كانت حركة عدم الانحياز تمثل ضمير العالم، ثم عمل مع وزراء خارجية مصر فى الستينيات والسبعينيات أثناء حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، وشارك فى دبلوماسية السلام، كما كان فى وفد مصر الذى صاحب الرئيس السادات إلى مؤتمر كامب دافيد عام ١٩٧٨م.

شغل فى أوائل الثمانينات منصب سفير مصر فى باكستان، وشهد هناك بداية الأزمة الأفغانية، ثم منصب المندوب الدائم لمصر لدى الأمم المتحدة فى جنيف ، ثم اختاره الرئيس مبارك ليكون سفيرًا لمصر فى واشنطن حيث بقى لثمانية أعوام (١٩٨٤م – ١٩٩٢م) فى فترة مليئة بالأحداث تعاقب فيها على البيت الأبيض كل من الرئيس ريجان والرئيس بوش «الأب»





الشاعر الإذاعى الكبير فاروق شوشة زميل الدراسة فى مدرسة دمياط الثانوية للبنين

مع الدكتور أسامة الباز


ذكريات
عبدالمنعم عبده
دمياط .. بلدي
ورأس البر .. معشوقتي
إعداد وتقديم
سمير فراج

رأفت الهجان



البطل المصرى ابن دمياط الذى نال إعجاب وتقدير واحترام

الدكتور أسامة الباز

جاءت قصة حياة الشاب المصرى الفذ «رأفت الهجان» ، وهو الاسم الذى اختاره له الأستاذ صالح مرسى سواء فى الكتاب الذى صدر تحت اسم « كنت جاسوسًا فى إسرائيل» - رأفت الهجان » ، والذى أصدرته دار أبوللو للطباعة والنشر أو فى المسلسل التليفزيونى الذى تابعناه على مدى عدة سنوات وخاصة فى شهر رمضان تحت اسم «رأفت الهجان» ، جاءت قصة هذا الشاب المصرى الفذ فى وقت دقيق تمر به مصر والأمة العربية والإسلامية فى صراعها مع الكيان الصهيونى ، جاءت فى وقت نشهد فيه تصاعدًا مستمرًا فى الهيمنة الصهيونية والأمريكية فى المنطقة ، وتراجعًا مستمرًا من الدول العربية فى مواجهة الكيان الصهيونى ، جاءت فى وقت نشهد فيه المفاوضين العرب يذهبون إلى مدريد وواشنطن وموسكو ليطلبوا الحل السلمى بأى ثمن ، ومع ذلك ترفض إسرائيل وبتعالى استكبارها وتتعالى نبرة استفزازها سواء على مستوى تصريحت قادتها أو على مستوى ممارساتها البشعة ضد الشعب الفلسطينى فى الداخل المحتل أو فى عدوانها المستمر على الشعب اللبنانى أو محاولاتها الدؤوبة لتخريب الواقع الاجتماعى المصرى من خلال شبكات التجسس الإسرائيلى التى تكتشف بين يوم وآخر فى مصر أو تصدير الإيدز والمخدرات إلى شباب مصر ، أو محاولات زرع الفتنة الطائفية فى ربوع مصر المسلمة التى ينتمى مسلموها وأقباطها إلى نمط حضارى واحد وهو الحضارة الإسلامية ، وكل هذا لأن إسرائيل تدرك وتعرف أن مصر بثقلها السكانى والتاريخى والحضارى هى العقبة الكبرى أمام الحلم الإسرائيلى فى قيام إمبراطورية يهودية من النيل إلى الفرات.

نعم جاءت تفاصيل حياة هذا الشاب المصرى الفذ من خلال كتاب الأستاذ صالح مرسى أو من خلال المسلسل التلفزيونى لتعيد إلى الأذهان العديد من الحقائق التى حاول البعض تغييبها فى حمى الدعوى إلى السلام مع الكيان الصهيونى ، وهذه الحقائق التى أكدتها قصة حياة هذا الشاب ، والتى أدركها كل من قرأ الكتاب أو شاهد المسلسل كثيرة ومتنوعة منها :

- أن الإنسان المصرى إنسان كفء ، وفذ ومخلص ، وقادر على أداء أدق وأصعب المهام فى ظل أعقد وأصعب الظروف ، فها هو الإنسان المصرى متمثلا فى رأفت الهجان يستطيع أن يخترق المجتمع الإسرائيلى ، ويقيم شبكة واسعة داخل هذا المجتمع تضمن

شخصيات مدنية وعسكرية بعضها برتبة الجنرال ، ويتصرف بحكمة وذكاء وكفاءة منقطعة النظير، بل ويضع رأسه فوق كفه دائمًا من أجل وطنه «مصر» خلال فترة طويلة تقترب من الـ٢٠ عامًا (١٩٥٤م – ١٩٧٤م) ، ويستطيع فى تلك الفترة أن يقدم لمصر خدمات جليلة، وأن يحقق إنجازًا رائعًا على كل مستوى، وهذا الإنسان المصرى ما هو إلا نموذجًا لباقى الأجهزة والمؤسسات المصرية المدنية منها والعسكرية، وأن عدم الاستفادة بجهود هذه الأجهزة كان أمرًا خارجًا عن إرادتها بسبب إهمال هذه الجهود عن تقصير أو إهدارها عن عمد من قبل القيادة السياسية.

– أن المجتمع الإسرائيلى مجتمع ضعيف من الداخل ومفكك ومليء بالمتناقضات، وأن الأجهزة والمؤسسات الإسرائيلية أجهزة عديمة الكفاءة أو فى أقل الأحوال أقل كفاءة من مثيلاتها المصرية، وإلا لما أمكن لعملية رأفت الهجان أن تنجح هذا النجاح الباهر على كل مستوى.

– إن إسرائيلى هى العدو الأول والخطر الأكبر على مصر أمس واليوم وغدًا ، وأن هذه الحقيقة أكدتها تفاصيل كتاب ومسلسل رأفت الهجان، ولعل هذه الحقيقة من أفضل ما جاء فى الكتاب والمسلسل لأنها ردت ومن خلال كتاب اعتمدته المخابرات المصرية وراجعته ، وكذلك وافقت عليه وزارة الإعلام المصرية من خلال السماح بعرضه فى مسلسل فى التليفزيون المصرى ردت على أقاويل البعض بشأن إنهاء العداء مع إسرائيل وإمكانية التعايش السلمى معها.

قد يبدو للبعض أن من قبيل إجهاد المعانى استنتاج مثل هذه الاستنتاجات السابقة أو ما سوف يلحقها من استنتاجات اعتمادًا على حقائق وردت فى كتاب منشور أو وردت فى مسلسل تليفزيونى وهذا بالطبع ليس صحيحًا ، لأننا هنا نعتمد على قصة حقيقية فى قصة رأفت الهجان ، ونعتمد على كتاب راجعته المخابرات العامة المصرية حرفًا حرفًا ، ونعتمد على مسلسل تقول مقدمته : إنه من ملفات المخابرات العامة، ويجب أن نأخذ فى اعتبارنا هنا أن القانون المصرى لا يبيح نقل أو نشر أى شيء من ملفات المخابرات العامة المصرية إلا بعد الحصول على إذن كتابى منها ، أى أن الكتاب الذى أصدرته دار أبوللو للنشر ، وكذا المسلسل قد خضع لمراجعة دقيقة من المخابرات العامة المصرية ، وأن المؤلف

الأستاذ صالح مرسى قد حصل على إذن كتابى بالموافقة على ذلك من المخابرات العامة المصرية ، وهذا بالطبع يعطى الكتاب والمسلسل مصداقية كاملة لأننا بالطبع نثق فى صدق المؤلف وصدق المخابرات العامة المصرية وصدق وزارة الإعلام المصرية، بل ونحيى كل من أسهم فى هذا الجهد الوطنى العظيم الذى أبرز ملحمة إنسان مصرى ، وأبرز ملحمة رجال المخابرات العامة المصرية فى مواجهة عدونا التاريخى (إسرائيل)

زى ما أنت عملت اللى عليك إحنا عملنا اللى علينا!!

من أقوال السيد نديم هاشم أحد رجال المخابرات المصرية ص ٨٨٨ من كتاب رأفت الهجان -الطبعة السادسة أبريل ١٩٩٠ الأعمال الكاملة -صالح مرسى -دار أبوللو للنشر..

من أهم الإنجازات التى حققها رأفت الهجان وحققتها المخابرات العامة المصرية تلك المعلومات الهامة والتفصيلية التى حصل عليها رأفت الهجان فى عام ١٩٦٧م، ولنترك أنفسنا أمام سطور كتاب صالح مرسى -رأفت الهجان -ص ٨٧٥ -الطبعة السادسة.

«فى تلك الأيام نشط رأفت الهجان نشاطًا محمومًا، وتدفق سيل التقارير والبرقيات يحمل إلى الوطن أدق أسرار المرحلة، وما كان يتم هناك على الجانب الآخر، حتى لقد خشى البعض عليه لكثرة ما أبرق إلى العديد من عواصم أوروبا ، فلقد كان هذا يشكل خطرًا حقيقيًا، كان رأفت الهجان واثقًا من النصر ثقة لا حدود لها ، أرسل ذات مرة يقول:

«..........إنهم هنا فى حالة رعب حقيقي، بل إن بعضهم يجلس فى انتظار وصول المصريين بين يوم وآخر».

عندما أعلنت مصر عن قبولها بسحب قوات الطوارئ الدولية أرسل رأفت الهجان يقول:

«إن قرار الحرب أصبح مؤكدًا ، ليس هناك أى احتمال للتأويل أو التر جع»!

** ملاحظة :

التزامنا فى النقل عن صالح مرسى هنا أن يكون النقل حرفيًا بما فيه علامات التعجب

والأقواس وحتى النقاط ، وسوف نفعل نفس الشيء فى كل ما ننقله عن صالح مرسى فيما بعد.. انتهت الملاحظة .. أما تعليقنا فهو أن كلام رأفت الهجان هنا واضح لا غموض فيه، وهو أن سحب قوات الطوارئ الدولية معناه أن قرار الحرب أصبح مؤكدًا، وكلام رأفت الهجان نفسه يقول إنه ليس هناك أى احتمال للتأويل أو التراجع!».

وفى الحقيقة فإن هذه نقطة هامة ينبغى الالتفات إليها جيدًا والتفكير فيها، فحقيقة أن طلب عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية معناه الحرب هى حقيقة بديهية ولا يختلف عليها اثنان ، والجميع كان يدرك وقتها أن مثل هذا القرار يعنى الحرب بالضرورة ولا شيء غير الحرب.

ولنكمل الآن نقل سطور كتاب رأفت الهجان فى صفحة ٨٧٦:

«كانت الدنيا كلها تلهث وراء الأحداث ، كذلك كان رأفت الهجان يلهث خلفها، إلى أن كان اليوم الأخير من مايو عام ١٩٦٧م».

... ...

... ...

ففى هذا اليوم دق جرس التليفون فى مكتب بإحدى الشركات المصرية فى عاصمة أوروبية .. رفع الموظف المسؤول سماعة التليفون ، فجاء صوت يسأل، بلغة تلك الدولة عن آنسة تدعى «مارى لويز» .. ولم يصدق الموظف أذنه ، كان معنى السؤال عن مارى لويز» أن المتحدث هو رأفت الهجان الذى وصل دون موعد سابق، وكان معناه أيضًا أنه يطلب لقاء عاجلًا وبأسرع ما يمكن.

كان اللقاء فى مثل هذا الوقت الذى تتصاعد فيه الأحداث بصورة خطيرة، وبالتالى تتصاعد فيه النشاط السرى إلى ذروة لا تدع مجالًا للقاء آمن تمامًا.. وعلى هذا لم يكن هناك مفر من إجراء حديث طويل حول الآنسة «مارى لويز» حديث وضعت فيه خطة مركبة تمامًا.. فى لقاء يتم بعد منتصف الليل بساعة، فى مكان يندر أن يلتقى فيه إنسان بإنسان!

تم اللقاء فى الساعة الأولى من اليوم الأول من شهر يونيه عام ١٩٦٧م ، وكان رأفت الهجان يحمل تقريرًا على أكبر قدر من الخطورة والأهمية.. كان التقرير يحدد – بدقة بالغة –

أن الهجوم الإسرائيلى قد تحدد موعده فى صباح يوم الاثنين الخامس من يونيه بالطيران المنخفض، وأنه سيستهدف - أول ما يستهدف وفى أول ضربة له - جميع المطارات الحربية المصرية بلا استثناء، بما فيها مطار القاهرة الدوليّ

شفع الفتى تقريره المكتوب بتقرير شفهى وصف فيه الحالة داخل إسرائيل بأنها وصلت إلى حد الهستريا، وأن طبول الحرب تدق هناك بعنف.. سلم الفتى تقريره واثقًا مطمئنًا، وعاد إلى إسرائيل، بينما طار التقرير بعد ساعات جد قليلة إلى مصر!

كان التقرير المكتوب مشفوعًا بمصدره الذى استقى منه الفتى معلوماته.

ويكمل صالح مرسى قائلًا: «لسنا ندرى ما هى الحكمة فى اعتراض جهاز المخابرات المصرى على ذكر هذا المصدر الإسرائيلى الذى لا يرقى الشك إلى معلوماته، خاصة وأنه انتقل - مع رأفت الهجان - إلى العالم الآخر منذ سنوات»!

ويعلق صالح مرسى قائلًا: «وعلى كل، لم يكن التقرير غامضًا، لم يكن فى حاجة إلى تحليل أو تأويل، كما أنه لم يكن التقرير الوحيد الذى وصل إلى مصر يحمل نفس المعلومات بنفس التوقيت.. وهكذا والكلام مازال لصالح مرسي.. وضعت تحت يد القيادة السياسية المصرية كل المعلومات الواردة والتى كانت كل منها تزيد الأخرى وتؤكدها.. ولقد قامت القيادة السياسية المصرية بواجبها، وأبلغت المسؤولين عن موعد الهجوم بكل تفاصيله، وفى إسرائيل كان الفتى يفرك كفيه سعادة ظن الذين رأوه هناك أنه سعيد بالحرب لأنهم سيتغلبون على المصريين، دون أن يعلموا أن مصدر سعادته هو يقينه الذى لا يقبل الشك، من انتصار وطنه لمَ لا؟ ألم يعط هذا الوطن كل ما احتاج إليه من معلومات عن العدو وجيش العدو؟!

ويكمل صالح مرسى «وجاء صباح اليوم الخامس من يونيو. وذهب الفتى إلى مكتبه وأنباء الحرب تملأ الأسماع، لكنه كان موقنًا من النصر، قال رأفت الهجان بعد أسابيع ثلاثة من هذا اليوم، قال وهو يصرخ والدمع يملأ عينيه: إنه جلس فى مكتبه بالشركة فى انتظار ذلك الضابط المصرى الذى سيغزو تل أبيب، كى يرحب به! لكن الأنباء جاءته بعد ساعات قليلة العدد، كى تطعنه فى مكان القلب تمامًا!!

** انتهى كلام صالح مرسى، بسطوره، وحروفه وفواصله وعلامات تعجبه، بل

ونقطه وفواصله.. من ص ٨٧٦ إلى ص ٨٧٨ – كتاب «رأفت الهجان» صالح مرسي. الطبعة السادسة – أبريل ١٩٩٠م – دار أبوللو للنشر والتوزيع، وهذه الوقائع التى تقول ببساطة : إن رأفت الهجان قد أكد أن الحرب حتمية بعد طلب مصر سحب قوات الطوارئ الدولية، وأن رأفت الهجان قد زود المخابرات المصرية بتفاصيل وموعد الهجوم الإسرائيلى، وأن هذا الأمر قد أكدته مصادر أخرى، وأن جهاز المخابرات المصرية قد وضع هذه المعلومات أمام القيادة السياسية، ومع ذلك، ورغم ذلك تم تنفيذ الخطة الإسرائيلية بحذافيرها، والمعنى الوحيد الذى يفسر.كل هذا هو الخيانة لأنه مع معلومات بهذه الدقة لا وجه للحديث عن إهمال أو تقصير، لأنه مهما كان الإهمال والتقصير فلن يصلا إلى هذه الدرجة، ويبدو أن صالح مرسى قد أحس بهذا الأمر وهالته بشاعة المسألة، فأراد أن يلتمس للقيادة السياسية عذرًا، فأضاف من عنده أن تلك القيادة السياسية قامت بواجبها وأبلغت المسؤولين عن موعد الهجوم بكل تفاصيله، لأنه من البديهى أن صالح مرسى أو جهاز المخابرات المصرية لم يكن يتجسس على القيادة السياسية ليعرف ما إن كانت قد قامت بواجبها، وأبلغت المسؤولين، كما أن صالح مرسى أو جهاز المخابرات المصرية العامة لم يكن يملك أن يسأل تلك القيادة السياسية : هل قامت بواجبها أم لا؟ فالطبيعى والبديهى أن جهاز المخابرات العامة ينتهى دوره تمامًا بعد إبلاغ القيادة السياسية بالمعلومات التى حصل عليها وبرأيه فيها، وبعد ذلك فإنه لا دخل له فى الطريقة التى تنصرف بها القيادة السياسية فى تلك المعلومات، وعلى أى حال فإن إقحام صالح مرسى نفسه فى القول بأن تلك القيادة السياسية قد قامت بواجبها فى إبلاغ المسؤولين بذلك يدل دلالة واضحة على أن الحقيقة العارية قد تماثلت بين يدى صالح مرسى فهالته بشاعتها، فأراد أن يقفز عليها بجملة إنشائية من قبيل «قامت بواجبها فأبلغت المسؤولين»، ولم يقل لنا صالح مرسى من هم هؤلاء المسؤولين، ولعل غموض الجملة ولجوء صالح مرسى إلى كلمة المسؤولين بدلًا من القيادة العسكرية مثلا أو بدلا من قوله: إن عبد الناصر جمع هيئة الأركان مثلا للتدبر فى الأمر أو أمرهم بإخلاء المطارات مثلًا، أو تنبيهه عليهم بعدم وجود الطائرات رابضة على الممرات فى ذلك الوقت المحدد أو غيرها يدل على أن جملة صالح مرسى لم تكن إلا رد فعل لحجم الحقيقة الفظيعة التى تمثلت

بين يديه عندما اطل على هذه المعلومات.

على أى حال فإن السيد نديم هاشم – أحد رجال المخابرات العامة المصرية الأكفاء، كان أكثر دقة عندما علق على ذلك فى حوار مع رأفت الهجان والمنشور فى ص ٨٨٧، قال: رأفت الهجان: إيه اللى حصل؟! ولم يستطع أن يمنع الدمع الذى عاد مدرارًا ثم قال: وليه؟! صوته ممزق وأنفاسه لاهثة وأسئلته كالرصاص «وإزاي!» كان الآن يواجه نديما كمن فقد عقله «فهمنى يا سيد نديم أنا هاتجنن» ، ربت نديم على كتفه: «طب اهدى شويه!» «أهدى إزاي» ، سحق نديم سيجارته، وهم بالاستدارة نحو الفتى الذى هتف: «أنت هادي؟!» عارف تهدى؟! قادر تهدى؟! ثم يضيف رأفت الهجان: «ده أنا إديتكم إسرائيل فى أيديكم!» «أنا مش باعت لكم إنهم هايضربوا يوم ٥ يونيو؟! «انتو باعتينى هناك ليه؟! «وما دامت الحكاية ما فيهاش فائدة إيه لزمته وجودى هناك»؟!

ثم توسل الفتى بصوت مختنق: طب إيه اللى «حصل؟!» ، ورد نديم قائلًا: «زى ما أنت عملت اللى عليك إحنا عملنا اللى علينا» (ص٨٨٨).

وإجابة السيد نديم هاشم هنا واضحة، فرأفت الهجان عمل اللى عليه والمخابرات المصرية عملت اللى عليها ، وبديهى أن يثور هنا سؤال: ترى من هو الذى أهدر هذا الجهد سواء عن إهمال أو تقصير أو خيانة؟! على أى حال ، فالسيد نديم احترم نفسه، وترك لنا الاستنتاج.

ولكن النظرة الفاحصة لأسئلة رأفت الهجان فى هذا الجزء وهى من طراز : «إيه اللى حصل» ، «وليه؟!» «وإزاي» «وفهمنى يا سيد نديم أنا حاتجنن.. أهدى إزاي؟ إنت هادي؟ عارف تهدى؟ قادر تهدى؟! «أنا مش باعت لكم أنهم حايضربوا يوم ٥ يونيه؟! «أنتو باعتنى هناك ليه؟!» «ما دامت الحكاية مافيهاش فائدة إيه لزمته وجودى هناك؟!» «طب إيه اللى حصل».

النظرة الفاحصة لتلك الأسئلة تعطى الانطباع بأن الأمر فوق مستوى تصور رأفت الهجان، وأنه أمر غير قابل للتفسير ، وأن هناك شيء غامض، وهذا يعنى أن رأفت الهجان لم يكن يحس أن المسألة مجرد إهمال أو تقصير لأنه لو كانت كذلك لكان من السهل عليه أن يتفهم هذا ، أما كونه لم يستطع فهم ما حدث وأن يلقى فى وجه السيد نديم أمثال هذه

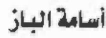
الأسئلة تعنى أنه كان يدرك أن المسألة أكبر من مجرد تقصير وأوسع من مجرد إهمال.

على أى حال فإن صالح مرسى نفسه بالضرورة قد أحس بهذا، وربما أقحم جملة «وقامت القيادة السياسية بواجبها، وأبلغت المسؤولين»، ربما أقحمها إقحامًا ليشير بأصابع الاتهام إليها بطريقة غير مباشرة، أو ليجعلنا نفكر فى مدى مسؤولية هذه القيادة السياسية، ومن أى نوع كانت هذه المسؤولية، ومما يؤكد هذا الانطباع أن صالح مرسى أجرى على لسان سيرينا أهارونى فى إطار حديثها مع رأفت الهجان قبل رحيله من إسرائيل «أن العصابة تحتفل بضخامة الأسلاب» فدمدم رأفت الهجان فى ضيق من لا يريد أن يطرق الموضوع «لأنهم على الضفة الأخرى أغبياء!» قالت سيرينا «أو مغلوبين على أمرهم!!».*



رأفت الهجان





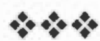
أسامة الباز

* رأفت الهجان أو رفعت الجمال الاسم الحقيقي أكبر سنًا من الدكتور أسامة الباز بحوالي خمس سنوات ومع ذلك كما أخبرني الدكتور أسامة الباز كان يلتقيان في رأس البر باستمرار وهما معًا من العاشقين لهذا المصيف في دمياط.. ويحضران الحفلات والمسرحيات التي كانت تقام وتعرض في رأس البر.

الدمياطى شاطر .. وليس بخيلاً..!

يا ريت كل مصر مثل الدمايطة الذين أعرفهم جيدًا

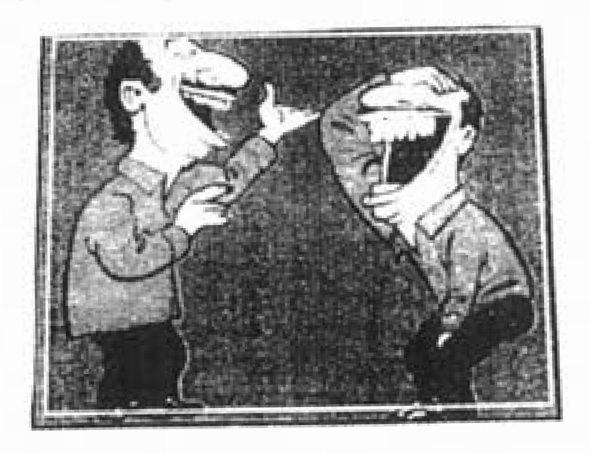
(أسامة الباز)



تتعشى ولا تنام خفيف .. تشرب شاى ولا منتاش كييف..؟!

النكت على الدمايطة

التابعى وأبو العربى والصعيدى بينكتوا علينا .. كان مره فيه واحد



من منا نحن الدمايطة لم يواجه خارج حدود دمياط بوابل من النكت اللاذعة لمجرد أننا دمايطة .. لدرجة أننا لا نجد من رد غير أن هذه النكت التى تنهال علينا وتوصمنا بالبخل نرد قائلين في خجل بأن البخل يعنى حرص فقط لا أكثر ولا أقل ومنا من -يجح ويرد - دى شطارة وبعضنا يهرب من الموقف قائلا : هذه النكت تقال على ناس زمان ومالنا حاليا بالبخل .. وهؤلاء من الناس أهل زمان كانوا فى منتهى الكرم.

من بين النكت التى تقال علينا نحن الدمايطة لوصف شدة البخل الذى فاق اليهود وانتصر عليهم نكتة اليهودى الذى طلب من الدمياطى غذاء بأقل التكاليف بقرش واحد أخذ الدمياطى القرش اشترى بطيخة بنصف قرش ووضع الباقى فى جيبه وعاد إلى اليهودى أعطاه البطيخة ونصحه بأن يتغذى بنصفها ويتعشى بالنصف الأخر ثم يتسلى طوال الليل باللب ، ولا مانع من أن يجمع القشر ويحرقة للتدفئة أما قشر البطيخة غذاء وعشاء لحمار اليهودى.

ماذا يعنى هذا الاسكتش الكوميدى الذى تجسد فى مسرحية أيام الحركة الثقافية الوطنية باسم أغنية على الممر كتبها على سالم قبل أن يصبح صديقًا للصهاينة أى بخل فيها هل كان الدمياطى مطلوبا منا أن يقول لليهودى وحماره: (عيب تشترى أكل وأنت غريب لأ ! تفضل معايا على البيت).

أم الهدف إظهار شطارة الدمياطى فى التجارة .. أم أنها سمسرة .. على فكرة نهاية الاسكتش الكوميدى أن اليهودى أقسم ألا يعود ثانية إلى دمياط .

ننتقل لنكتة أخرى تقول الحاج تابعى الدمياطى زار صديقه البورسعيدى أبو العربى الذى قام باستضافته على أحسن وجه - أكل زى ما تقول ... وقبل أن يغادر الحاج تابعى بورسعيد شد على يد أبو العربى ، وقال له: والنبى تزورنا ... مرت الأيام وهبط أبو العربى وزوجته لدمياط ذهب لمنزل صديقه التابعى ... وراح أبو العربى ينادى وينادى ، بينما التابعى ينظر من خلف الشباك لدرجة أن لمحه أبو العربى، فقال له غاضبا: يا تابعى رد دا ربنا رد على موسى يا سيدى ، فإذا بالتابعى يفتح الشباك بقوة ويقول بصوت عالى : موسى كان لواحده مش معاه مراته.

طبعا النكتة دى وارد بورسعيد ، وعلى أى حال إذا كان الهدف من ورائها : إظهار المنافسة بين محافظتين تجاريتين فخير وبركة ولهذا أراد الدمايطة إظهار عكس ذلك أثناء فترة التهجير، فهل يوجد بيت بدمياط لم يقم بواجبه نحو شعب بورسعيد ... ؟ إذن النكتة قيلت قبل هذه الفترة : بزمان .

طبعًا سيقول البعض: إننا نبرر لصالح الدمياطى ، ولهذا يرددون نكتة : أو عدة نكت أخرى من بينها علاقة : الدمياطى بأهل بيته هو ... اسمع يا : سيدى :

التابعى أمر زوجته بسلق بيضتين فقط للفطار ذهبت الزوجة، بينما هو صعد للسطوح فانزلقت :. قدمه وسقط على الأرض وهو يردد لزوجته أن تكتفى ببيضة واحدة فقط ما دام هو فى عداد الموتى! .

عندما نسمع هذه النكت نحن الدمايطة بسرعة نرد قائلين : أهم ما فى النكتة أن التابعى رجل عادل يسوى بين الرجل والمرأة فيخصها : ببيضة مثله مثل الرجل تماما ..!

الهجوم بالنكت علينا شديد اقرأ ما يرددونه : دمياطى نزل يستحم ، فتعرض للغرق شاهده آخر فقال له الآخر: (أطلعك وأخذ ريال) : فرد الدمياطى : بق بق بق بريزه كفاية.

هذه النكتة تروى بطريقة أخرى وهى أن التابعى خرج هو وزوجته للفسحة على الكوبرى الجديد طبعا لا يوجد أماكن للتنزه بدمياط ، وبينما الزوجة تحضن زراع التابعى: فقالت له بحنان ودلع : والنبى اللى زرته يا حاج عوزاك تشترى لى : فستان جديد..!

انتفض التابعى وخلص زراعه منها وهو يردد : لأ لأ ... لأ لأ ، فإذا بالزوجة تكشف عن قوتها وتدفع التابعى فيسقط فى النيل ، إلا أنها تشعر بالندم فتنادى على المارة ، وترصد ربع جنيه لمن يخرج التابعى من النيل ... فإذا بالتابعى يصرخ ويقول .. بريزه بس .

الهجوم علينا بالنكت قاس فكيف نرد ..؟

زوجة التابعى احتالت على التابعى لكى يشترى لها خاتم ذهب ماذا فعلت ... فى عز الليل والتابعى نايم بطريقه ما بلاش نكشفها .. حضنته ثم انفزعت بصوت منها ونهضت جالسة ومن خلفها التابعى : يردد خير اللّهم اجعله خير فإذا بها تقول : خير يا حاج كنت

بحلم إنك واخدنى فى حضنك .. فقال التابعى : تعالى يا حبيبتى فى حضنى ، فإذا بها تقوله: وبستنى فى خدى ، فرد التابعى بقبلة فوق خدها ، وواصلت الزوجة تروى حلمها فقالت بعد القبلة : ووضعت إيدك يا حاج فى جيبيك ، وطلعتلى منه علبة جميلة وفتحتها لى وقدمت لى خاتم دهب جميل كان وش : السعد عليك.

فإذا بالتابعى يرفع يده وينهال على وجهها وهو يقول فوقى من : الكوابيس دى بقه. هل وصلنا إلى هذا الحد من : الهجوم والمؤكد والثابت أن علاقة : التابعى - أى تابعى بزوجته علاقة : جيدة لم تصل للضرب فلماذا هذا الهجوم النكتى ... ؟

هل وصل بنا الأمر نحن الدمايطة عندما نبكى بعين واحدة لتوفير دموع العين الثانية حتى الصعايدة الذين اشتهروا حتى خارج حدود مصر بالنكت عليهم ودى حاجة ثانية - مارسوا الهجوم النكتى علينا ... اسمع يا سيدى التابعى زار صديقه الصعيدى الذى تمام بإكرامه آخر كرم ... المهم حب الصعيدى يزور دمياط وتوجه للتابعى الذى فتح له الباب وأجلسه بعكس ما فعله مع أبو العربى ... جلس التابعى بالقرب من الصعيدى الذى بدأ يقول : كيفيك يا خوى؟

نظر التابعى وسرعان ما أبعد وجهه فما كان من الصعيدى الذى ظن أن التابعى لا يعرفه إلا وخلع ما فوق رأسه ، ثم قال للتابعى :وا ه عرفتنى يا خوى .... ؟

فقال التابعى : لا .

خلع الصعيدى الجلباب ووقف : باللباس الداخلى الصعيدى عارفينه وهو يردد للتابعى : عرفتنى يا خوى ؟ فإذا بالتابعى يؤكد له والله لو حتى انسلخت من جلدك فلن أعرفك.

❖❖❖

هذه النكات.. كان الدكتور أسامة الباز يستمع إليها من كثيرين.. وهو يؤكد لهم الدمياطة شطار.. وليسوا بخلاء على الإطلاق وهم أهل كرم، وأشهد بذلك لأننى عشت معهم وبينهم سنوات فى دمياط.. أحلى أيام عمرى كلها.

ويا ريت كل أبناء مصر.. مثل الدمايطة.. إنهم نموذج لمجتمع متكامل واع.

الصالونات الأدبية والمقاهى الثقافية التى كان يحضرها الدكتور أسامة الباز فى دمياط

سمير فراج
«ابن الشاطئ»

المقاهي الأدبية والثقافية *

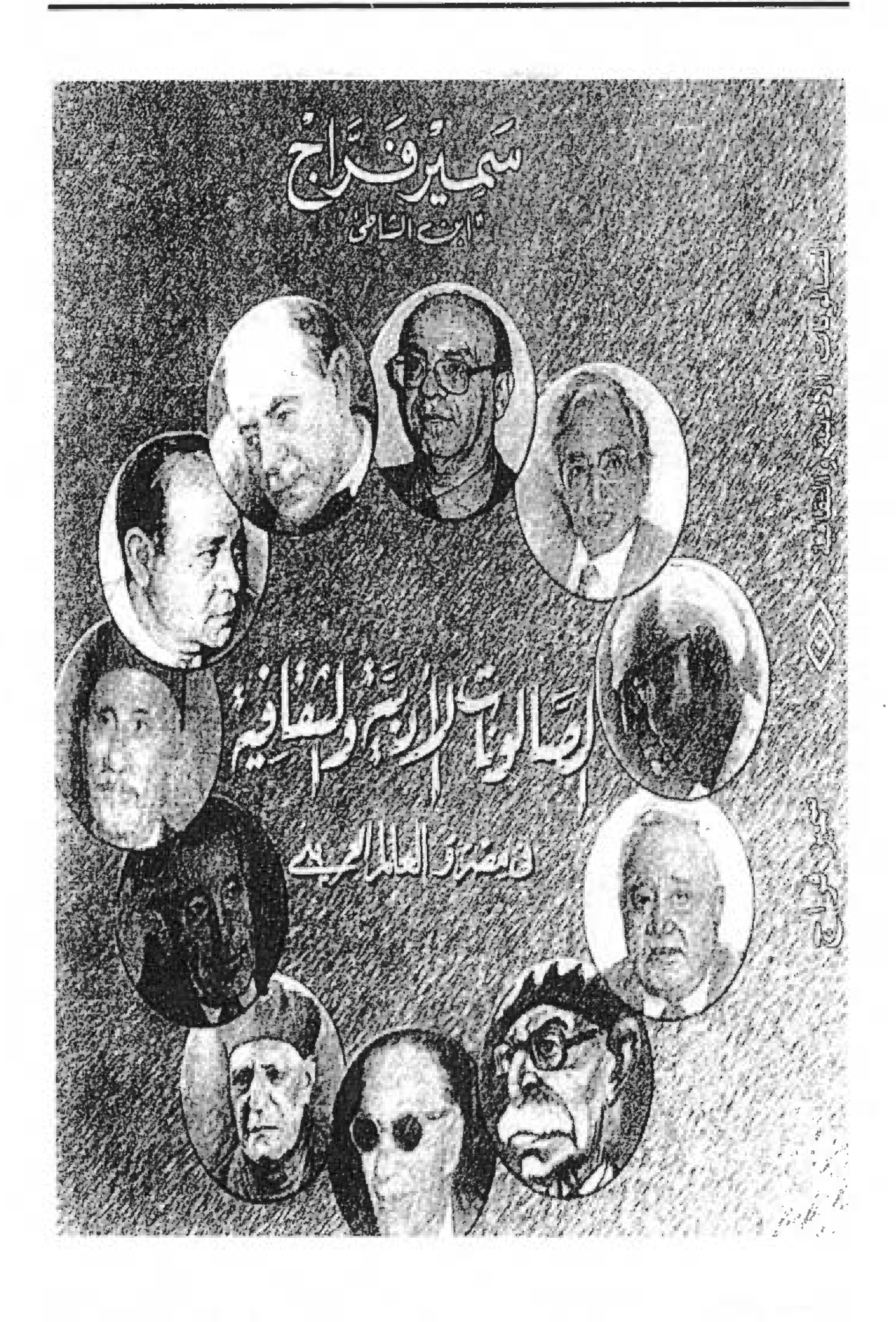
في مصر والعالم العربي



* كان الدكتور أسامة الباز يحضر ـ معظم الندوات والصالونات الأدبية والثقافية في المقاهي بدمياط مثل مقهى «شاهين» بسوق الحسبة القريبة من منزلهم في ذلك الوقت، وكان يحضر ـ بصحبة والده في مقهى «معبد» ، يستمتع بمناقشات وأشعار كتاب الأدباء والشعراء.

المقاهى الأدبية والثقافية فى مصر والعالم العربى هى ذلك التاريخ الحى والمسجل بوثائق هامة جاءت على لسان كل أديب وكاتب ومثقف جلس على المقهى ويؤكد المؤلف الأستاذ سمير فراج «ابن الشاطئ» أن نجيب محفوظ أحد أشهر المشاهير فى الأدب والفكر والثقافة والسياسة والفن والصحافة، الذين جلسوا على المقاهى التاريخية فى مصر وحولوها هكذا إلى تاريخية ومعظم هذه المقاهى تحولت إلى صالونات فنية وثقافية شهيرة شهرة روادها ، وأبرز أدبائها نجيب محفوظ وهو من أكبر وأهم الأدباء الذين شهدتهم الثقافة العربية على مر العصور ، فقد كانت حياته نموذجًا للإخلاص والتفانى فى الكتابة والإبداع، وكانت حصيلته سنوات عمله، هو ذلك الهرم الرابع الذى أثرى المكتبة العربية، ورسخت به فنًا جديدًا هو فن الرواية وأهم ما يمثله نجيب محفوظ أنه لم يكن كاتب مصر وحدها ، ولكنه كان أديبا لكل العرب.

وتميزت مدينة دمياط بكثرة المقاهي التي كان يتبارى فيها الأدباء والشعراء بقصائدهم وأشعارهم ويحضرها كبار الأدباء والشعراء وأصحاب العزة والمقام الرفيع، ومنهم العمالقة الشاعر الأسمر والشاعر الغاياتي والشاعر الصيرفي وشاعر العامية البدري محمدين، وطاهر أبو فاشا وغيرهم من هؤلاء الدمايطة البارزين بمواهبهم الأدبية والشعرية ، واشتهرت دمياط بأنها المدينة الشاعرة منذ قديم الزمان.


سمير فراج
الصالونات الأدبية والثقافية
في مصر والعالم العربي



«ابن الشاطئ»

حظيت الصالونات الأدبية والثقافية فى مصر والعالم العربى بكل الاهتمام، وسجلها التاريخ فى وثائقه، ويعتبر العقاد ومى زيادة ومحمد زكى عبد القادر فى مقدمة الأسماء الشهيرة التى انعقدت عندها تلك الصالونات، لكنها قديمة قدم التاريخ نفسه، ووجدت منذ مئات السنين، ومن ينسى صالون عائشة التيمورية والصالونات القديمة جدًا فى أنحاء مصر المحروسة، ولعل من أبرزها تلك الصالونات الحافلة بالمناقشات الأدبية والثقافية والصحفية والعلمية والتى تعتبر من أهم القطوف العطرة فى تاريخ مدينة كدمياط على سبيل المثال.

وكان الدكتور أسامة الباز حريصًا وهو في مهد شبابه، ومازال يتلقى العلم بمدارس دمياط الابتدائية والثانوية أن يحضر- مع والده الشيخ السيد الباز هذه الصالونات التي يحضرها ويواظب عليها خاصة التي كانت منتشرة في ربوع المدينة، وكثيرًا ما كان يصاحبه فيها الشيخ محمد علي عبد الرحمن والدكتورة عائشة عبد الرحمن بن الشاطئ، وكان زميلًا له في المعهد الديني بدمياط، والشيخ محمد محمد عمر أستاذ الخط العربي وصفوة من كبار العلماء والأدباء والشعراء وأهل العلم والدين.. وكانت هذه الصالونات تلقى كل الاحترام والتقدير من كل أبناء دمياط.

أسامة الباز..

المفاوض العنيد فى كامب دافيد

بعد الدراسة في دمياط .. ثم في كلية الحقوق ثم حصوله على الماجستير والدكتوراه يصبح هذا القطب السياسي البارز ، وتتعدد مناصبه ي وزارة الخارجية، ويصبح في النهاية المستشار السياسي لرئيس الجمهورية



دخل أسامة فلك السلطة من باب النائب العام



اختاره السادات لكتابة خطاب الكنيست قبل أن يصبح المستشار السياسى لمبارك



امتلك سيارة غير مكيفة وثلاثة مكاتب أحدها فى الرئاسة تتكدس فيها الحقائب والصناديق المملوءة بالملفات



فى القاهرة عشق الفول والطعمية عند التابعى ونجف.. وفى بوسطن اختار حلقات البصل وكوب اللبن



سكن فى المعادى ثم انتقل إلى القاهرة الجديدة.. وتزوج ثلاث نساء





قصة المفاوض العنيد فى كامب ديفيد

الذى فاوض كارتر.. وترك السادات ليشاهد أفلام فريد الأطرش



كان مهمومًا بالقضية الفلسطينية والصورة له

مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات

(السياسي الخطاط)
الدكتور أسامة الباز من رواد الخط العربي*

يقول فنان الخط العربي الكبير خضير البورسعيدي:

معرفتى بالدكتور أسامة الباز تعود لسنة ١٩٦٩م - كنت ظهرت فى التليفزيون، وبزغ نجمى في الخط العربي، فأرسل لى الدكتور أسامة يريد أن يكتب اسمه عن طريق الأستاذ محمد خيرت مدير عام فى وزارة الخارجية، وطلب منى أن أتفضل بكتابة اسمه فقط «أسامة الباز» دون ما يسبقه من كلمة «دكتور»..! ورجانى بذلك، وبالفعل نفذت لسيادته رغبته، وكتبت «أسامة الباز» ، وأرسلته له الاسم.. ثم جاء لى نفس الرسول، وأخبرنى بأن الدكتور أسامة يريد أن يتعرف على لاهتمامه الشديد ، وولعه بالخط العربي، فرحبت بذلك، وقلت له: أهلًا وسهلًا يشرفنا فى أى وقت يريده تحت أمره.

ويستطرد الفنان خضير البورسعيدي: من الأشياء الغريبة أن الدكتور أسامة الباز حضر بالفعل إلى مبنى التليفزيون ، وسأل عنى أمن التليفزيون ، فطلبوا منه أن ينتظر حتى يتم الاتصال بى ، ويخبروننى بذلك، ولم يتعرفوا على الشخص، المهم الواقف أمامهم وأنه الدكتور أسامة الباز - وقالوا لى : يوجد ضيف فى انتظارك فى استقبال التليفزيون بالدور الأرضى باب رقم (٤) - لم يقل لهم هذا الضيف من يكون هو ، منتهى البساطة والتواضع الجم، ويضيف الفنان الكبير خضير البورسعيدي:

أنا نزلت على الفور لاستقباله ، وفوجئت بأنه الدكتور أسامة الباز، وكنت فى حيرة شديدة، وتراقصت أمامى علامة استفاهمية ضخمة ، هل لم يعرف أمن التلفزيون الشخصية الهامة التى تقف أمامهم؟!

عندما قلت ذلك لهم معتذرًا للدكتور أسامة ، وأنه كان يجب أن يعرفوا ذلك، فوجئت بهذا الإنسان الجميل المتواضع يقول: لا.. لا.. لا توبخهم على ذلك، هم فعلوا الصح، ولابد من أن أكون مثل كل الناس، وبنفس أسلوب استقبال الضيوف، هذا حقهم

* الفنان مسعد خضير البورسعيدى : نقيب الخطاطين ورائدهم الآن فى مصر والعالم العربى ، والذى كان مقربًا جدًا من الدكتور أسامة الباز، وربط بينهما الخط العربي.

وواجبهم فى نفس الوقت، وفوجئت برغبة الدكتور أسامة باصطحابى معه إلى مبنى وزارة الخارجية ، وكان مقرها فى ذلك الوقت من الزمن فى ميدان التحرير ، وليس المبنى القائم الآن بجوار التليفزيون ، واقترح أن نقطع المسافة معًا سيرًا على الأقدام من التليفزيون للخارجية بالتحرير، وقال لي: إنه جاء أيضًا دون أن يستقل سيارته أو سيارة الوزارة، وأدركت من اللحظة الأولى والوهلة الأولى أننى أمام شخصية محترمة جدً ، لها حضورها وبريقها الخاص وحقيقة كنت سعيدًا جدًا جدًا بمعرفته.

أصبحت أتمتع منذ ذلك اليوم بصداقة وطيدة مع الأستاذ الدكتور أسامة الباز جمع بيننا فن الخط العربى ، كان عاشقًا له، يمارسه ويبدع فيه ولكنه كان يؤكد لى : أنت مثل الدبلوماسى البارع فى الخارجية – تمارس فنون الخط العربى بذكاء، وأنا أستمتع بما تكتبه من الخطوط العربية بمختلف أنواعها على شاشة التليفزيون ، وأنا من اليوم تلميذك فى جامعة فنون الخط العربى قلت له: يا دكتور أسامة ، هذا شرف عظيم ما بعده شرف، أنت فنان تمارس الدبلوماسية بالخط العربى ، وأعجبه هذا التعبير جدًا ، فضحك من قلبه، وعقب على ذلك قائلًا وبسرعة: وأنت تمارس الخط العربى بفن العمل الدبلوماسى فى الخارجية، وضحكت مع سيادته وازدادت صلتى به، فوجئت به يقول: أريد أن أتعلم الخط العربى الأصيل بكل فنونه ، من أجل هذا حضرت إليك فى التليفزيون تقديرًا لفن هذا الخط العربى ، من الآن سوف أتلقى دروسًا فيه عندك، هل تمانع..!

ووجدت نفسى أمام هذا العملاق الدبلوماسى الأشهر وهو يجلس يتابع فنون الخط العربى من حركة يدى التى تكتب ويتأملنى بدقة وأنا أكتب الحرف والجملة بالخط العربى باهتمام شديد ، ويبدأ الدكتور أسامة الباز يتعلم فنون الخط العربى عن قرب..!

يأتى عندى فى مقرى الدائم – يحاول باستمرار أن يتعلم الجديد فى فن الخط العربى ، وكان كثيرًا ما يحب أن يطلق عليه لقب «السياسى والخطاط» - وتوجد مقالات كثيرة أشارت إلى ذلك بالفعل، فى الصحف والمجلات فى الداخل والخارج، وأنا أحتفظ ببعض هذه المقالات التى أشارت إليه فى ذلك، وكنت أدخرها له ، كما كانت رغبته أن يكون له ملفًا خاصًا بالخط العربى تحت عنوان : السياسى الخطاط، كذلك وافق على أن يتولى رئاسة المؤتمرات والندوات التى تعقدها الجمعية المصرية العامة للخط العربى التى أشرف برئاستها، ومهما كانت مشاغله وهمومه وارتباطاته السياسية كان حريصًا على حضورها، ولم يتخلف يومًا ، بل أنى فى بعض الأوقات كنت أحدد موعد المهرجان أو الندوة أو

المعرض على حضور ارتباطاته هو.. لأنه كان يتألم كثيرًا عندما يتخلف عن أى ندوة أو معرض للخط العربى ، كان شديد الوفاء لهذا الخط العربى الذى يعتبره هذا الجزء الهام من التراث الإسلامى المصرى والعربى فى كل مكان فى العالم، وأنه أرقى الفنون فى التاريخ كله، كان يقوم بين وقت وآخر بزيارتى فى مقرى الدائم بالجمالية بالحسين – ليتعرف على الجديد فى فنون الخط، ويجلس يحاورنى ، ويقف يتأمل لوحاتى فى فنون الخط بإعجاب شديد، وكانت سعادته كل عام فى مؤتمرات التكريم أثناء الاحتفالات بعيد الخط العربي، كان يتحلى بروح الود والاحترام لنا كممارسين محترفين لكتابة الخط العربى ، ويشجعنا ويبارك خطواتنا ، ويحل مشاكلنا فى صمت ودون صخب أو إعلان ، وكنا قد اجتمعنا فى الجمعية المصرية العامة للخط العربى ، وقررنا منحه العضوية الشرفية فى نفس الوقت، ويقوم بنفسه بتكريم كل الأجيال من الموهوبين الذين يحاولون أن يكونوا شيئًا فى فنون الخط العربى إلى الرواد الكبار الذين حققوا الكثير من النجاح والتفوق والتألق فى هذا الفن الرفيع الخط العربى بمختلف أنواعه، كان الدكتور أسامة الباز شخصية تبهر الجميع، متواضعًا غير متكلف كما نرى ذلك عند البعض من صغار المسؤولين أيضًا..!

لكنه وهو الكبير قيمة ومكانة ، وفى موقع المسؤولية الكبرى شديد التواضع لا يحب أى اهتمام غير عادى به عندما يكون فى زيارتنا أو فى مؤتمراتنا ، ويطلب منى معاملته كإنسان عادى جدًا يهتم بفنون الخط، لا غير ، وكنت فى الواقع أتردد فى ذلك كثيرًا ، فكيف لى أن أتعامل مع شخص غير عادى مثله وشهرته الدولية على مستوى العالم أجمع على أنه رجل السياسية المصرية ، صاحب المكانة المرموقة – بهذا الشكل الذى يريده – وكنت أجد حرجًا شديدًا ، وأنا أحاول أن ألبى له ذلك – لكنه كان يبدو سعيدًا أن يكون هذا الإنسان العادي..!

أذكر مرة أنه كان قادمًا لى فى زيارة لمعرض لى وندوة ومؤتمر عام فى احتفالية كبرى للخط العربى – وقمت على الفور بإبلاغ قسم شرطة الجمالية الملاصق لى بأن السيد المستشار السياسى للسيد رئيس الجمهورية سوف يشرفنا فى مقر الجمعية، وتحدثت مع المأمور بشان رعاية المكان أمنيًا فى وجود هذه الشخصية السياسية الكبيرة ، وأحس الدكتور أسامة الباز بهذه الرعاية الكبيرة وبالاهتمامات غير العادية أمنيًا وإذا به يعاتبنى على ذلك ، وأنه لم يطلب منى هذا ولا يطلبه فى أى موقع يتعامل فيه مع الآخرين سواء كان هذا فى مؤتمر أو ندوة أو احتفالية ثقافيًا أو فنيًا أو سياسيًا.

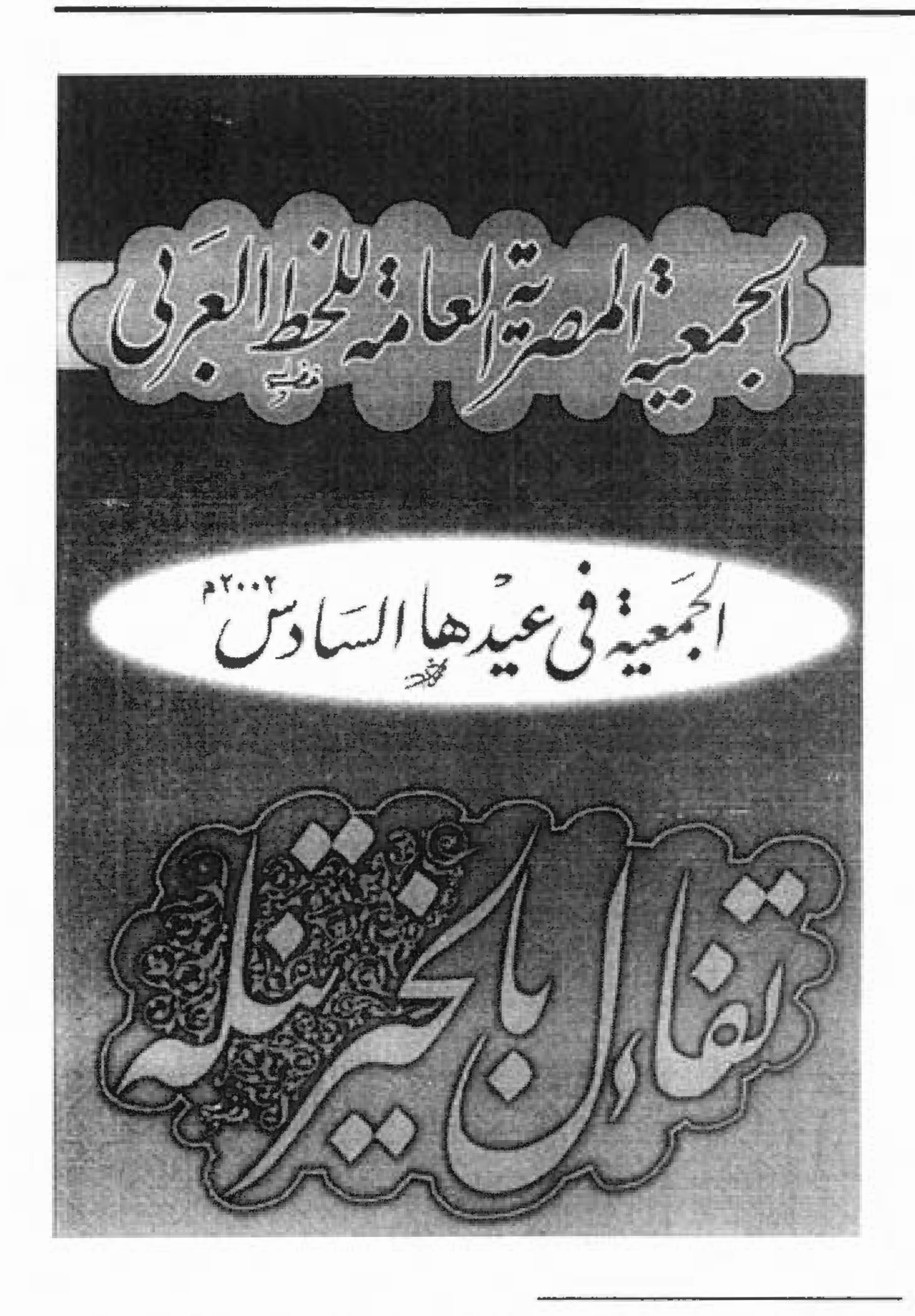


فنان الخط العربى الكبير .. خضير البورسعيدي

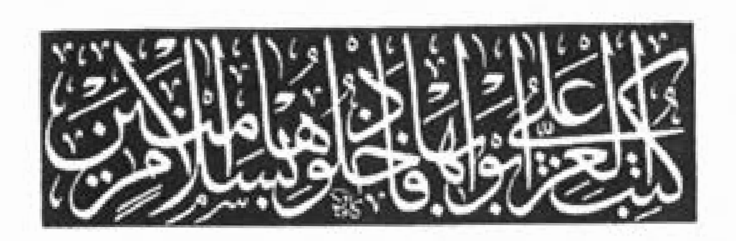
إهداء إلى روح العزيز الغالي
الأستاذ الدكتور أسامة الباز

علمت من أخي الأستاذ سمير فرج ابن الشاطي أنه يعد كتاباً عن الراحل الكبير الدكتور أسامة الباز صديقنا البار بالخط العربي وفنونه، والرئيس الشرفي للجمعية المصرية العامة للخط العربي، والذي شرفنا به دائماً راعياً للتراث العربي ومن ضمنه الخط العربي، ورئيساً شرفياً لندواته ومؤتمراته فأنتهز الفرصة في صدور هذا الكتاب الذي لا شك سيعتبر مهماً للغاية عن حياة هذا العملاق الفنان المثقف والسياسي المحنك، ويسد فراغاً كبيراً عن السياسي الفنان، والفنان السياسي، والإنسان الواعي المحترم. رحم الله فقيدنا صاحب المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة صاحب العبقرية السياسية والثقافة الفنية والاجتماعية الدكتور أسامة الباز ه

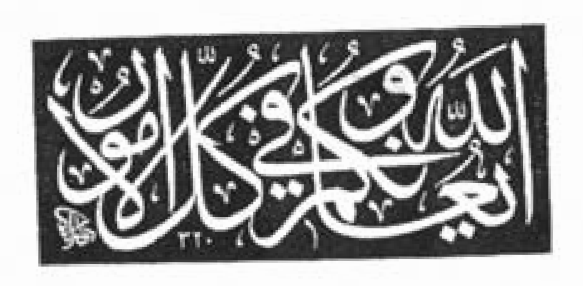
خضير البورسعيدي



* كان الدكتور أسامة الباز الرئيس الشرفى لها .. ويحرص على حضور ندواتها ومعارضها فى الداخل والخارج.







أعياد الخط العربي

حرصت الجمعية فى عيدها السنوى من عام ١٩٩٦ م على تكريم أئمة ورواد الخط العربى عرفانا منها بعطائهم على الأجيال وذلك بحضور كبار الشخصيات العامة المهتمة بفن الخط العربى ، وقامت بمنحهم الشهادات والمداليات مع إقامة معرض بحفل موسيقى .

وفى عيد عام ١٩٩٨م كرمت الجمعة العديد من الشخصيات مشتملة على المديرين والمشرفين الفنيين بمدارس الخط على مستوى الجمهورية بمنحهم الشهادات والمداليات بصرف النظر على أنهم أعضاء فى الجمعة أم لا .

وذلك بحضور السيد الدكتور أسامة الباز رئيس شرف الجمعية مستشار السيد رئيس الجمهورية

وبحضور وكلاء وزارة التربية والتعليم وكبار رجال التعليم المهتمين بالخط العربى مع إقامة معرض وحفل موسيقى .

وفى عيد عام ١٩٩٩ م الذى حضره العديد من الشخصيات الرسمية ، وقامت الجمعية بتكريم الرواد من خطاطى الصحافة والشخصيات الصحفية المهتمة بشؤون فن الخط العربى وتكريم أوائل الطلاب على مستوى الجمهورية فى دبلومى الخط والتخصص مع إقامة معرض وحفل موسيقي.



وفى بداية الألفية الثالثة فى عيد عام ٢٠٠٠م كرمت الجمعية الفائزين فى المسابقة الفنية على مستوى الجمهورية التى أقامتها الجمعية ، وكانت الجائزة الأولى ٥٠٠ جنيه، والثانية ٣٠٠ جنيه، والثالثة ٢٠٠ جنيه، والرابعة ١٠٠ جنيه ، ومن الخامسة إلى العشرين ٥٠ جنيه، وقد ساهم رئيس الجمعية بمبلغ ١٠٠٠ جنيه من جيبه الخاص فى هذه الجوائز، وقامت الجمعية بمنح شهادات تقدير وميداليات تذكرية لأوائل دبلومى الخط العربي، وقد صحب الاحتفال معرض فنى وحفل موسيقي.

وفى عيد الخط ٢٠٠١ وزعت جائزة خضير البورسعيدى والتى أعلن عنها إذ فاز كل من الأول فى الدبلومين بجائزة ٥٠٠ جنيه لكل منهما وأيضا قدمت الجمعية شهادات تقدير وميداليات تذكرية للعشرة الأوائل ، كما كرمت الجمعية بعض نجوم الخط والمهتمين به ، وصاحب العيد معرض خطى وحفل موسيقي.

وفى هذا العام ٢٠٠٢ يسعد الجمعية أن تقوم بتكريم الأستاذة والصحفيين وهم:

أولا : المرحومين : قدرى عبد القادر وسيد عبد القادر.

والأستاذين : سعد سليمان وحسن يوسف.

ثانيا : الضيوف: الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى والأستاذ محمد التميمي.

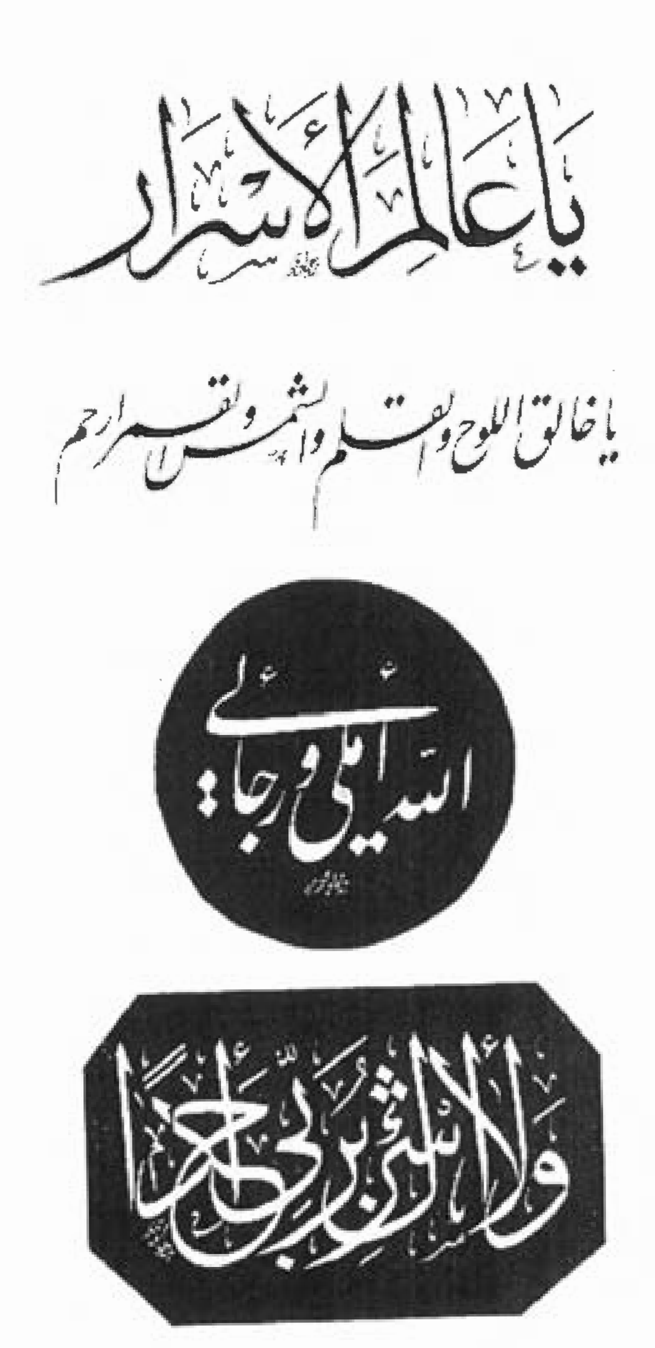
ثالثا : الدكاترة : كمال الجويلى – جمال الغيطانى – مصطفى عبد الرحيم- سمير فراج "ابن الشاطئ".

رابعًا: الأساتذة : إبراهيم بيكاسو – حسن صالح الخولى – أحمد الجابرى – صبحى الشارونى – أمير الرفاعى – مرسى عبد المعتمد.

خامسًا : شيخ الخطاطين المصريين : محمد إبراهيم محمود.

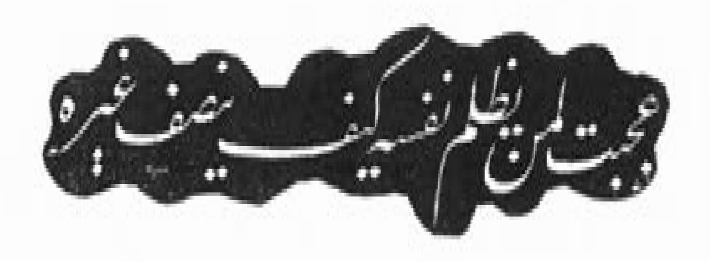
سادسًا: أوائل دبلومى الخط العربي.

سابعًا: وختامه مسك ، تكريم الدكتور أسامة الباز رئيس شرف الجمعية حفظه الله ورعاه وسدد على طريق الخير خطاه، المثل والنموذج الأعلى لنا جميعًا.


يا عالم الأسرار
يا خالق اللوح والقلم والشمس والقمر ارحم
الله أملي ورجائي


كن للمظلوم عونا وللظالم خصما


وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به


عجبت لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره



في احتفالات ومهرجانات ومعارض الخط العربي يظهر الدكتور أسامة دائما



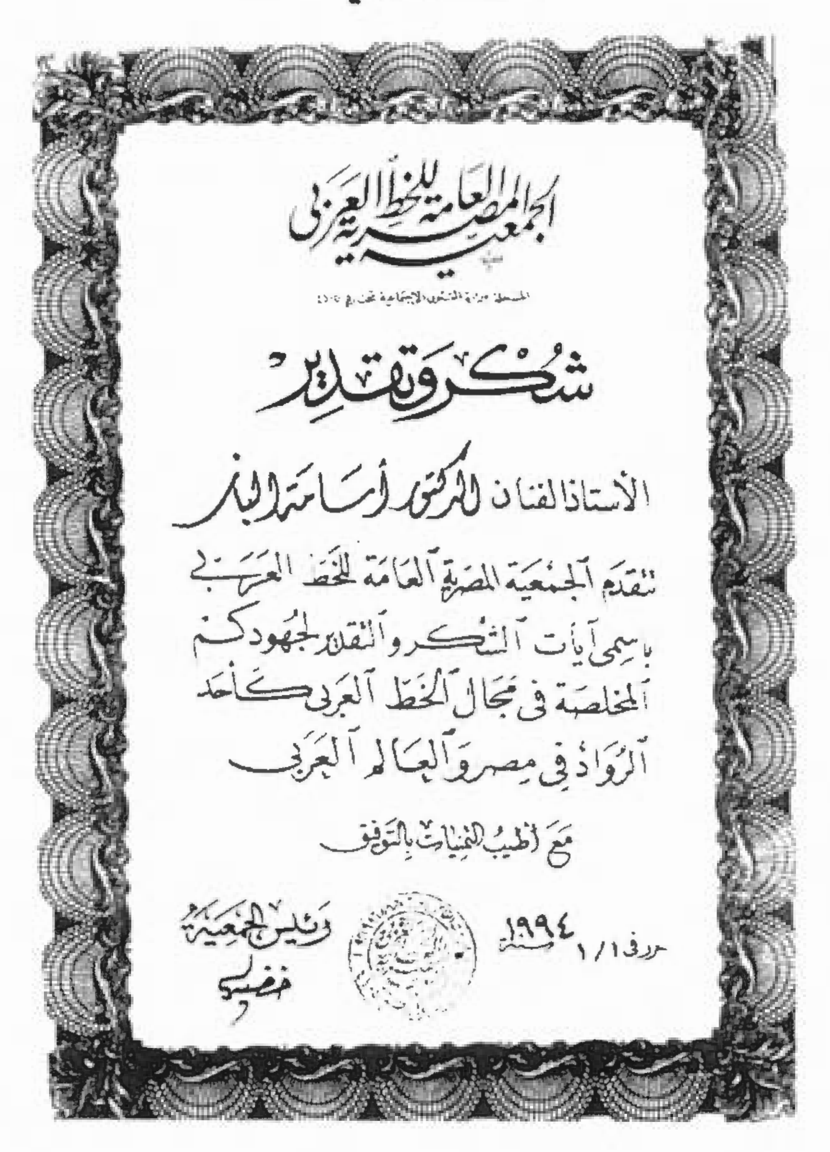
الدكتور أسامة الباز يتابع ويشاهد ويوزع شهادات التقدير بنفسه في معارض واحتفالات الخط العربي مع خضير البورسعيدي



الدكتور أسامة الباز والفنان خضير البورسعيدى «الشهير» وفى الصورة العليا يظهر معهما على المنصة الكاتب الصحفى سمير فراج ابن الشاطئ «المؤلف»



تكريم الدكتور أسامة الباز فى مهرجانات وأعياد الخط العربي



الجمعية المصرية العامة للخط العربي

شكر وتقدير

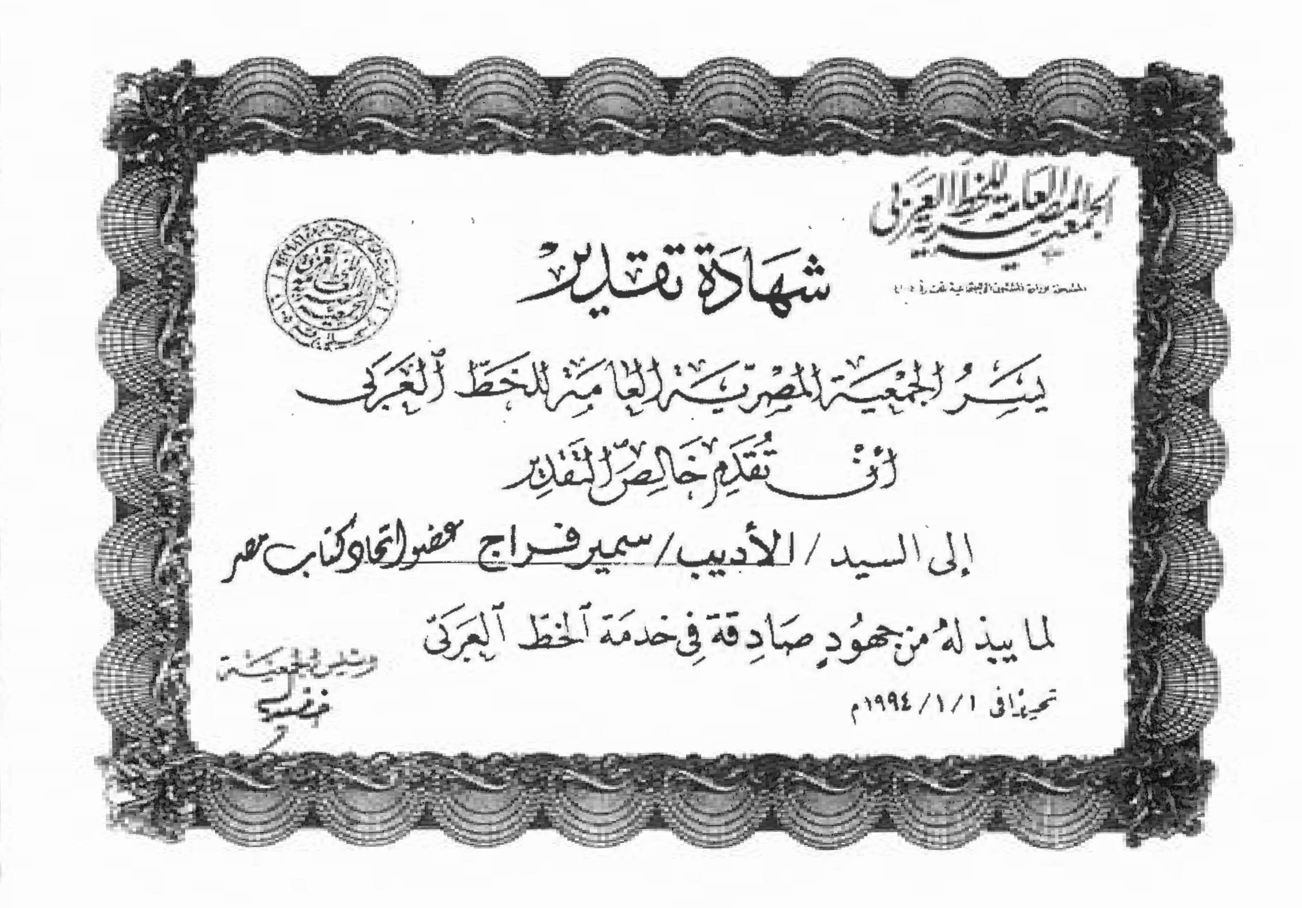
الأستاذ الفنان الدكتور أسامة الباز

تقدم الجمعية المصرية العامة للخط العربي
بأسمى آيات الشكر والتقدير لجهودكم
المخلصة فى مجال الخط العربي كأحد
الرواد في مصر والعالم العربي

مع أطيب التمنيات بالتوفيق

حرر فى ١/١ سنة ١٩٩٤

رئيس الجمعية



الجمعية المصرية العامة للخط العربي

شهادة تقدير

يسر الجمعية المصرية العامة للخط العربي

أن تقدم خالص التقدير

إلى السيد / الأديب/ سمير فراج عضو اتحاد كتاب مصر

لما بذله من جهود صادقة في خدمة الخط العربي

تحريراً في ١/١/١٩٩٤م

رئيس الجمعية



الكاتب الصحفى – المؤلف – سمير فراج ابن الشاطئ يتسلم جائزته من الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية ، وبجواره الفنان البورسعيدى سيد الملاح وعبقرى الخط العربى مسعد خضير فى أحد احتفالات ومهرجانات الخط العربى



الدكتور أسامة الباز والكاتب سمير فراج ابن الشاطئ والفنان خضير البورسعيدى على المنصة الرئيسية للاحتفال بأحد أعياد الخط العربى السنوية التى حضرها الدكتور أسامة الباز على مدار سنوات طوال ، وكان يحرص على ذلك



الدكتور أسامة الباز يلقى كلمته خلال الاحتفال وبجواره الفنان خضير البورسعيدى والكاتب الصحفى والأديب سمير فراج «ابن الشاطئ»



الخط العربى يحتفل بعيد الثالث .. مع أسامة الباز

د. أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية كان ضيف احتفال الجمعية المصرية للخط العربى بعيدها الثالث والذى تناول بالمناقشة أثر الكمبيوتر فى هذا الفن العريق وتراثه التليد وانعكاس هذا الأثر على شكل الخط فى الأعمال التليفزيونية

أكد د. أسامة أن الكمبيوتر بريء من تدهور فن الخط العربى لأنه خزانة معلومات، أما تطوير الخط فهو مهمتنا نحن وبأيدينا.



الدكتور أسامة الباز وصداقة وطيدة ربطت بفنان الخط العربى الشهير

خضير البورسعيدى والصورة لهما معًا



الدكتور أسامة الباز يقبله أحد المهتمين بفنون الخط العربى

فى إحدى المناسبات الخاصة به



الدكتور أسامة الباز مبتسما يتابع أحد معارض عبقرى الخط العربي

خضير البورسعيدى وهو فى قمة سعادته بفنون الخط العربي

چيمى يتسبب فى أفول نجم الدكتور أسامة الباز
وچيچى تتسبب فى موت كوكب الشـرق أم كلثوم..!
قصة چيمى وأبو الأنوار..! في عهدي السادات ومبارك..!

****

هل كان السادات ضعيفاً أمام زوجته جيهان؟

كانت الفترة التى جاءت عقب رحيل الزعيم «جمال عبد الناصر» ، وهى الفترة التى حكم فيها الرئيس «السادات» ، واستمرت على مدار إحدى عشرة سنة كانت فترة حافلة بأحداث ثقال، فترة مضت بمصر إلى طريق آخر تمامًا ، كان يقتضى تغيير الأشخاص والرموز والسياسات..

بدأت فترة حكم «السادات» بتغيير كل رموز الحكم والذين كانوا يدينون بالولاء لفترة حكم «عبد الناصر» ، وحوكموا فيما عرف بقضية مراكز القوى، ثم جاء قرار طرد الخبراء السوفييت من مصر، ، وتفجرت حرب أكتوبر بين مصر وإسرائيل وبعدها بدأت مفاوضات فك الاشتباك، والتى كانت مقدمة لمعاهدة «كامب ديفيد» لإقامة سلام منفرد بين مصر وإسرائيل ، وما أدى إلى مقاطعة عربية شاملة لمصر.

هذه الأحداث السياسية المتلاحقة صاحبتها أحداث مماثلة على الجانب الاجتماعى والاقتصادى والنفسى ، فقد أخذت مصر بسياسة الانفتاح الاقتصادى وما أدى إليه من إعلاء للقيم المادية فى المجتمع على حساب تراجع القيم الأصيلة والتقاليد والانتماء ، كما عرفت هذه الفترة ظهور قانون أحوال شخصية جديد وهو ما عرف باسم قانون «جيهان» ، ثم اصطدم نظام «السادات» بكل رموز المعارضة السياسية ، وأودع الجميع السجون فيما عد بأنه البداية الحقيقية التى انتهت بمصرع السادات فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م.

هذه الأحداث التى شهدتها فترة حكم «السادات» على الصعيدين السياسى والاجتماعى كانت محورًا لكثير من الدراسات والتحليلات، وكان هناك سؤال يثار على

الدوام ، سؤال كان يردده العامة قبل الخاصة ، وربما كان هذا السؤال بمثابة ضغط على طبيعة المصرى المحبة للفكاهة فأطلق نكاته.

أما السؤال فكان : هل حكمت «جيهان السادات» مصر ؟ وما هو دورها فى كل هذه الأحداث؟ هل كان «السادات» «ألعوبة» فى يدها؟ وكانت من خلاله تصدر ما تشاء من قرارات؟

كانت النكتة السائدة أو المنتشرة فى هذا الوقت : أن «جيهان» طلبت من «السادات» أن ينزل إلى الأسواق متخفيًا ليدرس أحوال الرعية، فأطاع «السادات»، وعندما سأل أحد البائعين عن سعر إحدى السلع التى يبيعها ، طلب منه ما يزيد عن تسعيرتها ، فلما طالبه السادات بالبيع بالتسعيرة الجبيرة سبه البائع ، وعندئذ ذهب «السادات» إلى «جيهان» شاكيًا مؤنبًا لها على مشورتها، ومرة أخرى تطلب منه أن ينزل إلى نفس البائع ، ولكن فى موكبه الرئاسى وبين حاشيته، ومرة أخرى يطيع «السادات» ما تأمره به «جيهان» ، وعندما يسأل البائع عن سعر السلعة يقول له البائع ساخرًا : «ألم أخبرك به من قبل ثم يسبه مرة أخرى»!.

هذه الطرفة كان المصريون يتندرون بها إحساسًا منهم بان «جيهان» تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة ، وأنها تكاد تقبض على السلطة بأناملها الرقيقة بينما يخشى «السادات» أن يقول لها: «لا»، لكن إلى أى مدى كان هذا حقيقيًا؟

عندما قابل «أنور السادات» «جيهان» لأول مرة فى منزل صديقه «حسن عزت» فى السويس ، كانت «جيهان» فى السادسة عشرة من عمرها، جميلة ، حلوة، ذات جاذبية وحيوية متدفقة ، كانت هذه الملامح كافية لجذب انتباه «السادات» ببشرته السمراء إليها ، ففكر على الفور فى الزواج منها رغم أنه كان متزوجًا من ابنة عمدة بلدته السيدة «إقبال ماضي» ، والتى كانت لـ «السادات» منها ثلاث بنات هن : «رقية، وراوية، وكاميليا».

أما «جيهان» فقد أعجبها فى «السادات» ما كانت تسمعه عن بطولاته ووطنيته، وأنه مطلوب على الدوام من البوليس بسبب انشغاله بقضايا وطنه، المهم أن زواجها منه قد تم على الرغم مما قيل لها عن شكله ومظهره، ولعل هذا يعطينا انطباعًا عن مدى قوة شخصيتها وعزيمتها ، وهو ما أظهرته الأيام بعد ذلك حيث تولى زوجها زمام السلطة.

لقد بدأت سيطرة «جيهان» على زوجها والتدخل المباشر فى حكم مصر مبكرًا، وقبل أن يصبح «السادات» رئيسا للجمهورية.

كان «السادات» قد تولى منصب رئيس الجمهورية ، وبينما كان «جمال عبد الناصر» فى رحلة علاج .«روسيا» أعجبت «جيهان» بفيلا بالهرم ملك اللواء «الموجي» ، وطلبت «جيهان» الحصول على هذه الفيللا ، لكن صاحبها اللواء «الموجي» رفض مغادرتها ، لكن «السادات» الضعيف أمام إصرار زوجته، أصدر قرارًا بوضع اللواء «الموجي» وأملاكه تحت الحراسة إرضاء لـ«جيهان»، كاد هذا السلوك المبكر من «السادات» انصياعًا لأوامر زوجته أن يطيح بمنصب نائب الرئيس وذلك عندما علم «عبد الناصر» بما حدث.

بعد تولى الرئيس السادات الحكم كان تدخل «جيهان» فى أسلوب الحكم سافرًا ، بل إنها أقامت لنفسها مكتبًا يضارع مكتب الرئيس نفسه ، وتحولت يومًا بعد يوم إلى مصدر لكل السياسات التى تدار بها مصر فى الداخل والخارج، وكان هذا فى حد ذاته مصدر حنق وسخرية الكثيرين، وسوف نورد بعضًا من الروايات التى تظهر المدى التى آلت إليه أمور الحكم فى مصر من جراء تدخل السيدة الأولى «جيهان صفوت رؤوف» فى كل صغيرة وكبيرة حتى كانت النهاية المأساوية التى نعرفها جميعًا.

أخذ «السادات» بمشورة «جيهان» عندما دفعته لاعتقال مجموعة «على صبري» (مراكز القوى» ، وكان السادات ينوى فقط إبعادهم عن الحكم، وعندما أصبحت «جيهان» رئيسة للمجلس الشعبى لمحافظة المنوفية – رغم رفض «السادات» - طلبت من محافظها أن يقيم تمثالا للرئيس «السادات» فى أحد ميادين المحافظة ، لكن المحافظ طلب أن يستأذن الرئيس أولا قبل القيام بذلك، إلا أن المحافظ أقيل فى نفس اليوم.

مرة أخرى ، وعند تشكيل الحزب الوطنى برئاسة «السادات»، وكان هناك اجتماع برئاسة «السادات» مع قيادات الحزب الوطنى بالمقر الرئيسى للحزب بكورنيش النيل ، عندما تلفت «السادات» باحثًا عن «جيهان» إلا أنها تأخرت فى الحضور لوجودها فى استراحة القناطر وأنها تريد أن يحضر «السادات» وقيادات الحزب إلى القناطر، ولم يكن أمام «السادات» سوى تنفيذ ما أمرت به «جيهان»..!

ولعل قصة منح المطربة «صباح» الجنسية المصرية بأمر السيدة «جيهان السادات»

تظهر بوضوح تام كيف كان «السادات» يخضع لزوجته حتى أصبحت هى الحاكم الفعلى لمصر . ولنترك أحداث هذه القصة تشهد بوقائع جاءت على لسان وزير الداخلية الأسبق «النبوى إسماعيل» ، فهو يقول:

طلبت منى «جيهان السادات» أن أمنح الجنسية المصرية لمطربة لبنانية مشهورة «صباح» ، وكنت غير مرتاح لهذا الطلب، حتى لا أفتح الباب لطلبات أخرى مماثلة وأيضا حتى لا أفتح الباب للقيل والقال.

فذكرت لها أنى سوف أتولى فحص الموضوع، ولم أحرك ساكنًا، فاتصلت بى عدة مرات تستعجل البت فى هذا الموضوع، فأجبتها بأن هذا الأمر يتطلب العرض على الرئيس للحصول على موافقته، وأن حالة هذه الفنانة لا تدخل ضمن حدود اختصاصى فى منح الجنسية فى حين أنها فى الحقيقة كانت تدخل فى اختصاصى ويمكن منحها لها بقرار منى كوزير للداخلية.

فطلبت السيدة «جيهان» عرض هذا الموضوع على الرئيس فى أقرب فرصة فوعدتها بذلك، وبعد فترة طلبنى السادات للقائه فى القناطر الخيرية، فاتصلت بى «جيهان» تليفونيًا ، وقالت لي: أنها قد علمت أن السيد الرئيس طلبنى لمقابلته، وترجو ألا أنسى أن أعرض موضوع هذه الجنسية عليه، فوعدتها بذلك.

وعند مقابلة الرئيس «السادات» ذكرت له أن هناك طلبًا مقدمًا من إحدى الفنانات لطلب الجنسية ، وإننى أرى عدم فتح الباب لمثل هذه الأمور، ولم أذكر له أن حرمه قد أوصت على هذا الطلب فوافقنى على وجهة نظرى بحفظ الموضوع وعدم الاستجابة للطلب.

وحين عدت إلى مكتبى اتصل بى مكتب «جيهان السادات» وسألنى عما إذا كنت قد ذكرت عرض موضوع منح الجنسية على السيد الرئيس، فأجبته بأننى قد توليت عرضه، وطلب الرئيس إرجاء البت فيه.

وبعد دقائق سمعت نداء من المحطة اللاسلكية الموجودة على مكتبى باستعداد ركب «جيهان السادات» للتحرك من الجيزة للقناطر ، وكانت الساعة الثالثة مساء عندما تلقيت من إدارة اللاسلكى إشارة بوصولها فعلًا للقناطر، وبعد فرة وجيزة طلبنى الرئيس

«السادات» تليفونيًا ، وقال لي: «أنت كنت عرضت على النهاردة طلب منح الجنسية ، وقررنا إرجاء البت فيه، وأنا أرى أنه ليس هناك ما يمنع من منح هذه الجنسية ، ومثل هذه الفنانة تؤيد مصر فى المواقف الوطنية والأعياد القومية..».

تعكس هذه القصة مدى الضعف الذى كان عليه الرئيس «السادات» أمام زوجته، وقد يتساءل المرء.. لماذا؟ .. هل كان ذلك يعود لقوة شخصية «جيهان» وطموحها الشديد للتسلط والنفوذ؟ أم تراه راجعًا لجاذبية جنسية كانت سيدة مصر الأولى تتمتع بها ، وكان «السادات» ضعيفًا أمامها ، كما كان «بيرون» الرئيس الأرجنتينى ضعيفًا أمام «إيزابيلا»؟ حقًا قد تعترينا الحيرة ولا يمكننا ببساطة أن نقف على السبب الحقيقى بسهولة فقد كان هذا الأمر خاصًا للغاية.

ولعل أكثر ما شغل الناس وترك بصمات واضحة عميقة فى المجتمع المصرى ما أصدرته «جيهان» وعرف باسمها من قانون للأحوال الشخصية جاء فى مجموعه منحازًا للمرأة على حساب الأسرة ومصلحتها ، بل إن بعض بنوده يتعارض بصراحة مع ما جاء بالشريعة الإسلامية وما تنص عليه.

لقد استطاعت «جيهان» أن تؤثر على زوجها «السادات» ، وتدفعه لإصدار هذا القانون فى غيبة مجلس الشعب، وكان المجلس فى إجازة رسمية تنتهى بعد أيام ثلاثة ، لكن صدر القانون بقرار جمهورى قبل انعقاد المجلس خشية اعتراض أحد الأعضاء عليه ، ومن المعروف أن القرارات الجمهورية تصدر فى غيبة مجلس الشعب عندما تكون هناك ضرورة قصوى التى جعلت «السادات» يعجل بإصدار هذا القانون قبل أن يناقشه مجلس الشعب وقبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام فقط؟ إلا إذا كانت هذه الضرورة تتعلق بأمر من سيدة الباب العالى «جيهان السادات»!..

كان كل من اقترب من مؤسسة الحكم خلال فترة حكم «السادات» يدرك بوضوح تام كيف أصبح لـ«جيهان» اليد العليا فى كل شيء فى مصر ، بل إن الأمر وصل إلى درجة محاربة كل من ظنت السيدة «جيهان» أنه يضع رأسه برأسها، فهى السيدة الأولى والحاكمة بأمرها ولها المجد والصولجان، فكيف يجرؤ كائن من كان على الوقوف على قدم المساواة معها؟ أو أن يجرؤ على أن يقول لها لا؟!.

وهناك قضيتان تبينان هذا المدى الذى وصلت إليه «جيهان»من انفتاح الذات إلى درجة قاتلة وخطيرة ، كانت قضيتها الأولى مع سيدة الغناء العربى «أم كلثوم» والثانية مع الدكتور «عبد العزيز سليمان» رئيس جامعة عين شمس!!

لم تكن «أم كلثوم» شخصية فنية بارزة فحسب ، بل إنها كذلك كانت – وما تزال – تملك شعبية جارفة من المحيط إلى الخليج، وكان البعض يعتبرها لسان الثورة والسلاح السرى ل«عبد الناصر» ، وفوق ذلك كان للسيدة «أم كلثوم» مواقفها الوطنية والقومية التى تبلورت مع ظهور الثورة ومواقفها مع كل التحديات التى واجهت مصر خلال فترة الخمسينيات والستينيات خاصة تلك الفترة التى تلت نكسة عام ١٩٦٧م.

بعد رحيل «جمال عبد الناصر» فى سبتمبر عام ١٩٧٠م تصورت السيدة «أم كلثوم» أنها لا تزال تحظى بنفس المكانة التى كانت عليها فى حياة «عبد الناصر» ، ولم تكن تدرك نوايا السيدة الأولى ، وأنها لا ترضى أن تكون هناك سيدة أخرى تماثلها بروزًا ولمعانًا، وأن الحنق أو الحقد قد تفاعل داخلها لدرجة أنها باتت تتحين الفرصة لتضع «أم كلثوم» فى حجم ترضى هى –أى «جيهان» – عنه وفى الوقت نفسه يشبع غرورها.

ولقد حانت الفرصة، كان هناك اجتماع يضم «السادات» و«جيهان»، وعندما حضرت «أم كلثوم» خاطبت «السادات» مرحبة به كعادتها وكعدها به، فقالت له: «أهلا يا أبو الأنوار»، كان هذا تدليلًا ل«السادات» اعتادت عليه «أم كلثوم»، ولم يكن يثير عصبية أو ثورة «جيهان السادات» فيما مضى، أما الآن فقد تفتحت شهيتها للسلطة والتسلط.

وهكذا لم تطق «جيهان» تدليل «أم كلثوم» ل«السادات» فثارت ثورة شديدة ونظرت بحدة إلى «أم كلثوم» ، وقال لها: «إيه ده.. الزمى حدودك.. أنت تتحدثين إلى السيد الرئيس «أنور السادات» رئيس الجمهورية».

كان هذا بداية الصدام بين «جيهان» و«أم كلثوم» ، وعلى أثره تم تقويض مشروع «أم كلثوم» الخيرى والذى عرف باسم «دار أم كلثوم للخير» ، ورفع الجميع أيديهم عنه إرضاءً لغضبة «جيهان»، بل إن «جيهان»خططت لمشروع جديد عرف باسم «الوفاء والأمل» حل محل مشروع «أم كلثوم» ، وورث كل ما له من أرض وأموال، وكان هذا فى حد ذاته جرحًا عميقًا وحادًا أصاب «أم كلثوم» وعجل بوفاتها فى أول فبراير عام ١٩٧٥م.

كانت القضية الثانية والتى تعكس تضخم الذات عند «جيهان السادات» وما صاحب ذلك من رغبة سادية فى التسلط على الآخرين وإذلالهم والنيل من كرامتهم ما حدث مع الدكتورة «سعاد أبو السعود» أمينة التنظيم النسائى وزوجها الدكتور «عبد العزيز سليمان» رئيس جامعة عين شمس.

كانت الدكتورة «سعاد أبو السعود» أمينة المرأة أو ما عرف بالتنظيم النسائي، سيدة نشيطة بذلت مجهودات كبيرة فى جميع المحافظات للارتفاع بشان المرأة والنهوض بها ، والحقيقة أن العطاء والنشاط الذى بذلته الدكتورة «سعاد» قوبل برضا تام من جميع المسؤولين على مستوى المحافظات، فكانت تقام الاحتفالات والندوات أينما حلت ، وهذا حقق لها شعبية كبيرة، كان من الطبيعى بعد ذلك أن يحدث الصدام بينها وبين «جيهان السادات» ، وحمل تعليقها فى البداية طبيعة هذا الصدام وحجمه، فقد علقت «جيهان» على ما تقوم به الدكتورة «سعاد» بقولها: «هى بنت أبو السعود فاكرة نفسها إنها بتحكم مصر».

تصاعدت الخلافات بعد ذلك حيث إن «جيهان السادات» كانت لا تقبل إطلاقًا أن تتساوى مع أحد ، فهى تشعر بأنها ملكة مصر وحاكمتها الفعلية، وحدث أن استعملت الدكتورة «سعاد» سيارة زوجها الدكتور «عبد العزيز» وكانت السيارة من النوع «شيفروليه كابريس» سوداء اللون ، وكانت هذه السيارة تماثل سيارة «جيهان السادات» ، وقد أدى هذا فى بعض الأحيان إلى اختلاط الأمر على الحرس أو المسؤولين فى الاعتقاد بأن راكبة هذه السيارة هى نفسها «جيهان السادات» ، أثار هذا الأمر حنق «جيهان» وغيظها وفجر غرورها وغيرتها معًا.

ثم جاءت قضية الدكتورة «نعمت هاشم» الصديقة الحميمة لـ«جيهان» ، وكانت الدكتورة «نعمت» طبيبة وأستاذة طب الأطفال بالجامعة قد تحولت إلى مجلس تأديب عن طريق الدكتور «عبد العزيز سليمان» رئيس الجامعة، وذلك لإهانتها بعضا من زملائها فى الجامعة، وعندما اعترض الدكتور «عبد العزيز» على التجاوز عن تحويل الدكتورة «نعمت» إلى مجلس التأديب بطلب خاص من «جيهان» اعتبرت ذلك بمثابة إهانة لها ، فكيف يرفض لها طلب، وهى الحاكمة بأمرها؟!

بعد ذلك دخلت القضية فى فصول درامية فقد تم إيقاف الدكتور «عبد العزيز سليمان» عن رئاسة الجامعة، وتحويله إلى المدعى الاشتراكى ومحكمة الجنايات والتحفظ على ممتلكاته وشقته وشقة ابنته الدكتورة «نانسي»، لقد بدا الأمر كما لو كان حممًا وصواعق قد عصفت بأسرة الدكتور «عبد العزيز سليمان»، فقط لأنه قال: «لا» ، لمن بيده الأمر والحكم والسلطة.

تقول الدكتورة «سعاد أبو السعود» : «كانت جيهان تعتقد أنها قادرة على كل شيء ، والجميع كان يلجأ إليها من رئيس الوزراء إلى الوزراء إلى المحافظين، وهذا ساعدها كثيرًا على أن تصبح فى يديها كل مقاليد الأمور».

المهم أن «السادات» رأى أن المحاكم والإيقاف عن العمل والتحفظ على ممتلكات الدكتور «عبد العزيز» يكفى وهو بمثابة شد أذنه، وهذا فيه الكفاية، لكن «جيهان» لا يكفيها هذا ، بل تندفع فى ثورة وتقول: «أبدًا لازم أخرب بيته هو ومراته وعياله، وأمشيهم حافيين وأشحتهم وأدخله السجن وأخليه ينتحر».

لقد حصل الدكتور «عبد العزيز سليمان» على البراءة ، وكان «السادات» قد لقى مصرعه ، وأصبحت زوجته بلا سلطة ولا نفوذ ، يقول الكاتب الصحفى «كمال عبد الرؤوف» فى أخبار اليوم الصادرة فى ١٦/ ١٠/ ١٩٨٢م عن حكم البراءة الذى حصل عليه دكتور «عبد العزيز» : «دوت قاعة محكمة الجنايات بالتصفيق والهتاف – يحيا العدل – عندما صدر الحكم ببراءة د. عبد العزيز سليمان، ونزلت الدموع من عينى العالم المصرى – د. عبد العزيز سليمان – وهو يسمع الحكم ببراءته من جميع التهم الموجهة إليه بعد أن مرغوا سمعته فى الوحل سنين طويلة لأنه تجرأ وقال: «لا» لمن كانوا يعتقدون فى يوم من الأيام أن أحدًا لا يستطيع أن يقول لهم : «لا».

لقد كانت «جيهان السادات» امرأة جميلة واسعة الدهاء، ذات شخصية مسيطرة قاهرة، وقد شبهها الكثيرون بشجرة الدر، فكل منهما له أصل تركي، وكل منهما كانت الزوجة الثانية لزوجها ، وكلاهما دفعت بزوجها إلى الاغتيال ، لكن قد يبقى السؤال : كيف استطاعت «جيهان» أن تقهر إرادة «السادات» وسلطته إلى هذه الدرجة؟ ولماذا كان أمامها ضعيفًا إلى هذا الحد المهين؟

يقول الكاتب الصحفى «إبراهيم سعدة» وهو الكاتب المقرب لـ«السادات» وأسرته، كتب يقول عن «جيهان»- بعد موت «السادات» - يقول: «مشكلة السيدة «جيهان» أنها تصورت أن وضعها كزوجة لرئيس الجمهورية يعطيها الحق فى أن يكون لها دور سياسى لا يقل أهمية وفاعلية عن الدور الذى يقوم به زوجها، وبتأثير هذا الاقتناع فوجئنا بالسيدة «جيهان» تستغل موقعها - كزوجة لرئيس مصر -وتمارس ما تصورته حقًا من حقوقها، وتلعب دورًا أساسيًا أساء إلى زوجها أو أساء إلى شخصها وأعطى لخصوم السادات فرصة كبيرة لنقده والتشهير به، ولست فى حاجة إلى ذكر نماذج من هذا التدخل الغريب الذى مارسته السيدة «جيهان» - فى حياة الرئيس الراحل - أثار غضب ورفض الغالبية العظمى من المصريين وبالذات الذين أحبوا الرئيس السادات وأخلصوا له، وتمسكوا بقيادته وسياسته، فكلنا نتذكر ما فعلته السيدة جيهان فى حياة زوجها الراحل، وكلنا أيدنا - همسًا - رفضنا لهذه التصرفات واعترضنا - فى جلساتنا الخاصة - على تدخلها الغريب فيما لا يحق لها التدخل فيه..!!



الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» يتلقى «علقة» ساخنة من زوجته «هيلاري»!

لكن هناك سيدة أولى أخرى تفعل ما هو أغرب وأكثر إثارة من سيدة مصر التى كانت «جيهان السادات» ، هذه السيدة هى «هيلارى كلينتون» زوجة الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون».

هذا الرئيس هو أقوى رجل فى العالم لأنه حكم أقوى وأغنى دول العالم «الولايات المتحدة الأمريكية » ، هذه الدولة الإمبراطورية التى يعتبرها البعض رئيسة مجلس إدارة العالم بعد انهيار الاتحاد السوفييتى وحلف وارسو.

السيدة «هيلاري» لا تحكم الولايات المتحدة فقط بل وتضرب زوجها – أقوى رؤساء العالم» - «بيل كليتنون» علقة ساخنة بين الحين والآخر، وكان الرئيس الوسيم يتلقى هذه «العلقة الثقيلة» قبل أن يصبح رئيسًا ثم تواصل الضرب المبرح بعد أن أصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. ! هذا يحدث بالفعل، وهذه هى التفاصيل:

ولد الرئيس «كليتنون» فى ٩ من أغسطس عام ١٩٤٦ ، وكان أبوه قد لقى مصرعه فى حادث سيارة وهو عائد من «شيكاغو» إلى «أركنسو» مسقط رأس «كليتنون».

أما أمه فقد تزوجت من تاجر سيارات يدعى «روجر كليتنون» ، ومن الغريب أن «بيل كليتنون» الرئيس الأمريكى قد حمل اسم أبيه زوج أمه معًا، فاسم أبيه «جيفرسون بلابث» وهكذا أصبح اسم الرئيس «وليم جيفرسون كليتنون» ، لكن «كليتنون» لم يجد فى طفولته رعاية إلا من النساء ، خاصة أمه «فرجينيا» وجدته ، كانت أمه ممرضة لذلك ألحقته فى حضانة جدته وجده.

عاش «كليتنون» حياة الفقر فى صغره وعانى كثيرًا من الحرمان، ولعل هذا ما جعله يشعر بمعاناة الطبقة المتوسطة من عامة الشعب الأمريكي، وعندما خاطب «كليتنون» هذه الطبقة بما عاشه وأحس به فى صغره اكتسب تأييدها، وكانت سببًا فى بلوغه مقعد البيت الأبيض بسرعة لم يكن يحلم بها.

لقد ظل «كليتنون» حاكمًا لولاية «أركنسو» مدة ١٢ عامًا وهى نفس المدة التى قضاها الجمهوريون فى حكم الولايات المتحدة، حتى جاء «كليتنون» وصعد بحزبه الديمقراطى

إلى سدة الحكم.

لقد تعلم «كليتون» فى جورج تاون عام ١٩٦٨م، ويدين لأستاذها «كارول كوبجلي» بدين عظيم فى بلورة أفكاره ومساعدته على الحصول على منحة دراسية من جامعة أكسفورد استمرت لعامين، ثم دخل بعد ذلك جامعة «بيل» حيث حصل منها على شهادته فى الحقوق كما حصل منها على ما هو أعظم من ذلك «زوجته هلاري».

زوجة الرئيس الأمريكى «هيلارى كليتون» ليست امرأة عادية، إنها امرأة قوية لها سطوة وسلطة، ويعرف الرأى العام الأمريكى ذلك، وعندما كان الرئيس الأمريكى يقود حملته الانتخابية رفضت «هيلاري» أن تحمل اسم زوجها، وبذل مهندسو الحملة الانتخابية مجهودًا كبيرًا لإقناع «هيلاري» لإبداء قدر من الرضوخ لأن الناخبين سيقولون: إن الرئيس لا يسيطر على بيته لا يتوقع منه أحد أن يسيطر على أمور دولة.

وعندما فاز «كليتون» فى انتخابات الرئاسة كان أول شيء فعله بعد فوزه هو أن توجه إلى زوجته «هيلاري»، ومدت الأخيرة يدها فى جيب تايرها وأخرجت أول خطاب سياسى سوف يلقيه على الشعب الأمريكى بعد فوزه، ثم توجه «كليتون» إلى المنصة لإلقاء الخطاب.

كان ما فعلته «هيلاري» عندئذ له مغزى ومعنى كبير، فهى تقول للشعب الأمريكي: إن أى قرارات سوف يصدرها الرئيس الجديد سوف تخرج من جيب زوجته..!

والحقيقة أن «كليتون» - نفسه - لا يخجل أو يخفى هذه السيطرة والسطوة التى تتمتع بها زوجته، وهو لا يبذل أى محاولة لحجب ضعفه أمام زوجته، بل إنه صرح أخيرًا بقول: «إن الشعب الأمريكى سيتقبل وجود امرأة فى المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض - مكتب الرئيس - كرئيسة للولايات المتحدة بدرجة أكبر من تقبله لما يوصف بتدخل زوجته «هيلاري» حاليًا فى شؤون الرئاسة». ولعل السؤال الذى يفرض نفسه.. لماذا؟

بداية - وكما قلنا - إن «هيلاري» ليست بالمرأة العادية، فهى امرأة قوية جميلة ذات شخصية مسيطرة، وفوق هذا كله هى واحدة من أكبر عشرة محامين فى الولايات المتحدة كلها، وترتيبها الثالث فى قائمة المحاميات الأكثر كسبًا للفلوس، فهى تكسب ما يساوى ١٦٠ ألف دولار فى العام.

وعندما تقابلت «هيلاري» مع «كيلنتون» تفرغ هو للجانب السياسى الذى لا يجيد فى الدنيا غيره – إذا تجاهلنا هوايته فى النفخ على آلة الساكسفون – لقد استمر الحال بينهما حتى قبل أن يفوز «كلينتون» برئاسة الولايات المتحدة، وكان هو مجرد سياسى مغمور لا يكسب «عشر» ما تكسبه هى بعد أن أصبحت محامية لامعة.

لا شك أن هذا الجانب المادى أو المالى فى علاقتهما كان له تأثير فيما تفرضه «هيلاري» على زوجها من سلطة وسطوة، لكن هناك جانبًا آخر.

لقد أدركت «هيلاري» بإحساس المرأة حاجة «كلينتون» إلى الشعور بدور الأم، وكانت لأم «كلينتون» هيمنة كبيرة فى نشأته وتأثير كبير عليه، وقد استطاعت «هيلاري» أن تسيطر على زوجها من خلال دفعه لمعايشة مناخ وجود الأم فى البيت، ثم إنها قد وجدت فيه رغبة كبيرة فى الطموح وأكبر قدر ممكن فى نفس الوقت من الرضوخ الزوجي، زوج مطيع وسياسى طامع طامح.

إنه زوج مطيع خاضع وهو لا ينكر ذلك، إنه يؤكد للجميع بان مكتب «هيلاري» سيكون مجاورًا لمكتبه – وهى المرة الأولى التى يحدث فيها مثل هذا الأمر فى تاريخ البيت الأبيض – ويستطرد «كلينتون» قائلًا: «إنها – أى «هيلاري» – سوف تحضر اجتماعات مجلس الوزراء عندما يكون لديها ما تطرحه»، ثم يقول: إنه من الغباء – ولم يقل من الرضوخ – أن تكون أمامه مثل تلك الإمكانية والموهبة ويحرم البلاد منها «إننى أريدها أن تساعدني»، هكذا يقول «بيل كلينتون».

ويصل مدى ضعف الرئيس الأمريكى وخضوعه أمام زوجته إلى بُعد غريب، فعندما تأهل «كلينتون» للبيت الأبيض وبدأ فى تشكيل الحكومة اختار ثلاث وزيرات – سيدات جميعهن – وهن محاميات وزميلات لـ«هيلاري» من أصر عشرة وزراء هم مجموع حكومة الولايات المتحدة – أكبر دول العالم – وعندما بدأ يفتش على من يتولى منصب المدعى العام الأمريكى وهو منصب حساس جدًا لم يجد أفضل من أعز صديقات زوجته لهذا المنصب، لكن هذا خلق أزمة لـ«كلينتون»، فصديقة زوجته متهمة بأنها شغلت عندها شخصين من «بيرو» دون أن يحصلا على إذن عمل، كما أنها لم تدفع عنهما تأمينات، لكن رغم هذه الأزمة فإنه لا يضعها فى حسابه من أجل عيون زوجته التى تؤكد أنها تحرك

الرئيس بالريموت كنترول،وأن خيوط إدارة أمريكا والعالم كله فى يدها وحدها.

كل هذا مقبول ويحدث فى أغلب دول العالم، فمعظم رؤساء العالم وملوكه يتعاملون بمنطق الدكتور «جيكل» ومستر «هايد» ، وأغلبهم مصاب بالتشيزوفرنيا أو الانفصام فى الشخصية ، فهم أسود على شعبوهم وهم كالنعام مع زوجاتهم.






فى حضرة «الست»
أم كلثوم



السيدة سوزان .. قيل أنها لم تقبل لابنها جمال لقب

"جيمي" من الدكتور أسامة الباز..!



ما هو سر "جيمي" فى اعتزال الدكتور "الأستاذ" أسامة الباز

للسياسة..؟!





عندما تتراقص علامات الاستفهام في قصة "جيمي" مع أستاذه الدكتور أسامة الباز .. وهل تسبب مسلسل التوريث في اعتزال الرجل المهذب الدكتور الباز للحياة السياسية كلها..؟

داخل صفحات الكتاب نعثر بقدر المستطاع عن الإجابات..

أسامة الباز.. ملف شخصى جدًا

لم تعبأ السيدة زاهية أبوالعطا حمودة بمكالمة القصر الجمهورى التى تستدعى ابنها لمقابلة عاجلة مع الرئيس قائلة: «أسامة نائم من شدة التعب ولن أوقظه مهما كان السبب».

أسامة.. هو أسامة الباز.. ابنها الثانى فى قائمة طويلة تضم تسعة أولاد وبنات نجحت فى تربيتهم وتعليمهم وتوصيلهم إلى مناصب رفيعة فى الداخل والخارج.. لتكون نموذجا للأم المصرية العنيدة التى ترسم أحلامها بريشة مغموسة فى حبر سواد عيون أولادها.

حصل على الثانوية العامة فى دمياط.. حيث نقل والده الشيخ والمعلم الأزهرى إلى هناك.. ودرس الحقوق فى القاهرة.. وتخرج فيها وكيلا لنيابة قصر النيل.. لكنه.. سرعان ما ترك سلك القضاء بعد أن كاد يقتل من مجرم يحقق معه ، هاجمه بسلاح أبيض.. وعبر عن الواقعة فى قصة قصيرة نشرها فى روزاليوسف بعنوان «رأيت الله»

انتقل أسامة الباز إلى الخارجية ليعمل فى إدارة الأبحاث السياسية.. مما قربه من رئاسة الجمهورية فى وقت صعد فيه نجم جمال عبد الناصر.. ولم يمر قرار تأميم القناة دون أن يشارك أسامة الباز فى دراسة آثاره القانونية.. لكننا.. لم نسمع عنه إلا بعد وصول أنور السادات إلى السلطة.

عرفته فى عام ١٩٧٤م حين نشرت أول حوار يجريه فى الصحافة بعد أن اختير مسؤولًا عن العلاقات الخارجية فى منظمة الشباب الاشتراكي.. وحسب ما عرفت من السفير هانى خلاف دفعتى فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وزوج شقيقته، فإنه ظل يحتفظ بنسخة من «روز اليوسف» التى نشرت فيها الحوار.

لكن.. الضوء بدأ فى مطاردته بعد أن شارك فى مباحثات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل.. وخلال تلك المباحثات الصعبة لم يتخل عن تشدده إلى حد أن الرئيس الأمريكى جيمى كارتر تصور أنه سيقتل السادات.. فراح يمشى بهدوء بجانب الكوخ الذى يسكنه السادات متنصتًا عليه.. لكنه.. وجده يشاهد فيلما غنائيا لفريد الأطرش جاء به من القاهرة.. حسب ما سمعت من أسامة الباز نفسه فيما بعد.

قبل ذلك بأربع سنوات اختاره السادات ليكون معلمًا ومرشدًا سياسيًا لنائبه حسنى

مبارك قائلا: «أريد أن تضع ما تعلمت فى هارفارد داخل برشامة يشربها الرئيس القادم لمصر».. فى إشارة إلى الثمانى سنوات (١٩٥٨م- ١٩٦٦م) التى قضاها دارسا للدكتوراه فى أهم جامعة أمريكية.. الجامعة التى يتخرج فيها أشهر صناع السياسة فى العالم.. وآخرهم باراك أوباما.

لكن.. ما لفت النظر أن السادات لم يفكر فى اختيار أسامة الباز وزيرًا للخارجية.. وفضل أن يظل دوره مؤثرًا فى الكواليس.. ليواصل مبارك نفس السياسة.. فى لغز لم يحله أحد.

لقد كان أسامة الباز مسؤولا عن أهم الملفات الخارجية (إسرائيل والولايات المتحدة) والداخلية (تشكيل الحكومة والإعلام والوحدة الوطنية والاتصالات مع القوى المختلفة) دون أن يتغير لقبه.. المستشار السياسى للرئيس بدرجة وكيل أول وزارة الخارجية.. لنجد الرجل الذى يختار الوزراء ورؤساء الحكومات ومديرى الجامعات فى آخر طابور البروتوكول الرئاسى.

على أن ذلك لم يشعره إلا بمزيد من الحرية والبساطة والثقة فى النفس.. فكان يركب سيارته «ريجاتا» البيضاء دون حراسة.. ويركب المترو ليصل إلى شقته الصغيرة الضيقة فى منطقة المعادى الجديدة قبل أن يشترى ابنه باسل فيللا محدودة المساحة فى القاهرة الجديدة.. ويتمشى بمفرده فى ميدان التحرير ليصل إلى مكتبه القريب من مسجد عمر مكرم.. والمكتب كان من قبل المقر القديم لوزارة الخارجية قبل أن تنتقل إلى مبناها الجديد على النيل بعد ماسبيرو.

فى منتصف الثمانينيات سافرت معه هو والدكتور بطرس بطرس غالى إلى عاصمة أفريقية لحضور مؤتمر تشارك فيه مصر هناك.. وما أن وصلنا إلى الفندق فى انتظار حقائبنا حتى جاء السفير ليزف إلينا خبر سرقة الحقائب من المطار بسبب حالة الانفلات الأمنى التى تسود البلاد.. لكن.. الخبر الجيد أن حقائبنا فى طريقها إلى سوق «الحرامية» ليباع ما فيها من ثياب.. واقترح السفير أن نبادر بشرائها فورا.. وهو ما حدث.

كانت حقيبة بطرس غالى كبيرة فيها ثلاث «بدل» مستوردة من بيوت أزياء شهيرة فى فرنسا.. بجانب الأحذية والقمصان والكرافتات اللازمة لها.. فكان عليه أن يدفع ١٥٠٠

دولار بينما لم يكن فى حقيبة أسامة الباز سوى عدد محدود من الملابس الضرورية.. فلم يدفع أكثر من ١٠٠ دولار فالتفت إلى بطرس غالى قائلا: «ادفع يا دكتور ثمن عدم تواضعك».

وذات مرة سافرت معه إلى مدينة الجزائر فى محاولة جادة منه لإعادة العلاقات معها.. بعد أن قطعت بسبب معاهدة كامب ديفيد.. كان مقررا أن نعود إلى القاهرة فى نفس اليوم.. ولكن.. المسئولين الجزائريين طلبوا أن نبقى يوما آخر.. على أننا لم نكن نحمل من الثياب إلا التى نرتديها.. فكان أن تمشينا معا من فندق «إليتى» فى قلب العاصمة إلى شارع «ديدوش مراد» لشراء ما يلزمنا من ثياب نقضى بها الليل ونستعملها فى الغد.. ودخل أسامة الباز إلى المتاجر الشعبية.. ولم ندفع أكثر من عشرة دولارات فى كل ما اشترينا.

تزوج أسامة الباز أول مرة من زميلته فى الخارجية الدبلوماسية مها فهمى فى عام ١٩٧٠م.. ويبدو أنه تأثر بالسنوات التى عاشها فى الولايات المتحدة.. فقرر ألا يحرمها من حياتها العملية.. ولو اضطر كل منهما أن يعيش فى مكان منفصل.. كما أنه لم يقف عائقا أمام سفرها إلى الخارج لتولى منصب فى إحدى سفاراتنا.. وبعد نحو خمس سنوات أنجبا ابنهما الوحيد باسل الذى عاش مع والدته متنقلا فى كل العواصم التى عملت فيها.. ليتابعه يوما بيوم.. ولعل هذه الحياة المتنوعة العملية جعلت من باسل شخصا يعتمد على نفسه.. ليصبح فيما بعد من أكثر رجال الأعمال نضجا وفهما وتطورا.. وما أن التقى بفريدة محمد فريد خميس حتى تزوجا وتحمل مسؤوليتها دون تردد.

كان حفل الزواج فى فندق ماريوت.. ونشرت الصحف صورا للشخصيات العامة التى حضرته.. ولكن.. الصحف تحدثت عن مها فهمى كأنها لا تزال زوجة أسامة الباز.. ولم تذكر أنهما انفصلا.. وأنه تزوج من المذيعة التليفزيونية أميمة تمام.. فاتصل بى طالبا تصحيح الخطأ الذى وقعت فيه الصحف لترضية زوجته الثانية التى غضبت مما قرأت.

قبل ذلك فى عام ١٩٩٧م كنت قد نشرت قضية «فضيحة على النيل» التى كان متورطا فيها عبدالعزيز الإبراهيمى شقيق الزوجة الأخيرة للملك فهد وخال أصغر أولاده.. عبدالعزيز.. ووجدت نفسى أتعرض إلى حملة تشهير حادة ممولة من الثرى السعودى مالك فندق ميرديان القاهرة.. ووصلت الحملة إلى حد تهديد عائلتى دون أن

أشعر باطمئنان عليها رغم اتصالى برئيس الحكومة كمال الجنزورى ووزير الإعلام صفوت الشريف ووزير الداخلية حسن الألفى.. فقررت أن أنشر تفاصيل القضية فى كتاب يحمل نفس العنوان «فضيحة على النيل».

فى اليوم التالى لنشر الكتاب.. طلب منى أسامة الباز أن ألقاه فى مكتبه برئاسة الجمهورية وكانت المرة الأولى التى أدخل فيها المكتب.. فقد تعودت أن ألقاه فى مكتب ميدان التحرير.

منذ اللحظة الأولى للقاء.. بدا أسامة الباز شخصا آخر غير الصديق الذى تعودت على التحدث معه بصراحة وسهولة.. لم يكن من الصعب معرفة السبب.. فالحوار منقول مباشرة إلى الرئيس.. صوت وصورة.

قال أسامة الباز فى حدة: «إن الكتاب الذى نشرته بالأمس سبب أزمة سياسية مع الملك فهد.. لذلك قرر الرئيس رفع قضية ضدك بتهمة إهانة حاكم دولة صديقة».. فأجبت فى هدوء: «شرف لى أن يقاضينى الرئيس لكن.. لا تنسى أنكم بذلك ترسخون لسابقة خطيرة قد يستغلها حكام آخرون مثل نتانياهو.. أليس هو بحكم المعاهدة المصرية الإسرائيلية رئيس دولة صديقة انتهت حالة العداء معها؟».

وأضفت: لقد تعلمنا منك ألا تفاوض إلا بأوراق ضغط تحت يد المفاوض.. والكتاب الذى أصدرته هو ورقة ضغط لتحقيق مطلبى الوحيد.. هو حماية عائلتى بعد أن تخاذلتم جميعا فى حمايتها.. الكتاب ليس مهما لنا.. المهم حمايتنا.. ولن أقبل بأقل من تعهد مباشر من مبارك بهذه الحماية دون ذلك افعلوا ما يحلوا لكم».

وأشهد أن مبارك استجاب إلى طلبى.. وتعهد بألا يمس أحد فردا فى عائلتى.. بل أكثر من ذلك حدث أن شنت «روز اليوسف» حملة شديدة ضد وزير الداخلية حسن الألفى.. حرضت كل رجاله للتشهير بنا والسعى للإضرار بكل من شارك فيها.. وفوجئت بأسامة الباز يطلب منى أن أصحبه لعشاء لم أدع إليه فى الرئاسة على شرف الرئيس السنغالى فى ذلك الوقت عبده ضيوف.. وقبل أن أدخل قاعة العشاء وجدت نفسى أمام مبارك فى صالون ملحق بالقاعة.. قال لى فى حدة لا تخلو من نصيحة: «رسالة الهجوم على الألفى وصلت.. ما كتب يكفى لأننى لن أقبل أن يتطوع أحد رجاله ويمسك

بسوء.

وشكرت الرئيس دون أن أدخل قاعة العشاء.. فالرسالة كانت خالية من الطعام.. لم يشأ مبارك أن يكرر ما سبق أن تعرض له رئيس تحرير «الوفد» ساعتها جمال بدوى.. عندما تطوع البعض بضربه وهو فى طريقه إلى بيته بعد أن مس مبارك فى إحدى مقالاته.

لكن.. مبارك لم يقبل بأن ننشر حوارات سياسية يعبر فيها محمد حسنين هيكل عن رأيه بصراحة أوقعتنا هو وأنا فى مشاكل مباشرة مع مبارك.. إلى حد أن مبارك تصور أن هيكل كون تنظيما فى الصحافة لمساندته والهجوم على النظام.. وهنا تدخل أسامة الباز الذى عمل فى فترة من حياته مع هيكل قائلا: «إن هيكل هو كبير مهنة الصحافة ويشعر كل من فى المهنة بذلك.. لكن.. لا تنظيم ولا يحزنون».. وسكت مبارك غير مصدق لتفسير مستشاره السياسى.

بقى أسامة الباز فى مكانه ومكانته حتى ظهر جمال مبارك على السطح.. وفى رحلة إلى واشنطن فى عام ٢٠٠٤ كانت نهاية قوة أسامة الباز.. كان فى الرحلة عدد من الشخصيات القريبة من الوريث.. عبد المنعم سعيد وأسامة الغزالى حرب ومنى ذو الفقار وحسام بدراوى.. وتابعت الرحلة ساعة بساعة.. وفى لقاء جرى بين جمال مبارك والجالية المصرية فى فندق ريتز كارلتون واشنطن.. نادى أسامة الباز جمال مبارك باسم التدليل «جيمى».. وكان ذلك كفيلا بأن يختفى أسامة الباز من الحياة العامة مكتفيا بالتدريس فى المعهد الدبلوماسى.

وفى تلك الأيام سألته عن مذكراته.. فرفض رفضا قاطعا أن يكتبها، مضيفا أنه سيرحل وكل ما شهد من أسرار سيرحل معه.. مكتفيا بأن ينشر كتيبات يستفيد منها طلبة المعهد الدبلوماسى فقط.

وبزيادة مرض الزهايمر عليه، أصبح ينسى أرقام خزنة أوراقه وملفاته.. واستدعى الأمر أن يأتى خبراء من المخابرات العامة لفتحها.. ولم يستمر على هذه الحالة طويلا.. وبقى فى البيت إلى أن قرر الرحيل فى هدوء وصمت.(*)

عادل حمودة - الفجر - الخميس ٢٠١٣/٩/١٩- العدد ٤٢٤.



آخر صورة للدكتور أسامة الباز من ميدان التحرير



السادات وأسامة الباز وكارتر في كامب ديفيد

أسامة الباز مع السادات فى القدس وكامب دافيد!

كواليس السياسة ودور الدكتور أسامة الباز فيها

فى أخطر الأحداث التاريخية بداية من زيارة السادات للقدس ومفاوضات كامب دافيد

****

فى كتابه القيم رحلة العمر:*

السفير عبد الرءوف الريدى يتحدث بقطوف من ذكرياته عن زلزال الرئيس السادات فى القدس فى رحلته التى رافقه فيها الدكتور أسامة الباز.. والأحداث السياسية التى أحاطت به فى كامب دافيد وهى أحداث تاريخية .

السادات ومؤسسة الخارجية ومن أهم أفرادها .

كان أسامة الباز فيها لاعبًا رئيسيًا ومستشارًا نافذًا ، واعتذر عن قبول منصب وزير الخارجية، وفى الواقع لم يأخذ حقه من التكريم فى مصر وحتى دمياط المدينة التى أحبها وزار مدرسته الثانوية بها فى سنوات عمره الأخيرة.. وكأنه يودعها مع وداعه للحياة السياسية كلها، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته.

وفى هذا الكتاب أطلب من السيد محافظ دمياط فورًا إطلاق اسم الدكتور أسامة الباز على أحد أكبر ميادينها أو شوارعها .. لأن دمياط هى المدينة التى عاش فيها وأحبها حبًا جمًا.

---

* الكتاب صادر عن الدار الموقرة نهضة مصر ، ونظرًا لوفاء هذه الدار والمؤلف السفير الريدي وأنا للراحل العالي العزيز الدكتور أسامة الباز.. استفدنا كثيرًا مما جاء في هذا الكتاب القيم وجعل الله ذلك في ميزان حسناتنا يوم القيامة.. مكتبة نهضة مصر الناشرة والمؤلف العزيز السفير الريدي.. وأنا



هذا الكتاب يفرد صفحات للإشادة بالسياسى اللامع الدكتور أسامة الباز، ويحاول صديقه وزميل عمره السفير العزيز عبد الرءوف الريدى بكل الوفاء له أن يبرز مواقف هذا الرجل فى أصعب فترات التاريخ المصرى المعاصر .. ونحن نأخذ منه بعض القطوف عن ذلك لنشاركه الوفاء لهذا الإنسان العزيز الغالى علينا جميعًا الدكتور أسامة الباز

الزلزال
الرئيس السادات فى القدس ١٩٧٧*

ما هى إلا أيام بعد عودتنا من رحلة المغرب حتى عاشت المنطقة زلزال مبادرة الرئيس السادات . . . وجاءت البداية فى الخطاب الذى ألقاه الرئيس السادات فى مجلس الشعب يوم ٩ من نوفمبر ١٩٧٧م والذى ذكر فيه أنه مستعد أن يذهب إلى آخر الدنيا من أجل تحقيق السلام فى المنطقة . . . بل وأن يذهب إلى الكنيست الإسرائيلى ذاته..وكان ياسر عرفات موجودًا فى هذه الجلسة . . . وما إن ألقى الرئيس السادات هذا الخطاب حتى أصبح موضوع زيارة القدس هو الشغل الشاغل للإذاعات ومحطات التلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام العربية والعالمية . . . وتلقف وولتر كرونكايت الذى كان آنذاك أشهر المعلقين السياسيين الأمريكيين فى التليفزيون الأمريكى هذه المناسبة ، وأجرى لقاء متوازيا مع السادات ومع بيجن . . . وفى هذه المقابلة أكد السادات فعلا أنه مستعد للذهاب إلى إسرائيل وإلقاء خطاب فى الكنيست وذلك إذا تلقى دعوة من قادة إسرائيل ، فما كان من بيجن إلا أن أعلن على الهواء أنه سيوجه هذه الدعوة بالفعل ، ومنذ تلك اللحظة أصبحت زيارة السادات هى الشغل الشاغل فى مصر وعواصم العالم . . . وأصبح موقف وزير الخارجية الذى امتنع عن الذهاب إلى مكتبه منذ خطاب الرئيس السادات محل تساؤل الجميع . . . وأصبح الكل يتحدث عن معارضة وزير الخارجية لقرار الرئيس السادات . . . وأنه يعتزم الاستقالة من منصبه.

كان مكتب إسماعيل فهمى فى المبنى الأصلى لوزارة الخارجية الواقع فى ميدان التحرير على مشارف كوبرى قصر النيل ، وكان محمد رياض وزير الدولة للشؤون الخارجية فى نفس المبنى ويشغلان غرفتين متقابلتين ، وكانت الصلة بينى وبين الرجلين صلة وثيقة منذ عملت معهما فى نيويورك قبل أكثر من عشرين عامًا. وبينما لزم إسماعيل فهمى بيته بعد خطاب الرئيس السادات الذى أعلن فيه مبادرته ، كان محمد رياض فى مكتبه . . . فذهبت

* السفير عبد الرءوف الريدي.

إليه وإذا به هو الذى يبادرنى بالسؤال : ما الذى تعتقد أنه دفع الرئيس السادات لاتخاذ هذا القرار؟. . . فأجبته بأننى أعتقد فعلًا أن السادات يريد أن ينهى هذا الصراع، ويتصور أنه بمثل هذه الخطوة الكبيرة والتى تبدو أنها قفزة فى المجهول سينجح فى تحقيق ما يريد ولابد أنه يعتقد أن مجيء بيجن للحكم سيدفع بإسرائيل فى الأغلب إلى الحرب انتقامًا من حرب أكتوبر، وأن هذه الخطوة الكبيرة التى سيقوم بها يمكن أن تجهض قرار الحرب الإسرائيلى بينما يرى أن مفاوضات عقد مؤتمر جنيف تراوح مكانها. لم يبد على محمد رياض أنه قد اقتنع بما قلت وأخذ يتحدث عن أن الأمور كانت تسير جيدًا فى اتجاه عقد مؤتمر جنيف . . . وذكر أن العالم العربى سينقسم ولن يكون هناك تأييد عربى لخطوة السادات .

لم يكن محمد رياض وحده الذى يريد أن يعرف الدافع الذى جعل الرئيس السادات يأخذ قراره الخطير بالذهاب إلى القدس . . . كان الإسرائيليون والأمريكيون يريدون أن يعرفوا . . . ولعل أغرب ما يقال فى هذا الشأن أن من الأسباب الرئيسية التى جعلت السادات يأخذ هذا القرار ما لمسه فى هذه الحقبة من الجانب الأمريكى من موافقته على أن يمثل الجانب العربى وفد عربى واحد واستعداده أيضا لإعادة الاتحاد السوفيتى للعملية السياسية بعد أن كان كيسنجر قد نجح فى استبعاده . . .

كان السادات يريد أن يتحرك فى عملية السلام ويحصل على نتائج سريعة كما لم تكن لديه ثقة فى فى جدوى دخول الاتحاد السوفييتى مرة أخرى فى عملية السلام . . ولعل ما كان قد رآه من دبلوماسية إدارة كارتر واستعدادها للتجاوب مع السوفييت وموافقتها على فكرة الوفد العربى الموحد قد دفعه إلى التحرك تجاه التعامل مباشرة مع الإسرائيليين وبالتالى عدم إبلاغ الجانب الأمريكى عن لقاءات حسن التهامى مع ديان كما كان السادات يعتقد أن تمثيل العرب بوفد موحد سيجعل القضايا المصرية مادة للتفاوض بواسطة الوفد العربى الموحد ويقيد إرادته وحريته فى الحركة والمناورة لاستعادة أرض مصر.

سارت الأمور بإيقاع سريع للغاية وأعلن عن سفر السفير حسن كامل رئيس ديو ان رئيس الجمهورية إلى إسرائيل للإعداد للزيارة ، كما أعلن عن موعد الزيارة وأن الرئيس السادات سيؤدى صلا ة عيد الأضحى فى المسجد الأقصى أثناء زيارته .

بينما سار الإعداد لزيارة الرئيس السادات إلى القدس وسط جو إعلامى محموم فى

الخارج والداخل ، كان يسود وزارة الخارجية جو من الوجوم والترقب ، وكانت الأخبار قد جاءت بأن إسماعيل فهمى قد قدم بالفعل استقالته من منصبه كوزير للخارجية ، وما إن تلقى الرئيس استقالة إسماعيل فهمى حتى قام "نائب الرئيس" حسنى مبارك بناء على تكليف من الرئيس السادات باستدعاء محمد رياض وإبلاغه بتعيينه وزيرًا للخارجية إلا أن محمد رياض بدلًا من أن يغادر مكتب نائب الرئيس وقد أصبح وزيرا للخارجية فإنه غادر هذا المكتب ليذاع بعد ذلك أنه أعفى من منصبه كوزير دولة للشؤون الخارجية . . . وأعلن أنه رفض المنصب وبالتالى فقد أعفى أيضا من المنصب الذى كان يشغله أى منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية، ولقد كان الإعلان عن استقالة وزير الخارجية وعن رفض وزير الدولة للشؤون الخارجية أن يشغل هذا المنصب ثم قرار إعفائه من منصب وزير الدولة . . . موضع تركيز وسائل الإعلام العالمية . . . فقد جاءت هذه الأنباء لتعلن للعالم أن هناك معارضة فى داخل مصر لقرار الرئيس السادات بزيارة القدس ، وأن هذه المعارضة تأتى من مؤسسة الخارجية ات ابتداء.

ولقد تحدثت مع محمد رياض عدة مرات بعد تركه للخارجية حول ما حدث أثناء لقائه مع نائب الرئيس مبارك عندما استدعاه لإبلاغه قرار تعيينه وزيرًا للخارجية فأخبرنى بأن نائب الرئيس بدأ الحديث معه طالبًا إليه أن يستعد للسفر مع الرئيس السادات إلى إسرائيل ، وعندئذ بدأ رياض يتساءل عن موضوع زيارة الرئيس ، ومبديا الشكوك حول ما يمكن أن تؤدى إليه من مضاعفات ، فاعتبر نائب الرئيس أن هذا التساؤل بمثابة رفض للمنصب فأنهى المقابلة ، وغادر محمد رياض اللقاء فاقدًا للمنصبين ، منصب وزير الخارجية الذى كان فى متناول يده ومنصب وزير الدولة للشؤون الخارجية الذى كان يشغله .

والواقع أننى احترمت فى إسماعيل فهمى استقالته من منصبه حيث لم يكن مقتنعا بالخطوة التى اتخذها الرئيس السادات ، وكان واثقا من أنها ستؤدى إلى انقسام شديد فى العالم العربى ، وهو ما حدث بالفعل.

طلبت إسماعيل فهمى فى التليفون وذكرت له أننى أود زيارته فرحب . . . فتوجهت إليه فى منزله . كان ذلك بعد يومين اثنين من تقديمه للاستقالة ، وقبل قيام السادات

بزيارته لإسرائيل ذهبت إليه فى شقته على النيل بجوار فندق ماريوت . . . واستقبلنى استقبالا بشوشًا ، وكان فى روح معنوية عالية ، وكان يتوقع أن يكون لقرار السادات ردود فعل معارضة فى مصر وفى العالم العربى ، وأنه لم يشأ أن يتحمل مسؤولية تنفيذ سياسة يرى أنها خاطئة وستكون نتائجها سلبية ولن تلقى تأييدًا من الشعب .

وباستقالة إسماعيل فهمى واستقالة محمد رياض أصبح منصب وزير الخارجية شاغرا . . . فبادر السادات بتعيين الدكتور بطرس بطرس غالى وزير دولة لشؤون الخارجية وكان قد عينه قبل ذلك ببضعة أسابيع وزيرًا للدولة بمجلس الوزراء، وانتقل بطرس غالى إلى مبنى الخارجية واستقر فى الغرفة التى كان يشغلها محمد رياض ، وبدأ فى ممارسة عمله باعتباره المسؤول الأول عن وزارة الخارجية ، وكان أول ما فعله هو مصاحبة الرئيس السادات فى زيارته للقدس .

كانت زيارة السادات للقدس هى اللحظة الدرامية التى أنهت المشوار السياسى لكل من إسماعيل فهمى ومحمد رياض ، ورغم أن الأخير عمل لبعض الوقت مستشارًا للأمين العام لجامعة الدول العربية ثم مشرفًا عليها بعد نقلها إلى تونس تنفيذًا لقرارات المقاطعة العربية لمصر.

إسماعيل فهمي:

جاءت نهاية الحياة السياسية لكل من إسماعيل فهمى ومحمد رياض على نفس النسق الذى سارت عليه حياتهما الوظيفية والسيامية من قبل ، فقد كان الا ثنان دائما معا ، وكانا فى شبابهما يلقبان بأنهما (أولاد فوزي)» باعتبار أن المرحوم الدكتور محمود فوزى كان يستعين بهما دائما منذ تعرفه عليهما فى بداية عملهما معه فى بعثة مصر الدائمة لدى الأمم المتحدة بنيويورك فى عام ١٩٤٩-١٩٥٠ .

استقال إسماعيل فهمى من منصبه كوزير للخارجية فى ٥ من نوفمبر ١٩٧٧ . . . وكان فى قمة لياقته الصحية والنفسية ، وكان عمره آنذاك لا يتعدى الخامسة والخمسين (وكان محمد رياض يصغره بعام واحد) فانتهت حياته السياسية قبل الأوان ، وقد رحل إسماعيل فهمى عن عالمنا عام ١٩٩٧م أى بعد أن ترك الخارجية بعشرين عامًا ، وقد شغل منصب وزير الخارجية فى أكتوبر ١٩٧٣م أثناء الحرب . . . وكان قبلها وزيرًا للسياحة

لعدة شهور ، وكان بداية ارتفاع نجمه السياسي في الندوة الشهيرة التي عقدتها جريدة الأهرام عام ١٩٧٣م حول حالة اللاحرب واللاسلم في الشرق الأوسط التي انتقد فيها موقف الاتحاد السوفييتي ، والتي لفتت نظر الرئيس السادات إليه .

وبالرغم من الجزاء الإداري الذي وقعه الدكتور مراد غالب وزير الخارجية آنذاك على إسماعيل فهمي فإن السادات كان سعيدًا بما قاله إسماعيل فهمي في الندوة ، لما تضمنه من نقد لموقف السوفييت لتخاذلهم في إمداد مصر بما تريده من سلاح ، وقد رشحه الرئيس السادات عقب ذلك بوقت قصير ليكون سفيرًا في ألمانيا الغربية ، وعندما ذهب لمقابلته للاستئذان في السفر طلب إليه ألا يسافر ، ثم ضمه إلى التشكيل الوزاري الذي كان على الأبواب كوزير للسياحة ، ومن خلال موقعه كعضو في الوزارة أصبح لديه اتصال مباشر مع رئيس الجمهورية ، ولم يكن هذا الاتصال أساسًا حول السياحة بل حول السياسة الخارجية ، وأسلوب التعامل مع الأزمة ، وكان وزير الخارجية آنذاك هو الدكتور الزيات، ولم تكن آراؤهما على وفاق ، وعندما بدأت الحرب في أكتوبر كان إسماعيل فهمي في فيينا في مهمة دبلوماسية ، فعاد على الفور عن طريق ليبيا ، وذهب إلى وزارة الخارجية كوزير خارجية بالنيابة ، وأخذ يدير أعمال الوزارة في فترة الحرب بينما كان وزير الخارجية الدكتور الزيات في نيويورك كما سبق القول ، ثم عينه الرئيس السادات وزيرًا للخارجية في أواخر حرب أكتوبر ، وأوفده لمقابلة الرئيس نيكسون في واشنطن بينما كان الزيات لا يزال في نيويورك ، وقد قام بهذه المهمة خير قيام ، وتوصل إلى اتفاق مع نيكسون وكيسنجر حول وقف إطلاق النار وبدء مسيرة كيسنجر في المنطقة بعد ذلك ، وبعد لقائه مع الرئيس نيكسون صحبه الرئيس وأوصله حتى باب سيارته وهو تقليد غير مألوف وخاصة أن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كانت مقطوعة .

كان إسماعيل فهمي دائب الحركة في السياسة الخارجية . . . تجلس معه فتجده إما ممليا لخطاب يرسله الرئيس إلى أحد من الرؤساء مثل بريجنيف أو نيكسون . . . أو تجده ممليا لمذكرة لإرسالها إلى الرئيس السادات . . . أو مجتمعا مع مجموعة من الصحفيين، كان العمل هوايته ، ولم تكن له في الواقع هوايات أخرى ، وكان في ذلك يشبه محمود رياض ويختلف عن الدكتور فوزي الذي كان يهوى العمل اليدوي ويزرع حديقة منزله في نزلة

السهان بنفسه .

ولأن العمل كان هو الذى يملأ عليه حياته فإن الأعوام العشرين التى مرت عليه بعد أن استقال وإلى أن رحل عن عالمنا كانت أعوامًا ثقيلة عليه . . . وهو ما كان يلاحظه محبوه الكثيرون عندما كانوا يزورونه ، وفى هذه الفترة كتب إسماعيل فهمى مذكراته عن هذه الحقبة ، وعن أسباب استقالته فى كتابه الهام (التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط) ، الذى نشرته دار الشروق . . ويعتبر كتابه من أهم كتب التاريخ الدبلوماسى المصرى ، ولقى تقديرًا كبيرًا فى الداخل والخارج .

عرفت إسماعيل فهمى منذ بداية عملى فى نيويورك فى سبتمبر ١٩٥٥ ، وقد ربطتنى به صلة وثيقة سواء أثناء العمل فى نيويورك أو فى الديوان العام بوزارة الخارجية بعد ذللك وعندما أصبح محمود رياض وزيرًا للخارجية عينه مديرًا لإدارة الهيئات الدولية رغم أنه لم يكن قد حصل بعد على درجة وزير مفوض التى كانت أقل درجة يمكن أن يعين فيها مدير إدارة . . وكان المستشار إسماعيل فهمى رغم ذلك هو أقوى المديرين وأقربهم إلى وزير الخارجية .

ولقد لعب إسماعيل فهمى دورا هامًا فى إنشاء الوكالة الدولية للطاقة النووية حيث كان وهو لا يزال دبلوماسيا فى درجة سكرتير أول يقوم بتمثيل مصر فى اللجان التحضيرية التى أنشأت الوكالة ، وكان عضو أول مجلس للمحافظين فى هذه الوكالة التى أدارها لإثنى عشر عامًا الدكتور محمد البرادعى أقرب مساعدى إسماعيل فهمى فى الفترة التى شغل فيها منصب وزير الخارجية ، كما لعب إسماعيل فهمى دورًا هامًا فى مفاوضات نزع السلاح فى الأمم المتحدة وهى اللجنة المعنية بنزع السلاح وعدم انتشار الأسلحة النووية ، وكانت الأوراق والمقترحات التى قدمها إسماعيل فهمى أثناء المفاوضات التى جرت لعقد اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية من بين أهم الأسس التى بنيت عليها هذه المعاهدة .

وأذكر لإسماعيل فهمى موقفه قبيل وأثناء حرب ١٩٦٧م . فقد كان منذ البداية متشككا ومتخوفا من الخطوات المتسارعة التى اتخذت والتى أدت فى النهاية إلى اندلاع الحرب وما جلبته من نتائج كارثية...

رحم الله إسماعيل فهمى رحمة واسعة ، ويحزننى أن الأجيال الحديثة لا تذكر الكثير عنه . . . وإسماعيل فهمى هو والد السفير نبيل فهمي* الذى عمل سفيرًا ممتازًا لمصر فى واشنطن لتسع سنوات . . . وهو حاليًا مشارك بقوة فى المجتمع المدنى بمقالاته وإسهاماته الفكرية .

محمد رياض:

عرفت محمد رياض فى نفس اليوم الذى تعرفت فيه على إسماعيل فهمى أى فى بعثة مصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك فى ستمبر ١٩٥٥ ، وقد توثقت صلتى به عبر مشوار الخارجية ، ولم تنقطع هذه الصلة أبدا طوال حياته . . . وكانت آخر مرة رأيته فيها عام ١٩٨٢ عندما كان يعالج فى مستشفى بمدينة لوبليانا عاصمة سلوفينيا التى كانت آنذاك جزءًا من يوغوسلافيا.

كان محمد رياض أيضا محبًا للعمل ، والعمل يملأ عليه حياته ، وكان يحب أن يكون محبوبًا من الناس ، وكانت قدرته على التواصل مع الناس لإنشاء علاقات الصداقة قدرة فذة . . . كان بشوشًا وكريما وأنيقا وينفق كل ما لديه على مظهره ومسكنه وملبسه ، وكان دائم الاستقبال فى منزله للأصدقاء ولأقرانه من البعثات الأخرى وكان محبًا للحياة الاجتماعية ومقبلا على الحياة بصفة عامة ، وقد أحبه واعتمد عليه كل الرؤساء الذين عمل معهم ، ولقد كان من حسن حظى أننى تعرفت على كلا الرجلين وتوثقت صلتى بكل منهما منذ بداية عملى فى الخارجية . . . ولقد تعلمت منهما الكثير . . .كان محمد رياض قريبا دائما من رؤسائه الذين أحبوه . . . فكان يلازم الدكتور فوزى وزير الخارجية منذ لحظة وصوله لنيويورك لحضور دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة ويبقى معه ويحضر مقابلاته التى يعقدها مع وزراء الخارجية الآخرين ، وكان أقرب أعضاء البعثة للسفير عمر لطفى المندوب الدائم ، وبقيت صلته قوية به حتى بعد أن ترك عمر لطفى منصب المندوب الدائم وأصبح أمينًا عامًا مساعدًا بالأمانة العامة للأمم المتحدة ، وكان أقرب الناس إلى محمود رياض وقت أن كان محمود رياض مندوبًا دائمًا ، وعمل معه فى مكتبه وهو وزير للخارجية ، ولعب دورا هامًا عندما أصبح مديرًا لمكتب الوزير ، وخاصة فى

* أصبح الآن وزير الخارجية.

تلك الفترة الهامة التى جرت فيها اتصالات مكثفة بين وزير الخارجية محمود رياض وروجرز وزير خارجية الولايات المتحدة أثناء رئاسة الرئيس نيكسون ، وفى الفترة الهامة التى أعقبت قبول مبادرة روجرز فى منتصف ١٩٧٠ م ، وبدء وقف إطلاق النار ، وقد أثنى الأستاذ هيكل الذى كان وزيرًا للخارجية بالنيابة على أدائه خاصة فى فترة تحريك بطاريات الصواريخ ثناءً كبيرًا حيث كان هو رئيس فريق الخارجية الذى تابع هذه الأحداث ، كما كان هو محور الاتصال مع السفير جونار يارنج مبعوث السكرتير العام طبقًا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

وبعد أن ترك محمد رياض منصبه كوزير دولة للشؤون الخارجية تلقفه محمود رياض ليعمل معه فى الجامعة العربية ، وعينه مستشارًا مشرفًا على مكتبه ، ثم أصبح أمينًا عامًا مساعدًا ومسؤولًا عن مكتب الأمين العام ، وبعد أن استقال محمود رياض من منصبه كأمين عام لجامعة الدول العربية نتيجة لقرار مؤتمر القمة المعربى مقاطعة مصر عام ١٩٧٩ م ، وانتقلت الجامعة العربية إلى تونس ، عينت مصر محمد رياض مسؤولا عن الجامعة فى القاهرة ، وبقى فى هذا المنصب حتى وفاته . رحم الله إسماعيل فهمى ومحمد رياض اللذين بدءا المشوار فى خدمة الدبلوماسية المصرية معا وتألقا فيه ثم خبا نجمهما معا فى لحظة واحدة.

السادات فى القدس

جاءت إجازة عيد الأضحى فى نوفمبر ١٩٧٧م ، وقد أعلن الرئيس السادات أنه فى أثناء هذه الإجازة سيقوم بزيارة إسرائيل وسيلقى خطابه المنتظر فى الكنيست وسيصلى فى المسجد الأقصى فى يوم عيد الأضحى المبارك .

من ناحيتى كنت وعائلتى نعتزم أن نذهب لقضاء إجازة العيد فى جزيرة الوكيل الواقعة فى نهر النيل فرع رشيد قرب مدينة دسوق فى كفر الشيخ بمنزل أسرة زوجتى فريدة وفى المنزل الذى بناه جدها حافظ الوكيل فى جزيرة آمنة بأشجار الفاكهة وحتى يمكن الوصول إلى هذه الجزيرة كان يتعين علينا أن نترك السيارة أمام مدينة فوه لنركب المعدية التى تأخذنا إلى الجزيرة . . . . ولم تكن هناك كهرباء . . . مما جعل الحياة هناك أقرب إلى البدائية الجميلة . . . إلا أن ذلك كان يعنى أننى لن أستطيع أن أشاهد خطاب الرئيس

السادات فى الكنيست على التلفزيون ، ولم يكن أمامى بالتالى سوى أن أذهب إلى مقهى عام فى دسوق لمشاهدة خطاب الرئيس السادات فى التلفزيون ووقائع زيارته لإسرائيل ، وذلك بعد أن أؤدى صلاة عيد الأضحى فى مسجد سيدى إبراهيم الدسوقى .

نزل السادات على سلم الطائرة واثق الخطى . . . وأخذ يصافح المستقبلين الذين اصطفوا لاستقباله ، وكانوا جميًا من قادة إسرائيل وزعمائها ، ويتبادل معهم بعض العبارات ، بينما تملأ الابتسامة وجهه . . . كانت لحظة تاريخية شاهدها العالم كله على الهواء وتعلقت بها أنفاس مئات ملايين البشر . . وحتى الآن وأنا أكتب هذه المذكرات بعد هذا الحدث الهائل بما يزيد على ثلاثين عامًا . . . فإن الكثيرين وأنا منهم مازالوا يذكرون هذه اللحظة ، ويتذكرون أين كانوا عندما رأوا هذا المشهد التاريخى على شاشات التلفزيون . . كنت أرقب الناس فى المقهى بدسوق وهم ملتفون حول شاشات التلفزيون وفى حالة من الذهول .

كثيرا ما توصف رحلة الرئيس السادات للقدس بأنها كانت زلزالًا ، وأعتقد أن هذا وصف سليم ، لأن هذه الزيارة زلزلت المواقف والمشاعر التى كانت سائدة لدى الطرفين فضلا عما أحدثته على مستوى العالم .

أما فى مصر فكانت ردود الفعل متباينة . . . كانت غالبية الشعب مع الرئيس ، وهو ما ظهر فى استقباله عند عودته ، ولكن هناك أيضا من عارضوه خاصة النخبة المثقفة ، أما فى الخارجية فكان هناك انقسام فى الرأى بين أعضاء الوزارة . . . هناك من رأى أن الرئيس السادات قام بقفزة فى الظلام فى خطوة درامية غير محسوبة العواقب ، وستضعف من موقف مصر فى مواجهة إسرائيل خاصة مع ما سببته من انتقاد حاد ومعارضة وانقسام فى العالم العربى ، وهناك من رأى أن الرئيس السادات قام بخطوة رائعة وبمبادرة شدت أنظار العالم وتأييده للتوصل إلى حل لهذا الصراع الذى طال أمده ، وكلف مصر الكثير واستنزف طاقاتها ، وقد رأى بعض هؤلاء أن الوزيرين إسماعيل فهمى ومحمد رياض قد تعجلا فى حكمهما على الخطوة التى قام بها الرئيس.

بطرس بطرس غالى رئيسًا للدبلوماسية المصرية:

أصبح بطرس غالى وزير دولة للشؤون الخارجية ، بل أصبح من الناحية العملية هو

وزير الخارجية ، وكنت أعرفه وسبق أن قابلته عدة مرات فى إطار عمله السابق كأستاذ جامعة وكرئيس تحرير لمجلة (السياسة الدولية) ، والتقيت به أثناء فترة عملى فى جنيف حيث تزاملنا كأعضاء فى وفد مصر لدى مؤتمر الخبراء للقانون الدولى الإنسانى الذى عقدته اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتطوير اتفاقيات جنيف ، التقينا عدة مرات فى بيت الصديق المشترك الدكتور جورج أبى صعب أستاذ القانون الدولى بمعهد الدراسات الدولية العليا بجنيف ، ثم اخترته بعدها ليكون أستاذًا مشرفًا على رسالة الدكتوراه التى كنت أعتزم كتابتها ، والتى أخذتنى دوامة العمل فلم أكتبها، وهو أستاذ يحبه ويحترمه تلاميذه ، ومعروف عنه أنه يؤدى واجبه على أكمل وجه ؟ وقد كان يبدو لى دائمًا وكأنه مصرى من طراز أجنبى أو غربى ليس فقط فى حياته الخاصة ولكن أيضا فى انتماءاته الفكرية .

من أول ما فعله بطرس غالى بعد عودته من زيارة القدس التى صاحب فيها الرئيس السادات أن قام بتشكيل مجموعة عمل تتولى الإعداد للاجتماع التمهيدى لمؤتمر جنيف

للسلام الذى اتفق الرئيس السادات وبيجن على عقده بالقاهرة ، وقد رأس مجموعة العمل وكيل الخارجية السفير الدكتور أحمد عثمان - أما المجموعة نفسها فقد تشكلت من مدير التخطيط السياسى عبدالرءوف الريدى ، ومدير الإدارة القانونية الدكتور نبيل العربي، ومدير الهيئات الدولية عمرو موسى، ومدير المعلومات أحمد الزنط ، والمستشار الدكتور حسين حسونة ، والمستشار الدكتور محمد البرادعي. . . أما أسامة لباز الذى رافق الرئيس فى رحلته كما رافقه بطرس غالى فقد ظل فى مكتبه مديرا لمكتب وزير الخارجية دون أن يكون هناك وزير للخارجية ، إلا أن وضع أسامة الباز أخذ يكتسب - أكثر من أى وقت مضى - أهمية كبيرة ، فهو فى الوزارة مدير لمكتب الوزير، وفى الرئاسة هو مستشار للرئيس، وقد حافظ أسامة على وضعه فى المؤسستين طوال الوقت .

كان اتفاق السادات وبيجن على عقد هذا الاجتماع التمهيدى مفاجأة للولايات المتحدة ، فلقد جاءت البرقيات من سفيرنا فى واشنطن آنذاك الدكتور أشرف غربال مشيرة إلى أن المسؤولين فى إدارة الرئيس كارتر أخذوا على حين غرة بإعلان السادات وبيجن ، ولذلك فقد طلب الرئيس كارتر إرجاء عقد الاجتماع لفترة أسبوعين حتى يتسنى

لهم تقييم الموقف وتحديد أسلوب تحركهم . . . وأصبح واضحًا أن هناك نوعا من الضيق فى واشنطن بسبب انتقال زمام المبادرة فى عملية السلام من يد الوسيط الأمريكى إلى أيدى طرفى النزاع .

فى نفس الوقت أصبح علينا نحن فى وزارة الخارجية أن نعد للاجتماع التمهيدى لمؤتمر السلام . . . أما رئاسة مجموعة العمل فقد انتقلت من الدكتور أحمد عثمان إلى الدكتور عصمت عبد المجيد مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة الذى جرى استدعاؤه من نيويورك للقاهرة لرئاسة هذه المجموعة وليكون ممثل مصر فى الاجتماع التمهيدي، وقد ضم الدكتور عصمت لعمل اللجنة كل من المرحوم صلاح هنداوى وأحمد أبو الغيط وزير الخارجية حاليا* اللذين سبق أن عملا معه فى البعثة الدائمة لدى الأمم المتحدة بنيويورك ، وعهد إليهما بمهمة الأمانة العامة للجنة . .

أما أحمد عثمان فقد كان سعيدًا أن مهمة رئاسة مجموعة العمل قد انزاحت عن كاهله، كان أحمد عثمان معروفا بنظرياته وأفكاره الخاصة عن الصهيونية وعن إسرائيل ، وكان توجه الرئيس السادات نحو عقد اتفاق سلام مع إسرائيل يضعه فى تناقض حاد بين معتقداته الخاصة وواجباته الوظيفية كوكيل لوزارة الخارجية ومسؤول عن تنفيذ سياسة الدولة ، وفى هذه الحالة سياسة الرئيس السادات »، كما كان أحمد عثمان يشعر بما كنا نشعر نحن فى مجموعة العمل بالغربة فى هذا المناخ الجديد فى وزارة الخارجية وخاصة بعد خروج رفيقى دربه فى الوزارة إسماعيل فهمى ومحمد رياض .

بدأ الدكتور عصمت عبد المجيد اجتماعه معنا فى مجموعة العمل بأن أبلغنا عن الحديث الذى جرى بينه وبين الرئيس السادات عقب استدعائه من نيويورك وحضوره للقاهرة لرئاسة مجموعة العمل ، وكان واضحا أنه شخصيا مقتنع ومؤيد لمبادرة الرئيس السادات ، ويرى أنه لكى تحرر مصر أرضها عليها أن تستعيد زمام المبادرة السياسية فى يدها ولا تجعلها رهنًا فى أيدى الآخرين.

تحددت مهمتنا فى إطار اللجنة أو مجموعة العمل فى أن نعمل على صياغة موقف مصر

* الوزير الأسبق للخارجية.

فى مؤتمر السلام الذى كان من المفروض أنه سينعقد فى جنيف للتوصل إلى حل شامل لأزمة الشرق الأوسط طبقا لقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨، وبدأت إدارة البحوث والتخطيط السياسى فى إعداد أوراق العمل التى طلب منها إعدادها للتحضير لانعقاد المؤتمر .

إلا أن الإعداد لم يقتصر على الجانب الموضوعى بل شمل أيضا الجانب الإجرائى ، وأهم عناصره تحديد من ستوجه إليهم الدعوة لحضور الاجتماع ، وكان من الواضح أن الدعوة متوجهة بالضرورة إلى الدول أطراف الصراع والدولتين الأعظم (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) والأمين العام للأمم المتحدة ، ولم يكن هناك أى خلاف بيننا على ضرورة توجيه الدعوة إلى منظمة التحرير الفسطينية ، إلا أننا كنا نتوقع الاعتراض القوى الذى سنقابله من الجانبين الإسرائيلى والأمريكى بالنسبة لدعوة المنظمة ، وذلك فى ضوء الاتفاق المكتوب بين الولايات المتحدة وإسرائيل منذ عهد إدارة الرئيس فورد والذى ينص على عدم دخول الولايات المتحدة فى حوار مع منظمة التحرير إلا بعد قبولها لقرار ٢٤٢وهو القرار الذى لم تقبله المنظمة .

قمنا بإعداد خطاب الدعوة الذى سيوجه إلى ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير، وجاء المرحوم الدكتور أحمد صدقى الدجانى إلى الصالون الكبير المجاور لمكتب وزير الدولة للشؤون الخارجية بمقر الوزارة فى قصر التحرير وتسلم هذا الخطاب من الدكتور أسامة الباز، حضرت واقعة تسليم خطاب الدعوة ، لذا كان من العجيب بعد ذلك ما ذكره لى الدكتور الدجانى عن أن ياسر عرفات قال له يومًا: إن هذه الدعوة لم تصل إليه قط!

تحدد موعد عقد الاجتماع التمهيدى يوم ١٥ من ديسمبر ١٩٧٧م ، واختير فندق مينا هاوس مقرًا لعقد الاجتماع ، وذلك لكونه يقع فى أطراف القاهرة ويسهل السيطرة عليه أمنيًا .

كانت القاهرة قد بدأت بالفعل تعيش أجواء جديدة ساهمت فى صنعها تلك الحملة الضارية التى انطلقت من العواصم العربية بإدانة التحرك المصرى وإدانة الرئيس السادات شخصيا . . وصدر من ليبيا بيان طرابس الذى وقعته كل من ليبيا والجزائر وسوريا

والعراق ، والذى أعلن تشكيل جبهة الصمود والتصدى ، والذى تهجم على الرئيس السادات شخصيا وعلى مبادرته ، وقد رد الرئيس السادات على هذا البيان بقطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدول الأربع.

ذهبت مساء يوم ١٣ من ديسمبر إلى فندق مينا هاوس حيث كان علينا أن نقيم هناك أثناء فترة المؤتمر وكان الجو ممطرًا ، ويصاحبنى المرحوم الصديق أحمد الزنط ، وأقمت فى الغرفة رقم٨٠٩ ، وهالنى كم الصحفيين الإسرائيليين والأجانب الذين جاؤوا لتغطية المؤتمر . . . وكانت تلك أول مرة أرى فيها إسرائيليين على أرض مصرية ، كانت مشاعرى آنذاك متضاربة ، فأنا أنتمى إلى هذا الجيل الذى عاش قضية الصراع مع إسرائيل بكل وجدانه . . . ولم يكن هذا الصراع بالنسبة لجيلنا مجرد موضوع نمارس العمل فيه كدبلوماسيين أو كموظفين ، ولكنه كان أكبر من ذلك ؟ كان قضية قومية عشناها بكل مشاعرنا وعواطفنا .

أما عن مشاعر الوفد المصرى الذى كلف بتمثيل مصر فى مباحثات مينا هاوس فكنا نشعر أن قدر مصر الآن معلق بين السماء والأرض ، وأن الحروب والأحداث التى خاضتها عبر ثلاثين عامًا قد دفعت بها إلى هذه اللحظة الفاصلة . . . إلا أنه بالرغم من هذه المشاعر ، فقد كنا نشعر أيضًا بأن مصر الآن أحوج ما تكون إلى أبنائها ليقفوا معها ولا يتخلون عنها مهما كان إحساسهم بالمرارة ، ومهما كان رأيهم فى مبادرة الرئيس وزيارته لإسرائيل ومجيء الإسرائيليين للقاهرة . . .

اجتمع الوفد المصرى فى صباح يوم (١٢/١٤) برئاسة الدكتور عصمت الذى أبلغنا أنه التقى فى الليلة السابقة مع الوفد الإسرائيلى ، وقدم لهم النقاط الأربع التى نرى أن يتكون منها جدول أعمال مؤتمر جنيف ، وهى الانسحاب الكامل من الأراضى التى احتلت عام ١٩٦٧م ، والمشكلة الفلسطينية بكافة جوانبها على أساس إقرار حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، وترتيبات الأمن لجميع الأطراف ، وإنهاء حالة الحرب.

إلا أن الإسرائيليين تقدموا باقتراح مضاد ، وهو أن يتكون جدول الأعمال من بند واحد فقط ينص على عقد معاهدات سلام بين إسرائيل وجيرانها من الدول العربية، ولقد حاول المستشار القانونى روزين فى هذا الاجتماع أن يسلم الدكتور عصمت مشروع

معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل ، وقد رفض د . عصمت استلام هذا المشروع باعتبار أن اجتماع مينا هاوس هو اجتماع تمهيدى للإعداد لمؤتمر جنيف ، ولأنه كان يعلم من خلال قراءته لملف المباحثات السابقة مع الجانب الأمريكى أن الإسرائيليين قد أعدوا مشروع معاهدة تتضمن بقاء المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء[1] أما بالنسبة لرئاسة المؤتمر فقد اقترح الإسرائيليون أن تكون الرئاسة لمصر وإسرائيل بالتناوب ، وهو ما لم نقبله ، وهكذا فمن الواضح أن مواقفنا متناقضة بصورة جذرية مع الوفد الإسرائيلى منذ اللحظة الأولى.

واصلنا اجتماعات مجموعة العمل المصرية بعد الظهر، بينما كان الدكتور عصمت مجتمعًا بالوفد الإسرائيلى والوفد الأمريكي. . . ثم جاء د. عصمت وطلب إلينا أن نحضر إلى غرفته لنتعرف على الوفد الإسرائيلى والوفد الأمريكى اللذين كان مجتمعًا بهما ، وكانت تلك هى المرة الأولى التى أصافح فيها الوفد الإسرائيلى . . . بل المرة الأولى التى أصافح فيها أى إسرائيلى على الإطلاق .

فى اليوم التالي(١٥ / ١٢) انعقد الاجتماع الأول وحضرته الولايات المتحدة بالإضافة إلى مصر وإسرائيل . . . ورأس الدكتور عصمت الوفد المصرى ، كما رأس إلياهو بن إليسار الوفد الإسرائيلي، ورأس روى آثرتون الوفد الأمريكي، وحضر الجنرال سيلاسفيو قائد قوات الأمم المتحدة النرويجى فى المنطقة ممثلا للأمين العام للأمم المتحدة . . . ورأست مصر الاجتماعات بعد أن رفضت أن تشاركها إسرائيل فى التناوب على رئاستها.

وفى الجلسة الأولى ، ورغم غياب الوفد الفلسطينى فقد ترك مقعده خاليا وأمامه لافتة (فلسطين) ، كما تم رفع العلم الفلسطينى مع بقية أعلام الدول المدعوة ، ثم أنزل مع أعلام الدول الأخرى التى لم تشارك فى المؤتمر[2].

تم الاتفاق على تشكيل لجنة فرعية لوضع جدول أعمال متفق عليه من الجانبين لمؤتمر

(١) عصمت عبد المجيد ، زمن الانكسار والانتصار - دار الشروق ، ص١٥٨ .

(٢) د. عصمت عبد المجيد . المرجع السابق ، ص ١٦٠. راجع أيضا مقالات أحمد أبو الغيط فى الأهرام ، نوفمبر ٢٠١٠ ، (شاهد على السلام) وخاصة الحلقة الثانية بتاريخ ١٧ نوفمبر ٢٠١٠م.

السلام ، وتم تعيين كل من السفير نبيل العربى مدير الإدارة القانونية وعبد الرءوف الريدى ممثلين لمصر فى هذه اللجنة الفرعية ، أما إسرائيل فقد مثلها ماير روزين المستشار القانونى للخارجية الإسرائيلية ، والذى أصبح فيما بعد سفيرًا لإسرائيل فى واشنطن فى الفترة التى عملت فيها سفيرًا لمصر هناك ، وقد عقدنا عدة اجتماعات تبين منها استحالة التوصل إلى اتفاق حول جدول الأعمال ، وكانت المشكلة الفسطينية هى أساس الخلاف سواء من حيث الموضوع أو من حيث من الذى يمثل الجانب الفلسطينى . .

حدث فى يوم من أيام اجتماعات اللجنة أن تأخر روزين عن الموعد الذى كان محددًا للاجتماع . . وعندما وصل ذكر أن سبب التأخير يرجع إلى أن الوفد الإسرائيلى ذهب إلى خان الخليلى فى زيارة سياحية . . . وأن أصحاب المحلات هناك وأهل المنطقة بصفة عامة استقبلوهم استقبالًا حارًا . . . وكانوا يقدمون إليهم الشاى والمشروبات ويرفضون أخذ ثمن الأشياء التى اشتروها وأن ذلك هو ما أخرهم عن موعد الاجتماع .

لم يسفر مؤتمر مينا هاوس عن أى اتفاق ، وتمثلت قيمته الحقيقية فى أنه كان أول مناسبة يتعود فيها المصريون على لقاء الإسرائيليين ، وإقناع الإسرائيليين بتصميم مصر على السير فى عملية السلام ، والواقع أن الرئيس السادات لم يكن راغبًا أصلًا فى عقد مؤتمر جنيف للسلام فهذا المؤتمر يشارك الاتحاد السوفييتى فى رئاسته مع الولايات المتحدة وهو لم يكن راغبا أصلًا فى أن يكون للاتحاد السوفيتى أى دور إلى جانب الولايات المتحدة . . . وهو لم يكن متحمسًا للاتفاق الذى عقده فانس وجروميكو وزيرا خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى قبيل قيامه بمبادرته لعقد مؤتمر جنيف ، كما كان الرئيس السادات يرفض فكرة الوفد العربى الموحد التى كانت تريدها سوريا للتفاوض مع إسرائيل فى المؤتمر لأنه كان يعتقد أن ذلك من شأنه أن يضع قيدًا على حركته فى التفاوض والمناورة . .

كان يداخلنى طوال الوقت ونحن فى مينا هاوس شعور غامض حزين . . . فبينما كنت أرى الإسرائيليين يتجولون فى حدائق مينا هاوس فإن الأنباء كانت تتوالى عن تدهور العلاقات بين مصر والدول العربية ، وبدأت سلسلة قطع الدول العربية العلاقات مع مصر وسحب السفراء العرب من القاهرة . . . وكنت كلما دخلت إلى فندق مينا هاوس أسمع قطعة موسيقية حزينة ، وكانت هذه القطعة تتكرر دائمًا . . ومازال هذا الشعور

يـداهمنى وأتـذكر هـذه النغمـة الحزينـة حتـى الآن فى المناسبات التـى أذهـب فيهـا إلى مينا هاوس.

انتهى اجتماع مينا هاوس دون اتفاق وقبل انفضاض الاجتماع أعلن عن لقاء يعقد فى الإسماعيلية بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلى بيجن يوم ٢٥ديسمبر أى يوم ميلاد السيد المسيح ، وهو يوم يوافق أيضا عيد ميلاد الرئيس السادات ، وتقرر أن الذى سيحضر هذا المؤتمر من الخارجية هم بطرس غالى وعصمت عبد المجيد وأسامة الباز وقد عقدنا اجتماعات طوال اليوم السابق ، واتفقنا على أن يكون موقف الوفد المصرى هو الانسحاب الكامل إلى خطوط ١٩٦٧ ، وحق تقرير المصير للشعب الفسطينى ، وإزالة المستوطنات ، مع إمكانية مشاركة الأمم المتحدة فى إدارة الأراضى الفسطبنية المحتلة أثناء فترة انتقالية .

تزامن موعد اجتماع الإسماعيلية مع الإعلان عن تعيين وزير خارجية جديد هو السفير محمد إبراهيم كامل سفير مصر فى بون (عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك) وكان محمد إبراهيم كامل موجودًا بالقاهرة بمناسبة زيارة يقوم بها مستشار ألمانيا الغربية هيلموت شميت ، ولم يعلم محمد إبراهيم كامل بتعيينه وزيرًا للخاوجية إلا عندما عاد إلى المنزل فوجد جمعًا من أقربائه وأصدقائه فى المنزل قد حضروا لتهنئته بعد أن أذيع الخبر فى نشرات الأنباء ، دون أن يكون هو قد أبلغ بهذا التعيين ، وقد اقترح الرئيس السادات أن يؤدى محمد إبراهيم كامل اليمين بالإسماعيلية فى وجود بيجن إلا أن محمد إبراهيم كامل رفض ذلك ، وكان ذلك هو بداية مسلسل الخلاف فى بين الرئيس السادات ووزير خارجيته محمد إبراهيم كامل والذى انتهى باستقالته بعد أقل من عام، تم حلف ايمين بالطريقة المعتادة على أية حال ولكن فى الإسماعيلية حيث كان يقيم الرئيس .

فى اجتماع الإسماعيلية عرض بيجن مشروعه الخاص بالحكم الذاتى لـ (الفلسطينيين العرب) كما كان يسمى الفسطينيين فى الضفة والقطاع ، كما عرض مشروعه الخاص بالانسحاب من مصر مع الاحتفاظ بالمستوطنات التى كانت موجودة فى منطقة رفح وعلى ساحل خليج العقبة بين إيلات وشرم الشيخ .

وقد تسبب عرض بيجن لمشروعه فى مناقشات حادة بينه وبين الدكتور عصمت عبد

المجيد عضو الوفد المصاحب للرئيس السادات خاصة عندما حاول بيجن الاستناد إلى كتابات بعض أساتذة القانون الدولى فى تبرير الاحتفاظ بمستوطنات إسرائيلية فى سيناء وحرمان الفلسطينيين من حق تقرير المصير ، وقد أوضح الدكتور عصمت فى رده على بيجن أن القانون الدولى لا يسمح بضم أراضى دولة لدولة أخرى وأن من حق الشعب الفلسطينى أن يقرر مصيره مثله فى ذلك مثل كل الشعوب . . وقد جاءت المشاحنة بين بيجن والدكتور عصمت لتضاعف من شعور الجانب الإسرائيلى بأن وزارة الخارجية المصرية تأخذ مواقف متشددة . . . الأمر الذى جعل الخارجية المصرية هدفا لانتقادات بيجن المستمرة والذى كان يلقبنا بـ (عصابة الخارجية) ويتهمنا بأننا نسير فى خط مناقض للخط الذى يسير فيه الرئيس السادات .

خلف اجتماع الإسماعيلية أجواء سلبية . . . خاصة أن بيجن أفصح عن شخصيته المتزمتة والمتسمة بالغرور والصلف . . . ولم يلق مشروعه من الجانب المصرى إلا الاستهجان فضلا عن أنه أكد مخاوفنا من أن الجانب الإسرائيلى لم يتخل عن أطماعه فى الأراضى المصرية والفلسطينية وعن تصميمه على إبقاء الشعب الفلسطينى تحت الهيمنة الإسرائيلية ، ولم تفلح مبادرة الرئيس السادات وذهابه للقدس فى كسر روح الغطرسة الإسرائيلية ، أما الشيء الوحيد الذى تم الاتفاق عليه فى اجتماع الإسماعيلية فكان تشكيل لجنتين ، لجنة سياسية تجتمع فى القدس ، ولجنة عسكرية تجتمع فى القاهرة.

بدأنا بعد اجتماع الإسماعيلية فى مجموعة العمل برئاسة د . عصمت عبد المجيد الاستعداد للقاء اللجنة السياسية فى القدس . . . وقد طلب إلى أن أرشح عضوًا من إدارة التخطيط للمشاركة فى اجتماعات اللجنة العسكرية التى ستجتمع فى القاهرة فرشحت الزميل المستشار إيهاب وهبة . . وكان عائدًا من عمله فى سفارتنا فى واشنطن وانضم للإدارة وأصبح نائب المدير ، وهو دبلوماسى قدير تولى مناصب هامة فى الداخل والخارج بما فى ذلك منصب مساعد وزير الخارجية للشؤون العربية.

كان مجرد التفكير فى أننى سأذهب لإسرائيل بمثابة كابوس فظيع . . . وبدا هذا الشعور واضحًا على . . . وأصبحت مهمومًا بمجرد التفكير فى أننى سأركب الطائرة وأذهب لإسرائيل ، وأحيانا تمنيت وأنا أقود سيارتى بين الوزارة فى التحرير والمنزل فى

مصر الجديدة لو أن حادثًا وقع لى . . . ليحول بينى وبين هذه المهمة الكئيبة ، ولكن سرعان ما يأتينى بعد ذلك الشعور الآخر وهو شعور الواجب . . . وأقول لنفسى كيف تفكر فى وسيلة تعفيك من هذه المهمة عندما يناديك واجب الوطن . . . هكذا كنت أعيش كما يعيش غيرى من زملائى حالة المشاعر المتناقضة بين ما هو شخصى وما هو واجب وطنى . . .

ثم جاءت اللحظة التى لم يكن منها مفر وهى لحظة ركوب الطائرة ذهابا إلى القدس يوم ١٦ يناير ١٩٧٨ م بعد الظهر، وكان محمد إبراهيم كامل على رأس الوفد. . . وكانت تلك هى مهمته الأولى التى يسافر فيها خارج مصر منذ تعيينه وزيرًا للخارجية . لم تستغرق الرحلة أكثر من خمسين دقيقة . . حتى وجدنا أنفسنا فى مطار بن جوريون . . . (محمد إبراهيم كامل وبطرس غالى وعصمت عبد المجيد وأسامة الباز وعبد الرءوف الريدى ونبيل العربى وأحمد الزنط وأحمد ماهر السيد مدير مكتب وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل وعمرو موسى وصلاح هنداوى وأحمد أبو الغيط (الذى كان أصغر أعضاء الوفد) وكان موشى ديان وزير خارجية إسرائيل فى انتظارنا على باب الطائرة . . . وخلفه جمع كبير من الصحافة والإعلام . . . وكاميرات التلفزيون ، وذهب محمد إبراهيم كامل مع ديان إلى المكان المخصص لإلقاء البيانات على الصحافة . . . وهنا شعرت بأن أزمة على وشك الحدوث ، حيث كنت قد اطلعت مسبقا على البيان المعد الذى سيلقيه وزير الخارجية عند وصوله للمطار، وكنت قد لاحظت أنه بيان قوى فى التعبير عن مواقفنا. . . وخاصة بالنسبة للقدس التى كنا نشعر بوجوب اتخاذ موقف قوى إزاءها بسبب انعقاد الاجتماع فى هذه المدينة .

أخرج محمد إبراهيم كامل الورقة من جيبه . . . وأخذ يقرأ البيان الذى جاء به أنه لن يكون هناك سلام ما لم تنسحب إسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة وعلى رأسها القدس . . . كنت أتوقع أن يرد ديان على هذا البيان . . . إلا أنه لم يرد واكتفى ببعض العبارات التقليدية ، وانطلق الركب تحت جنح الظلام . . . وكان يرافقنى رئيس قسم فى إدارة الشرق الأوسط الذى سبق له أن عمل قنصلًا عاما لإسرائيل فى إسطنبول...

وصلنا إلى فندق هيلتون . . . فوجدت الناس فى الفندق وقد تجمعوا لاستقبالنا

بالتصفيق والتهليل . . . وصعدنا إلى غرفنا ، وكانت غرفتى تجاور غرفة الصديق المرحوم أحمد الزنط مدير إدارة المعلومات آنذاك . . . ووجدت فى الغرفة مجموعة من الكتيبات التى تتحدث عن مواجهة إسرائيل السياسية ، وكان من بينها كتاب عن منظمة التحرير الفلسطينية وكيف أنها تشكل خطرًا مميتًا لإسرائيل ، ثم فوجئت بأحمد الزنط يطرق باب غرفتى ، ويخبرنى أن هناك صحفيًا إسرائيليًا اسمه شلومو اتصل به فى غرفته ويريد منه موعدًا للقائه فى صباح اليوم التالي. . . وسألنى أحمد عن رأيى فى الموضوع . . . فقلت له: بالطبع لا تقابله . . فتلك رحلة فى غاية الحساسية ، ومازالت أبعادها فى عالم الغيب . . واقتنع أحمد، ولكن فى اليوم التالى تبين أن الموضوع كله كان نوعا من الدعابة ، وأن الذى اتصل بالزنط هو عمرو موسى ومعه أسامة الباز!! . . .

فى صباح اليوم التالى غادرت أنا والزنط غرفتينا متوجهين إلى قاعة الاجتماع، وأخذنا المصعد الذى كان به أيضا عضو الوفد الأمريكى وليم كربى والذى كنت أعرفه من قبل أثناء عملنا معا فى مؤتمر نزع السلاح بجنيف ، وبينما بدأنا التحية والحديث إذا بالمصعد يتوف فجأة . . . وبقينا فى المصعد الذى كان مزدحمًا حوالى نصف ساعة . . . وعندما وصلنا إلى الدور الأرضى وتوجهنا إلى حيث كان ينعقد الاجتماع فوجئنا بأن الجلسة قد انفضت[1] . . . وأن الاجتماع استغرق وقتًا قصيرًا . . . وأن المجتمعين قرروا تأجيله إلى وقت لاحق يتفق عليه.

وبينما اجتمع الوزراء الثلاثة - كامل وديان وفاس - فى اجتماع مغلق بعد الاجتماع العلني، لم يكن هناك ما نفعله بعد ذلك سوى حضور مأدبة الغداء التى أقامها ديان على شرف الوفود فى فندق الملك داود الذى ذكرنى بحادث التفجير الضخم الذى قام به الإرهابيون اليهود عام ١٩٤٧م وترتب عليه موت عشرات الضباط والجنود البريطانيين الذين كانوا يتخذون من الفندق مقرًا لهم .

(١) كان ذلك هو السبب فى أن الصور التاريخية التى التقطت لجلسة اللجنة السياسية فى القدس لم أكن أنا والمرحوم أحمد الزنط بها ، كما يلاحظ فى الصورة المنشورة مع مقال وزير الخارجية أحمد أبو الغيط «شاهد على السلام » - الحلقة الرابعة - عن اجتماع القدس ، الأهرام ٢٠ نوفمبر ٢٠١٠

على مائدة الغداء، كان محمد إبراهيم كامل شارد الذهن ومكتئبا وهى الحالة التى لازمته طوال رحلة القدس ، ولم يشارك فى الحديث إلا نادرًا ، أما بطرس غالى فكان يتبادل النكات مع ديان الذى أخذ يسرد نوادره من كيسنجر. . .

جلس بجوارى على اليمين فى مأدبة الغداء أهارون باراك الذى أصبح فيما بعد رئيس محكمة العدل العليا ، وعلى يسارى إيلى روبنشتاين مدير مكتب ديان والذى أصبح فيما بعد نائبا للسفير الإسرائيلى فى واشنطن ، ثم شغل منصب المدعى العام ، ثم أصبح قاضيًا فى محكمة العدل العليا. . . وأخذ روبنشتاين يتحدث عن جمال الطبيعة فى إسرائيل وأشار إلى منطقة الجليل فأشرت بدورى إلى أن قرى هذه المنطقة هى قرى عربية فأمَّن على ما قلت . . . ثم أخذ يتحدث عن أن كلا من بيجن وديان يريدان أن يذهبا فى التاريخ على أنهما اللذان حققا السلام لإسرائيل ، فذكرت له أننى أصدقه ، ولكنهما يريدان أن يذهبا فى التاريخ أيضا على أنهما اللذان جلبا لإسرائيل الأراضى أيضا . . وهما شيئان متناقضان لأن السلام يتطلب التخلى عن الأرض التى تم احتلالها . . . ثم أشرت إلى مقترحاتهم ووصفتها بأنها مقترحات استعمارية ، واستشهدت على ذلك بما كان قد ورد فيها من تفرقة بين أبناء الشعب المصرى (مصريون وعرب سيناء) ، وهنا تدخل باراك فى المناقشة مستغربًا أن تتضمن مقترحاتهم مثل هذه التفرقة ، ثم أشار إلى أن علاج هذه النقطة لن يكون أمرًا صعبًا ، وقد استمر الحوار مع روبنشتاين الذى كانت مواقفه متعنتة بينما كان باراك أقرب إلى الاعتدال .

فى المساء كانت هناك مأدبة العشاء الكبيرة التى أقامها رئيس الوزراء بيجن على شرف وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل والوفد ، وكان البروتوكول الإسرائيلى قد وزع أعضاء الوفد على موائد جلست عليها مجموعات من شخصيات المجتمع الإسرائيلى وذلك ترحيبا بالوفد المصرى بحيث لا يكون الترحيب مقتصرا على الرسميين . . وكان الذى جلس إلى جانبى فى هذا العشاء هو رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات الإسرائيلى .

وما إن انتهينا من تناول العشاء حتى وقف بيجن وأخذ فى إلقاء بيانه . . الذى سرعان ما تحول من كلمة ترحيب إلى بيان سياسى . . طرح فيه مواقف إسرائيل أو مواقف بيجين التى كان قد أخذ يرددها منذ مبادرة الرئيس السادات وخاصة رفض حق تقرير المصير

للشعب الفلسطيني باعتبار أن هذا الحق يؤدى إلى إنشاء دولة إرهابية فى يهودا والسامرة (الاسم العبرى للضفة الغربية)، التى اعتبرها موئل الحضارة اليهودية، والتمسك بضم القدس بدعوى أن القدس هى العاصمة الأبدية لإسرائيل وعدم العودة إلى حدود ٦٧ على أساس الادعاء بأن حرب ٦٧ كانت حربا دفاعية تسمح لإسرائيل أن تحتل جزءًا من الأراضى . . متجاهلا بذلك أحكام ميثاق الأمم المتحدة ونص القرار ٢٤٢ الذى يؤكد عدم جواز الاستيلاء على أراض عن طريق الحرب، هذا فضلا عن أن إسرائيل هى التى بدأت بالعدوان .

كنت أفكر طوال الوقت فى الوزير الجديد محمد إبراهيم كامل، وهو يواجه أول اختبار له على الملأ وأمام كاميرات التلفزيون، وكنت أعلم أن الخطاب الذى كان معدًا له لالقائه فى هذه المناسبة لم يأخذ فى الحسبان أن بيجن سيلقى خطابًا سياسيًا . . كنت أشفق على الوزير الجديد الذى كنت أكن له إعزازا خاصًا . . وما إن انتهى بيجن من خطابه حتى وقف محمد إبراهيم كامل للرد عليه . . وكان وجهه محتقنًا كلون الدم . . وقف وألقى كلمة لم تستغرق أكثر من دقيقتين أو ثلاث دقائق . . ذكر فيها أنه جاء إلى هذه المناسبة التى كان من المفروض أن تكون مناسبة اجتماعية وليست اجتماعًا سياسيًا . . إلا أنه فوجئ بهذا الخطاب السياسى . . وهو أمر مستغرب ولذا فإنه لن يرد عليه الآن، وسيكون رده فى اجتماع اللجنة السياسية، وجلس الوزير الجديد دون أن يرفع كوبه لرد النخب الذى قدمه بيجين لضيفه . . وما إن جلس الوزير حتى دوت القاعة بالتصفيق من جانب أعضاء الوفد المصرى والصحفيين المصريين، وربما كان هناك أيضا تصفيق من جانب بعض الإسرائيلين الذين لم تعجبهم طريقة بيجن .

فى اليوم التالى تم ترتيب زيارة لنا لمعالم القدس . . وكان مرشدنا السياحى هو موشى أراد الذى أصبح بعد ذلك سفيرًا ا لإسرائيل فى واشنطن فى نفسى الفترة التى عملت فيها هناك بعد نقل مائير روزين . . وكان شرحه هادئا . . إلا أننا عندما وصلنا إلى مشارف المسجد الأقصى فى مواجهة حائط المبكي . . فوجئنا بحارس يقف على مقربة من الحائط وفى يده وعاء كبير على شكل (قصعة) وبه طاقيات سوداء مصنوعة من الورق المقوى من المفروض أن يضعها الزوار على رءوسهم . . وتقدم الحارس وقدم طاقية للكتور عصمت

الذى أخذها ثم أعادها مرة أخرى إلى الوعاء، وكان ذلك ما فعلناه جميعا بعده واحدًا واحدًا . . . وبدا الغضب على وجه الحارس الذى أخذ يتمتم ببعض العبارات بالعبرية التى لم نفهمها على أية حال، واستمر أراد فى شرحه إلى أن وصلنا إلى المسجد الأقصى- وصلينا هناك.

عدنا من رحلتنا السياحية ومكثنا فى غرفنا فى انتظار تعليمات وزير الخارجية حول الاجتماعات واللقاءات التى ستعقد بعد الظهر وفى المساء . . . وبينما نحن كذلك جاءنا الخبر الذى جعلنا نطير من الفرح، وهو أن الرئيس السادات قرر قطع المفاوضات فى القدس واستدعاء الوفد للعودة للقاهرة على الفور . . . وما إن علمنا بهذا 'النبأ حتى سرت بيننا جميعا حالة من الفرح العارم وصفها بطرس غالى فى مذكراته بأنها كانت حالة هستيرية وأخذ كل منا يسرع فى حزم أمتعته . . والواقع أننا كنا سعداء بأن كابوسا قد انزاح عن صدورنا. . . فنحن لم نكن سعداء بالذهاب لإسرائيل . . . ولكننا ذهبنا أداء للواجب . . . تحرك الوفد مع هبوط الليل إلى المطار، وانتظرنا فى المطار لساعات طويلة حتى مجيء الطائرة التى كانت قد ذهبت إلى القاهرة ولم تعد بعد. . . وفى هذه الأثناء كان محمد إبراهيم كامل مازال عابثا ولا يتكلم مع ديان الذى جاء لوداعه، • ولكن بطرس غالى قام بهذه المهمة...!

ويبقى السؤال : لماذا قرر الرئيس السادات قطع المفاوضات واستدعاء الوفد بالرغم من أن الولايات المتحدة كانت قد أرسلت وفدًا كبيرًا برئاسة وزير الخارجية سايروس فانس، وكانت تلك من أولى المهام الدبلوماسية الكبيرة لوزير الخارجية الأمريكية الجديد سايروس فانس ؟

ولقد فسر الرئيس السادات قراره لمحمد إبراهيم كامل فى اليوم التالى عندما قابله فى القناطر الخيرية بأن قرار استدعاء الوفد جاء نتيجة لتصرفات وتصريحات بيجن وديان، وأنه بعد تصريح ديان أثناء افتتاح اللجنة السياسية بأنه لابد من تنازلات من الجانبين أحس السادات بالقلق، وخشى أن يتورط محمد إبراهيم كامل فى بعض التنازلات . . فرد عليه الوزير كامل : وما الذى يدعوك إلى هذا الخوف ؟! فأنا لا أملك التنارل عن شيء . . كما أننى على اتصال مستمر بك فى كل خطوة وفى كل وقت. . وفى اعتقادى أن السادات

اتخذ هذه الخطوة لوقعها الدرامى الإعلامى الذى كان شغوفا به دائما . . . خاصة أنه لم يكن يتوقع ولا يرغب فى أن يقوم هذا الوفد بأية مفاوضات . . . فالرئيس السادات كان هو المفاوض الوحيد من الناحية العملية.

هكذا كان قرار سفر الوفد برئاسة وزير الخارجية وهكذا كان أيضا قرار سحب الوفد.

كان حالنا ونحن فى الطائرة عائدين من القدس عكس ما كان عليه ونحن ذاهبون . عدنا ونحن نشعر بأن عبئا ثقيلا قد انزاح عن صدورنا رغم توجسنا مما سيأتى به المستقبل ورغم ما كنا عليه من إجهاد . . ووصلنا إلى بيوتنا قرب الفجر . . وفى اليوم التالى ذهبت إلى الوزارة والتقيت بزملائى فى إدارة التخطيط السياسى الذين كانوا شغوفين لمعرفة ما حدث . . . وانتهى فصل وبدأ فصل جديد فى رحلة الشهور العشرة التى امتدت منذ زيارة السادات إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ حتى اتفاق كامب دافيد فى سبتمبر ١٩٧٨م.

فى هذه الشهور العشرة كان باديًا لنا فى الخارجية أن محمد إبراهيم كامل يمثل أكبر ضمان لنا فى الدفاع عن المواقف المصرية الثابتة التى عشناها وتعودنا عليها وخاصة بالنسبة للقضية الفسطينية . . . كان الفكر الذى يحكم مواقفنا هو أن يكون الحل الذى يتم التوصل إليه حلا شاملا وليس حلا جزئيًا أو اتفاقية تعالج الجانب المصرى فقط ، كما كنا نعمل على الحفاظ على العلاقات العربية والحيلولة دون تدهورها . . كان ذلك هو الذى يحكم تفكير الوزير كامل وتفكيرنا . . . وكنا نلمس من أحاديثنا معه مدى التوتر فى العلاقة بينه وبين الرئيس السادات » وكان الرئيس السادات يتصور أننا نؤثر على محمد إبراهيم كامل ، وأخذ يسأل عن هذه المجموعة التى تعمل مع وزير خارجيته ، والواقع أننا كنا نعطى الرأى ولم تكن هناك أية محاولة من جانبنا للتأثير عليه ولم تكن هناك حاجة لذلك ، فلم يكن هناك أصلا تناقض فى أفكارنا وتوجهاتنا مع أفكاره وتوجيهاته.

منذ توقيع الاتفاق الثانى للفصل بين القوات عام ١٩٧٥ أصبح واضحا أن عين السادات منصبة أساسا على سيناء . . . وكانت المطامع الإسرائيلية فى سيناء ظاهرة للعيان ، كانوا يريدون إما الإبقاء على عدد من المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء أو اقتطاع جزء من سيناء . . . وكانت أحاديث ديان تدور فى هذا الإطار . . . وكان ديان أكثر إيمانا بأهمية

سيناء وبقيمتها الاستراتيجية ، وذلك بعكس بيجن الذى كان معنيًا بالضفة الغربية باعتبارها الأرض التى قامت فيها مملكة داود وسليمان ولم يشر بيجن إليها إلا باسمها العبرى (يهودا والسامرة).

أما نحن فى مجموعة العمل فكنا نعتبر أن استرجاع سيناء أمر مسلم به ولكننا كنا حريصين على ألا يكون هناك تفريط من جانبنا بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وألا تؤدى مبادرة السادات إلى انهيار الجبهة العربية ، وما لم يكن الاتفاق الذى نتوصل إليه اتفاقا شاملا لأصبحت هذه الجبهة عرضة للانقسامات والخلافات . . . وكان ذلك هو الخط الذى يتخذه محمد إبراهيم كامل . . . وبالتالى كان هناك تناقض رئيسى بين رؤية السادات ورؤية محمد إبراهيم كامل.

ويروى محمد إبراهيم كامل فى مذكراته (السلام الضائع) القصة التالية عن لقاء له مع هيرمان أيلتس السفير الأمريكى بانقاهرة يوم ٦٥ يوليو١٩٧٨ . . يقول كامل: (سألنى أيلتس بطريقة عرضية عن رأيى فى الموقف لو اضطرتنا الأحداث إلى تأجيل حل المشكلة الفسطينية لمرحلة لاحقة وإجراء حل جزئى بيننا وبين إسرائيل حول سيناء . فقلت له: إن هذا مستحيل لأنه يهدم المبادرة التى تقوم على التسوية الشاملة للنزاع العربى الإسرائيلى ، وسيؤدى إلى عواقب وخيمة فى المنطقة . فقال أيلتس: وماذا لو ارتأى الرئيس السادات أن الأفضل هو التوصل إلى ذلك مرحليا؟ فقلت : إن الأمر عندئذ سيكون واضحا بالنسبة لى . . . سأستقيل من الوزارة .

إلا أن السادات لم يكن مستعدًا لأن يضحى بمحمد إبراهيم كامل بسهولة ، لأن ذلك كان سيزيد موقفه حرجا بعد أن استقال كل من إسماعيل فهمى ومحمد رياض احتجاجا على مبادرته . . . وهو لا يريد لوزير خارجية ثالث أن يستقيل . . . وكان يلجأ فى التعامل مع محمد إبراهيم كامل أحيانا إلى محاولة إقناعه بوجهة نظره أو مداراته أو الالتفاف عليه . . وعدم وضعه فى الصورة تماما بالنسبة لاتصالاته مع الأمريكان والإسرائيليين . . . وكانت للسادات دائمًا قنواته الخلفية . . ولم يكن السادات يأبه بالجبهة العربية التى كان يعلق محمد إبراهيم كامل عليها أهمية كبرى ؟ على العكس من ذلك كان السادات يعمل على تقليص تأثير هذه الجبهة بل واستفزازها فى بعض الأحيان مثلما فعل عندما دعا وزير الدفاع

الإسرائيلى عزرا وايزمان لزيارة مصر أثناء وجود وزراء الخارجية العرب فى القاهرة فى تحد صارخ لما كان محمد إبراهيم كامل يحاول أن يحققه من استعادة العلاقات مع العرب .

فى هذه الفترة دارت الاتصالات بين الأطراف الثلاثة : مصر وإسرائيل وأمريكا حول التوصل إلى صياغة متفق عليها حول إعلان مبادئ عن التسوية . . . وكان السفير روى آثرتون مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط هو المكلف بهذه المهمة، وكان يتنقل بصورة مكوكية لهذا الغرض بين العواصم المختلفة ، القاهرة - تل أبيب - واشنطن ولكن مهمة آثرتون كانت مستحيلة التحقيق بسبب التناقض الجذرى فى المواقف ، وأساسًا بين مصر وإسرائيل ، وشهدت هذه الفترة تصاعدا حادًا فى حدة الخلاف بين الرئيس السادات وبيجن . . . وكان السادات يعمل على بث الفرقة بين أعضاء الفريق الإسرائيلى فكان يقرب وايزمان على حساب ديان ، خاصة أن وايزمان كان شخصية منفتحة ، بينما كان ديان دائما متجهمًا.

فى أوائل شهر يوليو تقدمت الولايات المتحدة باقتراحها بعقد اجتماع ثلاثى فى لندن يعقد على مستوى وزراء الخارجية . . . ثم تم تعديل مكان الاجتماع ليصبح قلعة ليدز فى اسكتلندا .

اختار وزير الخارجية الفريق الذى سيصاحبه فى اجتماع ليدز؟ أسامة الباز ، الريدى ، العربى ، ماهر . . وقد وضعت الرئاسة طائرة خاصة أقلتنا إلى مطار لندن ، ومن لندن أقلتنا طائرات الهليكوبتر البريطانية إلى قلعة ليدز التى كانت فى الأصل قصرا منيفًا تحيط به حديقة كبيرة وجميلة .

كان الجو فى الطائرة ونحن متجهون من القاهرة إلى لندن - جوًا مرحًا ولأول مرة رأيت محمد إبراهيم كامل غير عابس أو متجهم ، بل كان على العكس منبسط الأسارير، وأخذ يقص علينا جانبًا من ذكرياته فى العواصم التى عمل فيها . . واستطعت من هذا اللقاء الذى ربما كان اللقاء الوحيد الذى رأيته فيه منشرح الصدر طوال فترة العمل معه كوزير للخارجية . . . استطعت أن أرسم فى ذهنى صورة عنه موازية لصورته كرجل وطني . . وهى صورة رجل محب للحياة ولمباهجها . . . أو كما يقال بالفرنسية Bon Vivant.
وصلنا إلى قلعة ليدز وكانت غرفتى مجاورة لغرفة أسامة، والواقع أن أسامة كان هو نجم

الفريق المصرى فى هذه المحادثات وهو ما ذكره أيضا محمد إبراهيم كامل وبطرس غالى فى مذكراتهما[1]. . . فهو الذى اختاره الوزير ليشرح المشروع المصرى فى الاجتماعات الثلاثية التى حضرها الوزراء الثلاثة ، كامل وفانس وديان . . . واستطاع أسامة فى شرحه ومداخلاته أن يظهر الموقف المصرى كموقف معتدل رغم تمسكه بالثوابت المعروفة فى الموقف العربي.

لم يكن من بين الوفود من اصطحب معه زوجته سوى وزير خارجية إسرائيل موشى ديان » وقد وجد فى البهو الذى يقود إلى غرفة الاجتماعات تمثالا لقطة مصرية من الحب الفرعونية كان دائمًا ما يتوقف أمامه ويتأمله فى إعجاب وربما فى غيرة.

حاول ديان من ناحيته أن يخفف من صورة الموقف الإسرائيلى الذى أصبح الآن واضحا أنه يتجه إلى التصادم مع الموقف الأمريكى . . . إلا أنه رغم هذه المحاولات فإن اجتماع ليدز أظهر بما لا يدع مجالا للشك أن العقبة فى طريق التوصل للسلام تكمن فى رفض إسرائيل الالتزام بالتخلى عن احتلال الأواضى ، وعدم اعترافها بالحقوق المشروعة للشعب الفسطينى ، وهذان العاملان أو المطلبان كانا أساسيين فى المشروع المصرى ، كما تضمن مشروعنا أيضا مقترحات تهدف إلى تحقيق الأمن لكل طراف دون الاحتفاظ بأى من الأراضى المحتلة ، أما الموقف الإسرائيلى فكان يتحدث عن اقتسام الأراضى المحتلة أى تعيد إسرائيل جزءًا وتحتفظ بجزء آخر . . . وكان ذلك يتصادم ليس فقط مع موقفنا بل ومع الموقف الأمريكى أيضا . .

عاد الوفد المصرى من ليدز وهو يشعر بثقة أكبر وبأننا نجحنا فى اجتذاب الولايات المتحدة أكثر وأكثر إلى جانبنا، وأسر فاس وزير الخارجية الأمريكى إلى محمد إبراهيم كامل أنهم (أى الأمريكان) بعد أن تقدموا بمقترحاتهم التى بدأ من اجتماعات ليدز أنها ستكون أقرب إلى الموقف المصرى ، فإن الرئيس كارتر يعتزم أن يوجه خطابا إلى الشعب الأمريكى يوضح فيه المقترحات الأمريكية ثم يعمل بعد ذلك على كسب الكونجرس والجماعات اليهودية إلى جانب الموقف الأمريكي، وإذا لم تتقبل إسرائيل هذه المقترحات فستذهب

(١) السلام الضائع لمحمد إبراهيم كامل، وطريق مصر إلى القدس لبطرس غالي.

أمريكا إلى مجلس الأمن لاستصدار قرار من أجل تطبيق المقترحات الأمريكية.[1]

وإذا كان اجتماع ليدز قد قرب بين مواقف مصر والولايات المتحدة فإن الموقف بين مصر وإسرائيل ظل على تباعده مما أصبح واضحًا معه للجانب الأمريكى الذى يقود عملية السلام . . أنه لابد من تحرك آخر يكون هذه المرة على مستوى القمة . . . كارتر والسادات وبيجن ، حتى يمكن إحداث اختراق فى المواقف والتوصل إلى حل.

كامب دافيد:

واصل الأمريكان اتصالاتهم مع الطرفين بهدف التوصل إلى إعلان مبادئ متفق عليها وكان السفير آثرتون قد عين سفيرًا متجولًا يتنقل بين العواصم للتوصل إلى صيغة متفق عليها . . . كنا نحضر. مقابلات محمد إبراهيم كامل مع آثرتون ، كما كان كامل يطلب إلينا فى بعض الأحيان أن نلتقى بآثرتون دون حضوره . .

لم تنجح الجهود الأمريكية مع ذلك فى سد الفجوة بين الطرفين وأصبح باديًا للعيان أن عملية السلام تواجه حائطا مسدودا. . . وبدأ الأمريكان فى البحث عن مخرج . .وبينما كنت أقضى إجازة قصيرة مع الأسرة فى مرسى مطروح فى شهر أغسطس١٩٧٨ إذا بالأنباء تأتى بأن الرئيس كارتر قرر إيفاد وزير خارجيته فانس إلى المنطقة ليدعو كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحيم بيجن للالتقاء معه فى كامب دافيد حيث يركز الرؤساء الثلاثة بالكامل على التوصل إلى اتفاق وكان مقررا أن يستغرق هذا الاجتماع أسبوعا . . .

كامب دافيد هو منتجع الرؤساء الأمريكيين الذى يقضون فيه أوقاتهم للراحة وخاصة إجازة نهاية الأسبوع ، ويقع فى ولاية ميريلاند التى تجاور مدينة واشنطن العاصمة . . وسط منطقة خضراء تتخللها الوديان والجداول . . ويضم كل أنواع الترفية والتريض والتسلية . . كما أنه مكان مثالى لممارسة رياضة المشي. . . وتتناثر فى المنتجع كبائن خشبية بسيطة ذكرتنى بأسلوب العشش فى رأس البر قبل أن يغزوها الأسمنت والبناء . .

رافق الرئيس وفد فى كامب دافيد على مستويين ، المستوى الأول ضم وزير الخارجية

---

(١) محمد إبراهيم كامل ، السلام الضائع ، ص ٣٥٩.

محمد إبراهيم كامل، ووزير الدولة للشؤون الخارجية بطرس غالى، وحسن التهامى مستشار الرئيس، وحسن كامل رئيس الديوان، وسفير مصر فى واشنطن أشرف غربال.

كان المستوى الثانى وهو الوفد المرافق لوزير الخارجية مكونا من نبيل العربى مدير الإدارة القانونية وعبد الرءوف الريدى مدير إدارة التخطيط السياسى، أحمد ماهر السيد مدير مكتب الوزير، وأحمد أبو الغيط سكرتيره الخاص . . . أما أسامة الباز فكان هو جوكر الوفد، وينتمى إلى المستوى الثانى وظيفيًا، ولكنه الأقرب إلى الرئيس السادات، وكان أسامة هو الذى يعد الأوراق التى يطلبها منه الرئيس، وخصوصًا مشروعات الاتفاق التى تقدم لكارتر، وقد كان أداء أسامة أداء ممتازًا حسب اعتراف كل من كتبوا المذكرات عن كامب دافيد سواء من مصريين أو إسرائيليين أو أمريكيين.

لم يكن من بين أعضاء الوفد الكبار من كان له دور فى الاتصالات التى جرت مع الجانب الإسرائيلى قبل أن يعلن الرئيس السادات مبادرته لزيارة إسرائيل سوى حسن التهامى الذى اختاره الرئيس السادات مبعوثا له للقاء موشى ديان فى المغرب قبل زيارة الرئيس لإسرائيل حيث التقى به مرتين برعاية الملك الحسن ملك المغرب، ولقد اختار الرئيس السادات حسن التهامى لهذه المهمة لما يعرفه عن جسارته وعن أنه سيكون مستعدًا للقيام بها دون تردد . كان التهامى فى الواقع شخصية غير عادية »، كما كان غريب الأطوار . . . وكان يعتقد أنه واصل مع أولياء الله الصالحين، وأنه كما يقال :مكشوف عنه الحجاب، وكثيرًا ما كان يتوقف عن الحديث ليبدأ حديثا آخر مع الإمام الخضر.ويتخاطب معه سرًا أو علانية أمامنا . . . وكان يعتقد جازمًا أنه سيحرر القدس وسيدخلها يوما على حصان أبيض!!

عندما وصلت إلى كامب دافيد دلنى المسؤول الإدارى على الطريق للوصول إلى الكابينة التى سأقيم فيها . . وبينما أنا فى الطريق . . . سمعت من ورائى من يسأل عما إذا كنت أعرف طريقى فنظرت فإذا به الرئيس كارتر نفسه . . وكان يسير وحده مرتديا قميصا وبنطلونا وسويتر بسيطا . . . فقلت له: إننى سأحاول أن أسلك الطريق الذى أبلغنى به المسؤول الإدارى . . . فذكر أنه سيوصلنى إلى هناك . . . وسرنا معا، وكنت قد استمعت قبل لقائنا عن تصريح قوى له يؤكد فيه حقوق الإنسان فى إيران، فسألته عن هذا

التصريح وعن مداه فى إيران وما إذا كان من المحتمل أن يغضب الشاه ، فأجابنى بأن مسألة حقوق الإنسان بالنسبة لإدارته أمر بالغ الأهمية ، ووصلت معه إلى الكابينة ، وكانت حقيبتى قد سبقتنى مع أحد العاملين فى المنتجع . . .

كانت الكابينة مكونة من غرفتين تقاسمت إحداهما وهى الغرفة الخارجية مع أسامة الباز . . أما الغرفة الثانية وهى الغرفة الداخلية فكان بها نبيل العربى وأحمد ماهر وأحمد أبو الغيط .

رغم جمال الطبيعة فى كامب دافيد إلا أن همومنا كانت هى الطاغية على مشاعرنا..وشعرنا بأننا فى مصيدة تاريخية . . وفى عزلة عن العالم . . . حيث لم يكن مسموحًا بالزيارات وخاصة للصحفيين . . . مع وجود ترتيبات لإقامتهم خارج المنتجع مباشرة . . . حيث وسيلة الاتصال الوحيدة المتاحة لهم هى لقاؤهم اليومى مع المتحدث الرسمى باسم الرئيس جودى باول الذى لم يكن يقدم لهم إلا النزر اليسير الذى لا يشفى غليلهم . . .

كان فى كامب دافيد مطعم نؤمه للوجبات . . . وكثيرا ما كنا نلتقى هناك بالوفد الإسرائيلى وكل طرف يحيى الطرف الآخر بأدب فاقد للحرارة . . . وكان بجين يحضر محاطا بأعضاء الوفد الإسرائيلى ، ومرتديا لباسه بشكل رسمي، البدلة ورباط العنق بينما الجميع يرتدى ثيابا بسيطة . . . لم يكن الرئيس السادات يحضر إلى المطعم، ذلك لأن له نظاما خاصا فى الطعام . . حيث لا يتناول بعد الإفطار إلا وجبة واحدة فى المساء وكان يتناولها داخل كابينته . .

كنت أستيقظ مبكرا أنا وأسامة ونذهب للتمشية . . . وكثيرًا ا ما كنا نلتقى بالرئيس السادات وهو مرتد بدلته الرياضية training suit وهى دائما من اللون الكحلى ويسير ومعه طاقم الحراسة ومدرب الرياضة والتدليك..

فى بداية إقامتنا بكامب دافيد دعانا وزير الخارجية فانس ومعه الوفد الأمريكى إلى اللقاء معه ومع برحنسكى مستشار الأمن القومى ومساعديهم الثلاثة الرئيسيين (آثرتون وكوانت وسوندرز) بالإضافة إلى السفير الأمريكى فى القاهرة هيرمان أيلتس والسفير الأمريكى فى إسرائيل سام لويس . . . وعرضوا علينا أفكارهم الأساسية ودارت المناقشة

أساسا حول القضية الفلسطينية . . . وكانت خطتهم تقوم على مرحلتين . . فى المرحلة الأولى يكون هناك حكم ذاتى لفترة انتقالية لمدة خمسة أعوام يتم فيها إيقاف بناء المستوطنات وتجرى انتخابات تؤدى إلى قيام حكومة فسطينية تمارس الحكم الذاتى وتكون لديها قوات للأمن الداخلى strong police force وبعد أن تقوم هذه الحكومة يتم التفاوض بين إسرائيل ومصر والأردن ومعها الحكومة الفلسطينية التى يكون قد تم انتخابها والتى تمارس الحكم الذاتى مع إسرائيل للتوصل إلى حل نهائى للمشكلة الفلسطينية ، بينما تكون القوات الإسر ائيلية فى الضفة والقطاع قد انسحبت إلى نقاط محددة داخل الأراضى الفلطينية . . . وأذكر جيدا ما قاله برجنسكى فى هذا اللقاء حول التشدد الذى يتوقعونه من الجانب الإسرائيلى فى مرحلة الحل النهائى ، فقد قال برجنسكى إنه سيكون هناك تجميد للمستوطنات فى هذه الأعوام الخمسة ، ومن يعلم من من سيكون فى الحكم بعد ذلك فى إسرائيل ، ولكن الأغلب أن بيجين لن يكون عندئذ رئيسًا للوزراء .

أما عن سيناء فقد كان الجانبان المصرى والأمريكى يشعران بأن الأمر واضح بالنسبة لها فنحن فى مصر لن نوقع اتفاقا للسلام ما لم يكن مؤديًا إلى انسحاب إسرائيل الكامل من سيناء وإزالة جميع المستوطنات التى بها وكذلك إزالة المطارين اللذين أقامتهما إسرائيل فى سيناء واللذين كانت إسرائيل تعلق أهمية كبرى عليهما وتتشبث بالسيطرة عليهما كما تتشبث ببناء المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء.

كان الوفد الأمريكى يحصل من كل من الجانبين المصرى والإسرائيلى على الصياغة التى يقترحها مشروع الاتفاق . . ثم يقوم بإعداد صياغته التى يقدمها للطرفين كمشروع أمريكى .. وفى أحد الأيام وبينما كنت أتمشى مع أسامة جاء وزير الخارجية فانس ومشى معنا وأردت أن أستوثق منه مما كنت أعتقده وهو أنهم يطلعون الجانب الإسرائيلى أولا على مشروعهم قبل تقديمه إلى الجانب المصرى ، فسألته : هل تقدمون مشروعكم إلى الإسرائيليين وتتشاورون معهم قبل أن تقدموه لنا؟ فأجاب بأن ذلك ما يفعلونه لأننا ملتزمون بذلك طبقا لتعهد رسمى قطعته الولايات المتحدة على نفسها أثناء المفاوضات التى قادها كيسنجر فى اتفاقية الفصل بين القوات الثانية ، وينص هذا التعهد على وجوب التشاور مع إسرائيل قبل أن تتقدم الولايات المتحدة بأى اقتراح للجانب العربى ، وقد

ذكر وايزمان فى مذكراته عن كامب دافيد (المعركة من أجل السلام) أن بيجن أحضر معه إلى كامب دافيد الورقة التى وقعها كيسنجر وأطلع عليها الوفد الأمريكى دعما لمطالبته ضرورة أن يلتزموا بهذا التعهد فى مفاوضات كامب دافيد .

سارت المفاوضات طوال الأيام الثلاثة عشر التى انعقد فيها المؤتمر من الخامس إلى السابع عشر من سبتمبر ٧٨ على أساس أن هناك إطارين للتوصل إلى سلام فى الشرق الأوسط ، الأول يعالج المشكلة الفلسطينية أو مشكلة الضفة الغربية وقطاع غزة ، أما الإطار الثانى فهو خاص بالمبادئ التى على أساسها تعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل.

كانت قضية المستوطنات سواء فى سيناء أو فى الضفة الغربية وغزة هى أكبر وأعقد المشاكل فى المفاوضات وكان الموقف المصرى قاطعًا فى أن مصر لن تقبل أبدًا وجود أية مستوطنات على أراضيها ، ولن تكون هناك معاهدة سلام إذا لم يتم حسم هذه المشكلة ويتم الاتفاق على إزالة المستوطنات التى أقامتها إسرائيل فى سيناء، بينما ظل الوفد الإسرائيلى يحاول حتى آخر لحظة استبقاء المستوطنات والمطارين فى سيناء .

باستثناء الأيام التى التقينا فيها مع الجانب الأمريكي. . . كنا نشعر كوفد الخارجية طوال بقية أيام المؤتمر أننا مغيبون عن حركة المفاوضات التى تجرى . . . وكان أسامة الباز وحده هو المشارك الحقيقى فى المفاوضات سواء فيما يعده من أوراق عمل يطلبها الرئيس السادات منه ، أو النقاش الذى كان يجريه معه الرئيس كارتر الذى عرف من البداية أن أسامة هو الذى يقوم بالدور الأكبر فى إعداد وصياغة الأوراق والمشروعات التى يتقدم بها الرئيس السادات . . . فكان يستدعيه من حين لآخر ويستدعى نظيره الإسرائيلى أهارون باراك الذى أصبح فيما بعد رئيس محكمة العدل العليا فى إسرائيل .

والواقع أن الأزمة التى كان يعيشها وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل والتى دفعته فى النهاية إلى الاستقالة فى أواخر أيام المؤتمر انعكست على دور الوفد المصاحب للرئيس وخاصة علينا أى مجموعة الخارجية . . . ولقد كان يعز علينا أن نرى الوفد الإسرائيلى يجتمع باستمرار مع رئيسر الوزراء بيجن وكذلك الحال فى الوفد الأمريكى بينما نحن لا نعرف مما يجرى شيئًا إلا ما يخبرنا به أسامة أو نعرفه من خلال أحاديث جانبية مع أعضاء

الوفد الأمريكي.

كان عزرا وايزمان وزير الدفاع هو الوحيد من أعضاء الوفد الإسرائيلي الذى يلتقى به الرئيس السادات، وكانت هناك كيمياء جيدة بينهما . . . وقد استخدم الرئيس السادات هذه العلاقة فى إيصال ما يريد إيصاله من رسائل إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بيجن، وهو نفس ما كان يفعله بيجن . . . وكان وايزمان حريصا على إنجاح المؤتمر . . ومن بين ما فعله فى هذا الشأن إلحاحه على الرئيس السادات أن يلتقى مع ديان حتى يؤدى هذا اللقاء إلى التخفيف من حدة الموقف المتشدد الذى يأخذه ديان وزير الخارجية فى المستوطنات .

التقى الرئيس السادات بالفعل مع ديان يوم الخميس ١٤ من سبتمبر إلا أن اللقاء بدلا من أن يخفف مما كان من حدة فى العلاقة بين الرئيس وديان انتهى إلى قرار الرئيس بأن يقطع المفاوضات، وأصدر أوامره لأعضاء الوفد أن يحزموا حقائبهم ويستعدوا للعودة ، ، وقد بدأ البعض فعلا فى حزم الحقائب . . . إلا أن وفد الخارجية لم يتلق هذه التعلميات وعلى أية حال سرعان ما ذهب الرئيس كارتر لزيارة الرئيس السادات، وأقنعه بالبقاء . وفى اعتقادى أن الرئيس السادات كان مستعدًا للا قتناع . . . وربما استهدف من إعلان وقف المفاوضات الضغط على كارتر الذى زار الرئيس فى كابينته بمجرد أن سمع بالخبر وأقنع الرئيس بالبقاء واستمرت المفاوضات بعد زيارة من الرئيس كارتر طلب منه فيها ذلك، وظلت المفاوضات مستمرة بشكل مكثف بينما ظل أسامة هو الوحيد من بين أعضاء الوفد المصرى الذى يشارك فيها من خلال لقاءات الرئيس كارتر معه ومع المستشار القانونى الإسرائيلي أهارون باراك . . . وكان أسامة بعد كل لقاء يأتى إلى الكابينة ويجلس على سريره ويكوّم نفسه على السرير ويأخذ فى فى كتابة ما جرى إلا أنه رغم مرور أكثر من ثلاثين عامًا على مؤتمر كامب داميد فإن أسامة لم ينشر مذكراته عن وقائع مؤتمر كامب دافيد . . . ولو نشرها لكانت هى المرجع الأساسى من الجانب المصرى على أحداث مؤتمر الثلاثة عشر يومًا الحاسمة فى تاريخ الشرق الأوسط. . . كانت المفاوضات تجرى فى اليومين الأخيرين الحاسمين من المؤتمر بين الجانب الأمريكى والجانب الإسرائيلي، وتم حسم موضوع المستوطنات المقامة فى سيناء على أساس أن يترك بيجن أمرها للكنيست الإسرائيلي ليأخذ قراره بالنسبة لإزالة المستوطنات فى سيناء .

. بينما كان قرار الرئيس السادات هو أنه إذا لم يقر الكنيست إزالة كل المستوطنات من الأراضى المصرية فلن يكون هنالك اتفاق ولن تكون هناك معاهدة سلام.

لم يكن موقف الرئيس السادات على نفس درجة الوضوح بالنسبة للمستوطنات الإسرائلية فى الأراضى الفسطينية أى فى الضفة الغربية وغزة وكان الرئيس السادات يقدر أن بيجن لن يوافق على إزالة المستوطنات فى الأراضى الفسطينية ، وخاصة فى الضفة الغربية التى كان يعتبرها جزءًا من (أرض إسرائيل) ، ولم يكن السادات مستعدا للتضحية باتفاق ينص على الانسحاب الكامل من أراضى مصر من أجل معركة يعلم أنها خاسرة فى النهاية بالنسبة للمستوطنات فى الأراضى الفسطينية ، ولذا فلقد كان المطروح فى المفاوضات هو تجميد هذه المستوطنات على أن يترك مصيرها للتفاوض الذى سيتم بين الأطراف أثناء الفترة الانتقالية حول الوضع النهائى .

ولقد كان مفروضا أن يوقع بيجن خطابًا يتعهد فيه بتجميد العمل فى المستوطنات طيلة هذه الفترة ولكن عندما ذهب إليه مساعدو الرئيس كارتر بهذا الخطاب ليوقعه قبل انتهاء المؤتمر بساعات رفض بيجن توقيعه قائلا: إنه لم يتعهد إلا بتجميد المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية لمدة ثلاثة شهور فقط . . . وهكذا جاءت وثائق كامب دافيد خالية من أى نص على تجميد المستوطنات فى الأراضى الفسطينية باعتبار أن المستوطنات فى الأراضى المصرية قد حسم أمرها على النحو الذى سبق إيضاحه . . وعندما وصلت إلى أيدينا النسخة النهائية التى سيتم التوقيع عليها ولاحظنا أنها لا تشير من قريب أو بعيد إلى المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية ذهب الدكتور نبيل العربى مدير الإدارة القانونية ، وتحدث مع الرئيس السادات إلا أن الرئيس السادات هاج واحتد عليه ، كما أخذ يشير إلى وفد الخارجية متهمًا أعضاءه بأنهم لا يفهمون الأبعاد الاستراتيجية لمبادرته . . . وبأنهم هم الذين كانوا ينصحون محمد إبراهيم كامل باتخاذ المواقف المتشددة التى اتخذها والتى انتهت بتقديم استقالته أثناء مؤتمر كامب دافيد[1] ، وعاد نبيل من لقائه مع الرئيس السادات يحكى لنا وهو منفعل ما دار بينه وبين الرئيس السادات .

كان الرئيس كارتر متعجلا لإعلان نجاحه فى التوصل إلى اتفاق يعلن على الرأى العام

(١) بطرس غالي، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

الأمريكى ويسجل نجاحه الباهر . . . وتحدد يوم ١٧ من سبتمبر باعتباره اليوم الأخير فى المؤتمر ، ولعله بسبب هذه العجلة لجأ كارتر إلى أسلوب الخطابات المتبادلة.... فلا يتضمن الاتفاق نصًا صريحا لعلاج أى من القضيتين الشائكتين أى قضية المستوطنات وقضية القدس . . . ولكن يسجل كل من الأطراف موقفه فى خطابات متبادلة.

وبالنسبة للمستوطنات فى سيناء كان ما توصل إليه الأطراف واضحًا على ما ستنص عليه الخطابات المتبادلة . . . سينص خطاب بيجن على أنه سيطرح القضية على الكنيست للتصويت وسينص خطاب الرئيس السادات على أن النص على إزالة المستوطنات وخروج المستوطنين من سيناء طبقا لجدول زمنى هو شرط سبق للتوصل إلى معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل ، أما بالنسة للمستوطنات فى الضفة الغربية وقطاع غزة. فلقد تبين فى الساعات الأخيرة من المؤتمر أن هناك سوء فهم كبيرًا بين الجانبين الأمريكى والإسرائيلى . . . حيث كان الرئيس كارتر يعتقد أنه قد اتفق مع بيجن على أن يتم تجميد المستوطنات فى الضفة والقطاع لمدة خمسة أعوام بينما كان فهم الجانب الإسرائيلى هو أن ما تم الاتفاق عليه هو تجميدها لثلاثة أشهر فقط . . . ورغم الفارق الكبير بين الفهمين فإن الجانب الأمريكى لم يسع لحسم هذه النقطة قبل انتهاء المؤتمر .

كانت عجلة الأحداث تدور بسرعة . . . وكانت التجهيزات قد أعدت للاحتفال التاريخى وتصور الجانب الأمريكى أنه سيستطيع الحصول على خطاب من بيجن ينص على التجميد للسنوات الخمس بعد انتهاء المؤتمر وهو بطبيعة الحال ما لم يتحقق .

استخدم أسلوب الخطابات المتبادلة بالنسبة لموضوع القدس أيضًا حيث كتب الرئيس كارتر خطابا إلى بيجن أكد فيه موقف الولايات المتحدة الذى اتخذته عقب عدوان ٦٧ مباشرة والذى يتوافق مع النظرة المصرية . . . وكتب الرئيس السدات خطابًا حول موقف مصر التقليدى من القدس . . . ولكن الاتفاق نفسه لم يتضمن شيئا. . .

وهكذا تقرر أن تغادر الوفود كامب دافيد وأن تذهب مباشرة إلى البيت الأبيض لحضور حفل التوقيع الذى سيذاع على الهواء مباشرة وذلك مساء يوم الأحد ١٧ من سبتمبر .

دبر الجانب الأمريكى سيارة لكل عضو من أعضاء الوفد. . . وعندما ركبت السيارة

وسألت السائق إلى أين هو ذاهب وأبلغنى أنه ذاهب إلى البيت الأبيض قلت له بصورة تلقائية : لا بل اذهب إلى فندق ماديسون . . .

لم أكن راغبًا فى حضور حفل توقيع اتفاق يتضمن ثغرة خطيرة مثل ثغرة المستوطنات وثغرة أخرى بالنسبة للقدس . . . وعندما ذهبت إلى الفندق ووضعت حقائبى ذهبت مباشرة إلى جناح الوزير محمد إبراهيم كامل فوجدت كل أعضاء وفد الخارجية هناك: أسامة الباز ونبيل العربى وأحمد ماهر وأحمد أبو الغيط . . . كان قرار مقاطعة الحفل قرارًا انفراديًا أخذه كل منا دون تشاور مع الآخرين . . .

وفى أثناء حفل التوقيع الشهير بين الرئيس كارتر والرئيس السادات وبيجن والذى شاهدناه على شاشة التلفزيون فى جناح محمد إبراهيم كامل كانت مقاعد أعضاء وفد الخارجية شاغرة . . . وهو ما أغضب الرئيس السادات من (أولاد الخارجية) كما كان ورغم هذا الموقف الذى أخذناه فإن أحدًا منا لم يتعرض لأى جزاء أو إجراء تأديبى بل تدرجنا جمعيا فى مناصبنا وشغلنا بعد ذلك أرقى المناصب فى الخارجية المصرية .

الرئيس السادات ومؤسسة الخارجية:

كان هناك بلا شك خلاف فى بين فكر الرئيس السادات وفكر مؤسسة الخارجية . . . ولم كن هذا الخلاف وليد اللحظة التى انعقد فيها مؤتمر كامب دافيد بل كان الخلاف ماثلًا منذ مجيء الرئيس السادات للحكم .

كان هدف السادات الأساسى منذ بداية حكمه هو استرجاع أرض مصر ، ولم يكن مؤمنًا فى قرارة نفسه بفكرة ربط أرض مصر بالحل الشامل . . . تفجر هذا الخلاف بينه وبين محمود رياض وزير الخارجية بعد أربعة أشهر من توليه الحكم ، عندما تقدم بمبادرته فى ٤من فبراير ١٩٧١ للتوصل إلى اتفاق مرحلى يؤدى إلى تطهير وفتح قناة السويس مقابل انسحاب جزئى للقوات الإسرائيلية من الشاطئ الشرقى لقناة السويس . . . وقد تقدم بهذه المبادرة دون أن يستشير وزير خارجيته الذى لم يعلم بهذه المبادرة إلا قبل أن يعلنها بدقائق فى مجلس الشعب ، ولقد حاول رياض فى هذه الدقائق الأخيرة أن يثنيه عن التقدم بهذه المبادرة [1] باعتبار أنها تشكل خروجا على مبدأ شمولية الحل إلا أنه لم يفلح . . . وما

(١) مذكرات محمود رياض ، ص ٣٢٨.

لبث أن تحين الرئيس السادات الوقت المناسب ليتخلص من محمود رياض بعد أقل من عام واحد ، كانت تلك أيضا هى الفترة التى فتح فيها السادات قناة خلفية مع الولايات المتحدة وبدون علم وزير الخارجية محمود رياض .

ولقد حاول السادات طوال عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٢ أن يصل إلى حل يعيد أرض مصر من خلال حلول مرحلية وبمساعدة الولايات المتحدة ، إلا أن الصلف والغرور الإسرائيلى كانا قد تمكنا من القيادة الإسرائيلية فلم تتجاوب مع هذه المبادرات التى لو نجحت لكان من الممكن أن تواصل مصر السادات سياسة الحلول المرحلية والجزئية ولا يستبعد أن تكون قد توصلت إلى اتفاق سلام مع إسرائيل يعيد أرض مصر بالكامل، وهى الحلول التى كان عبد الناصر ومحمود رياض يرفضانها ويصران على أن يكون الحل شاملا على كل الجبهات ، وقد رأينا ذلك عندما رفض محمود رياض اقتراح وزير خارجية أمريكا دين راسك فى ديسمبر ١٩٦٨ والذى كان يقضى بإعادة شبه جزيرة سيناء كاملة لمصر مقابل إنهاء حالة الحرب وبدون أن تدخل مصر حتى فى معاهدة سلام مع إسرائيل ، وعندما عاد محمود رياض للقاهرة أثنى عليه الرئيس عبد الناصر لموقفه الذى اتخذه برفض اقتراح وزير الخارجية الأمريكى دين راسك .

والواقع أن الرئيس السادات لم يعد لسياسة الربط بين الأرض المصرية والأراضى العربية المحتلة إلا عندما وجد أن إسرائيل لن تتزحزح عن موقفها المتصلب إلا إذا أفاقتها من سكرتها حرب تنال من هيبتها وتنزل بها الخسائر مما يجعلها تقبل بفكرة التعايش والتخلى عن الأرض التى احتلتها . . .

ومن هنا جاء تحالف الرئيس السادات مع الرئيس السورى حافظ الأسد على شن حرب أكتوبر حتى يحاصر إسرائيل من الشمال والجنوب ، وسار التنسيق المصرى السورى فى الإعداد للحرب على نحو لم يعهده العالم العربى من قبل ولا من بعد . . . ومع ذلك فإن الرئيس السادات اتخذ قرارا منفردًا فى أواخر الحرب بقبول وقف إطلاق النار عندما رأى أن الولايات المتحدة سارت فى تقديم الدعم العسكرى لإسرائيل بلا حدود ، وأقامت الجسر-الجوى الذى كانت الدبابات والذخائر القادمة من المخازن الأمريكية فى أوروبا تنقل عبره مباشرة إلى القواعد الإسرائيلية فى سيناء، ولم ينسق الرئيس السادات مع الرئيس الأسد مسبقا فى اتخاذ قرار قبول وقف إطلاق النار.

وإذا كان اقتناع الرئيس السادات بأن هدفه الأول هو استعادة أرض مصر حتى ولو أدى ذلك إلى أن يسير فى العملية السياسية وحده ، فإن الفكر الذى تربت عليه مؤسسة الخارجية كان يذهب إلى أن تسعى مصر إلى التوصل إلى تسوية شاملة تتضمن استعادة الأرض العربية المحتلة كلها وإيجاد حل عادل للمشكلة الفسطينية ، وأن حرب ٧٣ التى هزت إسرائيل وجعلتها ترى أن مستقبل وجودها نفسه يمكن أن يكون فى خطر - تقدم الفرصة للتوصل إلى سلام نهائى وشامل بين العرب وإسرائيل.

ومن يقرأ مذكرات وزراء الخارجية الثلاثة ما بين مستقيل ومقال سيجد هذا الخلاف واضحا . . . ويرد هنا على وجه الخصوص مذكرات كل من محمود رياض وإسماعيل فهمى ، وأخيرًا مذكرات محمد إبراهيم كامل الذى وصل الخلاف بينه وبين الرئيس إلى نقطة الانفجار الدرامية أثناء مباحثات كامب دافيد التى قرر فيها الاستقالة من منصبه كوزير للخارجية . . . بل لقد بدا هذا الخلاف واضحا بعد تعيين محمد إبراهيم كامل وزيرًا للخارجية فى ٢٥ من ديسمبر ١٩٧٧م بوقت قصير إلا أن الرئيس السادات عمل على أن يدارى هذا الخلاف حتى لا يستقيل وزير خارجية ثالث خلال فترة وجيزة . . . بل لقد حاول أن يكتم أنباء استقالة محمد إبراهيم كامل وهو فى كامب دافيد ، وطلب إليه ألا يذيع خبر الاستقالة ، وأن يرافقه فى رحلة العودة إلى القاهرة ولكن كامل لم يقبل .

لم يكن محمد إبراهيم كامل فى يوم من الأيام يتطلع إلى أن يكون وزيرًا للخارجية . . . كان غاية ما يطمح إليه هو أن يكون سفيرًا فى بلد هام مثل ألمانيا ، وهو ما كان قد حققه بالفعل ، وكان سعيدًا به . . . وكان تعيينه وزيرًا للخارجية مفاجأة كبيرة له . . ولم يستشره الرئيس السادات فى هذا التعيين قبل إذاعته ، بل لقد علم كامل بخبر تعيينه عندما عاد إلى منزل عديله د . أحمد خيرت سعيد أثناء وجوده بالقاهرة بمناسبة زيارة المستشار الألمانى هيلموت شميت ، فوجد البيت مكتظًا بالأقرباء والأصدقاء الذين كانوا قد علموا بالخبر من خلال إذاعته فى نشرة الأخبار .

لم تكن تركيبة محمد كامل النفسية لتتقبل أسلوب الرئيس أنور السادات الذى يتسم بالصدمات والمفاجآت خاصة فى ظروف ما بعد مبادرته بزيارة القدس ، لقد جاء محمد إبراهيم كامل إلى منصب وزير الخارجية بينما السادات فى ذروة توتر العلاقات مع العرب . . . وهو التوتر الذى أصبح علنيًا من خلال الاتهامات المتبادلة والألفاظ الجارحة بين الجانبين . . . وكان محمد إبراهيم كامل شأنه فى ذلك شأننا جميعا فى الخارجية يشعر بالأسى

أن يصل الحال بين مصر وأشقائها العرب إلى هذا المستوى . . وكان الرئيس السادات يزيد النار تأججًا عندما يعمد إلى استقبال شخصيات إسرائيلية والترحيب بها ، بينما تعقد اجتماعات وزراء الخارجية العرب فى الجامعة العربية بالقاهرة ، وهو ما كان يزيد من هجوم قادة جبهة الصمود والتصدى التى تشكلت عقب المبادرة من سوريا والعراق وليبيا والجزائر . . .

كان محمد إبراهيم كامل يرى ذلك كله فيزداد توترا وتتسم ردود أفعاله بمزيد من العصبية ، والتى ضاعف منها إدمانه للتدخين الذى طالبه الأطباء آنذاك بالإقلاع عنه، وهكذا لم يكن كامل سعيدًا قط فى منصبه كوزير للخارجية ، وكانت مظاهر التجهم والقلق والأرق بادية عليه طوال الوقت . . . ولم أره مستريحًا وهادئًا مع نفسه إلا فى ذلك اليوم الذى حسم فيه أمره وقدم استقالته ونحن فى كامب دافيد . .

وفى هذا اليوم الذى علمت فيه بنبأ استقالته كنت سائرًا معه فى كامب دافيد، وكان معنا السفير محمد إبراهيم شاكر شقيق زوجته ، وكان يشغل فى هذا الوقت منصب نائب السفير فى واشطن وجاء لزيارتنا فى كامب دافيد ، وعندما وجدنى أحاول إثناء كامل عن الاستقالة أخذ يهس فى أذى قائلًا : إنه قد استراح لأخذ هذا الموقف ولا داعى لأن نضغط عليه للتراجع.

غادرت واشنطن إلى نيويورك ومن هناك أخذت الطائرة عائدًا إلى القاهرة . . . وأثناء رحلة العودة أعدت قراءة اتفاقات كامب دافيد أكثر من مرة . . . وفى كل مرة كنت أصل إلى اقتناع بأن هذا الاتفاق معيب ، لأنه لم يعالج المشكلة الفسطينية بالصورة التى تضمن حلها بالفعل ، خاصة أن الجانب الفلسطينى كان معارضًا للاتفاق ، وكان أخطر شيء فى الاتفاق فى نظرى هو خلو الاتفاق من أى نص عن المستوطنات فى الأراضى الفلسطينية المحتلة حسبما كان الأمريكان قد وعدوا أثناء المباحثات فى الضفة الغربية وغزة أو على الأقل النص على تجميدها، وقد ذكر لى فيما بعد أحد الأصدقاء الفسطينيين أنه لو كان الاتفاق قد نص على تجميد المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة لكان من الممكن إقناع الجانب الفسطينى بقبوله.

عندما وصلت للقاهرة أخذت سيارتى وتوجهت مباشرة إلى رأس البر حيث كانت الأسرة قد ذهبت إلى هناك بينما أنا فى كامب دافيد . . . وكنت متعودًا أن أقف لأى شخص يطلب الركوب معى . . . وبعد أن مررت على كفر شكر فى القليوبية وجدت شخصًا يشير

لى بالتوقف، وكان ظاهرا أنه فلاح . . فركب إلى جانبى بينما كنت أقود السيارة ، وأخذت أتحدث معه ، وسألته عن رأيه فى الاتفاق الذى توصل إليه الرئيس السادات فى كامب دافيد وما إذا كان يرى أنه اتفاق (كويس) . . وإذا بى أفاجأ برد الرجل: هو كويس بعقل يا بيه ؟ الحمد لله إن الريس نجح فى التوصل إلى هذا الاتفاق، وسألته لماذا يرى ذلك ؟ فأجاب : يا بيه هنرجع أرضنا . . . والبترول . . ويعدين كفاية حروب . . فسألته : وماذا عن فلسطين ؟ فإذا به يجيب : نحن يا بيه عملنا اللى نقدر عليه فى موضوع فلسطين والمشكلة موش باين لها حل . . وطوال الطريق ظلت كلمات هذا الرجل البسيط ترن فى أذنى . . . وفى اعتقادى أن هذا التفكير أساسًا هو تفكير الرئيس السادات .

ليس من شك أن هذه الاتفاقات ، كما ذكر الرجل المصرى البسيط ، قد مكنت مصر من استرجاع أوضها بالكامل . . . حتى آخر كيلومتر مربع كان فى طابا وتمتعت مصر السلام طوال هذه الأعوام . . . وإن كانت حرية مصر فى إرسال قواتها إلى سيناء حرية منقوصة بلا شك ، كما استعادت مصر أيضا آبار البترول التى كان الإسرائيليون يستزفونها.

ولكن ماذا عن الجانب السلبي: أدت هذه الاتفاقات إلى خلل فى ميزان القوى فى المنطقة . . خاصة بعد أن صدَّقت مصر على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية فى فبراير عام ١٩٨١ دون أن تربط ذلك بتصديق إسرائيل عليها ، فأصبحت إسرائيل هى الدولة النووية الوحيدة فى المنطقة . . ومن خلال علاقاتها الوثيقة مع الولايات المتحدة وقاعدتها العلمية المتفوقة طورت قدرات ضخمة فى مجال الصواريخ ، كما طورت قواتها الجوية والبحرية بشكل كبير، وأطلقت أقمارًا صناعية فى الفضاء ، كل ذلك أدى إلى اختلال ميزان القوى فى المنطقة لصالحها فى مواجهة العرب.

وقد اتخذت إسرائيل مواقف متعنتة فى مفاوضات الحكم الذاتى التى أعقبت التوقيع على اتفاقات كامب دافيد ، وكان مما ساعدها على ذلك أن منظمة التحرير الفلسطينية كانت تهاجم مصر وتعتبر أنها غير مخولة للتفاوض مع إسرائيل حول قضية الشعب الفسطينى مما أضعف موقف مصر التفاوضى فى قضايا الحكم الذاتى التى بدأت بعد توقيع اتفاق كامب دافيد مباشرة . . .

ولكن لا ينبغى أن ننسى للحظة أن معاهدة السلام ليست إلا جزءا من الثمن الغالى الذى مازلنا ندفعه حتى الآن نتيجة الأخطاء الكارثية لحرب ٦٧ .

بطبيعـة الحـال كـان الحـل الأمثـل هـو أن يعمـل الـرئيس السـادات عـلى أن تكـون المفاوضات بينه وبين أمريكا وإسرائيل مفاوضات جماعية يشارك فيها العرب جميعا معه . . . وبالتالي يذهب لمؤتمر كامب دافيد أو أى مؤتمر آخر للسلام من خلال توافق عربي، خاصة مع سوريا . . . ولكن الرئيس السادات كان متعجلا ولا يريد أن يفقد قوة الدفع التى نتجت عن حرب أكتوبر ، ولم تكن سوريا متعجلة ، وكان رفضها وأسلوبها المتشدد حول عقد مؤتمر جنيف عام ٧٧ مما أقنع الرئيس السادات أنه لو انتظر سوريا فإن قوة الدفع التى تولدت عن حرب أكتوبر ستكون قد تبخرت ، بينما هو يريد أن يتفادى وقوع حرب أخرى . . . كما كان يريد أن يرتب البيت المصرى حسب رؤيته ويعيد الحياة إلى منطقة القناة.

باختصار كان السادات يرى أن خمسة وعشرين عامًا من الحروب تكفي. . وأن مصر لا تستطيع أن تستمر فى حالة التعبئة إلى ما لا نهاية . . . كان تحقيق السلام والبناء الداخلى هو شاغله الأكبر . . . وقد سار فى هذا الاتجاه بصورة أدت إلى شرخ كبير مع سوريا ومع العالم العربى ، والواقع أنه كانت لديه شكوك كبيرة حول إمكان الاعتماد على العرب والسوفييت . . . ويعتقد أن القضية المصرية واستعادة الأرض المصرية لا ينبغى ربطهما مع القضية الفلسطينية المعقدة التى أصبحت قضية مزمنة مستعصية على الحل .

كان الرئيس السادات يريد أن يستعيد سيناء بأسرع وقت ، معتقدًا أن الطريق إلى ذلك هو إقامة علاقات استراتيجية مع الولايات المتحدة فهى وحدها التى تستطيع أن تضغط على إسرائيل . . . وكان يعتقد أن الوقت ليس فى صالحه . . . خاصة بعد مجيء بيجن إلى الحكم ، كما أنه رأى فى الرئيس كارتر الذى وصل للحكم فى يناير ثم ٧٧ رجلًا صادقًا ومستعدًا للإلقاء بثقله من أجل حل الصراع . . . باختصار كان يريد أن يتحرك وبسرعة لحل المشكلة المصرية واستعادة أرض مصر . . وكان دائما يردد أنه يسترجع أراضى مصر من (فم الأسد) .

ثمة عامل آخر وهو العامل الداخلى . . . كانت أحداث ٧ و٨ من يناير ١٩٧٧ والمظاهرات التى خرجت فى هذين اليومين وما صاحبهما من أحداث شغب وعنف من أقصى البلاد إلى أقصاها عاملا آخر ضاغطا من أجل الوصول إلى حل يعيد لمصر أرضها ويحقق السلام ليتفرغ للبناء الداخلى من خلال التعاون مع الغرب وسياسة الانفتاح الاقتصادى .

شعر السادات أيضا أن العرب لم يقفوا معه بعد حرب أكتوبر وارتفاع أسعار البترول بشكل كبير ولم يقدموا الدعم المالى الذى يمكن مصر من الخروج من عنق الزجاجة . بل اتجاههم بعد حرب أكتوبر إلى الابتعاد عن مصر . . . متذرعين بأن هناك (فسادًا) فى مصر .. وأن المعونات التى تقدم لا يعرف مصير ها . . .

والواقع أن الرئيس السادات لم يكن فى قرارة نفسه مؤمنًا بفكرة القومية العربية التى تملكت عبد الناصر . . . كان عبد الناصر يخاطب الجماهير من خلال حلم كبير . . وهو أمر لم يكن السادات يأبه به كثيرًا . . . كان حلمه هو استعادة أرض مصر . . . وإخراج مصر من دوامة الصراع ومن فلك الاتحاد السوفييتى . . . والعودة بها إلى أحضان علاقاتها السابقة مع الغرب .

أسامة الباز

كان أسامة كثيرًا ما يترك مكتبه بعد أن عدنا من كامب دافيد ويأتى إلى مكتبى فى الدور الثانى من المبنى الذى يشغله الآن المعهد الدبلوماسى وكانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق للتفاوض لعقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل كما كانت المباحثات مع الإسرائيليين قد بدأت حول سلطات الحكومة الفلسطينية المنتخبة فى الضفة والقطاع قبل التفاوض على الحل النهائى ، وكان وفد الخارجية فى كامب دافيد كله باستثناء أسامة مستبعدًا من هذه المفاوضات ومن بين ما قاله لى أسامة آنذاك: أن الرئيس السادات أراد أن يعينه وزيرا للخارجية ولكنه وجد طريقه للاعتذار بأدب .

لم تمر سوى شهور حتى نقلت سفيرًا فى باكستان ، وفى خلال العام الذى قضيته هناك كان يأتينى خطاب من أسامة كل أسبوعين أو ثلاثة تقريبا وكانت هذه الخطابات تعكس قلقه مما يجرى وكان يصارحنى بما يختلج فى نفسه من شكوك وكان قلقًا بوجه خاص عندما رأى أن الرئيس كارتر بسبب أزمة الرهائن الأمريكيين فى إيران وانعكاساتها الداخلية أصبح ضعيفًا ، ولم يعد قادرًا على أخذ المواقف التى كانت متوقعة منه بسبب تعنت الإسرائيليين خاصة بيجن . . . وقد استمرت هذا الفترة حتى رحيل كارتر فى يناير ١٩٨١ ثم رحيل السادات فى أكتوبر فى نفس العام ، وبدأت حقبة الرئيس مبارك ، وكان أسامة قد سبق له أن تعرف إلى الرئيس مبارك من خلال الرحلات التى رافقه فيها والعمل معه أثناء عمله كنائب للرئيس .

عمل أسامة مع الرئيس مبارك منذ اللحظة الأولى كمستشار الرئيس للشؤون السياسية، ومن أهم الملفات التى لعب فيها دورًا ملف العلاقات المصرية الأمريكية . وطوال الأعوام الثمانية التى قضيتها سفيرا فى واشنطن (١٩٨٤-١٩٩٢) فى عهد الرئيسين ريجان وبوش «الأب » كان أسامة حاضرا فى هذا الملف أكثر من أى شخص آخر.

أكتب هذه السطور بينما يقف أسامة على عتبة الثمانينيات من العمر . . .

طوال هذه السنين التى كان أسامة فيها لاعبا رئيسيًا ومستشارًا نافذًا ، ظل دائمًا هو ذلك الرجل البسيط المولع بالبساطة فى كل شيء . . . كنت أزوره فى مكتبه عندما أحضر للقاهرة فى مهمة أو إجازة ، فكان يقترح على أن نمشى فى الشارع ، ونذهب إلى محل التابعى الدمياطى لتناول وجبة الفول والطعمية المفضلة ، أو نتوقف أمام محل نجف للسندوتشات . . . وهكذا . . . وظل حتى الآن يركب المترو من المعادى إلى القاهرة حتى ترك المعادى وذهب للإقامة فى القاهرة الجديدة ، لم يبهره المنصب قط ، ولم يهتم قط بما يأتى مع المنصب من مظاهر .

وفى يوم من أيام الربيع فى عام ٢٠٠٩م اقترحت عليه أن نذهب معا إلى دمياط ورأس البر فرحب ، وذهبنا هناك حيث التقى بأهل دمياط فى جمع كبير دعانا إليه محافظ دمياط د . محمد فتحى البرادعى ، ثم ذهبنا إلى مدرستنا القديمة ، وكم كان سعيدًا وهو بين الطلبة الذين أقبلوا عليه والتفوا حوله . . . وكم أسعدته الزيارة كلها .

لم يأخذ أسامة حقه من تكريم الدولة له . . . ولكنه يحتل فى قلوب الناس ، خاصة الذين عرفوه عن قرب مكانة لا تعلوها مكانة أخرى . . . أمد الله فى عمره.*

* انتهى كلام السفير عبد الرءوف الريدى عن الدكتور أسامة الباز ضمن تفاصيل المفاوضات مع إسرائيل تحت الإشراف الأمريكى فى كامب دافيد وغيرها .. ووضح تمامًا أن السفير الريدى يرتبط بصلة وثيقة مع الراحل الكريم الدكتور أسامة الباز ولديه الصندوق الأسود الممتلئ بشرائط الذكريات معه.

المايسترو الذى لا يتكرر



نجنح في مصر والأمة العربية بصفة عامة -أحيانا إلى المبالغة وو صفنا لمن نحب ونقدر خاصة لو كان ذلك فى معرض التهنئة بمنصب أو العزاء فى رحيل ، ومع إدراكى لهذه الحقيقة كمصرى أجدنى واثقا تماما فى أن من أتحدث عنه الآن - مهما قلت عنه لن أكون خاضعًا لهذه القاعدة العاطفية - لأنه (بالمنطق العلمى و العملى المجرد) يستحق فعلا أن يوصف بأنه مايسترو السياسة الخارجية المصرية ، وعميد الدبلوماسية المصرية بلا منازع . بل إنه جدير أن نقول عنه : إنه المايسترو الذى لا يتكرر ، فقد حباه الله من الصفات ما جعله نموذجًا متفردا بمعنى الكلمة .

هذا وقد بدأ تقديرى له من هذا المنطلق فى أول لقاء لى معه خارج مصر ، تحديدا فى لندن ، حيث كنت مستشار مصر الإعلامي، جاء هو ضمن الوفد المصاحب للرئيس مبارك الذى كانت رئاسة الجمهورية قد آلت إليه بعد استشهاد أنور السادات بشهور قليلة وكان من الطبيعى أن تتجه الأنظار إلى رئيس مصر الجديد، وتغوص فى أعماق أية معلومات عنه . وكان من الطبيعى أن يكون لأسامة الباز دوره فى التعريف بالرجل وبالمرحلة السياسية الجديدة فى مصر . وأشهد أننى انبهرت بحواراته فى المؤتمر الصحفى الذى أعددته له والذى ضم نخبة من كبار الإعلاميين والدبلوماسيين . فقد كان عميقا فى رؤيته ، متمكنا من لغته الإنجليزية ، متفوقا فى تحليلاته ، متحكما فى انفعالاته وأعصابه أمام

الأسئلة المتربصة المستفزة مثل الحديث عن الفترة التى تولى فيها تهيئة وتثقيف حسنى مبارك عندما كان نائبا للرئيس ، ولماذا أطلق عليه بعض الخبثاء لقب(لافاش كيري).. المهم أننى وقد لمست إعجاب الحضور من الإعلاميين بشخصيته وفكره ، خرجت من المؤتمر فخورًا ومعتزًا ومزهوًا بأن لدينا فى مصر هذا النموذج الرائع ، الذى أضاف بسلوكه ومواقفه نموذجا آخر فى البساطة والترفع عن المناصب الكبرى والتواضع الإنساني. ومازلت أذكر لقاءاتى معه بعد عودتى إلى مصر، وكيف كنت أراه يسير على قدميه فى طريقه من مكتبه بوزارة الخارجية دون حراسة أو استعراض لشهرته وأهميته . وعندما دعوته إلى لقاء الأدباء والمفكرين فى اتحاد الكتاب لم يفاجئنى صوله إلى مقر الاتحاد سائرا على قدميه ودون سيارة تقله وسيارات حراسة يفترض أن تحيط به ، ولم تفاجئنى بساطته عندما شعر بحرارة الجو بخلع الجاكت والكرافتة مكتفيا بقميصه المتواضع، ثم خاض الحوار باقتدار أثار إعجاب الأدباء الذين صمموا على استمرار اللقاء معه ساعات إضافية لينهلوا من فكره ورؤاه السياسية والعلمية ، ولعلنى لا أذيع سًرا حين أقول ما دار بينى وبينه فى مكتبه من حوار امتد من جانبى - إلى حيث استشراء الفساد وظهور معوقات عملية التوريث ، وبدلا من أن أشعر بأننى تجاوزت فى انتقاداتى الساخنة ، فوجئت به يؤكد على الكثير مما ذكرته من سلبيات أصابت السنوات الأخيرة فى حكم مبارك ، مما كان ما ذكره هو بعد ذلك ردا على شائعة مغرضة بأنه يتولى التدريب والتثقيف السياسى لجمال إعدادا للوراثة بأنه كان ضد ذلك ، و هذا ما يؤيده عمليا ابتعاده أو استبعاده من أى دور فى مؤسسة الرئاسة، بل تأكد ذلك بالقطع عندما ظهر فى صفوف الثوارفى ٢٥ من يناير ، ذكرت ذلك كله دون أن أشير إلى دوره البارز فى مختلف القضايا السياسية الكبرى فى عهدى السادات ومبارك وهذا - يا حضرات - حديث يطول ويطول وقد يكون محور مقال آخر. ويبقى أن أقول : ترى هل بالغت فى وصفى للراحل العزيز العظيم أسامة الباز بأنه المايسترو الذى لا يتكرر ، وأنه عميد الدبلوماسية المصرية المتفرد فى صفاته وعلمه وعطائه فى جميع مراحل عمله بوزارة الخارجية ثم بمؤسسة الرئاسة الإجابة عندكم الآن يا أعزائى القراء و يا من تعاملتم مع الرجل من قريب أم بعيد.*

---

* الإذاعى الشهير أ/ حمدى الكنيسي.

كل يوم
أسامة الباز..شخصية فريدة وأسطورة نجاح!*

الذين يعرفون الدكتور أسامة الباز جيدًا يعلمون تمام العلم أن اسمه وتاريخه وثقافته وسلوكه تشكل خلطة سحرية تبقى أكبر من أى كلمات وأبقى من أى رثاء ويكفى أن يقال أنه عاشق لمصر ومؤمن بها وبقدراتها!

كان دائما يفكر بصوت عال ويجاهر بأن مصر تملك كثيرا من المفاتيح التى توفر لها صياغة استراتيجية عليا تضمن مصالحها الحيوية مثلما تضمن لها هذه المفاتيح أن تكون بمنأى عن مخاطر الظروف المتغيرة.

لم يكن يجادل فى أن مصر تواجه منذ يونيو ١٩٦٧ واقعا بالغ الصعوبة يفرض عليها حدودًا معينة فى السلوك الدولى والإقليمى لتفادى مخاطر الاستدراج نحو فخاخ جديدة ولكن الإدارة السياسية المصرية استطاعت- طبقا لرؤيته- أن تتفادى فى زمن عبد الناصر والسادات ومبارك ضغوطًا دولية عنيفة تستهدف الانتقال بمصر من مجرد القبول بقدر محسوب من الترويض إلى حتمية الانزلاق نحو ما يراد لها من تركيع وإذعان!

وإذا كنت قد حظيت بشرف معرفته لنحو ٣٠ عاما واستمتعت بصحبته فى جولات خارجية شملت معظم دول العالم على مدى يزيد عن ٢٠ عاما فإننى لم أر فيه صورة الثعلب السياسى كما كان معروفا عنه وإنما رأيته مفكرا لديه شيء يريد أن يقوله بصوت عال سواء نال إعجاب السلطة التى كان جزءا منها أو نال غضب البعض وحقد وغيرة البعض الآخر!

كان رجلًا له شخصية فريدة وطابع مميز ولم تستطع أضواء النجومية أن تغطى على بساطته وتواضعه ومن ثم لم يكن مهتما ولا منشغلا بأن يصنع أسطورة شخصية وإنما صنع وباقتدار أسطورة نجاح!

* الكاتب الصحفى أ/ مرسى عطا الله ، الأهرام ٢١ من سبتمبر ٢٠١٣م.

أسامة الباز..كان بسيطًا فى التعامل.. ومترفعًا شريفًا

كل إنسان له صفات وعادات أولزمة تزيد أوتقل ، فقد كان الدكتور أسامة الباز رحمه الله عليه له صفات وفضائل كثيرة ، فقد كان بسيطًا فى التعامل ومترفعًا وشريفًا ، فقد عرفته من خلال متابعة الأخبار كمستشار للرئيس السابق وحبه وعشقه للقضية الفلسطينية ، وكما يقولون: معرفة الإنسان الحقيقية تأتى من خلال العشرة والتعامل والاحتكاك، ويقولون فى الأمثال: عرفت فلان وعاشرته .. لا تبقى معرفتوش ، هكذا يقولون: العشرة هى التى تكشف شخصية من تتعامل معه .. وقد حدث فى عام ١٩٩٥ .

الباز الذى اقتربت منه كثيرًا:

دخل د . اسامة الباز عائلة (عمتي) بارتباطه بالأستاذة أميمة تمام ابنتها المذيعة اللامعة يوم كتب الكتاب حضر بمفرده فى سيارته لم تكن هناك حراسة ولا سيارات تحيط به لأنه مستشار الرئيس ، وحضرت عائلته ، واصدقاؤه . . وكانت ليلة جميلة تعرفت عليه فى هذه الليلة ، اندهشت حقًا كان بسيطًا جدًا ، وتحاورنا فى الصحافة وروزا ليوسف مجلتى وأخبرنى يومها بأن رئيسًا جديدًا سيأتى للمجلة وهو الأستاذ محمد عبد المنعم بدلا من عادل حمودة ، فتح البوفيه وهو مازال يتحاور مع الجميع ولم يتناول شيئا غير البرتقالة ، أجمع كل من التقيت بهم أن د . أسامة لديه قدرة على احترام نفسه والآخرين ، فقد كان عفيف اللسان لا يتحدث عن أحد من خلف ظهره ، ويقول رأيه فى الغير أمامه ، شجاع فى كلمة الحق مهما كانت موجعة. ويقول للمخطئ أنت مخطئ فى عينه . . هكذا هو د.أسامة رجل متواضع برغم منصبه الخطير الذى كان يتولاه . . لم يكن بعيدًا عن الشعب أو متعاليا، ولكن هو طراز فريد من الرجال ، كنت أشعر بأنه أقل من رجل عادى ففى يوما كنت فى حى الزمالك فى سيارتى رأيته يسير على الرصيف فى خطوات رشيقة وملابس بسيطة (قميص بترولى وبنطالون كحلى) يبتسم للجميع ، ويحيى من يقترب منه اقتربت منه قائلة : دكتور أسامة تفضل أوصلك . . ابتسم قائلًا: أنا رايح لـ د. صفاء شقيقتى شكرًا .

تابعته فى مرآة السيارة وهو يكمل خطواته فى رشاقة وخفة لا حراسة ولا أحد يحيط به ، مرة أخرى كنت فى زيارة لعمتى بدجلة بحى المعادى واثناء ركوبى السيارة رأيته فى سيارته وهو جالس بجوار السائق وليس خلفه كما جرى العرف مع المسؤولين (الحلوين) ، نزل أمام الفيللا والسائق خلفه يحمل أكياسا أتصور أنها فاكهة ، ولكنه رفض أن يحمل السائق الأكياس ، وتناولها ودخل الفيللا بعد أن رفض أيضًا أن يحملها الحارس .. وقفز سريعا على السلالم .. اندهشت ما هذا الجمال .. من خلال عملى رأيت مسؤولين يحيط بهم طقم حراسة وطابور من السيارات وكلمات كثيرة تنطلق من داخل سيارات الحراسة والسلاح يطل عليك من النافذة . . وسع الطريق . . خد يمينك حتى لو كنت على كوبرى ومطلوب منك أن تقفز منه حتى الباشا يسير بمفرده ، ولكن هذا المستشار يسير فى الشارع ويقف فى طابور المترو ولو كان فى حفلة أو مؤتمر ولم يجد مكانا يجلس فى أى مكان يجده حتى لو كان سلالم أو أرض ، والله العظيم حدث فى الجامعة الأمريكية أثناء ندوة ، وقد حاول الجميع ترك مكانهم له ، ولكنه رفض وجلس على السلالم . . كنت كلما التقيت به بداخل أسرة «عمتى» أمسك لسانى وفمى عن الكلام عن السياسة ، ولكن يضحك قائلًا: أين الأخبار . . واندفع مهاجمة على الفساد والأسعار وكل ما أراه . . لم يزعل وكان يحاور بهدوء . . حضرت عيد ميلاد ابنته الصغيرة الجميلة «مريم» وكانت الأسرة وأطفال العائلة ، وكان يحملها على كتفيه قائلا «ملكتى» حبيبتى ، عيون بابا ويضحك فى سعادة وهويتحرك بها ويحمل قطع الحلوى وأطباق التورتة للضيوف برغم وجود طقم من «شيفات» رجل ودود يحب الناس تتعامل معه كأنه آخ ، صديق ، قريب للقلب . . وشاهدته فى ثلاثة مواقف يوم مرض عمتى الغالية كان يجلس بجوارها على السرير ، ويقرأ لها القرآن والدموع فى عيناه. . حتى يوم الوفاة أصر على حمل «النعش» ونزل بها الى المدفن حتى غلقه وقرأ لها القرآن . . كذلك حدث مع زوجها د. تمام حسان عضو المجمع اللغوى وعميد دار العلوم سابقًا ، وكذلك عمى الدكتور رشدى فكار عندما توفى ، وتم دفنه فى القاهرة بعد عودته فى صندرق من «المغرب» رجل تجده بجوارك فى أحزانك وأفراحك . . وبرغم قربى منه لم أدخله فى مشاكلى فى مجلة روزاليوسف وموقف رئيس التحرير محمد عبدالمنعم عندما تصور أننى معارضة . . أنا وزملائى وحرمنا من العلاوات والكتابة ،

وعندما أبلغنا النقابة ، اتهمنى بأننى متغيبة عن العمل ، ولكن رصيد أجازاتى كان ٦ شهور ، وهذا ما أثبته المحامى لنقابة الصحفيين وتجنبته ، ولم أدخل د .أسامة فى شيء برغم انه كان يسألنى: أخبارروزاليوسف إيه؟ فقد رفضت الوساطة واستغلال هذا الرجل .. د . أسامة الباز لو تركت قلمى للكتابة عنه لن انتهى فهو رجل عظيم . . رحمة الله عليه بعد حدوث ثورة ٢٥ يناير التقيت به أثناء الحكم العسكرى أقصد « المجلس العسكرى»، سألته عن رأيه أو هو قال لى ما رأيك فى الثورة؟ قلت عمل رائع من شباب واع حقق ما لم نحققه نحن.*



* الكاتبة الصحفية آمال فكار.

أسامة الباز..

أيقونة الدبلوماسية والمحبة الشعبية



معرفتى بالدكتور أسامة الباز تعود إلى لقاء على هامش ندوة بالأهرام فى السبعينيات خلال رئاسة الأستاذ هيكل لتلك المؤسسة العريقة التى كانت - ومازالت - تعد أكبر صرح ثقافى وسياسى وتنويرى لمصر..

ولفت نظرى مور فولوجيه الدبلوماسى وحركته وديناميكيته ويقظته الفكرية وتوطدت علاقتنا عبر مشوارى المهني.. فأذكر أنه فى اليوم التالى لإعلان الرئيس السادات مبادرته بالبرلمان للذهاب إلى إسرائيل شرفنى الدكتور أسامة على عشاء، بمنزلنا فى المعادى مع كوكبة من الدبلوماسيين والإعلاميين كان بينهم الراحل العزيز على حمدى الجمال وحرمه مديحة كمال وكان الشاغل الأكبر للباز، استقصاء الرأى حول صدى هذه المبادرة لأن الباز كان مستمعًا جيدًا ومتحدثًا لبقًا فى آن واحد مؤمنا بالحوار على جميع المستويات السياسية والثقافية والإنسانية وخلال أول مؤتمر صحفى عقده الرئيس السادات فى طريق عودته من الولايات المتحدة لتفعيل عملية السلام رأيت الدكتور أسامة الباز والدكتور بطرس بطرس غالى متلازمين فى هذه الرحلة بين هيلتون الرباط وقصر الجوهرة والسخيرات فى عهد الملك الحسن ورئيس وزرائه أحمد عثمان.. وكانا يمثلان قامتين

عاليتين فى مجال العلم والدبلوماسية والعلاقات الدولية.. والتواضع الذى ينم عن أصالة مؤكدة..

ثم التقينا فى عاصمة النور باريس حيث كان الدكتور أسامة له شلة مميزة من الدبلوماسيين والإعلاميين من بينهم أستاذى محفوظ الأنصارى وكان مسرح اللقاءات الثقافية حديقة سان كلو والبجاتيل أشهر حدائق الزهور فى العالم، وفندق الكريون بميدان الكونكورد.. وقهاوى الحى اللاتيني..

وآثر الدكتور أسامة أن يتناول يوما ما العشاء البسيط بمنزلى بحى باسى مع مجموعة من المقربين له بدلًا من تلبية دعوة فخمة والسبب أنه علم بوصول فطير مشلتت من الدلنجات!.. إنه الزمن الجميل، كان أسامة أيضا ملبيا لاحتياجاتنا النفسية والمعنوية ودعما فى غربتنا ونحن فى شرخ الشباب فكم من مرة تدخل لحمايتى من بطش النظار أو من المخبرين أو من ضيق أفق الإدارة المصرية ضد أى شخصية مستقلة أو مستقيمة أو غير متملقة للسلطة والسلطان.. كان أيضا أسامة لا يمن على الصحفيين بالتصريحات وكثيرا ما كان يخصنى بأحاديث انفرد بها الأهرام فى مناسبات دولية عديدة وخلال قمم أديس أبابا الشهيرة إيمانا منه بانتماء مصر الإفريقى وقضايا التنمية ومنابع نهر النيل. كنا نتهافت على مكتبه فى التحرير وكانت الوزارة لا تقل أيامها عن الكيه دورسيه حيث تميزت مدرسة الدبلوماسية المصرية بين أعرق دبلوماسيات العالم من حيث الأداء والذوق الرفيع والمعرفة ولعل كتاب صديقى الدبلوماسى المخضرم السفير عبد الرءوف الريدى رحلة العمر يكشف النقاب عن دور الدكتور أسامة الباز فى الحياة السياسية والدبلوماسية المصرية حيث تزامل الدبلوماسيان فى المدرسة بدمياط، حيث عمل والده كأستاذ فى المعهد الدينى للمدينة وإن كان مسقط رأس أسامة كبش الأقلام فليس غريبا أن يكون أسامة كاتب دولة وهو عرف كان موجودا عند الفراعنة وأن يبرع فى كتابة أحاديث الرئيسين السادات ومبارك وخطبهم الشهيرة ليثرى مؤسسة الرئاسة بتكنوقراطيته الرفيعة وعبقريته السياسية فيرفع من شأن الرؤساء فى الخارج ويقربهم لشعوبهم من خلال حاسته الوطنية والشعبية ويجمل من مؤسسة الرئاسة..

لقد أبرز السفير الريدى فى مذكراته دور أسامة كمحاور رئيسى فى مباحثات السلام ومفاوضات مينا هاوس وقلعة ليدز.. ألم يذكر موشى ديان ووايزمان فى مذكراتهما أيضا صرامة وكفاءة الثعلب الدبلوماسى أسامة الباز.. ناهيك عن وطنيته المصرية والعربية

واحتضانه للقضية الفلسطينية وعلمه بأدق تفاصيل هذا الملف. وإن لم يأخذ أسامة الباز حقه فى التكريم فلقد برهن أنه يسكن فى قلوب كل من عرفوه، وإذا كان قد تم اقصاؤه من الحياة السياسية فأصيب بضربة قاضية فى عمله الذى أحبه فهناك من يرجح أنه بسبب رفضه للتوريث. وهناك من أكد أن الرئيس مبارك اعترف مؤخرا بأنه إذا كان قد استمع لنصائح أسامة الباز، فما كان لنظامه أن يمر بهذه الكبوة الخطيرة التى تمخض عنها النظام الإخواني!!

ومن دواعى اعتزازنا بهذه الشخصية العظيمة أنه عندما عرضت مؤسسة أمريكية عليه عقدا بخمسين ألف دولار شهريا وفيلا وطباخ لكى يؤرخ ويشرف على أبحاث حول تجربته السياسية فى عهد الرئيسين السادات ومبارك رفض الباز وقال للمقربين له: هم يريدوننى أن أكتب ما يتماشى مع مصالحهم فى المنطقة.. وأنا لم أقبل ولا تسمح لى وطنيتى بذلك فلماذا يعرضون على هذا العرض السخي؟ وبقى فى مصر متجاوزا الأزمة التى يمر بها بعد إقصائه ومات مثل الذئب الجريح فى قصيدة للشاعر الفرنسى الفريد دى فيينى تعذب ومات دون أن يفصح عن أى شيء.. وكان يذهب إلى مكتبه للقراءة وتقديم الخدمات للناس.

وإذا كان الدكتور أسامة الباز لم يكتب مذكراته مؤكدا إن عمله مسجل فى محاضر الدولة فأعتقد أن الدكتور مصطفى الفقى الذى يثرينا يوميا بمقالاته الصادقة والجيدة يستطيع أن يقدم عملا جبارا فى تقديم سيرة الباز ودهاليز السياسة الدبلوماسية المصرية ودور هذا المعلم فى صناعة القرار كما اقترح أن يطلق اسم أسامة الباز على الشارع المطل على وزارة الخارجية بالتحرير والمعهد الدبلوماسى والذى عاش الباز فيه أجمل سنوات المخاض السياسى والدبلوماسى ومعظم مشواره الحياتى منتقلا من مكتبه ليقدم تعازيه بعمر مكرم لكل كبير وصغير. لقد أعرب الباز قبل وفاته عن إيمانه بأن مصر سوف تعيش وتتقدم وتزدهر بعد خمس سنوات.

رحم الله أسامة الباز.. الذى أصبح اسمه فى حد ذاته علامة بارزة فى تاريخ مصر المعاصر، وفى وجدان الشعب المصري.*

---

* عائشة عبد الغفار، الأهرام – الجمعة ٢٠ سبتمبر ٢٠١٣م.

كان اسمه يكفيه وأعماله تحميه*

رآه جيرانه أكثر من مرة يقوم بدفع سيارته لنهاية الشارع مع حارسه عندما تعطلت وفشل فى إصلاحها، وكان يجلس بشكل شبه يومى فى مقهى «سيلانترو» فى المعادى، ويتناول فيه القهوة وأحيانا يأتى إليه بعض اصدقائه .

أسامة الباز، المولود فى ١٩٣١ ، بقرية طوخ الأقلام ، بمركز السنبلاوين ، فى محافظة الدقهلية هو الألفة والنابغة فى العائلة ، كما قال لى ذات يوم شقيقه عالم الجيولوجيا الكبير د. فا.وق الباز . درس أسامة فى مدرسة دمياط فى الأربعينيات ، حيث تزامل مع السفير عبد الرؤوف الريدى فى الابتدائية والثانوية : ثم تخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة .

ونال الدكتوراه فى القانون من جامعة هارفارد الأمريكية فى ١٩٦١ فى الولايات المتحدة ، أخذته الدراسة والسياسة تقريبا طوال عقد الستينيات . ولأن السياسة لا تفارقه فقد انتخب رئيسا لجمعية الطلبة العرب فى أمريكا .

قبل ذلك ، دخل اسامة فلك السلطة من باب النائب العام فى ١٩٥٣ م ، ثم صعد سلم العمل السياسى بتعيينه برزارة الخارجية سكرتيرًا ثانيا عام ١٩٥٨ م ، ليصبح أصغر من حصل على درجة سفير فى عام ١٩٧٥ حتى وصل الى منصب وكيل أول وزارة الخارجية وكان مديرًا لمكتب اسماعيل فهمى الذى عُين وزيرا للخارجية فى نوفمبر ١٩٧٧ واستقال احتجاجًا على زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ .

كان أسامة الباز طوال عقود هو الذى يملأ الفراغ الموجود فى مؤسسة الخارجية والدبلوماسية المصرية ، اهتمام الرجل بالتثقيف السياسى والدبلوماسى للعاملين فى الخارجية كان جليا : إذ استقدم لتلاميذه فى معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية كوكبة من كبار الفقهاء والمفكرين وأساتذة الجامعات من أمثال جورج أبى صعب وتحسين بشير ود . عبد الوهاب المسيرى ويحيى العزبى، إلى جانب أسماء لامعة فى سماء الوطن من

---

* عن الدكتور أسامة الباز.

طراز د . لويس عوض وأحمد بهاء الدين وغيرهما.

حتى سنوات قليلة مضت كانت لأسامة الباز ثلاثة مكاتب : الأول فى الدور الأول من وزارة الخارجية ، وكان يتردد عليه أحيانا ، والثانى فى رئاسة الجمهورية ، وقد انقطع عنه منذ بواكير الألفية الثالثة ، والثالث فى ميدان التحرير بالقرب من المعهد الدبلوماسى الذى شارك فى تاسيسه هو والسفير محمد التابعى. . بل إن مكتبه الثالث المفضل لديه كان قبل أكثر من ثلاثة عقود قاعة محاضرات المعهد الدملوماسى قبل أن ينفرد بمبناه القريب منه . . وربما لا يعرف بعض الدبلوماسيين أن معهدهم بدأ فى مكان بعيد كان اسطبلات خيل من قبل . بالنسبة لكثيرين ، كان مكتب أسامة الباز يبدو قديما . . قطعة من التاريخ . . يضم صالونين ، وجهاز تليفزيون وريسيفر للدش ، ولوحات تشكيلية لصيادين يسعون للرزق ، إضافة الى صور شخصية له ولزوجته مذيعة التليفزيون أميمة تمام ، وابنه الأكبر باسل ، وصغيرته مريم . قد تستوقفك فى مكتبه صناديق كرتون يضع فيها أوراقه ، وحقائب مختلفة لا حصر لها ، ولا يفا جأ الذين يعرفونه عن قرب بوجود قمصان جاهزة للاستعمال . وكتب ، وعلب فيتامين (سى)، ونظارات طبية ، وز جاجات كو لونيا أصبح من الصعب العثور عليها ماركة (٥٥٥) .



رحيل الداهية*

السبت الماضى رحل عن عالمنا واحد من أهم الساسة الذين ارتبطوا بتاريخنا السياسى فى عصرى السادات ومبارك وظل يحتفظ بنصيبه من حب الناس له لتواضعه وعدم انفصاله عن الشعب هو أسامة الباز شقيق العالم المصرى فاروق الباز.

أسامة الباز الذى شارك فى مفاوضات وصياغة اتفاقيات كامب ديفيد وكان مسؤولا عن الملف الفلسطينى وظل مستشارًا سياسيًا لمبارك حتى استولى زكريا عزمى على اختصاصاته وترك الرئاسة ، وظل فى مرضه حتى وفاته .

حضر الجنازة جمع غفير من أهل السياسة والثقافة والمال بمصر ، يتقدمهم شقيق الراحل فاروق الباز ، لكن توقفت عند تغطية أحد المواقع الإلكترونية لجنازة الراحل الكبير بالمتابعة بالتالى «بعد قليل سيصل المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية على منصور أحمد المسلمانى للجنازة » ثم خبر «وصول منذ قليل المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية أحمد المسلمانى الجنازة .

خبر ثالث «كان فى مقدمة الحاضرين المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية فلان » ، وخبر رابع «وتحدث المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية بالجنازة إلى فلان وعلان» ، ليتحول نبأ جنازة الراحل الكبير فى تاريخ مصر إلى كومبارس ونبأ حضور الزميل أحمد المسلمانى الجنازة هو البطل ، وبزيادة يا زملاء..

وبالمناسبة عيب من بعض الصحف الحمراء أو الخضراء أن تختزل تاريخ أسامة الباز بكل عراقته بمعرفة الفنانة فلانة أو شائعات زواج عرفى من المطربة علانة .. عيب الأموات لا يستطيعون الرد والدفاع عن أنفسهم وهذا ليس أى شخص فهو عاشق لتراب مصر وأهلها .

---

* حكايات شهيرة النجار، الفجر – الخميس ١٩/ ٩/ ٢٠١٣ العدد ٤٢٤.



(رحيل الداهية)

الباز .. الموت اكتئابًا

لا أظن أن الدكتور أسامة الباز مات بأزم قلبية ، فمنذ سنوات وهناك مرض آخر أكثر حدة وقسوة يصارع الرجل حتى هزمه ، وهو الرجل الذى أدمن الانتصار فى معارك الحياة كان لدى مرض الاكتئاب اللعين أكثر من باب ليدخل فيه حياة وعقل وقلب الباز، فالرجل الذى لعب أدوارًا بارزة فى القضية الفلسطينية منذ معاهدة السلام عاش ليرى انهيار كل ما حلم به للقضية التى آمن بها ، وكان من أشد المتحمسين لها . لم يحل السلام لا بالفلسطينيين ولا العرب . ولم تسلم مصر من عدوانية إسرائيل ، ووصلت القضية الفلسطينية إلى أسوأ حالاتها بين خلافات الإخوة الأعداء وتعنت إسرائيل برعاية أمريكية، أدرك الباز بالتراجعات المتتالية للقضية أن خيار التفاوض لم يكن الطريق للتوازن ولا السلام فى المنطقة ، لم تخلف المعاهدة التى شارك فى صنعها وإن اعترض على بعض بنودها، إلا مزيدًا من التراجع فى دور مصر فى المنطقة ، فى جلساته الخاصة كان الباز يحكى بمزيد من الحزن والأسى ما آل إليه حال القضية الفلسطينية ، ويعدد مرارات الانشقاق والمؤامرات على الفلسطينيين ، فيما بعد تحولت المرارة والحزن إلى اكتئاب سكن القلب والعقل على القضية التى أفنى عمره فيها.

مرة أخرى وجد الاكتئاب بابًا آخر للرجل ، لم يسع الباز لمناصب ولم يعترض أو حتى يهتم بأنه ظل وكيل وزارة الخارجية فيما وصل بعض تلاميذه إلى منصب الوزير، لم يشغل الرجل نفسه بمعارك على مال أو سلطة أو نفوذ، وقد كان أخلص مستشارى مبارك ، وبهذه الصفات نجا الباز إلى حد بعيد من «زنب» ومعارك السلطة القاسية ، وظل طائرا حرا لم تقيده المناصب ولم تستعبده الأطماع ، ولكن المنافسة التى فرضت عليه جاءته من حيث لا يتوقع ، من داخل البيت الرئاسى، فقد كبر الأولاد داخل البيت ، ولم يعد مقبولا أن يظل الباز يلعب دور الأستاذ والموجه لجمال مبارك ، لم يعد مقبولا أن ينادى الباز الرئيس المقبل بلقب التدليل «جيمى» ، ولكن الأخطر أن الباز بكل علاقاته وخبراته وبريقه الخاص لم يعد مناسبا لمرحلة «العيال» ، فرضت الشلة الجديدة على الرجل اكتئابا

جديدا، وسلمته إلى موجة جديدة من العزلة العامة ، أصبح مستشارا بالاسم ، لم يعد الرجل الذى ينصح ويخطط .. ولا شك أن مبارك الأب هو الخاسر الأكبر فى معركة إقصاء الباز، فقد فقدت الرئاسة من بعده بوصلة مهمة فى التنبؤ بالأزمات وإدارتها، وفقد مبارك شبكة علاقات محلية ودولية وعربية هائلة ، هذه الشبكة التى كونها الباز عبر رحلة عمر ناجحة أفادت مبارك فى كثير من المواقف العصيبة ، ربما لو كان الباز أقل إخلاصا وأكثر شرا لما تمكن الاكتئاب منه ، ولكنه أبى أن يفضح من يستحقون الفضح ، وأن يشى بأسرار مبارك والرئاسة ، لم ينتقم وتحمل الآلام والحزن وحيدا إلا من أصدقاء وتلاميذ مخلصين ، رحل الرجل الذى حاز على ثقة ثلاثة رؤساء فى مصر، عمل مع السادات ومبارك ، وكان واحدًا من خمسة شباب اختارهم جمال عبد الناصر لينالوا درجة الدكتوراه فى جامعات غربية ، ففيما كانت معظم البعثات تتجه إلى روسيا والكتلة الغربية ، فقد دفع عبد الناصر بالباز وزملائه الأربعة لكليات القمة فى الغرب ، فحصل الباز على الدكتوراة من جامعة هارفارد الشهيرة فى ظل النظام الاشتراكى فى مصر، ولكن الكلية اللامعة والخبرات الواسعة والعلاقات الممتدة أصبحت فجأة عناصر سلبية تلعب ضد وجوده فى نظام مبارك الابن ، ولذلك لم أندهش لزيارته لميدان التحرير فى ثورة ٢٥ يناير، وربما تكون هذه الزيارة هى آخر عمل عام حرص على المشاركة فيه ولو بزيارة ، ولعله فى قلب الميدان تساءل لو أن هذه الثورة جاءت مبكرة خمس أو عشر سنوات ، ولعله أدرك أن الثورة التى لم يستفد منها ستمنع عن آخرين من أبناء الوطن اللامعين شبح الاكتئاب والإقصاء.




الصباح
الأسبوعي
رئيس التحرير
وائل لطفى


شخصيات
أسامة الباز
صانع الملوك وراكب المترو

أسامة الباز..

صانع الملوك الذى ركب المترو!



العدد ١٤ - الاثنين ٢٢ سبتمبر ٢٠١٢
E-Mail: elsabah25@yahoo.com



الباز مع الرئيس الراحل أنور السادات



مع بطرس غالي



[illegible]



مع الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات

فى مصر، معادلة شبه مستحيلة إسمها: النفوذ مع الولع بالبساطة.

لكن أسامة الباز نجح فى حل المعادلة ببراعة ربما لاحقت ككابوس من جاءوا إلى السلطة بعده.

فقد احتفظ الباز بصورته اللامعة كمفاوض سياسى عتيد، ولاعب رئيسى ومستشار نافذ، مع تمسكه بصفة التواضع التى منحته مكانة فريدة فى قلوب كثيرين.

ولأنه كان «نقطة تلاق» بين مختلف التيارات والأنظمة المختلفة، فقد اجتمعت مصر والعرب فى سرادق عزائه. مئات السياسيين والدبلوماسيين والعسكريين والوزراء الحاليين والسابقين، وآلاف المواطنين العاديين من مختلف الفئات الاجتماعية والشرائح الاقتصادية، كانوا هناك فى وداع مايسترو السياسة الخارجية المصرية ورجل الدولة بكل ما يعنيه هذا الوصف.

كنت تراه يمشى منفردًا دون حراسة، مستقلًا المواصلات العامة، ومن بينها مترو الأنفاق، أثناء تحركه من منزله فى المعادى – قبل أن يتركه ويذهب للإقامة فى القاهرة الجديدة – إلى مقر عمله بالقرب من ميدان التحرير. تجده فى المترو مسندًا ظهره على الباب الخلفى، دون أن يكترث به أحد، وهو ما يريده بالفعل. تلهو أصابعه بتذكرة مترو بيضاء، تشير إلى أنه يحمل اشتراكًا فى مترو الأنفاق. شخصية ودودة تحب أن تكون وسط الناس؛ لأنه واحدٌ منهم.

المترو كان اختيار رجل عملى، يعرف أن المترو يمكن أن يقطع هذه المسافة فى نحو عشر دقائق، فى حين تقطعها السيارة فى ساعة ونصف الساعة، وهو أمرٌ لا يطيقه، خاصة إذا كانت سيارته متواضعة وغير مكيفة، ويمكن أن تتمرد عليه من الحر.

درج الناس على رؤيته فى كل مكان دون أى حراسة، وكان يمكن أن تشاهد هذا الدبلوماسى رفيع الشأن والفقيه القانونى عابرًا ميدان التحرير ليشترى بنفسه شيئًا، أو قاطعًا الشوارع المحيطة به أو أمام مبنى جامعة الدول العربية، أو مارًا فوق كوبرى قصر النيل، وأحيانًا يقطع الطريق ليلتقط سيارة أجرة. وربما تندهش وأنت تراه واقفًا فى الطابور لقطع تذكرة سينما فى وسط البلد، أو وهو يتناول وجبة الفول والطعمية المفضلة لديه فى محل التابعى الدمياطى أو محل نجف للسندوتشات.

وربما تجد صانع الملوك فى عهدىّ السادات ومبارك أمام كشك لبيع الصحف والمجلات وهو ينتقى بعضها للقراءة، أو تشاهده مصطحباً طفلته مريم لشراء أدواتها المدرسية من مكتبة «فوليوم» بنفس الشارع الذى يسكن فيه. وببساطة أيضاً ستشاهد نفس الرجل، مساء، جالساً فى هدوء شديد على مقهى أو فى جاليرى أو ندوة فكرية وثقافية يستمع أكثر مما يتكلم.

كان اسمه يكفيه، وأعماله تحميه.

رآه جيرانه أكثر من مرة يقوم بدفع سيارته لنهاية الشارع مع حارسه عندما تعطلت وفشل فى إصلاحها، وكان يجلس بشكل شبه يومى فى مقهى «سيلانترو» فى المعادى، ويتناول فيه القهوة وأحياناً يأتى إليه بعض أصدقائه.

رغم عمله فى قلب المطبخ السياسى، وقربه من الرئيس الأسبق حسنى مبارك، ودوائر صنع القرار فى نظامه، لم تظهر عليه أعراض مئات المسئولين الكبار والصغار الذين ساهم فى وصولهم إلى مناصبهم.. ومن هذه الأعراض الغطرسة والتعالى والكلام من طرف الأنف. اتسم على الدوام بترفع نادر عن المناصب ومواقع السلطة، مارسه بصفاء نفس ظل ملازماً له حتى وافاه الأجل.

لم يكن الباز، الذى رحل فى ١٤ سبتمبر ٢٠١٣، يدخل صالة كبار الزوار فى المطار، ولم يألف ركوب سيارة فخمة فى حياته اليومية، بل إنه لم يكن يحب أن يُطلَق عليه أو ينادى بالألقاب التى تطلق على نظرائه ويفضل مناداته بالدكتور أسامة فقط. حتى الذين عرفوه خلال دراساته العليا فى بوسطن يروون كيف أن العاملين فى المطعم الذى يرتاده بانتظام كانوا يعرفون ما يطلبه أسامة كل يوم؛ كوب من اللبن وحلقات من البصل. هكذا عاش أسامة فترة غير قصيرة ينفق على دراسته مقيماً فى شقة صغيرة متواضعة يشاركه فيها شاب أمريكى يدرس هو الآخر فى جامعة هارفارد، مترفعاً عن أن يطلب لنفسه شيئاً ربما لا يكون له حق فيه.

ويحكى البعض عن دقته واهتمامه بالتفاصيل الصغيرة فى عمله، حتى أنه كان يحوِّل عادةً بخطه العربى والإنجليزى الجميل، الملاحظات والتحليلات والخطط والسيناريوهات المحتملة إلى رسم بيانى واضح المعالم. والحقيقة أن القلم والورقة كانا من

أهم ما فى حياته، وكم كان يسعد كثيرًا إذا قدم إليه أحدٌ مجموعة من الأقلام تكتب كالحرير.

وأسامة الباز، المولود فى ١٩٣١، بقرية طوخ الأقلام، بمركز السنبلاوين، فى محافظة الدقهلية، هو «الألفة والنابغة فى العائلة»، كما قال لى ذات يوم شقيقه عالم الجيولوجيا الكبير د. فاروق الباز. درس أسامة فى مدارس دمياط فى الأربعينيات، حيث تزامل مع السفير عبد الرؤوف الريدى فى الابتدائية والثانوية؛ ثم تخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ونال الدكتوراه فى القانون من جامعة هارفارد الأمريكية فى ١٩٦١. فى الولايات المتحدة، أخذته الدراسة والسياسة تقريبًا طوال عقد الستينيات. ولأن السياسة لا تفارقه، فقد انتُخِبَ رئيسًا لجمعية الطلبة العرب فى أمريكا.

قبل ذلك، دخل أسامة فلك السلطة من باب النائب العام فى ١٩٥٣، ثم صعد سلم العمل السياسى بتعيينه بوزارة الخارجية سكرتيرًا ثانيًا، عام ١٩٥٨، ليصبح أصغر من حصل على درجة سفير فى العام ١٩٧٥، حتى وصل إلى منصب وكيل أول وزارة الخارجية، وكان مديرًا لمكتب إسماعيل فهمى، الذى عُيِّنَ وزيرًا للخارجية فى نوفمبر ١٩٧٣ واستقال احتجاجًا على زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧.

سيرته المهنية تتضمن محطات مهمة تعطى نبذة عن دور الرجل ومكانته، فقد كان أحد مستشارى مركز الدراسات الإسرائيلية والفلسطينية بمؤسسة الأهرام ومديرًا لمكتب الأمين الأول للجنة المركزية للشئون الخارجية ثم مقررًا للجنة الشئون الخارجية المنبثقة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومديرًا للمعهد الدبلوماسى ومديرًا لمكتب نائب رئيس الجمهورية ثم مديرًا لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية، علاوة على منصبه كوكيل أول وزارة الخارجية.

كان أسامة الباز طوال عقود هو الذى يملأ الفراغ الموجود فى مؤسسة الخارجية والدبلوماسية المصرية.

اهتمام الرجل بالتثقيف السياسى والدبلوماسى للعاملين فى الخارجية كان جليًا؛ إذ استقدم لتلاميذه فى معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية كوكبة من كبار الفقهاء والمفكرين وأساتذة الجامعات من أمثال جورج أبى صعب وتحسين بشير ود. عبد الوهاب

المسيرى ويحيى العزبى، إلى جانب أسماء لامعة فى سماء الوطن من طراز د. لويس عوض وأحمد بهاء الدين وغيرهما.

حتى سنوات قليلة مضت كانت لأسامة الباز ثلاثة مكاتب؛ الأول فى الدور الأول من وزارة الخارجية، وكان يتردد عليه أحياناً، والثانى فى رئاسة الجمهورية، وقد انقطع عنه منذ بواكير الألفية الثالثة، والثالث فى ميدان التحرير بالقرب من المعهد الدبلوماسى الذيشارك فى تأسيسه هو والسفير محمد التابعى.. بل إن مكتبه الثالث المفضل لديه كان قبل أكثر من ثلاثة عقود قاعة محاضرات المعهد الدبلوماسى قبل أن ينفرد بمبناه القريب منه.. وربما لا يعرف بعض الدبلوماسيين أن معهدهم بدأ فى مكان بعيد كان إسطبلات خيل من قبل.

بالنسبة لكثيرين، كان مكتب أسامة الباز يبدو قديماً.. قطعة من التاريخ.. يضم صالونين، وجهاز تليفزيون وريسيفر للدش، ولوحات تشكيلية لصيادين يسعون للرزق، إضافة إلى صور شخصية له ولزوجته مذيعة التليفزيون أميمة تمام، وابنه الأكبر باسل، وصغيرته مريم. قد تستوقفك فى مكتبه صناديق كرتون يضع فيها أوراقه، وحقائب مختلفة لا حصر لها. ولا يفاجأ الذين يعرفونه عن قرب بوجود قمصان جاهزة للاستعمال، وكتب، وعلب فيتامين (سى)، ونظارات طبية، وزجاجات كولونيا أصبح من الصعب العثور عليها.. ماركة (٥٥٥).

شغل د. أسامة الباز أهم المناصب فى الدولة، وكان فى واجهة السلطة، وربما هو أحد من القلائل الذين عملوا مع عبدالناصر والسادات ومبارك. كان دوماً العقل المفكر للسياسة الخارجية المصرية، لكنه لم يرغب أبدًا أن يكون وزيرها، فقط كان يقدم نفسه بصوته الرخيم أنه وكيل أول وزارة الخارجية المصرية. لم يكن راغباً فى تقديم نفسه فى منصب يلتصق بكلمة الرئيس. كان يريد أن يعمل بحرية ويعيش كذلك أيضاً بعيدًا عن بريق السلطة والتزاماتها، وحسب تعبير د. محمد إبراهيم كامل، وزير الخارجية فى زمن كامب ديفيد، فإن أسامة الباز هو سلطة فى الظل تعرف جيدًا كيف تهرب من الأضواء.

مشوار النجاح بدأ فى عهد جمال عبدالناصر.

ظهر الباز مرات مع عبدالناصر فى اجتماعات عدة تناقش شئون الأمن القومى. وفى

عام ١٩٧١ كان مسئول العلاقات الخارجية فى منظمة الشباب التى كوّنها ناصر لتكوين جيل وصفه بأنه «على موعد مع القدر».

تقارب الباز مع الرئيس السادات، حتى أن الأخير اختاره ليكون ذراعه اليمنى فى عملية التفاوض التى بدأها بعد زيارته للقدس، وطلب منه كتابة الجزء القانونى من خطابه الشهير الذى ألقاه فى الكنيست الإسرائيلى. شارك عميد الدبلوماسية المصرية فى مفاوضات كامب ديفيد، وصياغة معاهدة السلام فى ١٩٧٩، وتولى مسئولية الملف الفلسطينى - الإسرائيلى فترة طويلة.

ويصف د. بطرس غالى أعضاء الوفد المصرى فى كامب ديفيد بعبارة دالة وموجزة يقول فيها: «وكان محمد كامل متوترًا، وحسن التهامى حالمًا، بينما أسامة الباز يشع بالذكاء والطاقة».

كان الباز صقر المفاوضين المصريين فى كامب ديفيد؛ إذ أرهق المفاوضين الإسرائيليين بالتدقيق فى كل تفصيلة وفاصلة، كما بلغ الأمر حد أن كاد الباز يمسك بخناق د. بطرس غالى أثناء الجدل حول بعض مسائل الاتفاق. مع ذلك، فقد أرجع غالى الفضل فيما أحرزه المفاوض المصرى من نجاح إلى القدرات الفنية والقانونية لشخص واحد هو أسامة الباز.

كان الرئيس الأمريكى جيمى كارتر يعرف أن أكثر أعضاء الوفد المصرى تأثيرًا فى مفاوضات كامب ديفيد هو أسامة ويقابله فى الوفد الإسرائيلى المستشار القانونى أهارون باراك، وكان كارتر كثيرًا ما يتصل بشكل مباشر بكلا الرجلين ويطلب منهما أن يحضرا لمناقشته كل على حدة لمحاولة إيجاد حل لما يطرأ من مشكلات فى المفاوضات. وكان أسامة يذهب ويعود بعد أن يمر على الرئيس السادات فى كابينته ليبلغه بما حدث ثم يعود ويجلس على سريره، ويسجل ما جرى من مناقشات بينه وبين كارتر.

ويحكى البروفسور ويليام كوانت، المسئول عن الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى الأمريكى، وأحد المشاركين فى اجتماعات كامب ديفيد، أن مشهد الرئيس كارتر وأسامة الباز حاملين القواميس وكتب القانون الدولى والاتفاقات والمعاهدات، كان مشهدًا معتادًا فى هذه الأوقات التاريخية. حمل الرجل أعباء اللحظة كلها من ناحية المعلومات والقانون الدولى والخبرة فى الصياغة، فى حين كان السادات كان يقضى معظم

أمسياته فى كامب ديفيد، وهو يدخن غليونه ويشاهد أفلام فريد الأطرش، حسب أسامة الباز نفسه.

كتب الرئيس الأمريكى جيمى كارتر بعد ذلك، وبريزنسكى مستشاره للأمن القومى وسايروس فانس وزير الخارجية عن المفارقة ما بين الوفد الإسرائيلى والوفد المصرى، بين فريق إسرائيلى كامل، ورئيس وحيد مع خبير سياسى وقانونى واحد تم تنصيبه لحظة المواجهة بعد أن قرر وزير الخارجية الاستقالة. ثابر أسامة فى مهمته، حيث شارك فى صياغة جميع الوثائق الخاصة بالمفاوضات، وأرهق الإسرائيليين بملاحظاته ومراجعاته، لينال بعدها وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.

كان أسامة هو رجل الأزمة بوجوده إلى جوار نائب الرئيس آنذاك حسنى مبارك؛ ومع الرحيل الدامى للسادات فى أكتوبر ١٩٨١، لعب الباز دورًا مهمـًا فى هندسة وإيقاع الخطوات التى اتخذت حتى تمت تولية نائب الرئيس رئيسـًا للبلاد فى إيقاع دستورى سليم.

وطوال الأعوام العشرة الأولى من حُكم مبارك (١٩٨٢ـ ١٩٩٢) كانأسامة هو أكثر الناس تأثيرًا فى إدارة دفة البلاد وخاصة فى السياسة الخارجية، حتى أن كثيرين وصفوه بأنه كاتم أسرار منظومة مبارك الرئاسية لسنوات طويلة. استقرت مهمة كتابة الخطابات السياسية فى عهد مبارك عند مستشاره السياسى أسامةالباز.

لكن هذا الدور أخذ فى الأفول فى الأعوام العشرة الأخيرة من حُكم مبارك التى ظهر فيها مشروع التوريث، حتى تلاشى تأثيره تدريجيـًا ودون ضجيج، وإن لم يصدر قرار رسمى بإلغاء أى من امتيازاته كوكيل أول بوزارة الخارجية.

اختار الباز طوعـًا الابتعاد عن المسرح السياسى قبل نحو عقد من رحيل مبارك عن سُدة الحكم، ولم يظهر بعد ذلك إلا نادرًا فى تصريحات مقتضبة. وربط محللون بين هذا الغياب وظهور الملامح الأولى لمشروع توريث الحكم، ما أكده فى حواره مع جريدة «المصرى اليوم» فى ٢٠١٢، بقوله: «لم أكن وراء ملف التوريث، بل كان أحد الأسباب الرئيسية فى ابتعادى عن مؤسسة الرئاسة. ولا أنكر أننى كُلفت من قبل مبارك بتعليم نجله جمال السياسة، ولم أكن من الداعمين لتوليه رئاسة الجمهورية»، فيما عرف بملف التوريث آنذاك.

خرج الباز من السلطة حين تحوَّل من مستشار يصنع السياسات إلى مستشار لا يستشار. وروى الباز لمحمد سلماوى ذات مرة كيف سُحبت منه مسئولية كتابة الخطابات السياسية لمبارك بالتدريج، إلى أن وصل لمرحلة كان يكتب فيها الخطاب ليجد الرئيس يلقى خطاباً آخر كتبه ابنه.

من تناولوا أسامة الباز، لم يذكروا أن بدايات خروجه من دائرة مبارك تزامنت مع موقفه المسئول من السودان بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال مبارك فى أديس أبابا فى يونيو ١٩٩٥ . يومها دق صفوت الشريف طبول الحرب بعد تدهور العلاقات، لكن الباز قال إنه لا يمكن لمصر أن تنال من سودانى واحد والأزمة لا بدَّ من تناولها عبر القنوات السياسية والمنظمة الدولية لو اقتضى الأمر. وصرح مبارك لجهاد الخازن فى جريدة «الحياة» بأن هذا المسئول تكلم من تلقاء نفسه وستتم محاسبته. بعدها بدأ نجم أسامة الباز كمستشار سياسى لمبارك رحلة الأفول.

منذ أن اختفى الباز عن الساحة بدأ مسلسل انهيار النظام. ربما كانت مصادفة، لكننا لم نر منذ ابتعاده مسئولًا واحدًا له نصف القبول الذى كان يحظى به.

كان الفارق مذهلًا فى الكفاءة بين جيل يمثله أسامة الباز، وجيل يمثله جمال مبارك وأحمد عز، فكان السقوط المدوى لنظام مبارك على يد ثورة ٢٥ يناير.

ورغم عمله مستشارًا سياسياً للرئيس الأسبق، لأكثر من ٢٠ عاماً، ورغم أنه كان يُعد خازن أسراره، فإن ذلك لم يمنعه من المشاركة فى ثورة ٢٥ يناير، بميدان التحرير، ضد مبارك. أشاد الباز بشباب الثورة قائلًا: «الأولاد اللى عملوها جدعان، وأنا شايف إنها هتنجح رغم كل العقبات التى ستواجهها».

كان بإمكان مبارك تجنب هذه النهاية المدوية لو أنه استمع إلى نصيحة مستشاره السياسى السابق د. أسامة الباز، الذى قال إن مبارك «كان بإمكانه أن يتجنب ما حدث لو استمع لنصيحتى فى بداية سنة ٢٠٠٢، عندما طالبته بعدم خوض انتخابات الرئاسة ٢٠٠٥ وأن يبدأ بنقل السلطة بشكل تدريجى، وألا يعيد ترشيح نفسه مرة أخرى وأن يعطى الفرصة لجيل آخر يكون تحت إشرافنا حتى نتأكد من أنه يسير فى المسار الصحيح، لكنه للأسف استمع لأشخاص كثيرين لهم مصالح فى بقائه فى السلطة، هؤلاء الأشخاص

للأسف لم ينقلوا له الأوضاع على حقيقتها وكانوا يزيفون الحقائق، وهو ما تسبب فيما آلت إليه الأمور».

الباز قال عن مبارك إنه ترك الملفات الداخلية فى أيدى الأجهزة الأمنية، على الرغم من كونها ملفات سياسية، كما ترك الملفات الخارجية دون اهتمام، بشكل تسبب فى تقزيم مصر وضياع دورها الريادى. وانتقد أسامة الباز أسلوب مبارك وعدم استماعه إلى آراء ونصائح مستشاريه، مؤكدًا أنه كان لا يسمع إلا صوت نفسه، ولا يقبل بالرأى الذى يخالف هواه، لكنه لم ينس أن يؤكد أن مبارك تغير فى منتصف فترة حكمه، وتحول من رئيس يتمتع بالكياسة والعدالة والقدرة على الإنصات إلى رئيس لا يسمع ولا يرى إلا نفسه، يتحكم فيه ابنه ويقدم التنازلات للجميع من أجل ضمان توريثه كرسى الرئاسة.

أسامة الباز واحد من الشخصيات التى دار حولها انقسام فى الشارع المصرى، فهو فى نظر البعض الرجل الذى ساهم فى إعطاء الدولة المصرية فرصة إلى المستقبل متجاوزًا فى ذلك كثيرًا من أقرانه ومعاونيه ونخبة مصرية كاملة.

غير أن فريقًا آخر رأى أنه كان مثل المحامى الضليع الذى يدافع عن موكله سواء كان مخطئًا أو مصيبًا، ومن ذلك تبريره استمرار بقاء مبارك فى سدة الحكم فى حديث تليفزيونى عام ٢٠٠٧، بالقول إن «الرئيس يريد أن يقول إنه لن يتخلى عن واجبه، فهو مقاتل ولا ينظر إلى الأمر على أنه شو».

وربما لازم التناقض أسامة الباز فى عدد من تصريحاته عن السياسة الداخلية، خاصة لدى تناوله مسائل كتعديل الدستور وتخلى مبارك عن السلطة. بل إن الباز ذهب فى أوائل مارس ٢٠٠٥ إلى أن قانون الطوارئ لا يمثل قيدًا على ممارسة المواطن العادى لحقوقه السياسية. ويقول منتقدوه إنه أحد مُنظرى حالة «اللا قمع.. واللا حرية» التى عاشتها مصر فى عهد مبارك، وإنه مع بقائه قريبًا من السلطة فإنه لم يعمل على تغيير الأوضاع السياسية بشكل جدى، ما يشير – حسب تقديرهم – إلى اقتناعه بأن أى إصلاح يجب خروجه من كنف وآليات ووسائل النظام نفسه.

ويأخذ عليه هؤلاء أن اجتهاداته فى بعض قضايا الإصلاح فضفاضة وحمآلة أوجه يمكن تفسيرها بطرق متباينة، وفى هذه الحدود يمكن القول أنه مع الإصلاح وضد

التغيير. أما فى نظر أوساط أخرى فإنه يعتبر من المطالبين بالإصلاح والتغيير فى الوقت نفسه. ومع أنه من الذين رفضوا فكرة تعديل الدستور أو بعض مواده ورأى تأجيلها، فقد وصف تعديل المادة (٧٦) من دستور ١٩٧١ بأنها الأبرز والأهم فى مسيرة الإصلاح السياسى.

ومن الجائز القول إن إخلاصه للرئيس مبارك أوقعه فى بعض المطبات، ففى الخامس من نوفمبر ٢٠٠٢ قال إن الرئيس مبارك «لن يرشح نفسه فى انتخابات الرئاسة القادمة». وأكد الباز ترحيبه بتوسيع المشاركة السياسية وعدم حصرها فى عدد محدود، وأشار إلى أن الرئيس لا يفكر فى توريث الحكم لابنه. وفى اليوم التالى (٦ نوفمبر ٢٠٠٢) قال بعبارة التوائية «إن الرئيس مبارك لا ينوى تمديد حكمه مدى الحياة»، وأوضح أنه من المبكر جدًا قول ما إن كان سيخوض الانتخابات، ونفى قيام الرئيس بتهيئة جمال لتسلم السلطة، قائلًا إن جمال بالذات لا يعد نفسه لتسلم السلطة أو أى شىء من هذا القبيل.

غير أن هناك روايات رائجة لم ينكرها الباز، تقول إنه أحد أساتذة جمال مبارك، وفى مقدمة الذين حاولوا تهيئة جمال مبارك وتربيته سياسيًا وتعريفه بدهاليز الحكم، تمهيدًا لتوليه السلطة بعد والده.

كان أسامة الباز هو عقل الدبلوماسية المصرية والرقم الصعب فى جميع معادلات السياسة المصرية لما يقرب من ٣٥ عامًا (١٩٧٠ - ٢٠٠٥)، فحتى بعد أن غادر مناصبه الرسمية كان دائمًا هناك لحظة اتخاذ القرارات، المشكلة أن الرجل ظل صامتًا طوال عمره، ولم يفتح يومًا خزانة الأسرار التى يمتلكها، وهى مليئة بالكثير، خاصة فى ملف العلاقات المصرية - الفلسطينية - الإسرائيلية.

سأله الكاتب الصحفى عادل حمودة يومًا: لقد عاصرت ثلاثة رؤساء فى مصر واقتربت من خبايا قضايا مصيرية فى السياسة الداخلية والخارجية.. هل حان الوقت كى تكتب مذكراتك؟.

رد الباز بالقول: «لن أكتب مذكراتى.. فمن يكتب مذكراته يظهر نفسه فى صورة البطل دائمًا.. ويجد لنفسه الأعذار لو تعرض للفشل فى مواقف معينة.. ولم يحدث فى يوم من الأيام أن سجلت يومياتى خوفًا من أن تقع فى يد أحد فتفقد سريتها.. أو يساء

استعمالها.. كما أن كثيرًا من الممارسات التى عشتها فقدت صلاحيتها.. ما كان يصلح من ربع قرن لم يعد يصلح الآن.. لكننى أفكر فى كتابة خبراتى فى كتيبات تساعد الناس على العمل فى مجالات معينة، خاصة مجال الدبلوماسية.. مثل كيفية المفاوضات، وكيفية تأهيل الدبلوماسيين للنجاح فى عملهم، وكيفية قيام الدبلوماسيين بالاتصالات فى الدول التى يعملون فيها، والتحركات الجماعية الإقليمية من أجل قضية معينة، والاستفادة منها. ولن تكون هذه الخبرات مجرد كتابات نظرية، لكنها ستدعم بأمثلة مأخوذة من المواقف العملية. إننى سأكتب خبراتى لا مذكراتى. إننى عندما دخلت الخارجية لم أجد من المفاوضين المصريين البارزين سوى الدكتور محمود فوزى، بعد ذلك زاد العدد لكن بنسبة ضعيفة.. مثل إسماعيل فهمي.. وكمال حسن علي.. وبطرس غالى.. ونبيل العربى، ولا يزال العدد فى مجال التفاوض ضعيفـًا، لذلك سأنشر ما أعرفه عنه على الناس جميعـًا لتتجاوز الاستفادة حدود الدبلوماسيين».

ألّف الباز كتاب «مصر والقرن الحادى والعشرون»، وأصيب فى أيامه الأخيرة بمرض الزهايمر، ما جعله يبتعد عن الحياة السياسية. كان داهية السياسة الأمريكية هنرى كيسنجر يصغى للباز إذا تكلم، ومع ذلك سقط أسامة الباز فى كمين سارق نور العقول، مرض العصر الزهايمر.

على المستوى الشخصى، تزوج أسامة الباز أكثر من مرة، منها زواجه من السفيرة مها فهمى، أم ابنه باسل، وكذلك تزوج من المذيعة أميمة تمام. وبعد ثورة ٢٥ يناير، أعلنت الممثلة نبيلة عبيد أنها كانت متزوجة بأسامة الباز لمدة ٩ سنوات إلى أن وقع الطلاق، وأن الزواج كان سريـًا.

رحل د. أسامة، لكن إرثه السياسى ونموذجه الإنسانى سيظلان فى الذاكرة الجمعية المصرية لفترة طويلة.*

* د. ياسر ثابت.

مذكرات مبارك

زكريا عزمى تعمد

إخفاء الكثير من الحقائق عني

وأسامة الباز.. افتقدت حكمته وتوجيهه

بعد اعتزاله السياسة..!

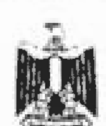


***

فى الجزء العاشرمن مذكراته يتحدث مبارك عن وزرائه واصفًا إياهم بأنهم فاسدون ويستثنى منهم أسامة البازمستشاره السياسى حيث يؤكد أنه افتقد حكمته وتوجيهه بعد اعتزاله السياسة لأسباب شخصية ، أما زكريا عزمى فإنه على حد تعبيره فاق تأثيرسامى شرف على الرئاسة فى عهد جمال عبدالناصروالسادات ، حتى إن كثيرا من الحقائق لم تصله، حجبها زكريا عزمى ثم يتحدث مبارك فى مذكراته عن مقتل سعاد حسنى مؤكدا أنه حزن عليها كأى مواطن مصرى ، وأنه شك فى البداية أن وراء مقتلها صفوت الشريف وحقق معه لأيام فى ذلك ، إلا أنه لم يجد دليلًا على ذلك ، مؤكدا أنه أمربفتح التحقيق فى اغتيال سعاد حسنى باعتبارها مواطنة مصرية ، ويكشف مبارك أن السبب فى عدم التوصل للجانى فى قضية سعاد حسنى أن صديقتها والتى كانت تقيم لديها فى لندن

نادية يسرى ساعدت الجانى فى طمس معالم الجريمة ، ولكن لعدم تواجدها فى مكان الحادث وعدم وجود شهود على خلاف بينها وبين سعاد حسنى تم استبعادها من الاتهام ، ويؤك مبارك أن قتل سعاد حسنى جريمة جنائية وليست سياسية . ويؤكد مبارك أنه حرق بنفسه كل الأفلام السرية لسعاد حسنى والتى تعود إلى فترة عملها مع صفوت الشريف.





Arab republic of Egypt
Office of the President

To whom it may concern

I, the undersigned, "Mohammad [illegible] Mubarak" pledge with honesty and integrity that all information, [illegible] names, 600 original documents and 460 pictures appeared in the [illegible] Personal diary of my life which came in 1126 pages, handed to the publisher in Cairo, Egypt by my wife "Suzanne [illegible]" on November 23, 2011 are original.

I acknowledge receipt of [illegible] number; (09471285 - CBY - 9201 - CVB Route Number [illegible]). [illegible] 23, 2011 amount of "10 million U.S. dollars [illegible] "Riggs - PMC" Washington, D.C., United [illegible]

President; Authorized Signature: [illegible]

Dated: Cairo, Egypt on November 23, 2011

Page: 1/1

وثيقة بيع
مذكرات مبارك

* وفى البداية يتذكر مبارك الوزراء الذين عمل معهم ولا يثنى على أحد منهم حتى المشاهير ويسرد عيوبهم دون ذكر، النجاحات التى يمكن أن تنسب لأحدهم ويقول : حاولت طيلة ٣٠ عامًا ضخ المياه فى شبكة وزراء فاسدة امتصت كل الجهود ومعها المليارات ، وذلك دون أن ينسب لنفسه ولو خطأ واحدا .

حتى من خدموه بلا عقل أو حدود قال عنهم جملة غاية فى الغرابة هى : «لو لم يجد الرئيس خداما فى بيت العدالة لما أصبح فرعونا » وربما كان يقصد ترزية القوانين وهو يؤكد فى مذكراته أنه لم يكن يطلب من أحد التفصيل لكنهم كانوا يتبارون لإسعاده وعلى حد تعبيره يعملون على إيجاد طرق مختصرة.

وفى المذكرات يحكى مبارك عن حبه المتفانى لعمله وكيف أنه كان لا يذهب لزوجته سوى أيام قليلة فى الشهر، حتى إن زملاءه والعاملين معه كانوا يعتقدون أنه شخص غير طبيعى مؤكدًا أن السبب الوحيد هو حبه الشديد للعمل ولأنه يريد إتمام رسالته .

وفى المذكرات يدافع مبارك عن نفسه كثيرًا فيما تردد عن خضوعه لإرادة بعض الدول خاصة الولايات المتحدة الأمريكية و إسرائيل . يقول معبرا عن ذلك : لو كنت استمع إليهم لكانت الدبابات التى نزلت مصر أيام الثورة أمريكية وإسرائيلية

وينتقل مبارك فى مذكراته بعد ذلك ليحكى جوانب من أول أيـم وشهور حكمه ليؤكد أنه كان على حد تعبيره مثل الذى يستطلع السلطة ويختبرها خلال الفترة من عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٨٥ ويكشف مبارك جانبا مهما للغاية من تفكيره ، حين يتهم المصريين بأن كل منهم له رأى خاص مختلف عن الآخر، ويقول: إنه لو كان قد وقف ليستمع لكل رأى لكان أصيب بالمرض النفسى، وإنه وجد أن أفضل الطرق هى الابتعاد عن سماع الآراء، والعمل برأيه هو حتى لا يصبح للمركب أكثر من رئيس كما قال، ومع أنه هاجم الصحافة بوضوح فى عدة مواقع من المذكرات إلا أنه يتمنى أن ينهى حياته فى هو يكتب مثلما لم يكتب فى حياته ويقرأ مثلما لم يقرأ لعدم وجود الوقت المناسب كما يقول وليس لكراهيته للكتابة والقراءة كما اشيع دائما عنه .

---

* قراءة توحيد مجدى.

وهنا يكشف مبارك موضوعا مهما حين يقول : خفت طيلة عمرى من تأثيرشخصية سامى شرف على الرئاسة فى عهد السادات وعبد الناصر وإذا بى أصاب بنفس المرض فى زكريا عزمى الذى فاق سامى شرف فى كل شيء فلم تصل لى الكثير من الحقائق ، ولم يمكننى الوقت من المتابعة بنفسى ، ويطلب مبارك من الرئيس القادم لمصر أن ينتبه جيدًا للأخطاء التى وقع فيها كل رؤساء مصر وألا يدع تراكم العمل يبعده عن الأحداث الحقيقية ، وأكد مبارك فى تلك النقطة أن الرئيس المصرى القادم سينصفه فى أحد الأيام عندما يجرب العمل رئيسا لمصر على حد تقديره .

وربما لم يذكرمبارك أحدا بخير من نظامه سوى الدكتور أسامة الباز مستشاره السياسى الذى عمل معه منذ بداية حكمه ، وكان مؤيدا لتمديد قانون الطوارئ ، وكان من بين الذين أيدوا المادة الشهيرة فى الدستور ٧٦ التى طلب مبارك تعديلها خصيصا لتتناسب مشروع التوريث لنجله جمال مبارك * ، وقال عنه مبارك: إنه كان رجلا عاقلا ، وأنه فقد حكمته وتوجيهاته له عندما اعتزل الحياة السياسية لأسباب شخصية لديه!

ويترك مبارك الحديث عن نفسه وعن وزرائه ليذهب إلى منطقة أخرى ليتحدث عن مقتل الفنانة المصرية سعاد حسنى التى لقت حتفها يوم الخميس الموافق ٢١ يونيو عام ٢٠١١ فى لندن ، ويؤكد مبارك أنها قتلت بالقطع وهو ينفى أى علاقة له بمقتلها ويشير بوضوح إلى أن مشكلة سعاد كانت مع أوهام صفوت الشريف وزير الإعلام وقتها من أنها تحاول نشر مذكراتها التى سوف تفسر علاقات شاذة لشخصيات كبيرة عاصرتها سعاد فى مصر، وأنها كانت تريد الانتقام من تلك الشخصيات التى أضرت بها هى شابة صغيرة نافيا تماما أى علاقة له بها.

ويكشف مبارك أنه شك فى صفوت الشريف وأنه حقق معه لأيام دون أن يكتشف أحد خضوع صفوت للتحقيق على خلفية مصرع سعاد حسنى، وقال مبارك: إنه حزن مثل كل المصريين لوفاتها وأن المعلومات لديه أن سعاد كانت لا تعرف القراءة والكتابة بشكل جيد حتى تكتب مذكراتها غير أنه عرف طبقا لمعلوماته أن صحفيًا كويتيًا لم يكتب مبارك اسمه هو من كان يكتب لها فى جلسات خاصة بينه وبينها فى لندن و أن ذلك الصحفى حصل لسعاد على تمويل كبير طبقا لمعلومات مبارك على بيع المذكرات بشكل حصرى وأن تحصل على ٣٠٪ فقط من الأرباح ، وأن سعاد عاشت الشهور الأخيرة من

* الدكتور أسامة الباز أكد كثيرًا أنه لم يكن مع مشروع التوريث على الإطلاق..!

عمرها على مساعدة ذلك الصحفى الكويتى الذى يرجح مبارك أن المذكرات المزعومة من المفترض أنها لديه ويكشف مبارك أنه أمر بالتحقيق فى مقتل سعاد بصفتها مواطنة مصرية وأن تحقيقات جرت فى هدوء على مدى أكثر من ستة أشهر عقب الوفاة ، لكنهم توصلوا إلى أن هناك علاقات غير سوية بين صديقتها التى كانت تعيش سعاد معها وهى نادية يسرى برجال غرباء بعضهم له سجلات إجرامية ، وأن سعاد كانت لا تجد مكانا آخر تعيش فيه نظرا لعدم توافر الأموال لديها فكانت تهرب عندما يكون هناك ضيوف لا تريد سعاد رؤيتهم ، لأنها كانت تحب الوحدة من البقاء فى المستشفيات المدعومة من الدولة فى بريطانيا ، وأن سعاد تعرضت لعميلة قتل جنائية وليست سياسية على حد معلومات مبارك الذى أكد أنهم لم يجدوا على صفوت الشريف دليلا .واحدًا يمكن الأخذ به ، مؤكدا أنه كان سيكون اول من يأمر بمحاكمة الشريف لو ثبت تورطه ، وقال مبارك: إن عملية قتل فى دولة أجنبية قرار غير سهل ، ولا يقدرعليه مواطن عادى ولو كان فى منصب صفوت الشريف.

وفى تأكيد جديد أكد مبارك أن الأفلام القديمة الخاصة بسعاد حسنى التى تعود لقصة عملها مع صفوت الشريف قام هو بنفسه بحرقها ، وأكد عن عدم وجود نسخ أخرى منها غير إنه لم يكشف عن كيفية حصوله على تلك الأفلام أو حتى تاريخ قيامه بذلك ، وهل كان ملازما لعملية قتلها فى لندن أم قبل موتها . ويكشف مبارك أن السبب الرئيسى وراء عدم التوصل للجانى فى قضية سعاد حسنى أن صديقتها كانت على.علم كامل بما حدث لسعاد وأنها ساعدت الجانى فى طمس معالم الجريمة وتقدمت بشهادة مغلوطة فضللت العدالة هناك، وأنها نظرا لعدم تواجدها بمكان الحادث ولعدم وجود شهود على أى خلاف بينها وبين الضحية تم استبعادها من الاتهام ، وقيدت القضية ضد لص مجهول لأن أغراض سعاد وحقائبها سرقت عقب الحادثة ، وهو ما دفع سكوتلانديارد تقيد الحادث كأنه مقاومة سرقة.*



---

* روزا ليوسف – العدد ٢٠٦٨ ، الخميس ٢٢ مارس ٢٠١٢م.

وداعًا أسامة الباز



أربعة مراحل اجتازها الدكتور أسامة الباز، السياسى والدبلوماسى المصرى المخضرم، فى رحلته، أولاها جفوة حصلت بينه وبين مؤسسة الرئاسة عام ٢٠٠٥ أدت الى تجميد نشاطه، وإبقائه مجرد صورة رمزية، لم تتوقف السيارة الحكومية بسائقها عن الحضور إلى بيته، لكن دون عمل ولا صلاحية .

ثانى هذه المراحل انهيار نظام الرئيس مبارك الذى كان لفترة طويلة ركنًا من أركانه وجانبا إيجابيا من جوانبه، يدفع باتجاه العقلانية والمؤسساتية والنزاهة وروح المسؤولية .

وثالث هذه المراحل تفاقم مرض الزهايمر الذى بدأ معه خفيفا، ثم وصل إلى مرحلة متقدمة، إلى حد أن صديقا كان يسعى لكتابة مذكراته، وصل مرحلة اليأس قائلًا: إنه لم يعد يأمل فى الحصول على أى كلام له معنى من الرجل .

ثم جاءت المرحلة الأخيرة هى الإعلان عن وفاته، التى لاقت اهتمامًا من الصحافة العربية والدولية، واعترافا بقيمته، ومكانته السابقة فى عالم السياسة المصرية، خلال العقود الخمسة الأخيرة، فقد ظهر نشاطه واضحا، منذ العهد «الناصرى» حيث قاد فى ذلك الوقت الحراك الطلابى العربى فى أمريكا، قبل أن يلتحق بالحراك السياسى فى مصر، ومع السادات بدأ يبرز نجمه ويصبح جزءًا من المسيرة السلمية التى قادها السادات مع إسرائيل، وكان قريبًا من الرئيس مبارك عندما كان نائبا مستشارًا سياسيًا له، ثم واصل معه المشوار عندما صار رئيسًا، وكانت له لمساته الايجابية على مسار السياسة الخارجية، وظل يحمل عنوان الوكيل الأول لوزارة الخارجية، وهو يعمل فى القصر، ومبعوثا خاصا للرئيس، وعضوا فى المفاوضات مع إسرائيل لاستكمال استرجاع سيناء، وشريكا فى حمل ملفات المصالحة المصرية العربية، وملف القضية الفلسطينية، كما كان له

الفضل فى تطبيع العلاقات بين بلاده وليبيا وكان مسؤولا على الملف الليبى فى الخارجية المصرية لعدة سنوات .

كان أحد أكثر السياسيين القياديين المصريين ثقافة ، بل يمكن القول: إنه تعامل مع المنصب السياسى لا باعتباره سياسيا ، ولا قياديا ، وإنما باعتباره مثقفا ، ويشهد كل من عرف الرجل أنه اتخذ سلوكا تجاه المنصب ، مفارقا ومخالفا لكل ما كان سائدا ، إذ لم يكن يكبر المنصب ، أو يعطيه الأهمية والاعتبار والقيمة التى يعطيها له الآخرون ، فقد كان يثق بنفسه وقيمته ، ولا ينشد قيمة ثانيه من منصبه ، ولهذا فلم تكن لمظاهر الأبهة اعتبارًا فى حياته ، وكثيرًا ما رأيته شخصيا يقود سيارة شديدة التواضع ، ضئيلة الحجم ، يطوف بها المدينة ، وإذا اختار الذهاب مع السائق الحكومى« فلا تابعين» ولا مرافقين ، ولا فاتحى أبواب ، ولا حاملى شنطة ، بل يجلس بجوار السائق حتى يصل مكانه ، وربطته علاقات متميزة مع صفوة أهل الفكر، أذكر من هؤلاء المفكرين أستاذه الذى ظل قريبًا منه ووفيًا له إلى آخر العمر الدكتور لويس عوض ، كما كنت شاهدًا على عمق الصداقة الفكرية والسياسة والانتمائية التى ربطته بالمفكر والمبدع الراحل لطفى الخولى، وكنت ألتقى به أحيانا فأجد عنده درجة من الود والألفة ورفع الكلفة ، يصعب وجودها عند أهل المناصب السياسية القيادية ، كان مفكرًا سياسيًا بامتياز، وكانت متعة فائقة أن تسمعه يحلل الأوضاع الدولية ومتغيراتها ، وكان موعد لقائه السنوى فى معرض الكتاب وجبة دسمة تغذى العقل والوجدان لكل من كان مثلى متابعا لها.

رحم الله المفكر السياسى ورجل النزاهة والأمانة فى دهاليز الدولة المصرية ، الراحل الكريم استاذنا أسامة الباز.*



* د. أحمد إبراهيم الفقيه.

أسامة الباز

قاتل الله الزهايمر ومكن علماء الطب من محاربة أثاره، الذى حرم المصريين من معرفةكم ضخم من الأسرار والحقائق والحكايات، كان يختزنها فى ذاكرته د. أسامة الباز، أحد المشاركين الكبار فى مطبخ السياسة المصرية، والضالعين فى صنع خطوطها الأساسية وتفاصيلها المهمة على امتداد أربعة عقود، من نهاية حكم عبدالناصر إلى نهاية حكم مبارك، حفلت بأحداث وتطورات متسارعة، ساهم فى تشكيلها وعرف دقائقها عن قرب، لكنه كان يؤجل كتابة مذكراته لانشغاله الشديد بحاضر بلاده.

كان رجل دولة من طراز نادر وسياسيًا قديرًا، وكان أقرب المستشارين إلى أذن الرئيس خاصة خلال عهدى السادات ومبارك، وأكثرهم قدرة على التأثير، وبرغم نفوده الضخم لم يقم يوما بالمظهر أو الجاه أو المال أو السلطة، يفضل دائما أن يتخفى فى ثوب مثقف مصرى مهموم بقضايا وطنه، وكان مثل النحلة الدؤوب يتنقل بين مجموعات عديدة من الأدباء والمثقفين ورجال السياسة والقانون وأساتذة الجامعات وعلماء الاقتصاد وتجمعات الفنانين على اختلاف اهتماماتهم، وأينما تفتش فى أرجاء مصر فسوف ترى أثار أسامة الباز فى إنجازات عديدة، أسهم من وراء ستار فى خروجها إلى خير الوجود، ابتداء من مبنى المحكمة الدستورية العليا إلى مكتبة الإسكندرية.

ولولا جهود أسامة الباز الذى وقف إلى جوار الرئيس مبارك فى مؤتمر كامب دافيد إلى آخر لحظة وأدرك الرئيس الأمريكى كارتر لفضائل استشارية فى كل كبيرة وصغيرة لما تمكنت مباحثات كامب دافيد من تحقيق أهدافها، وطوال حياته بالحركة والنشاط والتواصل مع دوائر عديدة من النخبة المصرية، كان همزة الوصل بين المثقفين والحكم والباب الأمين إلى الرئاسة، لا يتدخل لمصلحة خاصة ويعزف عن أن يكون طرفًا فى أى من قضايا المال والتجارة، وعلى مستوى السياسات الخارجية كان مستشارا أمينًا للرئيس لعب دورًا مهما فى مساندة مصر لعملية تحرير الكويت، ومفاوضًا شرسًا يثق ساسة العالم فى ذكائه وقدرته على التأثير.

وكان فيه قدرا من «بوهومية» المثقفين، كثيرًا ما يضيق ذرعًا بقيود السلطة ويفر منها هربا من التزاماتها ليغلق على نفسه فى عملية تأمل ومراجعة تطول أيامًا وشهورًا، وفى العامين الأخيرين من حكم مبارك انكمش دوره وفترت همته، وكان ظهوره نادرًا وقليلًا إلى أن شاهده كل المصريين فى ميدان التحرير خلال أحداث ٢٥ يناير يشد على أيدى شباب الثورة.*



* الكاتب الصحفى ونقيب الصحفيين الأسبق مكرم محمد أحمد - الأهرام - ١٦ سبتمبر ٢٠١٣م.

أسامة الباز*

منذ سنوات وقبل أن يحاصره المرض غاب أسامة الباز عن الساحة السياسية في ظروف لا يعرفها أحد ثم اختفى تمامًا من الساحة الاجتماعية والإنسانية، وهو الذى ظل دائما رمزًا حاضرًا على المستوى الثقافى والفكري.

كان الاختفاء الأطول والأصعب أمام محنة المرض التى انتهت برحيله إلى رحاب خالقه.. كان أسامة الباز من المناطق المضيئة فى سلطة القرار المصرى منذ بدأ شابًا فى عهد الزعيم الراحل جمال عبدالناصر وفى رفقة كاتبنا الكبير الأستاذ هيكل حين تولى مسؤولية وزارة الإعلام وصعد نجم أسامة الباز فى رحلة الرئيس السادات مع حرب أكتوبر ثم مفاوضات السلام ما بين أمريكا وإسرائيل.

وفى كل مراحل حياته كان ديبلوماسيًا ماهرًا ومصريًا صادق الوطنية والانتماء.. ومرت رحلة أسامة الباز مع الرئيس الأسبق حسنى مبارك فى منعطفات كثيرة اقتربا فيها كثيرا وابتعدا فى نهاية المطاف بصورة فتحت أبوابا كثيرة للدهشة والتساؤل.. فى تقديرى أن انسحاب الباز كان خسارة كبيرة لسلطة القرار فى مصر خاصة مؤسسة الرئاسة فقد كان من جوانبها المضيئة على المستوى الفكرى والإنسانى والسياسي.

كان أسامة الباز قريبا جدا من المثقفين المصريين وكان حلقة تواصل أمينة بين السلطة والنخبة المصرية سنوات عديدة وعلى المستوى الإنسانى كان أسامة الباز شخصًا محبوبًا وإنسانًا مجاملًا تراه فى كل المناسبات الاجتماعية والثقافية أما دوره السياسى فلاشك أنه واحد من أعمدة الديبلوماسية المصرية وسوف يأخذ مكانا مرموقا وسط هذه الكوكبة من رجال السياسة فى مصر.

وقد عرفت أسامة الباز سنوات طويلة ودارت بيننا محاورات كثيرة كان إنسانا مثقفا من طراز رفيع يمكن أن تختلف معه إلى أبعد مدى وتشعر أنك تتحاور مع عقل كبير وفكر عميق.. عاش متواضعا فى حياته يركب المترو ويستخدم سيارة عتيقة وينام فى مكتبه بوزارة الخارجية فى مبناها القديم إذا اضطرته الظروف.. كان مخلصا فى أداء كل الأدوار

التى التزم بها امام سلطة القرار دون أن يفرط فى ثوابت أو كرامة.. وحين اختفى أسامة الباز من الساحة المصرية هبت عواصف كثيرة ومازال مكانه شاغرًا.. فى رحمة الله مثواه.. وفى قلوب محبيه سيبقى له مكان ومكانة.*



* هوامش حرة، فاروق جويدة، الأهرام ١٦/ ٩/ ٢٠١٣م.

راهب الدبلوماسية*

فى وقت من الأوقات كان أسامة الباز أشهر دبلوماسى فى مصر، إلا أن شهرته الفائقة لم تنتقص جزءًا ولو قليلًا من بساطته وتواضعه وشعبيته. فكان يتنقل جالسًا بجوار السائق بلا حراسة وكثيرًا ما كان يستقل التاكسيات أو يسير على قدميه، وفى اجتماعات الرئيس كان يتحرك حاملا مظروفا كبيرا يضم عدة أوراق بيضاء لكتابة ما يحتاجه الموقف، بخط متميز من أجمل الخطوط العربية وأوضحها.

كان أسامة ظاهرة لمعت فى كل مكان شغله بدأت فور عودته من دراسة الدكتوراه فى جامعة هارفارد الشهيرة، وأرسلته وزارة الخارجية إلى الأستاذ سامى شرف سكرتير الرئيس عبدالناصر للمعلومات للعمل فى مكتبه. وعندما تولى الأستاذ هيكل وزارة الإعلام فى أبريل ١٩٧٠ أرسله إليه سامى شرف للعمل معه فى وزارة الإعلام ثم فى وزارة الخارجية التى انتدب هيكل لها خلال سفر وزيرها محمود رياض. وبرغم حلم كل دبلوماسى بمنصب السفير فى إحدى الدول فإن أسامة الباز استبعد هذا الحلم ووهب نفسه للعمل فى مصر لا يسافر إلا مع الرئيس أو فى مهمة خاصة. وزاد على ذلك تخصصه فى القضية الفلسطينية التى أصبح أهم خبرائها، مما جعله يكتب الشق القانونى فى أهم خطاب ألقاه أنور السادات أمام الكنيست الإسرائيلي. وعندما اشتد الخلاف فى كامب ديفيد بين الرئيس السادات ومناحم بيجين بحضور الرئيس الأمريكى كارتر وبدا فشل المحادثات، طلب الرئيس كارتر الجلوس مع واحد فقط من الوفدين المصرى والإسرائيلى لوضع خطوط الاتفاق. ومن بين أعضاء الوفد المصرى، اختار السادات أسامة الباز لهذه المهمة التى انتهت بتوقيع اتفاق كامب ديفيد فى مثل هذا اليوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ من ٣٥ سنة.

ومن السادات إلى حسنى مبارك الذى صحبه أسامة فى رحلة صعوده، كتب له فيها مئات الخطابات والمذكرات والتقارير والدراسات والمشاورات، لكن تصريحا قاله الباز بأن مبارك لن يرشح نفسه فى انتخابات ٢٠٠٥ وأنه لا يفكر فى توريث الحكم لابنه، كتب بداية النهاية، فأخذ يتباعد. وفى آخر سنوات تمكن مرض النسيان من صاحب العقلية النادرة وقوة الذاكرة. ورحل راهب الدبلوماسية مخلفا قيمه العظيمة ومحبة الملايين. ..

---

* مجرد رأى، الكاتب الصحفى صلاح منتصر، الأهرام ١٧-٩-٢٠١٣م.

الباز وهيكل وذاكرة مصر

حديثان منفصلان خلال شهر ذوا تأثير مباشر على ذاكرة مصر: وفاة أسامة الباز مدير مكتب رئيس الجمهورية أيام السادات ومبارك والصندوق الأسود لإحدى أهم أحداث السياسة المصرية التى مازالت مثار نقاش وجدال. أما الحدث الثانى فهو إحراق فيللا برقاش ملك الأستاذ محمد حسنين هيكل والتى تحتوى على آلاف المخطوطات والوثائق.

ذكرنى هذا الحدث الأخير بالمقولة المعروفة: "فى مكان تحرق فيه الكتب، يحرق فيه أيضا الإنسان". ولعلنا نحتاط فى المستقبل لتدارك مثل هذه الأحداث الجسام، فيكتب العارفون بالأمور مذكراتهم حتى لايختفى التوثيق باختفائهم، فالموت علينا حق، ويتم استنساخ الوثائق وحفظها فى أكثر من مكان خاصة أن التكنولوجيا الحديثة تسمح لنا بذلك. فالحفاظ على ذاكرة مصر هى مهمة قومية.

على المستوى الشخصى- لا أعرف الباز وهيكل كما يعرفهما الكثير من الزملاء. كانت مقابلاتى الشخصية معهما قليلة للغاية، وقد يعطينى هذا الفرصة لأن أكتب عنهما بتجرد سمعت عن الباز قبل أن أقابله، ثم قابلته أربع مرات. ثلاث فى القاهرة ومرة فى مدينة بوسطن - أو بالتحديد كامبردج أثناء مروره على جامعة هارفارد، وكنت أستاذا زائرًا بها لمدة عام. كان الباز كما قال الأصدقاء حاد الذكاء، سريع التعليق، والسؤال مهتما بالقراءة والنواحى العلمية، كزميله المرحوم تحسين بشير عرفت فيه السياسى المثقف. تأكد هذا عندما التقيته فى عشاء محدود نظمته الوزيرة فايزة أبوالنجا على شرف أكبر أساتذة القانون الدولى فى الخارج وصديق الباز، أستاذى البروفيسير جورج أبى صعب. رغم سيطرة العنصر السياسى فيه، إلا أنه يشعر بالسعادة والانسجام مع ذوى العلم والبحث، وقد يفسر هذا تميزه فى عمله فى الخارجية وأدائه السياسي، يقال: إنه عندما اختار السادات "مبارك" ليكون نائبا له فى ١٩٧٥، طلب من الباز تدريبه على طلاسم السياسة على أساس أنه "ضابط" لاتتعدى خبرته القوات الجوية والناحية العسكرية.

فى أثناء قراءتى لوثائق كامب ديفيد، كان اسم الباز يتردد كثيرًا، كسائر مشاركى الوفد المصرى إعدادا وجرأة هناك إجماع على هذا التميز فى مذكرات كارتر، فانسى وزير

خارجيته، بيرجينسكى مستشاره للأمن القومي، وليم كوانت مهندس كامب ديفيد، ومؤلف أفضل توثيق من هذه المحادثات، رأيت الإجماع أيضا على مكانة الباز فى مذكرات المشاركين الاسرائيليين: من موشى دايان الذى كان وزيرا للخارجية آنذاك إلى حاييم وانر مايد، حيث المصادفة فى أحد مقاهى المعادى على النيل، وانتهت هذه الفرصة لأعيد إصرارى أكثر من اللازم ليكتب مذكراته قبل فوات الآوان، فقد بدا عليه الوهن وضعف الذاكرة، وليتجنب السياسة الداخلية ومآزقها، ويركز على المعاهدة المصرية - الاسرائيلية وملابساتها، خاصة أنه خلافا للوزيرين محمد إبراهيم كامل، وبطرس غالى فهو أكثر دراية بالعقلية السياسية الإسرائيلية، وكذلك المنظمات الفلسطينية، بدءا من ياسر عرفات، ألححت عليه مرة أخرى أكثر من اللازم حتى يكون هناك توازن مع ما دونته كتابات المشاركين الإسرائيليين والأمريكيين، ثم بعد ذلك عندما كنت متوجهًا للقائه فى إحدى زياراته المتعددة للقاهرة، رجوته أن يذكر الباز بكتابة مذكراته ولكن كوانت أفهمنى بعد ذلك أن الوقت متأخر، فالذاكرة نفسها قد ضعفت شعرت إذن بأن من ذاكرة مصر نفسها قد ضعفت.

لقاءاتى مع هيكل - أمد الله فى عمره - أقل حتى من لقاءاتى مع الباز فبالرغم من صداقتى الوثيقة بشقيقه المرحوم فوزى هيكل - أستاذ الاقتصاد فى واشنطن - تتلخص اللقاءات فى اثنين وثالث لم يتم، أحد هذه اللقاءات كان فى أحد النشاطات الجماعية لمركز دراسات الوحدة العربية، ولم يكن هناك إلا تبادل التحية وحديث مختصر، أما اللقاء الثانى فكان منذ أكثر من ثلاثين عاما وساعدنى عليه الصديق جميل مطر، وكانت المناسبة دعوة "الأستاذ" كما يسميه الجميع - لإلقاء الخطاب الافتتاحى فى المؤتمر السنوى لخريجى الجامعات العرب - الأمريكيين كنت أحد المسؤولين عن تنظيم هذا المؤتمر ولكن الاقتراح جاء من المرحوم إدوارد سعيد، وتم تفويضى بالقيام بالدعوة، وافق الأستاذ على تلبية الدعوة والحضور إلى نيويورك ولكن مع تلبية الدعوة واجهتنا مشكلة مالية - فنحن كمنظمة أكاديمية ترفض أموال الدول لكى لايكون هناك تأثير للسياسات العربية المتضاربة علينا، وبالتالى تعتمد مواردنا على رسوم العضوية المحدودة، كان أقصى ما نستطيع تقديمه للأستاذ هو تذكرة الطائرة من الدرجة السياحية، ولكن أليس هذا إهانة

وهو يسافر عادة فى درجة رجال الأعمال أو الدرجة الاولي؟ حاولت أن أقترب من هذا الموضوع بمنتهى اللباقة، وأدرك "الأستاذ" حيرتنا وأخبرنا بأن سفره سيكون من موارده الخاصة - شعرنا كلنا بالراحة والامتنان. وقررنا أن تكون استضافته فى فندق يليق به سيعبر أيضا عن امتناننا بسبب لفتته الجميلة. وفى النهاية لم يحضر. "الأستاذ" لأنه قبل مؤتمرنا بأيام اغتيلت رئيسة وزراء الهند السابقة، آنديرا غاندى وشعر الأستاذ لأسباب شخصية أو احساسى الصحفى أن أولويته أن يذهب إلى الهند بدلًا من أمريكا.
لم أكن اذن من المحظوظين الذين سنحت لهم الفرصة بزيارة فيلا برقاش. التى يبدو أنها شبه دار وثائق قومية فحتى ونحن طلاب الستينيات فى الداخل أو الخارج، كنا نتسابق لقراءة "بصراحة" الأسبوعية، وكنا نشعر بأن ما يكتبه "الأستاذ" هو حزء قليل مما يعرفه ويحيط به. وبالرغم من أن بعضنا كطلاب فى الغربة انقلب على "الأستاذ" بعد كارثة ١٩٦٧ إلا أنه كان هناك اجماع على أهمية ما يكتب، وما يعرف ومايختزن فى أدراجه، ساورنى الحزن الشديد مما حدث لتراث برقاش فى ١٤ أغسطس ٢٠١٣ أى بعد فض اعتصامى رابعة والنهضة بساعات، الحزن ليس على مبنى حتى لو كانت له أهمية عاطفية عند صاحبه أو أصدقائه، بل على هذا التاريخ المصرى الذى احترق - بالتأكيد آلاف الوثائق والمخطوطات. وراودنى الأمل بأن الاستاذ - بتوجهه التكنولوجى قد قام بتصوير بعض هذه الوثائق والمخطوطات والاحتفاظ به فى مكان آخر لكى نحافظ على ذاكرة مصر*.





* د. بهجت قرنى، الأهرام ١٦/ ٩/ ٢٠١٣م.

أسامة الباز.. رمز الوطنية*

رحم الله الدكتور أسامة الباز، رمز الوطنية المصرية والعربية، ومن أكثر الناس علمًا وأكثرهم تواضعًا، كان يمثل وبطريقة جميلة تواضع العلماء. ورغم أنه من الديبلوماسيين المحترفين أصحاب الفكر المتميز والمستنير إلا أنه كان يتحرك بحرية العلماء أهم ما فى حياته القلم والورقة، ويسعد كثيرًا إذا قدم إليه أحد مجموعة من الأقلام تكتب كالحرير وحقيقة كانت كلمته كالحرير باللغتين العربية والإنجليزية. وقد عرفت الدكتور أسامة الباز منذ أن قمت بتغطية وزارة الخارجية فى بداية عملى الصحفى ولا أنسى فضله على فى الانفراد بأخبار عالمية لصحيفة الأهرام.

أتذكر أحد الأيام بعد مبادرة السلام التى أطلقها الرئيس الراحل أنور السادات، وقامت الدنيا ولم تقعد، وكنت فى الخارجية فى مبناها بالتحرير، وقرر الدكتور أسامة أن يخرج ليشترى بنفسه شيئا من محيط ميدان التحرير، ورافقته لنتحدث عن الحدث الكبير، وعلق بأنه لا يمكن الحكم على الحدث اليوم، ولكن علينا أن نتركه لحكم التاريخ. وبحكم عملى كمندوبة لصحيفة الأهرام فى الخارجية تمتعت بعلاقات طيبة مع جيلى من موظفى الخارجية أعضاء السلكين الديلوماسى والقنصلى ومن بينهم زوجته الأولى مها فهمى والدة باسل ابنهما، وربطتنى بهما علاقات طيبة ومن خلال هذه الصداقة تمتعت بوضعية خاصة وهى أننى كنت كلما تطلب الأمر التقى بهما فى منزلهما وأجرى أحاديثى للأهرام مع الدكتور أسامة، وكان أهمها الحديث الذى أجريته بعد عودته من مهمة فى الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أتذكر أن الدكتور أسامة كان يأتمننى على رسائل مهمة ما بين الخارجية وصحيفة الأهرام. ومن خلال الدكتور أسامة تعرفت بزوجته مها وبشقيقه العالم المصرى العالمى الدكتور فاروق الباز، وبشقيقته الدكتورة صفاء، كما كنت أزوره أيضًا فى منزل والدته وتعرفت عليها من خلاله.

لم يغب الدكتور اسامة الباز فى الستين الماضيتين عن محبيه ومن آمنوا به وتعلموا منه فقد كان دائمًا فى الفكر، ولن يغيب عنا بعد ان فارق الحياة.

عزائى لزوجة الدكتور اسامة الباز الإعلامية الكبيرة أميمة تمام والى ابنته منها وإلى باسل ابنه من زوجته الأولى السفيرة مها فهمى وإلى الدكتور فاروق الباز وإلى الدكتورة صفاء الباز، وأقول لهم: مصر لن تنسى ولا الوطن العربى الكبير الدكتور أسامة الباز.

---

* أ/ هدايت عبد النبى، الأهرام.

وداعًا أيها الصديق*

وداعًا أيها الدبلوماسى الزاهد..

جاءنى خبر رحيلك عن عالمنا وأنا خارج القاهرة فى رحلة استشفاء قصيرة وكنت منذ شهرين تقريبًا قد التقيت بشقيقك العالم المصرى الكبير الدكتور فاروق الباز ولما سألته عن أخبارك أجابنى فى عبارة قصيرة بأن حالتك الآن أفضل، وتبينت بعد ذلك أنه كان يعرف عن قرب قريب عمق العلاقة التى تجمعنى بك أنت أيها الدبلوماسى الفذ والمثقف الشجاع والإنسان الفاضل.

وهاجتنى الذكريات فتوقفت عند مواقف ولقطات تكشف كلها عن أصالتك وعن علمك وثقافتك أيها الدبلوماسى الفذ الذى لم تعرف السلطة ولا المال طريقه إلى عقلك وقلبك حتى حين كانت تحيط بك المشاكل والصعاب. أما اللقطة الأولى فكانت عندما عينت فى أوائل عام ١٩٦٦ مستشارًا ثقافيًا لمصر فى واشنطن وكنت وقتها تدرس لنيل الدكتوراه من جامعة هارفارد، وكنت أيها الأخ العزيز مكلفًا حينذاك بتقديم تقارير تحليلية عن وضع المصريين الدارسين فى الولايات المتحدة وكندا، والدور الوطنى الذى يؤدونه خلال تلك الفترة الدقيقة من تاريخ مصر، وفى أول لقاء جمعنى بك فى هارفارد فوجئت بك تقدم لى مظروفًا كبيرًا فيه كل ما لديك من تقارير ومعلومات توثق نشاط المبعوثين المصريين فى الولايات المتحدة وكندا قائلا فى بساطة شديدة «إن من الطبيعى أن أتولى أنا هذه المهمة التى كان يتولاها الدكتور مصطفى طلبة الذى غادر واشنطن ليكون نائبًا لوزير التعليم العالى الدكتور حسين سعيد»؛ وكان هذا المسلك من جانبك تعبيرًا عن ترفع نادر عن المناصب ومواقع السلطة مارسته أيها الأخ العزيز فى صدق نادر وصفاء نفس ظل ملازمًا لك حتى وافتك لحظة الرحيل عن عالمنا.

أما المناسبة الثانية فكانت خلال فترة تولى الدكتور مراد غالب منصب وزير الدولة للشئون الخارجية إذ تلقى الدكتور غالب أنك اشتركت مع بعض كبار الدبلوماسيين المصريين فى ندوة عن بعض السياسات الخارجية لمصر وكان ممن شاركوا فى تلك الندوة السفير حينذاك إسماعيل فهمى والسفير تحسين بشير وكنت أنت ثالثهم فى هذه الندوة، فغضب د. مراد غالب غضبًا شديدًا وأصدر قرارًا

---

* أحمد كمال أبو المجد.. ينعي أسامة الباز.

ينطوى على شىء من اللوم للسفراء الثلاثة فاتصلت بعد تردد بالدكتور مراد غالب استأذنه فى الموافقة على سفرك للمشاركة فى مؤتمر دولى مهم شرحًا ودفاعًا عن موقف مصر، فإذا بالدكتور غالب يوافق على الفور معلنًا لى أنه وافق لأننا سنكسب كثيرًا من مشاركة أسامة الباز وأن ذلك يرجح على أى اعتبار وظيفى آخر.

أما المناسبة الثالثة فكانت خلال زيارة لى إلى بوسطن وكان عمرى حينذاك قريبًا من عمر كثير من المبعوثين المصريين فقد دعوت كلا من إسماعيل سراج الدين وفوزى هيكل (شقيق الأستاذ محمد حسنين هيكل) وأسامة الباز لنتغدى سويًا، وإذا بعاملة المطعم تشير إلى أسامة قائلةً أنا أعرف ما يطلبه أسامة كل يوم، كوب من اللبن وحلقات من البصل، هكذا عاش أسامة فترة غير قصيرة ينفق على دراسته مقيمًا فى شقة صغيرة متواضعة يشاركه فيها شاب أمريكى يدرس هو الآخر فى جامعة هارفارد، مترفعًا عن أن يطلب لنفسه شيئًا ربما لا يكون له حق فيه.

أما المناسبة الرابعة فكانت فى لقاء جرى فى أعقاب نكسة ١٩٦٧ وجمعتنا ـ أسامة وأنا ـ مع السفير تحسين بشير والبروفيسور روجر فيشر الذى مضى يعطينا عددًا من النصائح أذكر منها ضرورة إصرارنا على أن تكون اجتماعاتنا مع هنرى كيسنجر تتم فى اجتماعات مفتوحة يغطيها الإعلام إذ إن كسينجر سياسى بالغ المكر والدهاء، وخلال اللقاء كان أسامة يمسك أوراقه وقلمه وأذكر أنه بخطه العربى والإنجليزى الجميل حوَّل التحليل الذى قدمه أستاذه إلى رسم بيانى واضح، وحين تعود بى الذاكرة إلى هذا اللقاء فى أحد مطاعم نيويورك أجدها لحظة رائعة جمع أطرافها وفى مقدمتهم أسامة الباز تدرج الوطنى المخلص وخبرة العالم الموسوعى الثقافة وزهد من لا يغره بريق سلطة أو بريق مال.

كم أتمنى أن يفتح أبناء الجيل الجديد من شبابنا عقولهم وقلوبهم كلها ليروا فى هذه اللقطات صورة مشرقة لكفاح وطنى ارتفع أصحابه فوق كل طموح.

رحم الله أسامة الباز وجعل ذكره نورًا يضىء حياة الجيل الجديد من شباب مصر الذى سوف يجلس عما قريب مجلس المسؤولية عن مصر وشعبها فى لحظات فارقة من تاريخنا الوطنى الطويل*.

* الشروق – العدد ١٦٩٠ – ١٨ سبتمبر سنة ٢٠١٣م.



أسامة الباز*

يوم توديع صديق العمر أسامة الباز، كنت أسير جوار الصديق د. فاروق الباز وكانت الصور والذكريات تنساب فى ذهنى، صورة هذا الإنسان الفريد الذى كان ينأى عن الأضواء، ولكنه كان الرجل ذا التأثير الأكبر فى صنع الأحداث لسنوات طويلة، وطوال عشرين عاما على الأقل ما بين أواخر حقبة السادات ومنتصف حقبة مبارك كان هو صانع الملوك The King Maker، كان له دوره فى أغلب التعيينات التى جرت بها فى ذلك رؤساء وزارات ووزراء بمن فيهم وزراء خارجية وسفراء.

جمعنى مع هذا الرجل الفريد صداقة عمر تخطت أواصر الزمالة فى هذه المؤسسة العتيدة، مؤسسة الخارجية، فلقد كنا زملاء دراسة فى الابتدائية والثانوية فى مدرسة دمياط فى الأربعينيات وعندما اجتمعنا على مكتبين متجاورين فى الخارجية فى أول الستينيات، وكنت عائدا لتوى من أمريكا حيث عملت فى بعثتنا فى الأمم المتحدة بنيويورك حدثته عن هذه البلاد وألححت عليه أن يأخذ هذه المنحة التى جاءت إليه ليدرس القانون فى جامعة هارفارد، والتى كان مترددا فى أخذها، وذهب إلى أمريكا وأخذته الدراسة والسياسة تقريبا طوال عقد الستينيات ولأن السياسة لا تفارقه نتخب رئيسا لجمعية الطلبة العرب فى أمريكا، وعندما عاد ما لبث أن لمع نجمه عندما التحق بمكتب وزير الخارجية آنذاك إسماعيل فهمى، الذى عين وزيرا للخارجية فى نوفمبر ٧٣ واستقال احتجاجا على زيارة السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧.

كان أسامة هو الذى ملأ الفراغ الذى نشأ آنذاك فى مؤسسة الخارجية، ثم اختاره الرئيس السادات ليكون ذراعه اليمنى فى عملية التفاوض التى بدأها بعد زيارته للقدس، وكان أسامة أحد الذين كتبوا خطابه المهم فى الكنيست وأخذ نجم أسامة يصعد ولكنه ظل دائما ينأى عن الأضواء، رغم تأثيره الكبير فيما يجرى.

وعندما أُغتيل السادات فى أكتوبر ١٩٨١ وظهر فراغ فى السلطة وكانت البلاد فى حالة اضطراب وقلق بسبب اعتقال الرئيس السادات لهذه الأعداد الكبيرة من الساسة والنخبة وظهور حركات

---

* السفير عبد الرءوف الريدي.

إرهابية فى الصعيد تضرب فى المؤسسات الأمنية بقصد الاستيلاء على الحكم، وكان هناك فراغ فى السلطة، كان أسامة هو رجل الأزمة بوجوده إلى جوار نائب الرئيس آنذاك محمد حسنى مبارك ولعب دورا مهما فى هندسة وإيقاع الخطوات التى اتخذت حتى تمت تولية نائب الرئيس رئيسا للبلاد فى ايقاع دستورى سليم.

وطوال العشرة أعوام الأولى من حكم مبارك (١٩٨٢ـ ١٩٩٢) كان أسامة هو أكثر الناس تأثيرًا فى إدارة دفة البلاد وخاصة فى السياسة الخارجية، ولكن هذا الدور أخذ فى الأفول فى الأعوام العشرة الأخيرة من حكم مبارك التى ظهر فيها مشروع التوريث، حتى تلاشى تأثيره تدريجيا ودون ضجيج وإن لم يصدر قرار رسمى بإلغاء أى من امتيازاته كوكيل أول بوزارة الخارجية.

من بين الصور التى توالت على ذهنى ونحن نشيع أسامة إلى مثواه الأخير كانت صورته ونحن فى كامب ديفيد، كنا فى مجموعة العمل التى صاحبت محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية، أسامة ونبيل العربى وأحمد ماهر وكاتب هذه السطور، وكان أصغر المجموعة هو أحمد أبو الغيط، إلا أن أسامة كان هو الذى يعمل بشكل مباشر مع الرئيس السادات.

وفى الكوخ أو الكابينة التى كانت تضمنا كنت وأسامة نقيم فى غرفة واحدة، بينما يقيم فى الغرفة الأخرى د. نبيل العربى وأحمد ماهر (وزير الخارجية فيما بعد)، وكان الرئيس كارتر هو الذى يدير بشكل فعلى عملية التفاوض، وكان يعرف أن أكثر أعضاء الوفد المصرى تأثيرا هو أسامة ويقابله فى الوفد الإسرائيلى المستشار القانونى أهارون باراك، كان كارتر كثيرا ما يتصل بشكل مباشر بكلا الرجلين ويطلب منهما أن يحضرا المناقشته كل على حدة لمحاولة إيجاد حل لما يطرأ من مشكلات فى المفاوضات وكان أسامة يذهب ويعود بعد أن يمر على الرئيس السادات فى كابينته ليبلغه بما حدث ثم يعود ويجلس على سريره، ويسجل ما جرى من مناقشات بينه وبين الرئيس كارتر.

لا أعرف أين ذهبت هذه المذكرات أو الوثائق إذ لا يوجد نظام أو تنظيم للوثائق التاريخية، وها نحن قد رأينا كيف ذهبت آلاف الوثائق واحترقت مع ما احترق فى بيت الكاتب الكبير الأستاذ هيكل فى بيته فى برقاش وكنت واثقا من أن أسامة لن يجلس يوما ليكتب مذكرات يدفع بها للنشر.

بعد أن عدنا من كامب ديفيد والخارجية تستعد للتفاوض لعقد معاهدة السلام، كنا جميعا نعيش فترة قلقة وكنت آنذاك قد نقلت سفيرًا فى باكستان وكانت تصلنى منه خطابات كل أسبوعين أو ثلاثة، وكان يصارحنى فيها بما يختلج فى نفسه من مخاوف وقلق خاصة عندما رأى أن الرئيس كارتر بسبب أزمة الرهائن وانعكاساتها الداخلية أصبح ضعيفا ولم يعد قادرا على أخذ مواقف قوية إزاء

تعنت الإسرائيليين وخاصة بيجين فى المفاوضات وقد استمرت هذا الفترة حتى رحيل كارتر فى يناير ١٩٨١ ثم اغتيال السادات فى أكتوبر من نفس العام.

طوال هذه السنين التى كان أسامة فيها لاعبا رئيسيا ومستشارا نافذا ظل دائما هو ذلك الرجل البسيط المولع بالبساطة فى كل شىء، كنت أزوره فى مكتبه عندما أحضر للقاهرة من الخارج فى مهمة أو أجازة فكان يقترح على أن نمشى فى الشارع ونذهب إلى محل التابعى الدمياطى* لتناول وجبة الفول والطعمية المفضلة أو نتوقف أمام محل نجف للسندوتشات.. وهكذا، وظل يركب المترو من المعادى إلى القاهرة حتى ترك المعادى وذهب للإقامة فى القاهرة الجديدة، لم يبهره المنصب أبدا ولم يهتم أبدا بما يأتى مع المنصب من مظاهر.

وفى يوم من أيام الربيع فى عام ٢٠٠٩ اقترحت عليه أن نذهب إلى دمياط ورأس البر فرحب بذلك وذهبنا إلى حيث التقى بأهل دمياط فى جمع كبير أقامه له محافظ دمياط آنذاك الدكتور محمد فتحى البرادعى، ثم ذهبنا إلى مدرستنا القديمة وكم كان سعيدا وهو بين الطلبة الذين أقبلوا عليه والتفوا حوله.

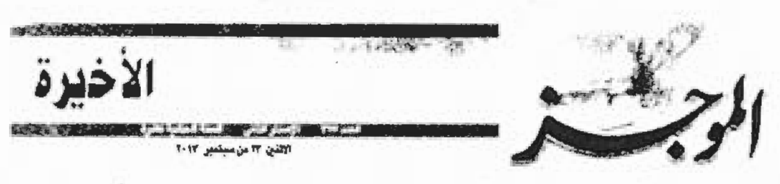
أحتاج إلى صفحات وصفحات لأن أكتب عن هذه الشخصية الفريدة المتجردة، لم يكن هناك من دافع يحرك أسامة إلا حبه لبلده وشعبه.

رحم الله أسامة وعاشت ذكراه وسيرته فى القلوب والأفئدة والعقول.

جيل يذهب وجيل يجىء، حمى الله مصر وهيأ لها دائما أبناء يذودون عنها ويفتدونها بالنفس والنفيس*.

* محل التابعي الدمياطي للفول والطعمية ارتبط بالدكتور أسامة الباز في دمياط والقاهرة حيث أن مؤسسه هو أحد الدمايطة – وكان الباز يعيش في دمياط طالبًا للعلم.

* الشروق – العدد ١٦٩٠ – ١٨ سبتمبر سنة ٢٠١٣م.



الموجز

الأخيرة

الاثنين ٢٣ من سبتمبر ٢٠١٣

بالصور .. مشاهير السياسة والبيزنس والإعلام فى عزاء أسامة الباز

رجل من قصر الرئاسة يسير على أقدامه فى الشارع، يستقل مترو الأنفاق، يستوقف تاكسي، ويتحاور مع السائق بمنتهى البساطة لدرجة ان السائق ربما لا يتعرف عليه رغم أنه المستشار السياسى لرئيس الجمهورية، إنه الدكتور أسامة الباز عميد الدبلوماسية المصرية ، فى صمت مهيب عاش الدكتور أسامة الباز سنواته الأخيرة بعيدًا عن الأضواء، وفى صمت مهيب أيضًا رحل الرجل ليتحول الداهية إلى مجرد ذكرى إلا أن الذكر بعد الموت عمر ثان.

عبقرية الباز لم تكن فقط فى بساطته وسيره فى شوراع مصر بدون أى حراسات خاصة، ولكن تأتى أيضا لقربه الشديد من كل التوجهات السياسية وأطياف الشعب المصرى إلى جانب علاقاته الدولية غير المحدودة، وأطلقت الأوساط الدبلوماسية على الباز لقب عميد الدبلوماسية المصرية لدوره فى تدريب أجيال من أعضاء السلك الدبلوماسى المصري.

وترأس الباز العديد من اللجان المنوطة باختيار الدبلوماسيين المصريين الشباب الذين سينضمون إلى السلك الدبلوماسي.

الباز لم يكن حريصًا على الحضور يوميًا إلى مكتبه بالقصر الرئاسى حيث عمل مستشارًا سياسيًا للرئيس «حسنى مبارك» لنحو ثلاثة عقود بقدر حرصه على الوجود فى مكتبه بالمعهد الدبلوماسى العتيق.

كان الباز فى الواقع مستشارًا لمبارك قبل أن يصل إلى مقعد الرئاسة ، وكانت مهمته فى تلك الفترة تدريب الرئيس السابق على البروتوكول وأساليب المناقشة الدبلوماسية باللغة الإنجليزية ، وبالرغم من إتقان الباز للغة الإنجليزية ، فإنه كان مولعًا أيضا باللغة العربية

وآدابها ، وكان والده أحد الشيوخ الأزهريين بمحافظة الدقهلية بدلتا النيل التى ولد فيها عام ١٩٣١م.

وتخرج الباز فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وحصل على دكتوراه فى القانون من جامعة هارفارد.

لكن الباز ابتعد عن القصر الرئاسى عام ٢٠٠٥ دون إبداء أسباب واضحة لهذه الخطوة كما لم تعلن الرئاسة شيئًا عن ذلك وقتئذ.

وكتب السياسى الراحل مقالًا مطولًا نشر فى صحيفة أخبار اليوم تحت عنوان «الوصايا العشر حتى لا يندم بعد هذا أحد».

وفى هذا المقال وضع الباز الأسس التى يراها أساسية لتولى منصب الرئاسة فى مصر فى صيف ٢٠٠٥ قبيل التعديلات الدستورية التى أشيع أنها كانت تمهد لصعود جمال مبارك نجل الرئيس السابق إلى سدة الرئاسة.

كان من الواضح أن هناك اتجاهًا جديدًا فى مؤسسة الرئاسة ، وكان هذا الاتجاه يسعى لتحديد من يحلو للبعض تسميته بالحرس القديم ، فبادر الباز بالابتعاد.

وشارك الدبلوماسى المخضرم فى أول مفاوضات بين العرب وإسرائيل التى أفضت إلى صياغة معاهدة السلام عام ١٩٧٩م تحت إدارة الرئيس الراحل أنول الساجات.

وقد كان قربه من المؤسسة الرئاسية لفترة طويلة يمكنه من اقتناص مناصب أكبر من التى تولاها ، ،لكنه كان يحب تقديم مشورته لصانع القرار، بالضبط كما كان مولعًا بالاستماع للنصائح حتى وإن كانت من اشخاص عامين ليسوا من أصحاب المناصب .

وعرف عن الباز بساطته الشديدة وولعه إلقاء الطرائف . وكان يتنقل سيرًا على الأقدام بوسط العاصمة ، وربما يستقل وسائل النقل العام ، وهو ما دأب عليه حتى خلال اشتعال الأحداث فى الشارع المصرى العامين الماضيين بحسب مقربين منه .

وكان الباز محبًا للفنون التشكيلية ويحرص كثيرمن كبار الفنانين على دعوته لافتتاح معارضهم .. ولم يكن الباز يجلس أبدًا فى المقعد الخلفى فى السيارة . كان يحرص على الجلوس إلى جوار سائقه ، وجميع من احتكوا به يعلمون أنه يفعل ذلك عن تواصل حقيقى وليس تظاهرا به .

وتقدم مشيعى الباز نبيل فهمى وزير الخارجية وعمرو موسى رئيس لجنة صياغة الدستور الجديد ونبيل العربى أمين عام جامعة الدول العربية وأحمد المسلمانى المستشار الإعلامى للرئيس المؤقت عدلى منصور.

عزاء الدكتور أسامة الباز أقيم بقاعة مناسبات مسجد النزهة بمدينة نصر. وتلقى التعازى شقيقه الأصغر عالم الفضاء المصرى فاروق الباز و نجله باسل الباز . دمحمد فريد خميس والد زوجة نجل د.أسامة الباز.

وفى عزاء السيدات تلقت العزاء الإعلامية بالتليفزيون المصرى أميمة تمام والطفلة مريم الباز. وفريدة محمد فريد خميس حرم باسل أساما الباز.

وحضر العزاء عمرو موسى رئيس لجنة تعديل الدستور ود. محمد صابر عرب وزير الثقافة ود.على السمان رئيس الاتحاد العالى لحوار الثقافات والأديان واللواء عبدالسلام المحجوب ود .محمود الشريف وزيرا التنمية المحلية السابقان ومنصور الجمال وإبراهيم كامل والوزير السابق أمين أباظة وسامح فهمى وزير البترول الأسبق ونجله سمير وهانى عزيز ونجله تامر والمنتج سمير خفاجى الذى شارك د فاروق الباز وباسل أسامة الباز فى حمل كرسيه المتحرك والسفير محمد صبيح الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية واللواء سامح سيف اليزل ود.فينيس كامل جودة وزيرة البحث العلمى السابقة ود. دارين أبوالنجا ود. منى عبد الناصر ، والفنانات لبنى عبدالعزيز وإلهام شاهين وليلى علوى والمذيعة دينا فاروق ومها عثمان وجيهان الألفى ود .فرخندة حسن والإعلاميات أفكار الخرادلى وعائشة عبدالغفار وهالة أبوعلم وفاطمة فؤاد ووفاء الشابورى وحنان خواسك ولفيف من رجال السياسة والفن والثقافة.



الإعلامية السيدة أميمة تمام حزينة على زوجها



رجل الأعمال
هانى عزيز ونجله
تامر



حاتم الجبلى يعزى
الدكتور فاروق الباز



أمين أباظة بجوار
شقيقه محمود أباظة



إبراهيم كامل وجلال الزوربا ومعتز الألفي



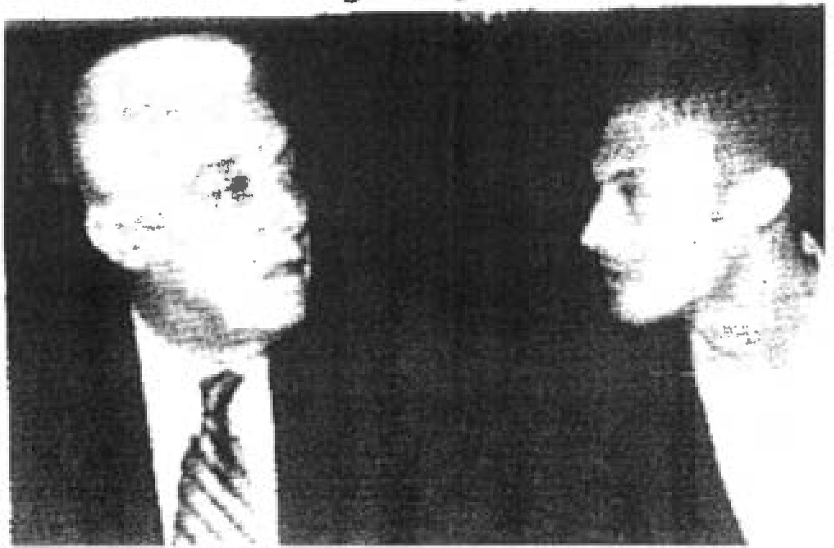
المذيعة التليفزيونية نجاة العسيلي مع زميلتها مها عثمان



د. فايزة أبو النجا تعزى الباز بحرارة



فرخندة حسن



سامح فهمى ونجله سمير فهمى فى ظهور نادر بعد البراءة

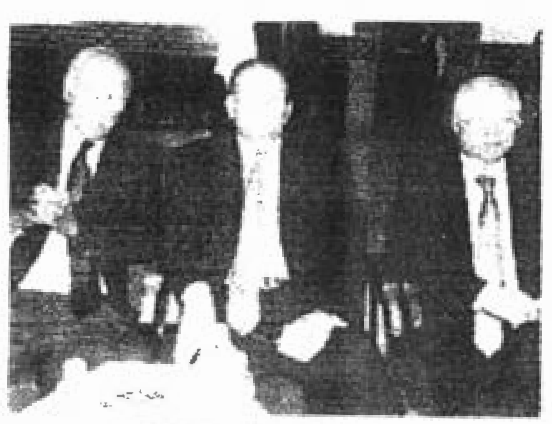
باسل نجل الراحل
الدكتور أسامة الباز
وعمه العالم الدكتور
فاروق الباز
يستقبلان رئيس
الوزراء حازم البيلاوي



د. زاهي حواس
يعزى رجل الأعمال
محمد فريد خميس
صهر الباز



الفريق سامى عنان
بجوار أحمد أبو الغيط
وسفير لبنان..
خالد زيادة



السياسيون فى الوداع الأخير لأسامة الباز



نخبة من السياسيين والمثقفين شاركوا فى وداع د.أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس الأسبق حسنى مبارك والذى كان يطلق عليه مايسترو السياسة الخارجية المصرية عن عمر يناهز ٨٢ عاما بعد صراع مع المرض.

حيث أقيمت صلاة الجنازة بمسجد السيدة نفيسة عقب صلاة ظهر أمس وتم دفن جثمانه بمدافن الأسرة بمدينة نصر.

وأعلنت رئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية تعازيها للفقيد الراحل وشارك فى تشييع الجثمان شقيق الراحل د.فاروق الباز عالم الجيولوجيا والسفير نبيل فهمى وزير الخارجية وعمرو موسى رئيس لجنة الخمسين لتعديل الدستور ومحمد فايق رئيس المجلس القومى لحقوق الإنسان وأحمد المسلمانى المستشار الاعلامى لرئيس الجمهورية المؤقت ود.على الدين هلال ود.مصطفى الفقى والمهندس حسب الله الكفراوى و السفير عبد الرءوف الريدى و اللواء سيد مشعل مع عدد من الرموز السياسية والمثقفين.

الراحل ولد باحدى قرى محافظة الدقهلية عام١٩٣١ وحصل على ليسانس الحقوق عام٥٤ والدكتوراه فى القانون من أمريكا عام٦٢ وبدأ حياته العملية وكيلًا للنيابة ثم عين بوزارة الخارجية عام٥٨ ثم مستشارًا سياسيًا لوزير الخارجية ومستشارًا لمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ومديرًا لمكتب الأمين الأول للجنة المركزية للشئون الخارجية ومديرًا للمعهد الدبلوماسى ثم مديرًا لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية ووكيل أول وزارة الخارجية.

وشارك الراحل فى العديد من القضايا السياسية خلال أكثر من٣ عقود منها مفاوضات كامب ديفيد وصياغة معاهدة السلام عام٧٩ ثم الملف الفلسطينى ـ الإسرائيلى .

«إنا لله وإنا إليه راجعون»
انتقل إلى رحاب الله

الدكتور أسامة الباز

المستشار السياسي للسيد رئيس الجمهورية (سابقا)
نجل فضيلة المرحوم الشيخ السيد الباز من علماء الأزهر الشريف
والمرحومة زاهية أبو العطا حمودة
وزوج الإعلامية أميمة تمام بالتليفزيون المصري
ابنة المرحوم الدكتور تمام حسان عمر والمرحومة فاطمة محمود فكار
وشقيقة الدكتور هاني تمام والدكتورة منى تمام والدكتورة سلوى تمام
والد
الأستاذ باسل الباز رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لشركة كريون القابضة زوج السيدة فريدة خميس ابنة رجل الأعمال الأستاذ محمد فريد خميس ونجل السفيرة مها كامل فهمي والطفلة مريم الباز
وجد
الطفل أسامة باسل الباز
وشقيق
اللواء متقاعد محمد الطاهر الباز زوج السيدة نادية الباز واللواء متقاعد عصام الباز زوج السيدة أمينة العبد والدكتور فاروق الباز عالم الجيولوجيا بوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) زوج السيدة باتريشيا الباز والسيدة ليلى الباز حرم اللواء متقاعد أحمد الطولي والسيدة ثريا الباز حرم المهندس الاستشاري محمد منتصر والدكتورة صفاء الباز مساعد وزير الصحة والسكان سابقا ومدير المركز الإقليمي للتدريب على الصحة الإنجابية حرم السفير هاني خلاف مساعد وزير الخارجية الأسبق والمهندس الدكتور حازم الباز زوج السيدة نها السعداوي والمحاسب نبيل الباز زوج السيدة نجوى حسان
وابن عم وخال
الحاج مصطفى عوض والمرحوم المحاسب عبد الفتاح الباز والمهندس سيد والحاج محمد والمرحوم محمد حسن وإخوته والعميد متقاعد أحمد علي وإخوته والمرحوم لطفي أبو العطا وإخوته والمرحوم أبو العطا حمودة وإخوته وزكي أبو العطا وإخوته والمرحوم جمال الباز والمرحوم الدكتور صلاح الباز والمستشار بهجت الباز زوج السيدة سميحة الزيات وأنجالهم والمستشار حمدي المنياوي والمستشار مقبل شاكر وإخوته والمهندس نبيل جمال والدكتور مهندس هشام الباز والسيدة عزة الباز والسيدة إيناس الباز والمهندس سعد حنفي وإخوته
وعم وخال
السيدة إيمان الباز حرم المهندس طارق زايد والمهندس السيد الباز زوج السيدة نهال الجندي والسيدة نسرين الباز والسيدة نيفين الباز حرم الأستاذ عماد الدهراوي والسيدة دنيا الباز حرم الأستاذ أيمن الهنساوي والسيدات منيرة وثريا وكريمة وفيروز فاروق الباز بالولايات المتحدة والدكتور عمرو الطولي زوج السيدة أمينة إسماعيل والسيدة رندة الطولي حرم الأستاذ حسين الزنيني والمهندسة مرام منتصر حرم المهندس خالد همام والسيدة مروة منتصر حرم المحاسب طارق سلامة والسكرتير أول تميم خلاف زوج السيدة ريم زهران والسيدة شادن خلاف حرم المستشار عبهة الدندراوي بالخارجية وعز الدين وبن وفارس وكنزى حازم الباز والمهندسة نهير ونيرة نبيل الباز
وأقرباء ونسب عائلات
حمودة وتمام والعبد والطولي ومنتصر وخلاف والسعداوي وحسان
والعزاء بمسجد النزهة. مدينة نصر بجوار سيتي ستارز أمام دار الدفاع الجوي
يوم الاثنين الموافق ٢٠١٢/٩/١٦
يسألكم الفاتحة

الببلاوى وموسى والعربى وعنان والمسلمانى فى عزاء أسامة الباز.. وأول ظهور للمهندس سامح فهمى منذ إخلاء سبيله

فاروق الباز وباسل أسامة ووالد زوجته محمد خميس يتقبلون واجب العزاء فى الفقيد

رغم توافد حشد من السياسيين ورجال الدولة على مسجد النزهة التابع للقوات المسلحة مساء أمس ، لتقديم واجب العزاء فى وفاة د. أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية الأسبق، فإن حضور المهندس سامح فهمى وزير البترول الأسبق لفت انتباه الكثيرين، خاصة أنه الصدور الأول له منذ صدور حكم قضائى بإخلاء سبيله فى قضية تصدير الغاز لإسرائيل فى أبريل الماضى ، كان فى مقدمة الحضور د. حازم الببلاوى رئيس الوزراء ، وعمرو موسى رئيس لجنة الخمسين ، والفريق سامى عنان رئيس أركان القوات المسلحة السابق ، وأحمد المسلمانى ، المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية، وأحمد أبو الغيط وزير الخارجية الأسبق ود. فايزة أبو النجا وزير التعاون الدولى السابق ، ومنير فخرى عبد النور وزير التجارة والصناعة ، واللواء سامح سيف اليزل، الخبير الاستراتيجي، والسفيرة ميرفت التلاوى عضو لجنة الخمسين ورئيس المجلس القومى للمرأة ، وزير التضامن الاجتماعى الأسبق، وعصام شرف رئيس الوزراء الأسبق ود. نبيل العربى أمين عام جامعةالدول العربية ، ود. محمد صابر عرب وزير الثقافة ، واللواء عبد السلام المحجوب ، ود. محمود الشريف وزيرى التنمية المحلية السابقين ، ود. مصطفى الفقى ، ود. هشام مصطفى خليل ، والمنتج سمير خفاجي، ود. محمد كامل عمرو ، وزير الخارجية الأسبق ، ود. مفيد شهاب وزير الدولة للشؤون القانونية الأسبق ، ود.يحيى الجمل نائب رئيس الوزراء الأسبق ، والمحلل السياسى والكاتب الصحفى عادل حمودة، والإعلامى أسامة كمال.

وتلقى التعازى فى الجانب المخصص للرجال عالم الفضاء المصرى د. فاروق الباز، الشقيق الأصغر للراحل، وباسل أسامة الباز ، ود. محمد فريد خميس والد زوجة باسل.

وفى الجانب المخصص للسيدات تواجدت مها الرباط وزيرة الصحة ، وفينيس كامل جودة ، وزيرة البحث العلمى السابقة ، والفنانة لبنى عبد العزيز ، وإلهام شاهين، وليلى علوي.







نماذج من برقيات العزاء عن طريق النشر فى صفحة الوفيات بجريدة الأهرام المصرية تبين جم الوفاء للفقيد العزيز الدكتور أسامة الباز، وتشارك نجله باسل والأسرة الكريمة الأحزان.

الثلاثاء ١٧ سبتمبر ٢٠١٣

الأهرام

الدكتور نبيل العربى

الأمين العام لجامعة الدول العربية

ينعى فقيد الدبلوماسية المصرية والعربية

الدكتور أسامة الباز

انعى باسمى واسم جامعة الدول العربية وببالغ الأسى والحزن الصديق العزيز

الدكتور أسامة الباز

الذى بغيابه تفتقد الدبلوماسية المصرية والعربية أحد أبرز رموزها ورجالاتها الكبار الذى تميز بإسهاماته الكبرى على مدى أربعة عقود حافلة بالنشاط والعطاء والأداء الوطنى والقومى فى عالم الفكر والسياسة والدبلوماسية المصرية والعربية والدولية.

وأتقدم بخالص العزاء إلى عائلة الفقيد الكبير وإلى الشعب المصرى داعيا المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته

وحيد عبد الغفار
الشريك التنفيذي
يبكر تيللي وحيد عبد الغفار وشركاه والشركاء والمديرون وجميع أعضاء أسرة المكتب يشاطرون
السيد الأستاذ/ باسل الباز
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لشركة الشرقيون للبتروكيماويات
فى وفاة والد سيادته الدكتور / أسامة الباز
للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

مجموعة شركات ايرليكيد مصر
الدكتور/ شريف إسماعيل أحمد إسماعيل
رئيس مجلس الإدارة
الأستاذ/ دومينيك بيرتسيني المدير العام
وجميع العاملين بالشركة يشاطرون بمزيد من الحزن والأسى
الأستاذ/ باسل الباز
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب بشركة كاربون هولدنج
في وفاة والد سيادته سيادة المستشار الدكتور / أسامة الباز
للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

المجلس المصرى للشئون الخارجية
ينعى فقيد الوطن
السفير د. أسامة الباز
والذى سوف تفتقد فيه الدبلوماسية المصرية وجها من ابرز اعلامها
تغمده الله بوافر رحمته

السفير
امجد عبد الغفار
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات
ينعي ببالغ الحزن والأسى
أستاذه الدبلوماسي القدير
الدكتور/ أسامة الباز
تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وألهم اسرته الصبر والسلوان

دكتور السيد الباز
رئيس منطقة مصر أوروبا الصناعية وإخوته أسامة وخالد وعبد الرحمن ومحمد وابناؤه محمد ومحمود وأحمد بخالص العزاء لأسرة المرحوم فضيلة
الشيخ السيد الباز
في فقيدنا العزيز
الدكتور أسامة الباز



البنك الأهلى سوسيتيه جنرال
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب
وأعضاء مجلس الإدارة والمديرون العموم
وجميع العاملين بالبنك يشاطرون
السيد الأستاذ
باسل الباز
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب
لمجموعة شركات كربون القابضة
فى وفاة والد سيادته المغفور له
الدكتور أسامة الباز
للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

محمد المعتصم
ممدوح عبد الغفار
عادل هلال
وجميع المديرين والعاملين
فى
شركة تى سى جى محاسبون قانونيون وخبراء ضرائب
يشاطرون ببالغ الحزن والأسى
الاستاذ/ باسل الباز
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب لمجموعة شركات كربون القابضة
فى وفاة والد سيادته
الدكتور / اسامة الباز
للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

شركة
حسن علام القابضة
يشاطرون
الأستاذ/ باسل الباز
الأحزان فى وفاة والده
المرحوم الدكتور
أسامة الباز
للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

شركة أموال الخليج للاستثمار التجارى
عمار الخضيرى وكريم سعادة
يشاطران ببالغ الحزن والاسي
السيد الأستاذ/ باسل الباز
فى وفاة المغفور له
الدكتور / أسامة الباز
للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

«إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر» صدق الله العظيم

معتز الألفي

أحمد معتز الألفي

يشاطرون بمزيد من الحزن والأسي

السيد الأستاذ/ باسل الباز

والسيد الدكتور/ فاروق الباز

في وفاة المغفور له بإذن الله تعالي

الدكتور/ أسامة الباز

بعد حياة حافلة بالعطاء والخير والإخلاص والانجازات داعين المولى عز وجل ان يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويدخله فسيح جناته وان يلهم الأسرة الصبر والسلوان

على عبد العزيز

رئيس الشركة القابضة للسياحة والفنادق والسينما سابقا

ينعى ببالغ الحزن الأخ وصديق العمر

الدكتور/ أسامة الباز

للفقيد الغالي الرحمة ولنا وللأسرة خالص العزاء

م. وائل شرقاوى والعائلة

يشاطرون الأخ والصديق العزيز

الأستاذ باسل الباز

في وفاة المغفور له

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

محمد أحمد حلمى

يشاطر أخاه وصديقه

باسل الباز والعائلة

الأحزان في وفاة

المغفور له بإذن الله

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

١٦ سبتمبر ٢٠١٣

الأهرام

الشركة المصرية
للصناعات الاساسية ايبك

رئيس مجلس الإدارة

أعضاء مجلس الإدارة

والمديرون وجميع العاملين

يشاطرون بمزيد من الحزن والأسى

الأستاذ الدكتور

باسل الباز

فى وفاة والده

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة

وللأسرة خالص العزاء

شركة الشرقيون
للبتروكيماويات
أعضاء مجلس الإدارة
والعاملون بالشركة يشاطرون
السيد الأستاذ
باسل الباز
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب
فى وفاة والد سيادته
السيد الدكتور
أسامة الباز
تغمده الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته
وألهم أسرته وذويه الصبر والسلوان

محمد صبري أبو الفتوح

يشاطر

الأستاذ باسل الباز والعائلة

الأحزان في وفاة فقيد الوطن

المرحوم الدكتور

أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

عمر رفيق عبد الناصر وحرمه

يشاطران بالغ الحزن والأسى الأخ والصديق

باسل أسامة الباز

في وفاة المغفور له الدكتور

أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

محيي الدين روحي

والعائلة

يشاطرين

الدكتور فاروق الباز

في وفاة شقيق سيادته

المغفور له بإذن الله

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

زوجة الدكتور «أسامة الباز» تفتح خزائن أسراره

الإعلامية أميمة تمام:



رفضه للتوريث تسبب في إستبعاده من الرئاسة

بعد أيام قليلة من وفاته التقت الإذاعة والتليفزيون الإعلامية أميمه تمام زوجة الراحل الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس الأسبق حسنى مبارك، حيث أكدت أنه كان لها الأب والزوج والصديق والابن لها، ولم يكن مجرد زوج فقط، حيث تعلمت منه الكثير فى العمل الإعلامي، فقد كان يساعدها فى برامجها، وأضافت: إن الباز أول من توقع قيام ثورة وسقوط النظام، وصعود الإخوان للحكم وفشلهم السريع، هذا ما قالته السيدة زوجته، وأكدت معارضته للتوريث كان سببًا فى استبعاده من رئاسة الجمهورية.

- **بداية ماذا كان يمثل د. اسامه الباز بالنسبة لك ؟**
  - أسامة الباز لم يكن لى مجرد زوج ، بل كان بالنسبة لى الصديق والأب والأخ والإبن وحاجات كتير جدا ، وكنت أرى فيه دائما الإنسان الملىء بالحب والأمل والعطاء والنشاط لا يوجد كلام يوفيه حقه على المستوى الإنسانى والسياسى والوطنى
- **منذ متى كان يعانى من سوء حالته الصحية ؟**
  - بدأت حاله دكتور أسامة الباز الصحية فى التدهور منذ عامين بسبب إصابته بجلطة ولكن ساءت حالته منذ شهرين تقريبًا ، واضطررت للحصول على إجازة لأكون بجواره فى ظل تلك الظروف المرضية الصعبة.
- **هل كان على وعى بما يحدث حوله وما آخر كلماته لك ؟**
  - قبل وفاته بـ ٣ أيام دار حديث بينى وبينه ، وقلت له : أنا أميمة هل فاكرنى؟ فقال لى: طبعًا عارفك كويس جدا ، فقلت له: شد حيلك وخف من المرض إحنا عاوزينك وأنا بحبك جدًا جدًا " ، فقال: " أنا بحبك جدا " ، وكان واعيًا جدًا ، وبيضحك معنا أنا وابنه باسل وابنته مريم قبل دخوله فى غيبوبته الأخيرة قبل ٣ أيام من وفاته ، وكنا معه حتى آخر لحظة.
- **هل كان يتدخل فى عملك الإعلامى ؟**
  - أكيد ، وأنا تعلمت أشياء كثيرة منه ، وهو أستاذى ، و كان يوجهنى كثيرًا ، كما أنه كان يدعم إعلاميين كثيرين ، ويوجههم ويستشيرونه ويسترشدون برأيه ، وهو بالمناسبة كان يشجعنى على العمل.
- **هل كان ينتقدك أو يثنى على أدائك الإعلامى ؟**
  - كان يثنى على أدائى كثيرًا ، ولكن كان له انتقاد حول الأسئلة المطولة والمقاطعة وأنا ابتعدت عنهم تماما لأنه يحب الأسئلة القصيرة والمركزة ، وعلمنى الحيادية وضبط

النفس وعدم التعصب والقدرة على التحمل والتوازن وهو بالمناسبة شخص متوازن جدا.

- **ما الموقف المؤثر الذى تذكرينه له ؟**

- ذات مره كنت فى أفغانستان فى مهمة عمل خارجية فى عام ٢٠٠٢ ، وكان هو فى مهمة خارجيه بفرنسا ، ولم يستطع الوصول لى تليفونيا بسبب عدم وجود شبكات تليفونية حينها ، واكتشفت أنه كان قلقًا جدًا بسبب المشاكل الأمنية والحرب هناك ، ولرغبته فى الاطمئنان على أحوالى ، فوجئت بالسفارة الامريكية تبحث عنى وتم التواصل معه.

- **أنت اعلامية وزوجك كان مسؤولًا كبيرًا بالدولة ومع ذلك لم تتقلدى منصبًا فلماذا ؟**

- هو لم يحاول لأنه لا يحب التوسط ولكنه فقط كان يساعدنى فى برنامجى "موضوع الساعة" من خلال الأفكار أو الاتصال بالضيوف من معارفه ، ولكنه لم يحاول التدخل حتى عندما تعرضت لأزمة فى عملى فى ٢٠٠٥ لم يتدخل أيضا وأزمات تأتى وتذهب وهو كان هذا مبدأه وكنت راضية بذلك.

- **كيف كانت انطباعاته منذ ثورة ٢٥ يناير وما تلاها من أحداث؟**

- هو كان داعمًا لثورة ٢٥يناير ، وكان يتوقعها ويعتبرها نتيجة طبيعية لما يحدث فى البلاد ، وأتذكر أنه منذ عام ٢٠٠٥ كان يردد أمامى كثيرًا جملة لا أنساها " الأيام حبلى " ، فسألته: ماذا يقصد بها ، فقال لى: ستحدث أشياء كثيرة وأحداث كثيرة وهو أول من توقع قيام ثورة وسقوط النظام وإحداث حالة فوضى كبيرة ، وصعود الإخوان وكذلك سرعة فشلهم وسقوطهم ، أما ٣٠ يونيو فلم يكن واعيا لأحداثها.

- **الدكتور أسامة الباز عمل سنوات طويلة كمستشار سياسى للرئيس الأسبق مبارك فهل كتب مذكراته حول سنوات عمله معه؟**

- هوقام بكتابة بعض الأشياء ما بين خبراته ومذكراته ، ولكنها غير مكتملة ولا تعتبر مذكرات نهائية ولم يكملها بسبب مرضه قبل عامين

- **هل تفكرى فى جمع تلك الكتابات لتخرج فى صورة مذكرات مستقبلا؟**

- لا افكر فى هذا الأمر فى الوقت الحالى.

• عادل خفاجي، الإذاعة والتليفزيون ، العدد ٤٠٩٧ ، السبت ٢١/ ٩/ ٢٠١٣م.



بالصور النادرة.. «الوطن» تكشف أسرار ١٧ عاماً في حياة أسامة الباز
زوجته أمينة تمام: قال لي «التوريث لن يحدث إلا على جثة الجيش»
توقع صعود الإخوان وسقوطهم سريعاً.. والجماعة كانت على
اتصال دائم به.. ووصف «السيسي» بأنه «محارب الساموراي» 10-11



السيدة الفاضلة الأستاذة أميمة تمام المذيعة التليفزيونية اللامعة

زوجة الدكتور أسامة الباز

بالصور النادرة.. زوجة «عميد الدبلوماسية المصرية»

تكشف لـ«الوطن» أسرار ١٧ عاماً فى حياة المستشار السياسى

أميمة تمام: أسامة الباز قال لى «سيناريو التوريث لن يحدث إلا على جثة الجيش»

اعترف لى بأن المعركة الوحيدة التى خسرها طوال حياته كـ«مفاوض» هى إقناع «مبارك» بأن ملف «التوريث» «كارثة كبرى»

توقع «ثورة يناير» قبلها بـ٩ سنوات..

وصعود الإخوان للحكم وسقوطهم سريعاً

«الجماعة» كانت على اتصال دائم به في عهد «مبارك»..

وطلبت منه العمل معها لكنه قال بحسم: «اعتزلت العمل السياسي»

عمل مع عبدالفتاح السيسي فترة طويلة ووصفه بأنه

«محارب الساموراي» الذي قاد «عملية انتحارية» لإنقاذ مصر

قال عن الفريق السيسي: واعد..
ورجل «الثقة المطلقة بلا منازع»

اعتبر حكم الإخوان «اختطافاً لمصر».. وقال
بأسى: ما كان لـ«مرسي» أن يصبح رئيساً



الإنسان الدكتور أسامة الباز نائمًا ومريم تداعبه

▪جمال مبارك كان يقول لـ«الباز»: «أنت أبي الروحي»..

لكنه كان يرى فيه «نقطة خطر حقيقية على ملف التوريث»

▪اتصلنا بالرئاسة قبل «٢٥ يناير» للمساعدة في علاجه بالخارج

بعد تدهور صحته بشدة.. ولم يهتم أحد

▪«السادات» و«مبارك» عرضا عليه تولي «الخارجية»..

لكنه رفض من أجل «خدمة مصر بشكل أفضل»



صورة نادرة للدكتور أسامة الباز وزوجته السيدة أميمة تمام أيام الزواج الأولى



الأب والإبنة مريم.. سعادة البنت بحنان الأب



- **الباز شــرع فى كتابة مذكراته عام ٢٠٠٥**
- **لكنــه ألغــى الفكــرة عنــدما تــيقن أن مــا ســيكتبه سيمس الأمن القومي**
- **مرتبة فى «الرئاسـة» كـان ٧٠٠ جنيه**
- **ولم يسـتخدم صالـة «كبار الزوار» .. وكـان يفضـل المترو**
- **كـان زوجـًا حنونًـا وأبًـا رائعًـا.. ويلاعـب أحفـاده بمنتـهى العـفوية والبراءة**

فى منزلها الذى تتوسطه صورة كبيرة تجمعه بها وابنته الصغيرة «مريم»، تكلمت السيدة أميمة تمام لأول مرة عن زوجها الراحل «عميد الدبلوماسية المصرية» الدكتور أسامة الباز كما لم تتكلم من قبل، وعلى الرغم من أنها فضّلت أن يكون الحوار بعد انقضاء فترة الأربعين يومًا حدادًا على وفاته، فإن الحديث كان ذا شجون لرجل كان بمثابة كل شىء لها على مدار ١٧ عامًا من الحب والعِشرة الطيبة.

وما بين دموع خانت الأعين فى لحظة استرجاع ذكريات خاصة، وابتسامة حانية لمواقف وطنية أصر عليها «الباز» بإباء وشمم الفرسان، تكشف الإعلامية أميمة تمام فى حوار حصرى لـ«الوطن» عن الكثير من الأسرار فى حياة «الباز»، اللحظات الأخيرة.. صراع الحرس الجديد والحرس القديم داخل القصر الرئاسى، والأسرار الخفية وراء استبعاده من مؤسسة الرئاسة، حيث ظل سنوات طويلة «المستشار السياسى للرئيس حسنى مبارك.«

توقع «ثورة يناير» قبلها بـ٩ سنوات.. وصعود الإخوان للحكم وسقوطهم سريعًا أيضًا يكشف الحوار علاقة «الباز» بالإخوان وبالفريق أول عبدالفتاح السيسى، وأكثر ما أفزعه فى حكم الإخوان وصورة «مرسى» فى عينيه، وحقيقة كتابته لمذكراته الشخصية وعلاقتها بالأمن القومى المصرى.. وما بين الجملة والأخرى تظهر صورة «أسامة» الأب والزوج والصديق قبل أن يكون ذلك المفاوض السياسى البارع على مدار خمسين عامًا من العمل الدبلوماسى، كما خصت أميمة «الوطن» بصور نادرة وحصرية من مسيرة «الباز»

الإنسان والدبلوماسى الكبير تنشر لأول مرة مع الحوار.. إلى نص الحوار النادر.

- **بطبيعة الحال سيكون السؤال الأول عن وضعه الصحى قبل الوفاة وهل صحيح أنه فقد جزءًا من ذاكرته فى أيامه الأخيرة؟**

- الذى لا يعرفه الكثيرون أن أسامة الباز، الله يرحمه، أصيب بجلطة فى المخ قبل وفاته، وهذه الجلطة أثرت لاحقًا على ذاكرته بشكل كبير مع كبر السن، وبعدها مباشرة بدأت صحته تتدهور إلى أن وصلت لالتهاب رئوى حاد قبل وفاته بشهرين، وهذان الشهران هما أكثر فترة صحية حرجة عاشها الراحل متنقلًا ما بين المستشفى والمنزل حتى وافته المنية ولا يمكن إنكار أنه بعد «الجلطة» تأثرت ذاكرته كثيرًا.

- **فى تلك الفترة الحرجة من كان يزوره، ويهتم بأمره خلاف أسرته الصغيرة؟**

- بكل أسف، ظل «الباز» فى غيبوبة لمدة ٣ أسابيع تقريبًا فى العناية المركزة وكانت الزيارة ممنوعة عنه تمامًا، باستثنائى أنا وابنته «مريم» وابنه «باسل» وإخوته، لكن الكثيرين كانوا دائمًا على اتصال مباشر بى للإطمئنان على صحته.

- **هل حاولت أى من مؤسسات الدولة علاج «الباز» على نفقة الدولة؟**

-لا، لم يحدث، ولقد قمت بنفسى، كما قام ابنه «باسل» كذلك بالاتصال بمؤسسة الرئاسة قبل ثورة ٢٥ يناير مباشرة، وقلت لهم إنه «تعبان جدًا»، وشرحت لهم حالته الصحية، وطلبت المساعدة وتحدثت عن ضرورة علاجه بالخارج، لكن لم يهتم به أحد، ولم يرد علىّ أى أحد من مؤسسة الرئاسة التى أفنى «الباز» عمره فيها.

- **سرت شائعة وفاته قبل وفاته فعليًا، فكيف استقبلت الأسرة هذه الشائعة؟**

-كانت من أسخف الأشياء التى عشتها فى حياتى، فحينما يكون شريك العمر والرجل الأوحد فى حياتى بين يدى الله وما زال على قيد الحياة كيف يمكننى تلقى إشاعة كهذه؟ بكل أسف، من أطلق هذه الشائعة ليس لديه أبسط أنواع الإنسانية أو الضمير، إنهم لصوص على حياة الآخرين فى أحرج اللحظات التى ممكن أن يعيشها إنسان.

- **هل كان أى من الزعماء والقادة العرب من بين المتصلين للاطمئنان على «الباز» فى أواخر أيامه؟**

-نعم، الرئيس الفلسطينى «أبومازن» اتصل بى أكثر من مرة للاطمئنان عليه، وقال لى: «نريد تكريم الباز»، وهناك أيضًا قادة العديد من دول الخليج العربى، وفى مقدمتهم قادة الكويت والسعودية والإمارات، وغيرهم، والحمد لله، «أسامة الباز» كان يتمتع برصيد

حب كبير عند كل الناس.

- **متى كان ذلك تحديدًا؟**

- قبل ثورة ٢٥ يناير بشهرين تقريبًا.

- **جرى الحديث مرارًا عن أن سر خروج «أسامة الباز» من مؤسسة الرئاسة كان وراءه جمال مبارك وما عُرف لدى الرأى العام بـ«الحرس الجديد داخل القصر»، فما كواليس هذه المرحلة من حياة «الباز»؟**

- شهادة للتاريخ فقد تم تجميد دوره بالفعل منذ عام ٢٠٠٣ حينما ظهر الحديث بشكل مباشر عن ضرورة ترشح جمال مبارك كرئيس، وكان «الباز» أول من وقف ضد هذا السيناريو بقوة، وبدأوا أيضًا فرض حصار ما على تحركات «الباز» وحضوره لفعاليات سياسية معينة بحكم منصبه، وهذا كان بالتوازى مع حصار «مبارك» نفسه والتضييق عليه.

- **ماذا تقصدين بحصار «مبارك» والتضييق عليه؟**

- أقصد أن تلك المجموعة، بقيادة جمال مبارك، بدأت فى عدم إيصال أى شخص يريد أن يقول ما لا يريده «جمال» وشِلته، وفُرضت على «مبارك» أخبار معينة وتقارير محددة تتفق مع أهداف هذه المجموعة، بالإضافة إلى قيامهم بشكل مباشر بإدارة الأمور بعيدًا عنه تمامًا، وهنا يمكن نستنتج أن الصلاحيات لم تكن تُسحب من الدكتور الباز فقط، بل كانت تُسحب من «مبارك» نفسه.

- **ألم يشعر «مبارك» بذلك ولو لمرة واحدة؟**

-لم أكن موجودة فى كواليس القصر حتى أحكم على هذا الأمر، لكن فى تصورى الشخصى فإنه كان يدرك ذلك تمامًا، لكنه كان فى حالة استسلام أو رضا ضمنى عما يحدث.

- **ألم يشتكِ «الباز» من هذه التصرفات وقتها؟**

- لا، «مش أسامة الباز»، فلقد كان الراحل يمتلك عزة النفس الكافية للترفع، ولكن شعوره بالمسئولية طوال الوقت تجاه البلد كان يجعله يكرر المحاولات إرضاء لضميره الوطنى، «أسامة الباز» كان لا يخشى قول كلمة الحق فى وجه أى رئيس، فقد كان يخشى الله فقط، بل إنه كان يقول لـ«مبارك» و«السادات» أيضًا بكل صراحة دون تردد «أنت مخطئ أو غلطان»، إذا ما رأى ذلك فعلًا.

- **تظل هناك علامة استفهام قائمة فى كلمة الفصل أو النهاية ما بين «الباز» ومؤسسة الرئاسة، هل تقدم «الباز» باستقالته؟ أم تمّت إقالته؟**

- هذا سؤال ذكى جدًا، لكن الأمر لم يتم بهذه المباشرة، تم بشكل غير مباشر من خلال سحب الصلاحيات وقطع «البوستة» عنه والمخاطبات مثلًا، ووقف حضوره لفعاليات سياسية مهمة، ففهم «الباز» الإشارة وانسحب بهدوء، وأعتقد أن الأمر حدث بهذه الطريقة لأنه على الرغم من الاختلاف السياسى ما بين نظام «مبارك» و«الباز»، فـ«الباز» يظل رمزًا كبيرًا لا يمكن التعامل معه بطريقة الفصل المباشر، وفى ذات الوقت مسئولياته تجاه مصر منعته من قول ذلك صراحة، فالباز «عمره ما قفل الباب فى وش حد» بدليل أن مكتبه ما زال مفتوحًا حتى الآن وتوجد به متعلقاته الشخصية حتى اليوم.

- **من المفارقات التى تفرض نفسها عند الكثيرين، كيف فشل شخص بحجم حنكة «الباز» السياسية فى تعليم «مبارك» علم السياسة بعد أن أوكله «السادات» لهذه المهمة وهذا يبدو جليًا فيما آلت إليه الأمور لاحقًا؟**

-الباز» لم يفشل فى تعليم «مبارك»، المسألة تتعلق بالطبيعة الشخصية لـ«مبارك» نفسه، فهل شخصية «السادات» مثل «مبارك» مثل أى شخص آخر؟ بالطبع لا، مثل المُعلم مع تلاميذه فى المدرسة، درجة الاستجابة لما يقوله مختلفة ما بين تلميذ وآخر وهذا يرجع لطبيعة تكوين كل منهم على حدة، فالمعلم واحد، إذن النتائج تعتمد أيضًا على الطرف الآخر، فما أعطاه «مبارك» نتيجة لوجود «الباز» فى حياته كان هذا هو أقصى. ما عند «مبارك» بما يتلاءم مع طبيعة شخصيته «هو ده اللى كان ممكن يتاخد منه ومكنش ممكن يطلع منه أكتر من كده»، ومع ذلك يمكن القول إن «مبارك» أبلى بلاءً حسنًا فى أول ١٥ عامًا من توليه الحكم، وحرر طابا وانتعشت السياسة الخارجية المصرية، لذا يمكن القول بأن طول مدة بقاء «مبارك» فى الحكم لمدة ١٥ عامًا إضافية هى من كانت المسؤولة عن تدهور أدائه السياسى لاحقًا.

- **من المعروف أن أساسيات التعليم عند «الباز» كانت القراءة وهذا لم يكن يروق لـ«مبارك» كثيرًا.**

- صحيح، فـ«الباز» كان يعشق القراءة فى كل مناحى الكتابة وأنواعها. وكان يجيد دومًا إيصال المعلومة مكتوبة، سواء كانت على شكل تقارير أو مستندات أو وثائق، بينما كان «مبارك» لا يهوى القراءة بطبيعته ويفضل المعلومة السماعية، وبمرور الوقت التف حوله من يريدون أن يسمعوه فقط ما يريدونه هم بعيدًا عن الحقيقة، خاصة فى السنوات

العشر الأخيرة.

- **هل عرض عليه أى من قادة الدول العربية العمل كمستشار سياسى عقب خروجه من الرئاسة المصرية؟**

- ما كان لأحد أن يفكر فى ذلك، فـ«الباز» معروف عنه تمامًا أنه لم يكن موظفًا فى الرئاسة المصرية، لكنه لم يكن يبخل برأيه لهم أبدًا، لكن فى إطار وظيفى بالطبع ما كان له أن يوافق.

- **من الألغاز التى ما زالت تفرض نفسها على مسيرة «الباز» السياسية، أنه كان عميدًا للدبلوماسية المصرية ومايسترو سياستها الخارجية أيضًا، وكان يتولى فى أوقات كثيرة اختيار الوزارة بأكملها، فكيف لم يتقلد ولو لمرة واحدة منصب وزير الخارجية؟**

- نفس الأسباب التى بسببها لم يتقلد يومًا ما منصب سفير لمصر فى أى دولة أيضا! فلقد كان يرى، رحمة الله عليه، أن المناصب ممكن تقلل من قدرته على خدمة مصر بحكم البروتوكولات المفروضة على الوزير أو السفير، وأنه ما دام خارج منظومة هذه القيود الدبلوماسية والسياسية فيمكنه العطاء بشكل أفضل وفى خدمة مجتمعه، ففى النهاية كان يدرك «الباز» أن المناصب مهما كانت عُليا فهى لها صلاحيات وحدود معينة وما كان يرضى أبدًا أن يكون مجرد موظف، وهذا من أسرار بقائه على الساحة السياسية لفترة طويلة.

- **هذا يعنى أنه عرض عليه بالفعل تولى وزارة الخارجية وهو من رفضها؟**

-نعم، عرضت عليه مرة فى عهد «السادات» عقب اتفاقية «كامب ديفيد»، ومرة أخرى فى عهد «مبارك»، ولعل الكثيرين لا يعرفون أنه حصل على منصب سفير فى سن الأربعين لكنه لم يسافر خارج مصر.

- **من الحكايات المتداولة بقوة أن آخر مسمار فى نعش العلاقة ما بين جمال مبارك وأسامة الباز حينما نادى «الباز» جمال بـ«جيمى» فى واشنطن؟**

- لقد كنت موجودة فى هذه الرحلة الدبلوماسية، والموضوع لم يكن كذلك أبدًا، ولا أعرف من أين يأتى الناس بهذا الكلام، بالعكس، العلاقة الإنسانية ما بين «جمال» و«الباز» كانت رائعة، لدرجة أن «جمال» كان يقول لـ«الباز» دومًا: أنت الأب الروحى لى أو«Godfather» ، وكان بينهما منتهى الاحترام، فالقصة كانت «ألعن» من لقب «جيمى.«

- **ماذا تقصدين بـ«ألعن من كده»؟**

- أقصد حب الناس لأسامة الباز وخبرته واتصالاته وعلاقته الواسعة وخلفيته السياسية الكبيرة، المشكلة الحقيقية أن جمال مبارك اعتبر أن «الباز» نقطة خطر حقيقية فى «ملف التوريث»، بل لدرجة أنه اعتبر «الباز» فى مرحلة ما منافسًا حقيقيًا له، فلقد كان القصر لا يريد لأى شخص أن يظهر على الساحة خلاف «جمال»، فقد كانوا يريدون أن تخلو الساحة لـ«جمال» تمامًا من أى منافس فى حب الناس على الأقل أو يمكن أن يسرق الأضواء منه.

- **هل هذا يعنى أنه كانت هناك احتمالات قوية حول تفكير «أسامة الباز» فى الترشح للرئاسة لاحقًا؟**

-«الباز» لم يفكر فى هذا الأمر تمامًا، لكن القصر اعتبر أن وجود «الباز» على الساحة مصدر «تشويش» على جمال مبارك، واعتقد البعض أنه منافس لـ«جمال»، خاصة أن الناس كانت تقابله مثلًا فى الشارع ويقولون له: لماذا لا ترشح نفسك للرئاسة؟ لكن هذه الفكرة لم تطرأ على بال «الباز» بالمرة.

- **وطوال تلك السنوات اللاحقة لعام ٢٠٠٣ وصولًا إلى ثورة ٢٥ يناير ماذا كان يفعل «الباز» داخل مؤسسة الرئاسة لإثنائهم عن سيناريو التوريث؟**

- دخل فى مواجهات كثيرة وقدم النصح لـ«مبارك» بكل الطرق الممكنة، لكن كان هناك إصرار تام من نظام «مبارك» على المضى قدمًا فى هذا السيناريو إلى أن تم تحجيم دوره تمامًا وخروجه من مؤسسة الرئاسة ٢٠٠٥.

- **يوم محاكمة القرن.. «مبارك وجمال وعلاء» خلف القضبان، ماذا قال «الباز»؟**

- شعر بالأسى لما آلت إليه الأمور وما كان يتمنى أبدًا أن يكون هذا مشهد النهاية لعائلة مبارك.

- هل حاولت سوزان مبارك التواصل مع «الباز» يومًا ما؟

- لا، أبدًا لم يحدث.

- **هل صحيح أن مرتب «الباز» كان ٧٠٠ جنيه فقط؟**

- مبتسمة: صحيح وهذا شىء يدعونى للفخر به حيًا وميتًا، وكان لا يدخل صالة «كبار الزوار» ويحب ركوب المترو، وبعد أن «باظت» سيارته الـ«ريجاتا»، لم يركب سيارة أخرى، لكنه ظل على علاقة إنسانية وطيدة بسائقه الخاص حتى آخر يوم.

- **هل كان لـ«الباز» اعتراضات على كل من اتفاقيتى «الكويز» و«الغاز»؟**

- نعم، دون الخوض فى تفاصيل، لكن يمكن القول بأنه دخل فى مواجهات حادة بسبب اعتراضه على ذلك مع نظام «مبارك.»

- **من المعروف عن أسامة الباز أنه كان مفاوضًا عنيدًا ولا يخسر. جولة مفاوضات أبدًا.. متى اعترف لك «الباز» بخسارته فى عالم المفاوضات كأحد الأسرار التى لم يعرفها أحد؟**

- أعتقد أن كل حياته كانت جولات تفاوضية ناجحة، لكننى أذكر أنه قال لى مرة واحدة إنه خسر بالفعل جولته فى إقناع «مبارك» ومن حوله بأن مشروع التوريث خطر داهم يجب عدم المضى فيه قدمًا.

- **هل تعتقدين أن أسامة الباز كان ضحية القضية الفلسطينية.. بمعنى أنها أخذت منه أكثر مما أعطته؟**

- لا، فإذا ما بحثنا فى الدور المصرى تجاه القضية الفلسطينية وما بُنى فى هذه القضية لاحقًا من إنجازات كان أساسها مفاوضات «الباز»، وهذا جُل التقدير له، فتقدير أسامة الباز لا يقف عند أشخاص أو أنظمة، بل سيحكم فيه التاريخ وما قدمه للقضية الفلسطينية ولمصر.

- **هل اعتبر «الباز» أن ثورة ٢٥ يناير حققت أهدافها؟**

-كان أهم شعار يؤمن به أن «الشعب والجيش إيد واحدة» فى هذه الثورة وهو ذات الشعار الذى ما زال قائمًا فى ثورة ٣٠ يونيو كذلك، لكنه اعتبر أن ثورة ٢٥ يناير من خلال رصده للمرحلة الانتقالية لم تحقق أهدافها.

- **لماذا اعتبر أن ثورة ٢٥ يناير لم تحقق أهدافها؟**

- كان يرى أن ٢٥ يناير ثورة قامت لكى تعود مصر للشعب، لكن الإخوان سطوا عليها وخطفوا مصر مرة أخرى من الشعب، لكن اليوم مصر عادت لشعبها وفى طريقها إلى تأسيس دولة مدنية حديثة بكل معنى الكلمة.

- **لكن الراحل أسامة الباز توقع صعود الإخوان للحكم.**

- نعم، توقع صعودهم وتوقع سقوطهم أيضًا لكنه لم يتخيل أن يتم ذلك بهذه السرعة، وتوقع صعودهم كان يرتبط لديه بقناعات من أرض الواقع، تتمثل فى أن تنظيمهم هو الكيان الوحيد المنظم الذى له القدرة التنظيمية على خوض انتخابات وحشد الشارع، ويمكن أن يسيطر على مفاصل الدولة وفقًا لهيكلهم التنظيمى المعروف الذى استطاع

الوصول للقرى والنجوع، أما سقوطهم فقد توقعه لأنه اعتبر أن أسلوبهم فى تولى الحكم هو نفس حجر الزاوية الذى أدى لسقوطهم، لدرجة أنه قال لى «إن سقوطهم سيكون أسرع بشكل مهول من تجربة صعودهم، وإن هذا المنحنى الخطير فى تاريخ جماعة الإخوان يجب أن يُدرس فى معاهد وكليات السياسة»، وأردف قائلًا وقتها: «كيف لتنظيم ظل يحاول الصعود لسدة الحكم ٨٠ سنة وبعد أن وصل إليه، يسقط فى عام واحد فقط، هذا يعنى تمامًا أن هيكلهم التنظيمى هش جدًا لدرجة أنه لم يستطِع الصمود»، وكان يرى أن تركيبة الشعب المصرى الخاصة كانت أهم أسباب سقوط الإخوان إلى الهاوية أيضًا وهى النقطة الأساسية التى لم يرَها الإخوان فى تعاملهم مع المصريين.

- **ما بعد قيام ثورة ٢٥ يناير، كيف كان يرى «الباز» المرحلة الانتقالية لتى قادت مصر لاحقًا حتى مجيء «مرسى» رئيسًا؟**

- كان يقول إن مصر لن تستقر قبل مرور ٤ سنوات على الأقل، وإن مخاضًا عسيرًا سيمر به البلد قبل أن يستقر، وهذا ما يحدث الآن، فنحن على مشارف الأربع سنوات بالفعل للوصول للرئيس الأحق بحكم مصر.

- **هل ندم «الباز» على تأييده لثورة ٢٥ يناير بعد وصول الإخوان إلى سُدة الحكم؟**

- لا، لم يحدث، فهو كان يدرك تمامًا أن ثورة ٢٥ يناير كانت قادمة لا محالة بغض النظر عن موعدها، وكانت لديه قراءة مبكرة للأحداث منذ كان مستشارًا سياسيًا لـ«مبارك.«

- **هل حدث أن طلب منه «المجلس العسكرى» النصيحة فى أى ملف خارجى أو داخلى ما بعد ثورة ٢٥ يناير؟**

-لا أعتقد.

- **من كان مُرشح «الباز» فى انتخابات الرئاسة الماضية؟**

- لعلّى أذيع سرًا، فـ«الباز» لم يقُم بالإدلاء بصوته فى انتخابات الرئاسة، وهذا أمر قد يستغربه الكثيرون، فعلى الرغم من أنه ذهب إلى صندوق الانتخابات ووقف فى الطابور فى لجنته الانتخابية، فإنه على آخر لحظة قرر ألا يدلى بصوته.

- **ما السبب؟**

- كان له تفكير خاص له علاقة بخوفه من أن يعطى صوته لأحد ممكن أن يفشل، خاصة أننا كنا فى مرحلة انتقالية متوترة، ولقد حسم ذلك القرار بضميره السياسى.

- **ما أكثر شيء كان مُفزعًا لـ«الباز» فى فترة حكم الإخوان؟**

- الانقسامات الطائفية على أساس دينى، سقوط الشهداء والدماء البريئة، مذلة تمثيل مصر فى الخارج من خلال الزيارات الرئاسية لـ«مرسى»، فقد كان يعتبرها بالفعل «مذلة» لمصر وكانت من أكثر الأشياء المؤلمة له، وهو الرجل الذى أمضى حياته فى الدبلوماسية المصرية، وكيف لا وقد عاش أبهى عصور مهابة مصر فى المحافل الدولية طوال فترة عمله! لقد كان يعتبر أن هذه النتائج هى إخفاق حقيقى لثورة يناير وأنه بدلًا من إنقاذ مصر من التوريث دخلنا فى نفق مظلم آخر خطر وأشد وطأة من التوريث، وكان دائمًا ما يقول لى: «هل كُتب على مصر أن تظل مُختطفة؟»، فلقد كان يعتبر أن فترة حكم الإخوان «اختطاف لمصر من شعبها.»

- **هل حدث أن حاول أى من قيادات الإخوان التواصل مع «الباز» عقب وصولهم لسدة الحكم من أجل ملف معين؟**

-الباز» كان يتصل به الإخوان من أيام «مبارك»، على فكرة، وهذا حدث أيضًا بعد وصولهم للحكم، لكنه اعتذر لهم قائلًا إنه «اعتزل العمل السياسى»، فـ«الباز» لم يكن لديه أى عداء مباشر تجاه الإخوان، وكان يرى أن التجربة كفيلة بإظهار الحقيقة، لكن بعد مرور عام على حكمهم الفاشل أقر بفشلهم وأنهم لن يستمروا طويلًا.

- **ما الذى طلبه منه الإخوان تحديدًا؟**

- لم أكن حاضرة تلك المكالمات، فلقد كان مجرد «كلام» وليس لقاءات، لكن «الباز» كان مؤمنًا أن الإخوان لا يستمعون لنصيحة أى أحد خارج مكتب الإرشاد وتعليمات «المرشد» وتنظيمهم الدولى.

- **هل عُرضت عليه أى مناصب سياسية فى المرحلة الانتقالية الأولى أو فى فترة حكم الإخوان؟**

- لا أعتقد ذلك، فـ«الباز» أعلنها صراحة عقب خروجه من مؤسسة الرئاسة أنه اعتزل العمل السياسى، والجميع احترم هذه الرغبة لديه.

- **كيف استقبل الراحل ثورة ٣٠ يونيو؟**

- كان متوقعها تمامًا مثلما كان يتوقع أن تحدث ثورة مصرية عظيمة منذ عام ٢٠٠٣، أى قبل «٢٥ يناير» بتسع سنوات كاملة، فقد كان مؤمنًا أنه لن يحدث توريث فى مصر، وحينما حدثت ثورة ٣٠ يونيو يمكن القول إنها «أنزلت على قلبه السكينة»، فلقد كان

يشعر بغصة كبيرة، ويقول إن مصر «اتخطفت.»

• **لماذا تنبأ الراحل بأن ثورة ٢٥ يناير ستحدث فى ذلك الوقت المبكر جدًا؟**

- لأنه كان يدرك تمامًا كيف كانت تدار الأمور فى مؤسسة الرئاسة فى نظام «مبارك»، وقالها لى صراحة: إذا تم الإصرار على سيناريو التوريث سيكون ذلك على جثة الجيش، وقالها باللغة الإنجليزية كالتالى«On his Dead Body» ، وحينها سألته له: ما الذى يمكن أن يفعله الجيش لوقف عملية التوريث؟، قال لى: «ربنا يستر»، فقد كان مشغول البال كثيرًا بمدى ما سيحدث، وهل كان سيكون هناك نائب مثلًا، وما هو رد فعل «مبارك» إذا ما حدث ذلك، لكنه كان مُصرا على أن «سيناريو ما» سيحدث «بشكل ما» لعرقلة عملية التوريث.

• **هل عمل «الباز» مع الفريق أول عبدالفتاح السيسى يومًا ما؟ وماذا كان رأيه الشخصى فى شخص «السيسى»؟**

- نعم، «الباز» عمل لفترة طويلة مع الفريق «السيسى»، وحينها انحاز الجيش للشعب فى ثورة ٣٠ يونيو، اعتبر «الباز» السيسى مثل محارب الساموراى الذى أقدم على عملية انتحارية لصالح مصر ولأجل إنقاذ شعبها من المهالك التى تلوح فى الأفق، غير عابئ بكل المخاطر التى قد تحيط به، وكان يراهن على أن «السيسى» قادر تمامًا على إعادة مصر إلى دورها الإقليمى والعربى بقوة من خلال دستور حقيقى يليق بها، والمضى قدمًا فى خارطة الطريق نحو حكم مدنى يليق بمصر وشعبها، وكان يدلل دومًا على ذلك بقوله إنه على الرغم من وجود مناخ عام محتقن فى مصر وإن هناك شكوكًا كثيرة تجاه إقامة الدولة المدنية فإن أحدًا لم يجرؤ على التشكيك فى وطنية «السيسى» وحنكته السياسية وقدرته على الانتقال بمصر فى هذه المرحلة إلى بر الأمان، وأنه أدار الأمر بهدوء شديد وعقلانية جنبت مصر بحورًا من الدم كان الكثيرون يتوقعونها، خاصة النخبة الناعمة.

• **ما أسرار علاقة «الباز» بالفريق «السيسى»؟**

-كان يُكنّ له كل التقدير والإعجاب على المستوى الشخصى والمهنى، والتقى به كثيرًا، من قبل حتى أن يتولى الفريق السيسى رئاسة المخابرات الحربية، فلقد كانت بينهم لقاءات مشتركة كثيرة بحكم عمل كل منهم، وكان دومًا يقول عنه إنه شخص «واعد.»

• قالت بعض المصادر أن الدكتور أسامة الباز لم يكن يدرك على الإطلاق قيام ثورة ٣٠ يونيو لتردي حالته الصحية- رحمه الله.

- **هل توقع الباز أن «مرسى» خانه ذكاؤه حينما قام بتعيين «السيسى» وزيرًا لـ«الدفاع» فى ظل خضم تفاعل سياسى مُضطرب ما بين الإخوان والشارع، خاصة أنه معروف تمامًا أنه فى حال حدوث تهديد حقيقى لأمن الشعب فإن ولاء المؤسسة العسكرية سيكون للشعب فقط؟**

- هو توقع سقوط الإخوان بطريقة ما، لكنه لم يربط ما بين تعيين «السيسى» وهذا السقوط، لكنه كان مؤمنًا تمامًا بأن صمام أمان مصر فى المؤسسة العسكرية وأنها من ستقوم بإصلاح الدفة فى الوقت المناسب لإنقاذ مصر، وكان مُتيقنًا من أن الجيش سيتدخل فى اللحظة الحاسمة لأن عقيدته الوطنية تحتم عليه ذلك، فالجيش المصرى بالنسبة لـ«الباز» كان شيئًا مقدسًا جدًا.

- **هل كان لـ«الباز» توصيف محدد لكل من «السادات - مبارك - مرسى - السيسى» بحكم خبرته السياسية العميقة؟**

-(بعينين دامعتين): أعتقد أن «الباز» هو أحق من يجيب عن هذا السؤال الآن، لكن بحكم عِشرتى الطويلة به كانت له توصيفات محددة لكل منهم كما يلى: «السادات.. داهية سياسية»، «مبارك .. عنيد»، «السيسى.. رجل الثقة من الطراز الأول»، و«مرسى.. ما كان يجب أن يكون رئيسًا لمصر فى يوم من الأيام أبدًا.»

- **هناك تسريبات كثيرة تتحدث عن كتابة الراحل أسامة الباز لمذكراته الشخصية التى يسرد فيها رحلته فى عالم الدبلوماسية المصرية فأين هذه المذكرات؟**

-بكل صراحة، وأعلنها لأول مرة، «الباز» شرع فعليًا فى كتابة مذكراته، وتحديدًا عام ٢٠٠٥ بعد خروجه من مؤسسة الرئاسة، لكنه عدل عن الفكرة تمامًا حينما اكتشف أن كتابته ستتشابك بشكل واضح وصريح مع معطيات تتعلق بالأمن القومى المصرى، لهذا فقد قرر ألا يخوض فى هذا الأمر تمامًا، معتبرًا هذا القرار حماية لمصر أولًا وأخيرًا.

- **هل هناك أى مسودات للكتابة المبدئية لهذه المذكرات؟**

- بعد أن ألغى «الباز» الفكرة، قرر أن يكتب ما سماه «خبرات» العمل الدبلوماسى والسياسى المصرى، لتكون شهادة للأجيال القادمة، خاصة الدبلوماسيين الشبان، لكن القدر لم يمهله لكتابة هذه الخبرات أيضًا.

- **بكل صراحة، هل قرار العدول عن كتابة مذكراته الشخصية كان قرارًا شخصيًا أم نصيحة مباشرة من الجهات السيادية؟**

- لا، لم يحدث، بل كانت قناعته الشخصية تمامًا كدافع وطنى، فهو حريص على مصر لآخر لحظة، و«أسامة» قالها صراحة لى: «لن أترك أى مستندات أو وثائق أو أوراق فى يد أى شخص حتى لا يتم العبث بها، لهذا أى شخص سيدعى أنه يملك أى ورقة ينسبها لأسامة الباز فهو كاذب تمامًا وسأقاضيه قانونيًا.«

• **هل هذا يعنى أنه تخلص من كل المستندات والوثائق التى كان يملكها بعد هذا القرار؟**

- لم يكن يملك بالفعل أى مستندات أو وثائق تمامًا، فلقد كان يتخلص منها أولًا بأول، وإذا ما بحثتم فى منزلى أو فى مكتبه الذى ما زال قائمًا حتى اليوم وبه بعض متعلقاته الشخصية لن تجدوا ورقة أو وثيقة واحدة، وكل من يدّعى أنه يملك ورقة تخص أسامة الباز أقول له: أنت كاذب، وسأتهمه صراحة بالتزوير.

• **لكن أليس مجحفًا للتاريخ أن يترك رجل بحجم أسامة الباز الحياة دون أن يكون له كتاب يسرد مسيرته العملاقة؟**

-أذيع سرًا لأول مرة وهو أننى بصدد تأليف كتاب يحمل كافة ذكرياتى مع أسامة الباز الإنسانية والسياسية، وأكشف فيه عن الكثير من الأسرار التى امتدت لفترة ١٧ عامًا من خلال زواجى به، فأنا فخورة بأننى كنت زوجة لأسامة الباز.

• **ما التوقيت المُتوقع لصدور هذا الكتاب؟**

- الصيف القادم، إن شاء الله.

• **هل تعرضت «أميمة تمام» للاضطهاد بسبب زواجها من «الباز»؟**

-(بعد فترة صمت) نعم، حدث ذلك بالفعل فى التليفزيون المصرى، فلقد كان ينسب أى نجاح أحققه أو تميز فى العمل إلى كونى زوجة «الباز»، وليس لاجتهاد شخصى أو مثابرة وتعب، ووصل الأمر إلى أن ترقيات المناصب الروتينية التى تحدث بالأقدمية منذ تاريخ التعيين لم أحصل عليها لمجرد أننى زوجته، والمفارقة الحقيقية أننى بدأت أحصل على حقى المهنى بعد أن ابتعد عن الأضواء وترك مؤسسة الرئاسة.

• **جمال مبارك كان يقول لـ«الباز»: «أنت أبى الروحى».. لكنه كان يرى فيه «نقطة خطر حقيقية على ملف التوريث»**

• **لكن على الأقل فى فترة عمله كمستشار لـ«مبارك»، كان من المتوقع أن تحصلى على امتيازات خاصة من باب التملق مثلًا؟**

- لا، لم يحدث، بل على العكس تمامًا كان يتم تعمد إقصائى لأننى زوجة أحد مستشارى

الرئيس الأسبق «مبارك»، وعلى أفضل الفرضيات كان يتم التعامل معى بتحفظ شديد.

• **لماذا لم تطلبى وقتها من «الباز» أن يتدخل لرفع الظلم عنك؟**

- لم أطلب، وهو كان يدرك ذلك تمامًا وكان يحترم إرادتى، فأنا فضلت أن أكون زوجة لـ«الباز» فى المنزل فقط ولم أرِد له أن يرفع يومًا سماعة التليفون على أحد ما فى التليفزيون لكى يقول ارفعوا الظلم عن زوجتى، كنت أراه أبًا وأخًا وصديقًا وزوجًا وداعمًا لى، لكن يجب أن أخوض معركتى وحدى للنهاية احترامًا له ولى قبل كل شىء.

• **كثر الحديث مؤخرًا عن رواية تتعلق بزواج الفنانة نبيلة عبيد من الراحل أسامة الباز لمدة ٩ سنوات وأنك كنت طرفًا مباشرا فى إنهاء هذه الزيجة عن طريق مؤسسة الرئاسة.**

-جملة من كلمتين: لا تعليق.

• **هل تعتقدين أن «الباز» لم يلقَ التكريم المناسب لشخص وُصف بأنه عميد الدبلوماسية المصرية لعهدين متعاقبين، سواء كان ذلك فى حياته أو مماته؟**

- لا، على العكس تمامًا، فتكريم «الباز» الحقيقى لم يعتمد على كلمة حق تقولها عنه مؤسسة الرئاسة فى عهد «مبارك»، أو نوط امتياز أو قلادة تمنحها الدولة له، لقد كُرم «الباز» حيًا وميتًا بحب الناس له، بسمعته الطيبة التى يتداولها الناس البسطاء قبل النخبة اليوم، بالتفاف الكثيرين ممن لا أعرفهم قبل من أعرفهم حولى وحول ابنته «مريم» للشد من أزرى ومواساتى، فالتكريم الحقيقى يأتى من أناس لم تربطهم به مصالح أو مناصب أيًا كانت، وأنا أشكر كل من اهتم به سواء فى الفترة الأخيرة من حياته وبعد وفاته كذلك، ولو بمجرد سؤال إنسانى نابع من القلب، فـ«الباز» اعتمد على ضميره فقط فى كل ما فعل لأجل مصر، وهذا وصل تمامًا إلى قلوب وعقول المصريين، لهذا بادلوه التقدير والاحترام تكريمًا لوطنية هذا الرجل.

• **هل ندم «الباز» يومًا ما على اختيار ما أو قرار معين فى حياته؟**

- لا أعتقد ذلك، يمكن القول إن معظم قراراته كانت واقعية ووطنية ويحكمها فيها ضميره فقط، ويجب ألا أنكر أيضًا فضل الله عز وجل عليه فى توفيقه كذلك فى كل خياراته وقراراته، خاصة المصيرى منها، وعلى الرغم من أنه عانى فى نهاية حياته، لكن هذه هى الحياة.

• **ماذا عن أسامة الباز زوجًا وأبًا وجدًا؟**

- (بعد فترة صمت وبعينين دامعتين): كان أبًا رائعًا وزوجًا حنونًا ويعامل زوجته بكل

احترام ومودة وإخلاص وتفانٍ، أما الجد فهو طفل صغير يلاعب أحفاده بمنتهى العفوية والبراءة، لقد كان «الباز» كتلة من الحنان المتحرك على الأرض، لله الأمر من قبل ومن بعد، فى أوقات كثيرة لا أتخيل أنه لم يعُد موجودًا بيننا أنا وابنتنا مريم «١٢ سنة»، للدرجة أن «مريم» فى أوقات كثيرة تسألنى: «يا مامى هو أنا مش هشوف بابى تانى ومش هلعب معاه ولا هيحكى لى حواديت حلوة تانى.»!

- **ما آخر كتاب قرأه الراحل أسامة الباز؟**

- الوقت والزمن «Being And Time» لـ«مارتن هيدجر»(*)



صورة للدكتور أسامة الباز وزوجته المذيعة التليفزيونية السيدة أميمة تمام

(*) الوطن: الثلاثاء ٢٦ نوفمبر ٢٠١٣م – السنة الثانية – العدد ٥٧٦ حوار: منى مدكور، تصوير محمد نبيل.

ذهب إلى الانتخابات الرئاسية الأخيرة ووقف فى «الطابور».. وأمام الصندوق

قرر ألا يدلى بصوته فى آخر لحظة حتى لا يتحمل مسئولية «فشل» الرئيس

«تجميد» دور «الباز» فى الرئاسة بدأ بالفعل فى ٢٠٠٢ مع أول حديث عن «التوريث»



الباز فى أحد اجتماعات السادات مع كارتر



الباز «عريسا» لحظة قطع تورتة الفرح

التكريم الحقيقي:

تكريم «الباز» الحقيقى لم يعتمد على كلمة حق تقولها عنه مؤسسة الرئاسة فى عهد «مبارك» أو نوط امتياز أو قلادة تمنحها الدولة له، لقد كرم «الباز» حيًا وميتًا بحب الناس له بسمعته الطيبة التى يتداولها الناس البسطاء قبل النخبة اليوم بالتفاف الكثيرين ممن لا أعرفهم قبل من أعرفهم حولى وحول ابنته «مريم» للشد من أزرى ومواساتي، فالتكريم الحقيقى يأتى من أناس لم تربطهم به مصالح أو مناصب أيا كانت ، وأنا أشكر كل من اهتم به سواء فى الفترة الأخيرة من حياته وبعد وفاته كذلك ، ولو بمجرد سؤال إنسانى نابع من القلب.

القرارات الوطنية:

يمكن القول : إن معظم قراراته كانت واقعية ووطنية ويحكمها فيها ضميره فقط، ويجب ألا أذكر أيضا فضل الله عليه عز وجل فى توفيقه كذلك فى كل خياراته وقراراته، خاصة المصرى منها ، وعلى الرغم من أنه عانى فى نهاية حياته، لكن هذه هى الحياة.



السادات «الرئيس» والباز «المستشار الياسي» و«مبارك» نائب الرئيس



«الباز» مع ياسر عرفات



فى إحدى الجلسات مع السادات



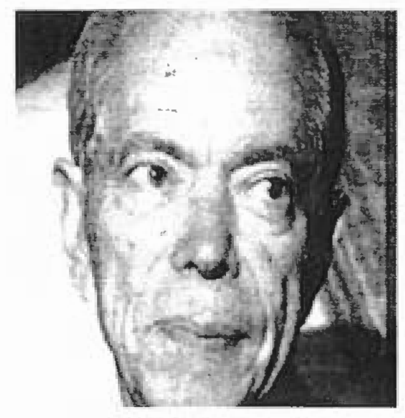
أميمة تمام فى حوارها مع الوطن







الجزء الثاني





قبل أن تقرأ..

«الجزء الثاني»

الحياة الخاصة للرؤساء والملوك وكبار المسؤولين بأدق تفاصيلها تستهوى الكثيرين بل إنها مادة ثرية لكل وسائل الإعلام.. ولذلك يحرصون على إحاطتها بسياج من السرية والتكتم الشديدين.. بعضهم يبالغون فى هذا الإجراء وآخرون يتسامحون إزاء التقارير التى يبثها الإعلام عنهم من وقت لآخر.

لن تستطيع معرفة حقيقة أى امرأة.. إلا بعد أن تتأكد أنهم أغلقوا عليك باب قبرك بإحكام..!

«تولستوي»

أسامة الباز رجل أسرة من الطراز الأول .. فكيف ولماذا هذا الزواج بينه وبين الفنانة نبيلة عبيد التى تؤكده..!
أين الحقيقة الغائبة..!؟



حفل زفاف باسل الباز – ويبدو أسامة الباز في أوج أناقته وسعادته



امرأتان وفتاة .. أحبهن أسامة الباز



أول امرأة تجلس على العرش فى تاريخ الإسلام



«شجرة الدر» أحد أشهر الشخصيات العربية ، والتى صارت سيدة القصر وصاحبة الكلمة فى حكم مصر بعد أن تزوجت زواجًا شرعيًا من الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل بن الملك العادل بن صلاح الدين الأيوبي، وقد اتخذها فى البداية جارية له بعد أن فتن بجمالها وقوامها وفيض جاذبيتها وذكائها لتصبح محظيته وأم ولده "خليل" وقد كانت تناديه يا أبا خليل، وبسبب شجرة الدر ترك نجم الدين زوجته العالمة أم ولده غياث الدين تورانشاه، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد جنسيتها؛ فقيل: إنها رومانية، وقيل: إنها جركسية، وفى التاريخ ما إن يذكر اسم شجرة الدر حتى يقترن به اسم مرجانة الجارية الثانية لنجم الدين ، وقد اشتراها من حلب والتى كان يحكمها نائبًا عن والده الملك الكامل الذى كان يحكم مصر حتى توفى عام٦٣٥ هجرية(١٢٣٨ ميلادية) ، وكانا يعتقدان- شجرة الدر ومرجانة- أنهما من بلدة واحدة فى جبال القوقاز ساقهما النخاسون طفلتين صغيرتين وباعوهما للأمراء والحكام فى بلاد الشام.

وقد كانت شجرة الدر ومرجانة محل استلهام العديد من الفنانين المستشرقين ليقوموا برسمهما فى العديد من لوحاتهم المتحفية التى تجمع بين الواقعية والشاعرية والمثالية، وقد نشطت حركة الاستشراق بصورة تدريجية منذ سقوط الدولة البيزنطية فى القرن الخامس عشر حتى وصلت إلى ذروتها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ليبدع هؤلاء الفنانون الغربيون من خلال تاريخنا وعاداتنا وتقاليدنا روائع خالدة فى رسم الجوارى وسيدات القصور وأجنحة الحريم وربات الجمال من نساء الشرق بمفاتنهن الأنثوية الموحية بالجمال والإثارة.

بعد وفاة الملك الكامل ملك مصر استولى على الحكم ابنه الأصغر سيف الدين أبو بكر الملقب بالملك العادل الثانى حيث كان الابن الأكبر نجم الدين فى حصن كيفا واليًا وحاكمًا له، وهو حصن من حصون المشارق يقع على حدود تركستان، وكان يرى نجم الدين أنه الأحق بالعرش، وقرر انتزاع الحكم بالقوة، فصحب زوجته وابنهما ومرجانة وزحف على رأس جيشه الصغير المؤلف من عشرات الجنود وبعض المماليك، وعلى رأسهم بيبرس،وأيبك، وقلاوون، وأقطاي،، متوجهين نحو الجنوب فاعترضه الناصر داود ابن عم نجم الدين وصاحب قلعة الكرك، الشاهقة أسوارها، الحصينة أبراجها والتى

تقع عبر نهر الأردن ويبسط صاحبها من خلالها نفوذه على البقاع المجاورة، وقد بقى نجم الدين وبعض خاصته ونسائه فى قبضة الناصر داود بعد أن أوقعه مع جيشه فى كمين شتت شملهم ليودعهم سجون القلعة سبعة أشهر كاملة، وكانت الجاريتان شجرة الدر ومرجانة خلف قضبان أحدهما، وقد تسمرت عيناهما ذات يوم على باب سجنهما ينتظران قدوم سيدهما نجم الدين بعد أن اقتادوه ليتباحث مع الناصر داود وظل لساعات فى مفاوضات متشعبة، ولم تكن هناك عداوة بين نجم الدين والناصر داود لكنها مساومة على اقتسام الغنيمة وتوزيع النفوذ، أفضت إلى أن يستقل الناصر داود بحكم الشام وينتزع نجم الدين حكم مصر من أخيه، ويزف نجم الدين هذا الخبر إلى شجرة الدر والتى كانت صاحبة الحظوة بعد أن آثرها على مرجانة التى أصبحت وصيفة لها بالغت فى التقرب منها رغم اكتوائها بنار الغيرة حيث كانت تهيم بحب سيدها، وقد كانت تجيد الحكايا والأساطير وتضرب الودع وتجيد قراءة الطالع، فقد تعلمت كل ذلك عندما كانت ملكا لأحد أمراء الفرس فى جبال اللاذقية، وقد تنبأت لشجرة الدر بالجلوس على العرش وستصبح الحاكمة بأمرها وذلك ضمن حكايا ليالى قلعة الكرك، وقد استغلت مرجانة كل ذلك لتسيطر على سيدتها شجرة الدر بتوجيهاتها ونصائحها لتصل إلى مآربها فى الانتقام منها حينما تواتيها الفرصة.

تركت شجرة الدر ومرجانة مع سيدهما نجم الدين قلعة الكرك تنفيذا للصفقة التى تمت مع الناصر داود متوجهين إلى مصر لتبدأ فيها الأحداث بخلع نجم الدين أخاه سيف الدين والزج به فى السجن بقلعة صلاح الدين، وزاد على ذلك بأن قتله خنقا فى سجنه عام٦٣٧ هجرية وسيطر تماما على الحكم فى مصر وأصلح أحوالها محسنا التصرف فى مقاليد الحكم، وشعورا بثقل المسؤولية لتصير شجرة الدر بعد أن تزوجها زواجًا شرعيًا صاحبة الكلمة العليا فى كل شؤون الدولة ، وشعرت بالحظ وقد أحاطها بكل ما تبتغيه فقد أنعمت بما أوتيت من جاه ونفوذ وسلطان وحكم وزوج وولد، لتفاجأ بصدمة عنيفة بموت ولدها خليل ويهتز عرشها فى أحداث داخلية وخارجية، ولم يمهلها القدر لتستجمع قواها بعد وفاته لتحدث الصدمة الكبرى بوفاة زوجها نجم الدين عام٦٤٧ هجرية(عام١٢٤٩ ميلادية).

وقد كان هول الصدمة فى وفاة نجم الدين يتمثل فى أن وفاته واكبت المعارك المشتعلة بين المصريين والصليبيين الذين كان يقودهم لويس التاسع ملك فرنسا الذى كان يتأهب للزحف بجيوشه الفرنسية إلى القاهرة عن طريق المنصورة بعد نزوله مدينة دمياط فى الخامس من شهر يونيو عام١٢٤٩م، وبحنكة وذكاء وحكمة وشجاعة أخفت شجرة الدر وفاة زوجها عن الجميع، إلا أقرب الناس إليها،الحاقدة عليها، مرجانة والتى انتهزت الفرصة للقيام بدورها فى التخطيط والانتقام من سيدتها حيث ذكرتها بأنها هى التى تنبأت بجلوسها على العرش واستئثارها بالحكم وحدها، لترد عليها شجرة الدر: وهل فى هذه المسؤولية الجسيمة ما يجلب فى السعادة؟ وبذكاء التقطت مرجانة خيط المشكلة التى تشغل بال سيدتها وهو غياث الدين توارنشاه ابن نجم الدين من زوجته السابقة ، وأيقنت أنها المشكلة الكبرى التى ستواجهها،وانتهزت الفرصة لتقول لها:إن غياث الدين توارنشاه هو العقبة الكبرى أمام طموحاتنا،وقد تشاء الظروف بأن تبعده عن طريقك كما حدث مع عمه وأبيه، وأضافت: وليتك تعتمدين علىَّ فى مثل هذه الأمور! وقد كانت شجرة الدر لا تخفى صغيرة ولا كبيرة عنها، وزادت ثقتها بها وهى التى تتفجر حقدًا عليها!! أخفت شجرة الدر نبأ وفاة زوجها نجم الدين عن الجيش والشعب المصرى وهو مارفع من شأنها وقدرها لديه، حيث واصلت بمفردها التصرف فى أمور البلاد استعانت خلالها بالمقربين إليها،المخلصين لها وركزت جهودها على صد الخطر الصليبى القادم من شمال البلاد، وقد أرسلت رسلها فى طلب وحضور الأمير توارنشاه من الشام فورا، واستغرقت الرحلة ذهابًا وإيابًا ثلاثة أشهر حافظت فيها شجرة الدر على السر-الخطير، كانت تصدر القرارات والمراسيم والتعليمات والأوامر مذيلة بخاتم الملك الصالح نجم الدين متعللة بمرضه وملازمته الفراش، وقد أحرزت انتصارات باهرة على الجيوش الفرنسية وأوقفت زحفهم وتفرقت كتائبهم مع انتفاضة الشعب بكل طاقته وموارده وطبقاته حتى وصول غياث الدين الذى تفرغ لقيادة الجيش ضد الصليبيين بعد أن أعلن خبر وفاة والده نجم الدين وتنصيب نفسه ملكًا على مصر والشام بعد أن أعادت إليه شجرة الدر مقاليد الحكم وتبعات الملك وذلك فى نهاية عام٦٤٧ الهجري، وخلال أسبوعين وبعد تفرغ غياث الدين لقيادة الجيش انزل بالصليبيين كارثة مروعة وسحق جيشهم فى المنصورة

ووقع الملك لويس التاسع أسيرًا فى أيدى المصريين الذين اقتادوه إلى دار ابن لقمان حيث اتخذوه سجنًا له، لتعم البلاد أفراح الانتصار وأمجاد السيادة والكرامة وعودة الثقة والتفانى بحب الوطن.

لقد أثر هذا الانتصار على توارنشاه وأصابه بنشوة التعالى والخيلاء ليعامل شجرة الدر بخشونة وقسوة وجفاء لم تتعوده، وتعالى على الأمراء المخلصين الذين حافظوا على عرش البلاد بعد وفاة أبيه وقبل وصوله، وقام بإبعادهم، وطلب من شجرة الدر ماتبقى من ثروة ابيه، وقد انعكس هذا التعامل بردود فعل غاضبة لتحاك المؤامرات ضده بالردع والانتقام منه بعد أن استفز مماليك البحرية، ليحاول توارنشاه الفرار بعد أن ضربه بيبرس البندقدارى بالسيف فقطع يده، وأدركه المتقمون فى وسط النيل ليجهزوا عليه وذلك فى شهر المحرم من عام ٦٤٨ هجرية بعد خمسة أسابيع من مبايعته ملكا، وألقيت جثته فى العراء ثلاثة أيام ، ولا يعرف أحد أين دفنت، لتنقرض أسرة الأيوبيين فى مصر ، ويخلو العرش رسميًا لشجرة الدر حيث بايعها الأمراء وكبار رجال الدولة لتكون أول ملكة تجلس على العرش وحدها فى تاريخ الإسلام، ولقبت بالملكة عصمة الدين والملكة أم خليل المستعصمية نسبة إلى الخليفة المستعصم، ونقش اسمها على الدراهم والدنانير، وبدأت فى عهدها تسيير المحمل المصرى إلى الحجاز، والذى يحمل كسوة الكعبة إلى بيت الله الحرام، بالإضافة إلى المؤن والأموال لأهل البيت ، وكان أول ما تأمر به عدة أثواب مزركشة وقرطين من الماس ومجموعة نادرة من القباقيب مصنوعة من خشب الصندل المموه بالذهب لجاريتها مرجانة، التى كانت تطلب المزيد من هذه القباقيب فى المناسبات المختلفة.

وقد جاءت ردود الفعل الغاضبة فى مختلف بلاد الإسلام برفض تولى امرأة للعرش حيث أرسل الخليفة المستعصم بالله العباسى يقول: ويل لبلد تحكمه امرأة، إذا كانت مصر قد أقفرت من الرجال فأخبرونا حتى نرسل اليكم رجلا.

وبذكاء وحنكة أدركت الملكة أن الأمور حولها لن تستقر بدون وجود رجل بجوارها يساندها ويشاركها السلطان والرأى والحكم لتتزوج من الأمير عز الدين أيبك التركمانى الذى اتخذ من الملك المعز لقبا له ويبدأ بإرضاء الفئة الباقية على ولائها للأسرة الأيوبية

فاختار موسى الأمير الصغيرة من سلالة الملك العادل ونصبه ملكا معه متخذًا لقب الملك الأشرف، ثم زج به فى السجن بعد استقرار الأمور ثم قتله ليصفو الجو له مع شجرة الدر ليتمكن من توطيد ملكه وعرشه خصوصا وأن زوجته الملكة قد بلغت الخمسين من عمرها مما سيمكنه من بسط نفوذه وسلطانه ليكون صاحب الكلمة العليا وأخذ يخطط فى مستقبل ذلك كله ومن يورث العرش خصوصا وأن شجرة الدر لن تستطيع الانجاب، وابنها من الملك الصالح نجم الدين مات صغيرًا، في حين أن جاريته قد أنجبت له نور الدين علي، وزاد طموحه ليرسل إلى بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل يطلب منه أن يزوجه بابنته، لتسوء علاقته بشجرة الدروغضبت أشد الغضب بعد علمها أنه ينوى استقبال العروس الجديدة فى قصر القلعة، ثم دار الوزارة بالقاهرة.

من خلال مرجانة وقيادتها لمجموعة من الخدم علمت بكل مايدور من أحداث لتسعى إلى الوقيعة بين الزوجين الذين عاشا سبع سنوات فى شقاق وخلافات، ونجحت فى اشعال الفتنة لتوعز إلى شجرة الدر بأن زوجها عز الدين يخطط لاغتيالها، وساق فكر الملكة لأن تقضى عليه عن طريق غلمانها فنفذوا أوامرها بذلك على مرأى منها،ويذكر المؤرخون أنها بدأت اغتياله بضربة القبقاب الأولى على رأسه وتوالت ضربات الغلمان حتى أجهزوا عليه.

هب أنصار عز الدين أيبك من المماليك ثائرين لهذه الجريمة البشعة ليهاجموا قصر الملكة ليقتادوها إلى أحد أبراج القلعة سجينة مجردة من سلطانها ونفوذها بعد أن فتكوا بالغلمان والحاشية من الخدم والعبيد ثم نادوا بالطفل نور الدين علي، ابن عزالدين ايبك ملكا على مصر والشام ملقبينه باسم الملك المنصور وهو ما لم تذعن له شجرة الدر ولا للأحداث المروعة التى حاقت بها وأردات أن تفتك بهم وتغرقهم فى بحور الدماء، فاستجمعت من بقى من أنصارها وحثتهم على قتل هذا الطفل وأمه ثم المماليك المعزية فيهما بعد ذلك.

وصلت هذه الأنباء إلى مسامع مرجانة لتواتيها الفرصة وتحقق رغبتها المكتومة المتمثلة فى حسدها وحقدها الدفين على شجرة الدر التى فضلها سيدها نجم الدين عليها، لتقوم بنقل هذه الأنباء إلى أم نور الدين التى اجتمع معها المماليك ورجتهم أن يقتلوا غريمتها

شجرة الدر.

بعد قتل المعز بأيام اقتاد المماليك شجرة الدر إلى غريمتها أم نور الدين الملك المنصور لتشير إلى جواريها بعد أن مثلت أمامها ليثبوا عليها ويبرحانها ضربا بالقباقيب تتقدمهم مرجانة متحينة الفرصة فى الانتقام الذى أضمرته بعد تلك الأعوام الطويلة التى عاشتها معها توهمها بإخلاصها وحبها وولائها لها، وتقول رواية أخرى: إن أم على زوجة المعز الأولى حرضت ابنها عليا على قتلها انتقاما لأبيه.

ولفظت شجرة الدر آخر أنفاسها فى هذا المشهد المروع ليسدل الستار على أول ملكة فى الإسلام حكمت مصر ثمانية عشر عاما بذكائها وكذلك قوتها وتسلطها وعنفوانها والذى فشلت فى التوفيق بين هذه الصفات مع نعومة ورقة طبيعتها الأنثوية.

كانت شجرة الدر هي المرأة الأولى التي أعجب بها الدكتور أسامة الباز.



شجرة الدر



أسامة الباز

كليوباترا.. الحكمة والجمال



«فخر الوطن» التى ألهمت العديد من الفنانين

هى واحدة من أشهر بطلات القصص التاريخية، لما تتمتع به هذه المرأة من جمال مثير وأنوثة طاغية وجاذبية وكذلك لما تتصف به من ذكاء ودهاء، على مر القرون أبدع من خلال قصصها المثيرة الفنانون، وترنم بها الأدباء والفلاسفة والشعراء، انها سليلة الملوك، وريثة أمجاد الفراعنة العظام، إنها ملكة مصر التى توجت فى السابعة عشرة من عمرها، ابنة بطليموس الحادى عشر، "الزمار" كما أطلق عليه الشعب بعد أن ظل يعزف على مزماره كأحد أبناء الرعاة للرقيق والغوانى اللاتى يخالطهن، هذا الشعب الذى جعله يفر من غضبته إلى روما لينتقل التاج إلى فاتنة الدنيا وحسناء الزمان، رقطاء النيل كما وصفها أعداؤها الرومان بعد أن أحالت زعيمين من قادتهم - هما قيصر ثم أنطونيو - إلى أسيرين لغرامها وفتنتها وسحرها الذى لايقاوم، إنها ذات الأنف الذى لو قصر طولًا لتغير وجه العالم كما وصفها الفيلسوف الشهير "باسكال" فى القرن الثامن عشر.

إنها "كليو باترا" أو "فخر الوطن" كما يعنى اسمها اليونانى الذى يتكون من مقطعين: "كليو" بمعنى فخر، و"بترا" بمعنى الوطن، والعجيب أنها آخر الأميرات السبع اللاتى حملن نفس الاسم من أسرة البطالسة فى مصر منذ أن دخلها الاسكندر المقدونى عام ٣٢٣ ق.م، واستمرت فى حكم البلاد حتى نهاية عصر البطالسة الذى طويت صفحته فى السابع والعشرين من أغسطس من عام ٣٠ ق.م. ولم يكن لأى من الأميرات الست اللاتى سبقنها دور يذكر، حتى أنه لم تحظ واحدة منهن بسطر أو حتى كلمة فى سجل التاريخ. تغنى بها موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب فى أغنية كان اسمها عنوانا لها، وهى موضوع القصيدة التى قرض أبياتها أمير الشعراء أحمد شوقى، كما وصفها الشاعر العربى بقوله :

كم غرير بحسنها قال صفها ... قلت أمران: هين وشديد
يسهل القول انها أحسن الأشياء ... طرا ويصعب التحديد
أهى شىء لاتسأم العين منه ... أم لها كل ساعة تجديد

وقد كثر وصف جمالها وذكائها وسحرها الذى قال عنه شاعر يونانى عاش عصرها: "إن سحر كليوباترا ينبعث من نبرات عينيها حيث تتكلم وهى صامتة!" والتقطت مقاييس الجمال لديها وتناسق قوامها عينا فنان رومانى قائلا عنها: "إن جمال

كليوباترا يكمن فى تناسق جسمها وطريقة مشيتها وتناغم صوتها وكأنها عزف شجى لموسيقى المعبد ، أما جمال وجهها فهو السحر الذى يلهم الفنان أفكارًا عبقرية" وبالفعل، فقد ألهمت العديد من المبدعين والفنانين لتخلد قصتها من خلال المشاهد المثيرة والمتابعة، واحتلت شخصية الملكة المصرية مكانًا بارزًا فى أعمالهم، من هؤلاء الفنانين: ديللاكروا، وجيروم، وجون ليس، وجاكوب جوردان، والنحات لويس أدمونيا، ولعل أشهر فنان أبدع لوحات لها كان بعضها فى مساحة الحائط الكبير، هو الفنان البريطانى الشهير "لورانس الما تاديما" الذى أشاد من خلالها بالحضارة الفرعونية مؤكدًا أنها منابع المعرفة فى العالم قائلًا: "إذا تدارسنا حياة كليوباترا وكيف كانت تحكم العالم وهى على مقعدها الوثير فى مدينة الاسكندرية، لوجدنا أنها شخصية فذة مميزة، وقمةسامقة فى التاريخ، وبالنسبة لنا - نحن الفنانين - نجد فى شخصيتها ما نبتغيه: الجمال وقوة الشخصية وجاذبية الأنوثة وحكمة القيادة ورحابة الثقافات والمعارف الانسانية.

كما استعرضت العديد من الأفلام قصة حياة الملكة، وما تتضمنه من قصص وحكايات جذابة حملت كلها اسم "كليوباترا"، أهمها الفيلم الذى قامت فيه بدور كليو باترا الفنانة "إليزابيث تايلور" عام ١٩٦٣م أمام زوجها الممثل "ريتشارد بريتون".

أما قصة هذه الحسناء الفاتنة التى جرت أحداثها فى الإسكندرية، فتبدأ حين اعتلى التاج جبينها وهى فى السابعة عشرة من عمرها بعد أن هرب والدها فارًا من غضبة الشعب إلى روما، وكانت تتفجر بالأنوثة المبكرة والجمال والجاذبية، ولأنها فى هذه السن الصغيرة وضعتها روما - الإمبراطورية التى سادت العالم آنذاك - تحت وصايتها واشترطت عليها أن تتزوج من شقيقها بطليموس الثانى عشر، وهو طفل يصغرها بثمانى سنوات، وهكذا اعتلت عرش مصر بوثيقة زواج لم تقم بتنفيذها حيث لم تقتنع بذلك وماطلت فى تنفيذ الوثيقة الرومانية مستهينة بأخيها الصغير، واحتدم الصراع بينهما بعد أن التف الكهنة والمستشارون من المستغلين والمغامرين والطامعين حول الزوج الطفل وهم يعلنون أنها ترتمى فى أحضان وفود روما فى الوقت الذى تضن فيه بنفسها على زوجها الشرعى، ليصل الصراع الى الصدام المسلح، بينما كانت روما وقادتها منشغلون بالحروب والنزاعات على السلطة التى فاز بها "يوليوس قيصر" حيث قرر الذهاب إلى مصر ليضع حدًا للنزاع بين بطليموس وكليوباترا بعد أن احتدم القتال والصراع بينهما مما جعل كليوباترا تتحين الفرصة وتتمكن من الهرب مع مؤيديها وأتباعها إلى شواطىء البحر

الأحمر بعيدًا عن الاسكندرية، وانتهز بطليموس الفرصة ليتملق قيصر ويتقرب إليه ويظهر الولاء له بكل ما يملك، وأمام ذلك لجأت الملكة إلى استخدام وسائلها الخاصة، ومن خلال سحر جمالها وفتنتها وجاذبيتها وكل ما تملك من إثارة وأنوثة طاغية أوقعت قيصر فى شباكها وشراكها الناعمة، فاستسلم لحسناء الزمان بعد أحداث غرامية وعاطفية جعلته يقول قولته المشهورة: "كنت أظن أننى أتيت ورأيت وغزوت" ويعنى بذلك أنها هى التى استطاعت فعل كل ذلك به.

لم يستطع بطليموس أمام هذه الأحداث إلا أن يعلن عصيانه على السلطة والحرب بلا هوادة على قيصر وكليوباترا ، فخسر حياته بعد جولات معدودة، ليتزوج قيصر من فاتنته وينجب منها ابنا وقد خططت كليوباترا ليفوز هذا الوليد بميراث الإمبراطورية التى أقنعت زوجها باقتسامها معه حكم مصر وروما وبالتالى العالم كله!

ولكن كادت طموحات وخطط الملكة تذهب أدراج الرياح بعد اغتيال يوليوس قيصر فى روما، لكنها لا تعرف اليأس ولا الخسارة، فهى تملك سلاحًا فتاكًا من التجارب وحدث أن قسمت الإمبراطورية إلى شرق وغرب، وكانت مصر ضمن الجزء الشرقى حيث تزعمه "مارك أنطونيو" الذى ترسم خطى قيصر ليكون القائد الثانى من روما الذى يهيم بحبها، ثم يتزوجها ليصبح منفذًا لما تخطط له، بعد أن ركبت سفينة فرعونية ذهبية مترفة أبحرت بها من الشواطىء المصرية للقاء أنطونيو على سواحل الشام، وسيطرت كليوباترا تماما على أنطونيو ليصل الحال إلى أن يظل بجوارها فى الإسكندرية متخليًا عن غزوه بلاد الفرس!

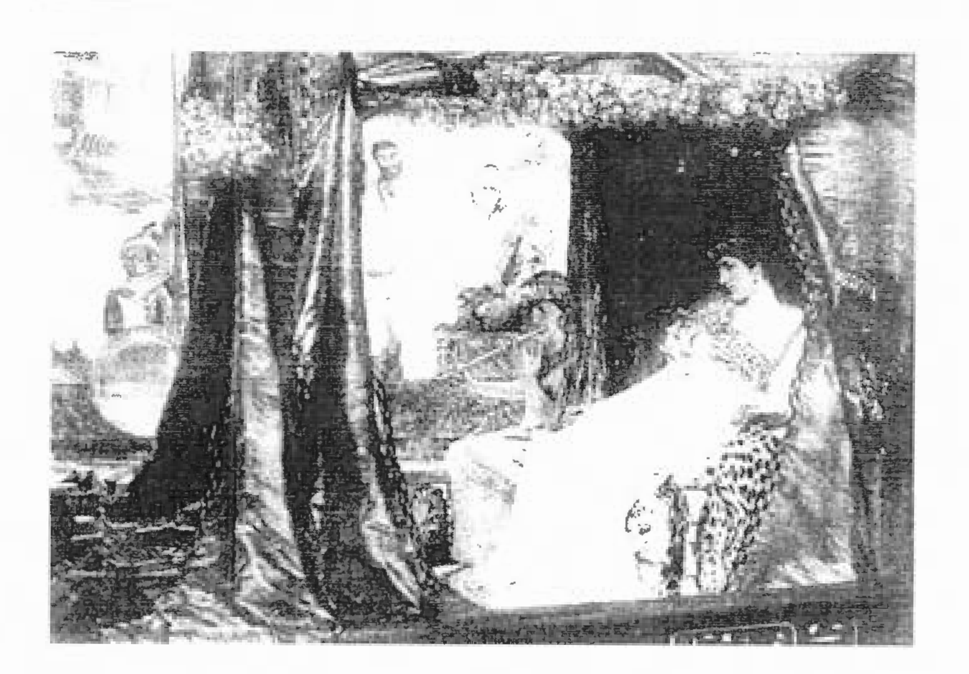
ودنت حسناء الزمان وفاتنة الدنيا من تحقيق حلمها فى حكم العالم، إلا أن الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن، فقد اعتلى عرش روما "أوكتافيوس" الذى نصب نفسه ابنا لقيصر بالتبنى بعد أن تعقدت الأمور فى روما، وبث حقده على أنطونيو للبناصبه العداء لأنه الوصى الشرعى على ابن قيصر من كليوباترا وذلك بتكليف من مجلس الشيوخ الرومانى، وعليه سيطالب بعرش الإمبراطورية بالكامل لقيصر الصغير، ولتدارك الأمر سعى أوكتافيوس ليشن حملة كبيرة لمحاربة أنطونيو، لتلتقى بالفعل أساطيل الشرق التى يقودها أنطونيو وكليوباترا وأساطيل الغرب التى يقودها أوكتافيوس فى موقعة "أكتيوم" جنوب اليونان، وكان النصر حليف أساطيل روما لتتقهقر كليوباترا بما تبقى من أسطولها عائدة إلى الاسكندرية لتصلها أخبار انتحار زوجها بسيفه الذى أغمده فى صدره بعد

هروبه من المعركة، لينتهز أوكتافيوس الفرصة ويرسل جيشه زاحفًا إلى سيناء في طريقه إلى الإسكندرية ليقود كليوباترا إلى روما أسيرة مكبلة بسلاسل من ذهب لتسير مثل السبايا فى موكب انتصاره فى روما.

لم تتخيل أسطورة الجمال والذكاء والشموخ أن تكون كذلك وهى التى كانت قاب قوسين أو أدنى من حكم العالم، زوجة قائد الإمبراطورية وأم وريثها الشرعى، فعقدت العزم على أن تطوى آخر وصفحة من صفحات تاريخ من عصر البطالسة، وأرسلت خطابًا مغلقًا إلى اوكتافيوس فى ١٢ أغسطس من عام ٣٠ ق.م يتضمن وصيتها فى أن تدفن بجوار مارك أنطونيو بعد موتها، هنا أدرك أوكتافيوس بذكائه أن ثمة شيئًا ما سيحدث، فأرسل رجاله ليستقصوا الأمر ويعرفوا أخبارها ليجدوها مستلقية تحتضر على أريكتها الملكية المذهبة بعد أن اقتحموا قصرها.

لقد أمرت وصيفاتها بإحضار صندوق أفعى الكوبرا حيث أصرت على أن تكون نهاية حياتها بلدغة منها، وتضاربت أقوال المؤرخين حول الطريقة التى انتحرت بها كليوباترا، فقال "سترابو": إنها انتحرت بدهان جسدها بالسم، وقال "بلوتارك" : إنه لم يكن هناك آية جروح خلفتها عضة الكوبرا، وهو الذى قال عنها: "إن جاذبيتها تكمن فى شفتيها، فكل من سمع صوتها وهى تتحدث شعر بنداء الغواية والإغراء، أو من رآها فى حركاتها وسكناتها وهى تتمايل فى رشاقة ودلال ورقة انجذب إليها مسلوب الفؤاد لا يقوى على الحراك"، وقال "هوراس" عنها: "لقد أجمع كل من رأوها على أنها الفتنة بعينها تكمن فى شخصيتها، ولم يتفق اثنان على تحديد موضع هذه الفتنة"، وعن موتها قال: إنها قتلت بعدة حيات أدخلت إليها داخل باقة من الزهور، وهذا أيضا أحد المشاهد التى أبدعها الفنانون فى أعمالهم عن كليوباترا والتى بموتها وهى فى الثلاثين من عمرها أسدل الستار على عصر البطالسة بعد خمسة أيام من كتابة وصيتها التى نفذها أوكتافيوس لتدفن بجوار انطونيو وتصبح قصتهما من أشهر قصص الحب الخالد فى التاريخ ربما لأنها جمعت بين السلطة والعاطفة والجمال وهى أمور لم تجتمع إلا لكليوباترا. التى ستظل سيرتها لهذه الأسباب تجرى على كل لسان مهما مر الزمان.

وهكذا عرفنا الكثير عن المرأة الثانية التي أحبها الدكتور أسامة الباز.. هكذا من أحضان التاريخ.. وتعالوا نتعرف على حبه الثالث!





كليوباترا وانطونيو للفنان فرانسيسكو تريفيسال

هي فتاة دمياط الطالبة بمدرسة اللوزي الثانوية للبنات بدمياط.. ابنة الأسرة العريقة "العلايلي".. شاهدها في حفلات آخر العام حيث كانت تقام داخل المدارس ابتهاجًا بنهاية العام الدراسي والنجاح والفلاح كانت تلقى قصائد الشعر، وبلغة عربية فصيحة تنم على قدرتها اللغوية، وكانت أيضًا ضمن فريق مدرسة اللوزي للبنات في مسابقات أوائل الطلبة، وذات مرة أقيمت مسابقة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط «البلاج» بين الفتيات والفتيان وأمام رواد المصيف الهادي الجميل «رأس البر» ولفتت الأنظار بثقافتها وجمالها وأدبها الجم وخجلها الشديد أيضًا، وفي نفس الوقت كانت تتمتع بالمظهر اللائق ببنات الأسر العريقة في دمياط، وذات مرة اشترك الطالب أسامة السيد الباز بمدرسة دمياط الثانوية في مسابقة رسمية لأوائل الطلبة «والذي أصبح فيما بعد الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي رئيس جمهورية مصر في أكثر من عصر وعميد الدبلوماسيين وتفوقت مدرسة اللوزي الثانوية للبنات على مدرسة دمياط الثانوية للبنين، ومن بين فريقه الطالب أسامة الباز المعروف أيضًا بثقافته وغزارة علمه وأنه هذا الطالب المجتهد المتفوق الفالح الناجح.. والمعروف كذلك بدماثة أخلاقه فهو ابن أحد علماء الأزهر وشيوخه الكبار وقد رباه على الخلق والتقوى وكان **أول حب في حياة أسامة الباز هذه الفتاة الدمياطية الجميلة وفقط كان يتابعها من بعيد ويراها على البلاج في مصيف رأس البر، ولا شك تمنى الزواج منها.. لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. فقد ولد هذا الحب وهو في التوجيهية آخر سنوات الدراسة بدمياط.. لتذهب بعد ذلك لكلية الحقوق، أما الفتاة فقد تزوجت وأنجبت أولادًا وشاهدت بنفسي- هنا في القاهرة وأنا أزور قبر شقيقتي الغالية السيدة «سعاد» قبرًا آخر عليه لافتة تحمل اسم هذه الفتاة الدمياطية المثقفة الجميلة الحب الأول في حياة الدكتور أسامة الباز..! عليهما مع رحمة الله.**



تقول الحكمة :

ما ضاعت أمة على طريق الحياة .. إلا وكان السبب فى ضياعها كأس ووتر وامرأة..!

دعونا أولًا نتعرف على المرأة والرجل أكثر.. لقد فهمت حواء وهى أول امرأة فى المجتمع البشرى نفسية الرجل، وعرفت خباياه وميوله.. وكانت أول من عرفت كيف تحتفظ به، كان آدم فى شغل من أمور الحياة البدائية القاسية، وكان يضيق بالوحدة، فعالجت حواء أموره، وسعت سعيها حتى كسبت قلبه، وضمنت حبه، وإقامته على ظهر الأرض أبًا للبشر، وسارت الحياة الأولى، وميدان الرجل هو الكفاح الدائم، ولا تقاس بطولته إلا بمقياس الأمجاد التى يحوزها فى الغزو والفتح والتعمير والابتكار .. أما فتوحات المرأة فمحصورة فى قطعة صغيرة من لحم ودم .. **وغزو القلوب يختلف من قلب إلى قلب**- هذا لا يخضع لقواعد وخطط ثابتة، فلابد لها أن تتعرف على مواضع ضعف الرجل، فمن النساء من ترى وحدة الرجل أقرب طريق، ومنهن يعتقدن أن إثارة الغرائز الجنسية أقصر طريق..!

ولابد للمرأة عندما تختار الطريق لغزو الرجل أن تختارها بعد دراسة وبحث، فإن لم تفعل ذلك صعب عليها أن تكسب قلب الرجل والإبقاء عليه والتأثير فيه.

وكان «نابليون» يقول : «فتش عن المرأة فى كواليس الحكم وفى السجون».

وتعكس هذه المعانى واقعًا فرض نفسه على التاريخ الإنسانى كله..!

لم تكن المرأة يومًا بعيدة عن القرار السياسي، فقد تلعب الدور مباشرة من خلال امتلاكها لمقاليد الحكم أو من خلال تحريك الزوج الجالس على العرش السياسى بطريقة «الريموت كنترول» أو من خلال لعبة الجنس والسلطة، وهى اللعبة التى تجيدها وتجيد اللعب على مفاتيحها، فهى تمنح الجنس ثمنًا للسلطة، وعندئذ يتحول رجل الدولة إلى ألعوبة فى يد امرأة مدربة يمكنها أن تحرك مشاعره فى الاتجاه الذى تريده! وإذا كانت السياسة ترمز إلى الضوء وهى غريزة أساسية فى الإنسان فإن الجنس هو أيضًا غريزة اللذة وكل من اللذة والقوة يمثل حاجة ضرورية عند الرجل والمرأة على السواء — ومن الطبيعى

أن تكون رغبة الإشباع ، لكن دروب هذا الإشباع ليست محررة على الدوام، فقد تشتعل بالمصالح أو الفضائح أيضًا.

والحقيقة أن عالمنا الغربى ظل بمنأى عن هذا المزيج الغريب من الفضائح العاطفية لرجال الحكم والسياسة، ولم يكن هذا لطبيعة الطهر أو النقاء الذى تميزت به مجتمعاتنا العربية ، ولكن للقيود الشديدة التى كانت تحول دون المساس برجال الدولة ، وكأنهم قديسون لا يأتيهم الباطل من الأمام أو الخلف!! والمرأة والرجل كقوتى الكهرباء إذا تأثر أحدهما تأثر الآخر، وكذلك بدأت المرأة العربية تتأثر عندما راح العرب يخطرون فى مكارم الذين أرادوا أن يخمدوا آخر جذوة من الحمية العربية ، فأجبلوا عليهم بكل ما يوهن النفوس ويصبى القلوب من سماع وشراب وكواعب أتراب، وأغرقتهم فى بحر طاف من الترف والزهو واللهو والمحارم والمآثم ، ولم يمض غير قليل حتى راح العرب يخطرون فى مطارف الفرس، ويلعبون عندهم ، ويشربون أيضًا ، ويتأدبون بآداب الفرس ، ويتخلقون بأخلاق الفرس!

وكان لتلك المرأة العربية منزلة فى القلوب تهفو لها الوجوه وتطمئن دونها النفوس، ولم يكن مرجع ذلك لما لها من جمال ودلال وغضارة ونضارة وخلابة ودعابة، فما كانت من ذلك فى قليل ولا كثير ، ولكنها كانت فيما تضررت به بين نساء القصور الأولى من سمو الروح إلى أبعد مرتقى، وصفاء النفس إلى أتم غاية، وكان أشد ما فتن الرجل فى نفسه وغلبه على عقله وصرفه عن امرأته ثلاثة أشياء:

- الأول : الجوارى اللواتى سباهن العرب من مختلف الأقطار والأمصار.
- الثانى : الديارات التى بثها الروم والسريان وأشباهها فى طريق البلاد لصرف العرب أولًا عن قوميتهم وأخيرًا عن دينهم.
- الثالث : ذيوع البغاء وأمثال البغاء فى حواضر العراق!

الحرملك .. أسرار وإلهام:

ولقرون عديدة سكتت المرأة أو أسكتت، والآن تتكلم، لتنتزع حق كتابة تاريخها بعد أن توجب عليها لسنوات طويلة أن تحرج رأسها من «المشربية» وتلوى عنقها بإرادتها

لتختلس نظرة أو ابتسامة أو كلمة ، وربما موعدًا فلقاء! فى الحرملك حيث العالم الذى يكتنفه الغموض وتلفه الأسرار والحكايات ، تفتح أسرار التاريخ برفق فى هذا الكتاب الذى يصدر لأول مرة بهذه الدقة وهذه التفاصيل، ومن التاريخ العربى والإسلامى البعيد والقريب عن «حريم السلطان» ، وأقصد بهن نساء الشخصيات الشهيرة السياسية والحكم ، بحثنا عن تفاصيل السحر المخفر على الفضول والإلهام الذى دفع المستكشفين الأوربيين من قبل لاكتشافه وسبر أغواره ، وحاولنا تسجيل ما دونوه عن همساته ونبضات شرايينه، رغم أن مشاهداتهم الشخصية لم تتحقق إلا فى أضيق الحدود وعبر وسطاء من الحريم أيضًا.

إلى هذا الحد كانت حياة الحرملك غاية فى السرية للدرجة التى جعلت واحدًا مثل «بريس دافين» يقول : محال أن نعلم شيئًا عن النساء إلا من الأوربيات اللاتى يختلطن بهن، وأنك لتسب المسلم سبًا ، إذا سألته عما يخص حريمه ، كان ذلك فى القرن التاسع عشر، أما الآن فقد تحررت المرأة من كل شيء ، وتكلمت أخيرًا!

وحكام مصر مثلًا حتى مقدم **محمد على باشا** كانوا من الأتراك العثمانيين الذين أشربوا التقاليد العثمانية لحاكمين لها نيابة عن السلطان العثمانى ، وتشبهوا بسادتهم السلاطين ومن بينهم الحريم.

فقد كانت النساء والجوارى فى «الحريم السلطاني» فى تركيا تخصص لهن فى القصر للسكنى وفيهن والدة السلطان الحاكم وزوجات السلطان ، ثم بناته وأولاده الصغار، ثم فئات من الجوارى الحسان .. كن يعيشن فى القصر، وكان للسلطان مقصورة خاصة وسط أجنحة الحريم، وتحوى غرفة نومه وحمامات وقاعة استقبال كبيرة، وعند زيارته لأجنحة الحريم كانت تصحبه «الكايا» وهى من كبرى موظفات الحريم السلطانى ، ومن بين اختصاصها تنظيم الأوقات التى يقضيها السلطان مع ساكنات دوائر الحريم ، وعلى نزهاته مع البعض منهن فى حدائق أجنحة الحريم، ولكى يتم الإعلان بوصوله إلى منطقة الحريم كان السلطان يرتدى صندلًا من فضة يحدث صوتًا على الأرض المكسوة بالرخام لتنبيه الموجودات، أما إذا فاجأهن السلطان بوجوده فى منطقة الحريم فإن كان من قواعد البروتوكول ألا تنظر السيدات والفتيات إلى وجه السلطان، بل يغضضن من أبصارهن وينظرن إلى الأرض حياء!

حـوا أنـا يـا أدمـى أنـا مـن ضـلوعك ... قـد خرجـتُ وأنـت منـى تُولـدُ
أم الحيـاة أنـا ، أنـا امـرأة ... أنـا فى الأرض سيدة وأنـت السيدُ
إن كنـت إنسـانًا فإنسـان أنـا ... لا أنـت تعبـدُ أو أنـا أسـتُعبدُ

لم تعد المرأة هى ضمن «حريم السلطان» فقط .. بل هى رمز العطاء وضوء النماء، منبت الزروع لأشجار ثمارها بشر خلقوا ليخلفوا الأرض ويسعوا لعمرانها، فلا يكتفون بالحياة ، وإنما يهبونها لآخرين.. وتلك حكمة الله العظيم ، وبين الأمس واليومم تتأرجح صورة المرأة من حريم السلطان .. إلى امرأة تحاول جاهدة أن يكون لها دورها الإيجابى فى بلادها العربية والإسلامية، ولكن قد تتراقص علامات الاستفهام أمامنا وأمامها هى بالذات وأبرزها: أنها لم تزل تشعر بأن مردها إلى ذلك الشباك الحريمى «المشربية» لتطل منه على العالم، وهى خجلة فترى نصف رؤية وتسمع نصف سمع!

كانت فى القديم توأد وأتى الإسلام كحضارة وأعطاها حقوقها، وشجعها على العلم والعمل، والآن أصبحت المرأة تتبوأ مكانتها المرموقة ، وتحظى بالرعاية والتمكين لتحقيق ذاتها، ولكى تتأكد من ذلك علينا أن نتعرف أكثر كيف كانت المرأة قبل هذا العصر الذى نعيش فيه ، وللأسف الشديد يركز مجتمعنا نظرته الأحادية إلى المرأة على أنها مجرد جسد يشتهى! أو مجرد وعاء جنسي، لا يهم بعد ذلك أن تتمتع بأى ذكاء ، أو عقل أو حس، أو قدرة على العطاء الاجتماعي!

وأما المرأة الماكرة، فهى الأسطورة التى يسقط عليها الرجل كل تناقضاته ، ويحملها مسؤولية كل صراعاته العلائقية ، إنها المرأة التى لا يؤمن لها والتى يجب بجد الاحتراس لكيدها ودمسها ، فهى النظرة الدونية للمرأة .. فإنه تعكس المكانة الممنوحة للمرأة حالة المجتمع نفسه على وجه العموم، وتجسد درجة تطوره ، وكان من النادر وجود فلاسفة ومفكرين ممن أنصفوا المرأة وأعطوها مكانتها اللائقة بها، فقد كان «فيثاغورث» يميز بين مبدأ الخير الذى خلق النظام والنور والرجل، ومبدأ الشر الذى خلق الفوضى والظلمات والمرأة!

ويعلن آخر أن المرأة هى فى خدمة البطن، ويصرح «أرسطو» بأن الأنثى، أنثى بسبب نقص معين لديها فى الصفات، أما «أفلاطون» فقد دعا إلى مشاع النساء ، ولقد قال

«بولس»: إن الرجل لم يخلق للمرأة، ولكن المرأة خلقت للرجل، ودفعها «يوحنا فم الذهب» بقوله: ليس هناك بين كل وحوش الأرض المفترسة من هن أشد أذى وضررًا من المرأة!

وكتب توما الأكويني:

إن المرأة قد كتب عليها أن تحيا تحت هيمنة الرجل، وألا تكون لها أى سلطة، وهذا فى رأيى وتقديرى من وجهة نظرى يعتبر قولًا خاطئًا جدًا وغير مقبول، والدليل هذه النماذج من نساء الحرملك وحريم القصور الملكية والرئاسية وفى العالم كله، وليس العالم العربى بشكل خاص، وعلى سبيل المثال لا الحصر، إن ما حدث خلال الأربعينيات أثناء حكم **ملك مصر فاروق الأول** انتهى برحيل الملك وسقوط الملكية.

كانت الملكة الأم «نازلي» على علاقة بـ أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي، والتى انتهت بالزواج السري! كانت هذه العلاقة تثير حفيظة الملك الابن فاروق، وكانت بمثابة جرح ينزف دون توقف!.

كانت هذه المشاعر المختلطة من الإحباط وسوء سلوك الملكة «نازلي» بمثابة مناخ جيد استغلته الحاشية المحيطة بالملك الصغير السن لدفعه إلى عالم الانحراف والملذات، ومن خلال العقد الملكى الذى تحول إلى ماخور كان من السهل توجيه الملك وسياسة البلاد! فى تلك الفترة من الأربعينيات أيضًا والتى تلت عام ١٩٤٣م.

ارتبط رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا بالمطربة أسمهان..! والتى كانت فى ذلك الوقت عميلة للمخابرات البريطانية!

أما الشاب الثائر «عزيز فهمي» ابن رئيس مجلس الشيوخ الشهير عبد السلام فهمى جمعة، والذى أسس الطليعة الوفدية، فقد تعرف بالراقصة «ببا عز الدين»، وكانت ترتبط لمعظم راقصات تلك الفترة بالمخابرات الإنجليزية!

وكان الملك فاروق نفسه كما ذكرنا من قبل غارقًا فى ملذات لا تنتهى واستطاع «أنطون بوللي» سكرتيره الخاص أن يكون المستشار العاطفى للملك إذا أجيز لنا هذا التعبير، وقد تمكنت الوكالة اليهودية المخابرات اليهودية فى ذلك الوقت – والتى هى أيضا المؤساد

الآن..! بالتعاون مع المخابرات الإنجليزية من إدخال الممثلة «كاميليا» اليهودية الأصل باسم «ليليان كوهين» اسمها الحقيقى - الى حياة الملك فاروق لتكون عشيقته والمطلعة أولًا بأول على كل أسرار القصر، وقد لعبت هذه العشيقة اليهودية دورًا خطيرًا فى توقيع صفقة الأسلحة الفاسدة والتى راح ضحيتها الكثيرون من أبناء مصر عام ١٩٤٨م، كانت المرأة بكل إغراء الأنوثة منها والرغبة فى السيطرة وفرض نفوذها هى الطعم الذى تلتقطه الفريسة! رغم الروايات الأخرى التى نفت أنها جاسوسة..!!

وكان للنساء من هذه النماذج كل السلطة والنفوذ على أهل الحكم! وعمومًا فإن المناخ السياسى السائد فى تلك الفترة كان فاسدًا جدًا، وكانت سياسة الغوانى هى التى تحقق فى نهاية الأمر كل مطامع الاستعمار فى المنطقة، وكان أكبر المطامع «إنشاء دولة إسرائيل» فى قلب العرب!! والحقيقة الهامة التى أمامنا ونراها فى كل دساتير المخابرات فى العالم أن الرجل مهما كان مركزه ضعيف أمام غرائزه، وأن سلاح الجنس يصعب مقاومته خاصة إذا كانت صاحبته حسناء ومتمرسة إلى حد كبير على فنون الإغراء!

لقد أدرك الزعيم الألمانى «أدولف هتلر هذه الحقيقة جيدًا.. بل إنه هو نفسه وقع فى عشق «إيفا براون» التى لازمته وكان لها تأثير عليه حتى انتحرت معه قبيل ساعات من انهيار الرايخ الثالث وهزيمة ألمانيا ! على العموم التاريخ حافل بحكايات وروايات وقصص الغوانى والنساء الحسناوات مع القادة والملوك والرؤساء والزعماء السياسيين والمفكرين والشعراء والأدباء .. وغيرهم من أصحاب الجاه والسلطان والبريق الاجتماعى والسياسي، وكما أوضحنا سلفًا فى العالم العربى والعالم الأجنبى فى الدنيا بأكملها فقد خلق الله عز وجل آدم وحواء..!

وهذا الكلام فى هذا الجزء الهام المخصص لعلاقة العزيز الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى البارز والأشهر فى تاريخ الجمهوريات المصرية عبر زمن طويل.. مع الفنانة العزيزة علىَّ أيضًا السيدة نبيلة عبيد التى أعرفها منذ أكثر من ثلاثين عامًا، واقتربت منها كثيرًا هى والسيدة والدتها الراحلة يختلف كثيرًا عن حكاياتنا التاريخية عن «حريم السلطان» وأقصد به الرجل المسؤول فى أى موقع سياسى أو عسكرى أو أدبى أو ثقافى أو غيره وبعيدًا عن قصة حب وزواج الدكتور أسامة الباز والفنانة نبيلة عبيد.

أستطيع القول: إن الفساد الأخلاقى هو سبب البلاء فى أمتنا العربية للأسف الشديد، ولن تستقيم الأمور إلا إذا عادت الأمة إلى نبلها ، وكل تقاليدها الرائدة ، وبعيدًا عن قصة **«حريم السلطان»** أى سلطان حاكم أو ملك أو زعيم أو قائد عسكري، كما حفل به التاريخ المصرى !

- وبصراحة شديدة أؤكد أن ما قيل عن علاقة ربطت بين الدكتور أسامة الباز والفنانة نبيلة عبيد التي أكدتها تمامًا بأنها استمرت تسع سنوات بالتمام والكمال وأنها أحلى أيام وشهور وسنوات عمرها مع هذا الرجل الحنون الطيب المهذب، وعلى سنة الله ورسوله، أعتبر هذا الكلام حالة خاصة جدًا، لكن لابد أن تكون محترمة، وأؤكد أن الرجل السياسي الجميل الدكتور أسامة الباز لا يمكن أن يقوم على فعل يراه معيبًا في حقه أو في حق أسرته الكريمة وكذلك الفنانة الرقيقة نبيلة عبيد التي أكدت كثيرًا معرفتي بها عن قرب منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وأنها حريصة جدًا على عدم إيذاء مشاعر أحد، بل إنها لم تفصح حتى الآن عن كيف رأت لأول مرة الدكتور أسامة الباز ؟ وأضرب هنا مثالًا بالفنانة العزيزة الراحلة السيدة برلنتي عبد الحميد شاهدت المشير عبد الحكيم عامر لأول مرة في مكان به كثير من البشر، لكن وقع هو في حبها وهواها، وهي على نفس القدر، وربط الحب بين قلبيهما على الفور وبسرعة وتم الزواج وأنجبا الطبيب الشاب الآن عمرو عبد الحكيم عامر.. وقد كانت «برلنتي» لا تتحدث عنه إلا بكل خير، ونبيلة عبيد أعتقد أنها تفعل ذلك أيضًا في قصتها مع الدكتور أسامة الباز ، لكن لم تفصح عن أسباب ارتباطها به!

وحتى الآن تتراقص علامات الاستفهام كثيرًا حول هذا الموضوع


سمير فراج
ابن الشاطئ
فتحية وفاروق
قصة غرام هزت
عرش مصر
كنوز

كريستين كيلر

فتاة الليل اللعوب التي أطاحت بوزير الحرب البريطاني..!



أشهر فضيحة سياسية فى القرن العشرين بكل ما شهدته من صراع بين السياسة والانحراف والتجسس والخلافات السياسية . . فضيحة امتزجت بالأكاذيب وكشفت عن الفساد الذى يختفى وراء واجهة المظاهر. . . فضيحة كريستين كيلر هى فضيحة فتاة الليل اللعوب التى أطاحت بوزير الحرب البريطانى البارز جون بروفيمو ، وأدت فى النهاية إلى استقالة حكومة هارولد ماكميلان ، ودفعت حزب المحافظين لسنوات فى الظل .. بدأت الأحداث بست طلقات دوت ليلا فى أحد الأحياء الهادئة فى لندن وانتهت بتحطيم حكومة بأكملها.

مذكرات نبيلة عبيد

وفى العدد ٦٠٢ الصادر يوم الاثنين من يونيو ٢٠١٢م من صوت الأمة الغراء كتبت أقول تحت عنوان **المستشار السياسي للرئيس الدكتور أسامة الباز هل تزوج بالفعل النجمة نبيلة عبيد عرفيًا..؟!**

وقلت أيضًا: إن مسلسل الشائعات الكبرى يطارد نجمة مصر الأولى كما تشتهر وهذه المرة ربطت الشائعات بينها وبين الرجل المهذب والسياسي البارع الرائع الدكتور أسامة الباز شخصيًا، وقيل : إن الرجل بالفعل ارتبط بزواج عرفي مع الحسناء نبيلة عبيد لمدة تسع سنوات بالتمام والكمال، وبدأت في الفترة الأخيرة خاصة بعد خلع الرئيس مبارك تتضح معالمها ويتم كشف النقاب عنها..! ومذكراتها سوف تكشف عن ذلك..!

الوزير العاشق:

وتحدثت أيضًا عن الوزير العاشق لنبيلة عبيد وقصة عشق وغرام وهيام وزير الثقافة الأسبق في عهد بعيد لها.. وقلت بالنص: أعتقد أن مذكرات النجمة الكبيرة نبيلة عبيد المرتقبة ستيكون فيها بكل تأكيد الإجابة الواقعية حول كل هذا خاصة أن كل هذا لا يسيء لنبيلة عبيد أو لمن أحبوها وعشقوها ، فهذه مشاعر وعواطف يحس بها أي إنسان يقع في الحب.. وبالتالي ليس في علاقة أي رجل يحب امرأة مهما كانت عادية أو فنانة أو غير ذلك ما يشينه أو يسيء إليه .. سواء **الوزير العاشق أو المستشار السياسي**..!

حريم السلطان..!

ثم أصدرت كتابي «حريم السلطان» من دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة وتمنيت فيه أيضًا أن تفصح نبيلة عبيد في مذكراتها عن الحقيقة الغائبة فى زواجها من أسامة الباز.



المرأة في حياة نابليون بونابرت

مدام ستيل .. في حياة نابليون

وقبل الخوض تفصيليًا في كل ما يتعلق بقصة علاقة الدكتور أسامة الباز ونبيلة عبيد نعرض أكثر **للمرأة في حياة المشاهير**.. وقصة مدام ستيل مع نابليون تستحق العرض بتفاصيلها حيث قضت شبابها في باريس، واختلطت فيها بكبار القوم، وكانت مجدة منذ طفولتها في الدرس والتعليم، تقرأ كل ما يقع بين يديها من أوراق ثقافية، وكانت تدرس الأدب وتقرأ في الفلسفة والقانون والاقتصاد والعلوم، ولم يكن كبار الأدباء في عصرها يكبرون قدرها، وإنما جاء احترامها وتقديرها من العامة، لأن كتاباتها دائمًا كانت تجذب العامة وتسترعى احترامهم. لم تفلح فى الحب والأدب، مع أنها أحبت عددًا من الرجال، دون أن تخلص كل الإخلاص لأحدهم، وكتبت كثيرًا وكثيرًا ، وكانت وصيفتها تسرَّح لها شعرها في أثناء انهماكها فى الكتابة!

حيث كان شغلها الشاغل في البداية القراءة والكتابة. ولعل القطعة التالية التي كتبتها عن شقاء الزواج من أحسن ما كتبت في جميع ما ألفت من الكتب ، قالت فيها: «في شقاء الزواج نوع من المحنة ، يفوق جميع الآلام في هذا العالم فإن كيان المرأة الشقية في زواجها يتوقف على الرباط الزوجي، والوحدة التي تعيش فيها المرأة في زواجها تجالد القدر وحدها، وتحمل إلى القبر وحيدة بلا رفيق يودعها، أو يأسف عليها.. هي وحدة دونها وحدة السائح في الصحاري **وعندما تشعر المرأة بأن كنز شبابها قد ذهب ضياعا لا فائدة فيه..!**

وأن هذه الأشعة الأولى لن ينعكس فيها شيء في نهاية الحياة أو عندما تشعر بأنه ليس في ظلام الغسق ما يذكرها بضوء الفجر.. عندئذ تثور النفس وتشعر المرأة أنها قد حرمت من عطايا الله على هذه الأرض!

وربما كانت بلاغة هذا الكلام راجعة إلى إحساسها الشخصي.. فإنما هي نفسها هذه المرأة!

أما شهرتها فجاءت أكثر ما تكون في السياسة، فصداقتها لنابليون وخصومتها له، كانت موضع جذب الأنظار في حياتها .

تحرقت مدام «ستيل» إليه شوقًا، وأخذت تتصور الروعة والعظمة التي ستبدو على القائد العظيم، الذي كان على أمرة الجيوش الفرنسية في غيطاليا والذي عاد منها موفور الكرامة ، مرفوع الهامة متوجًا بالانتصار.. ألا وهو نابليون بونابرت.. ورأت مرة أن تسأله:

هل أنت تحب النساء؟

فما كان من بونابرت إلا أن أجاب عن ذلك:

أنا أحب من النساء أنت!

وأخطر وأهم ما قالته مدام دي ستيل لنابليون:

إن العبقرية لا تفرق بين ذكر وأنثى..!

ومع ذلك رفض نابليون صداقتها في نهاية القصة المثيرة.. لتقيم في أواخر حياتها صالونًا من صالونات السياسة والأدب، ولا نكون مغالين إذا وصفنا صالونها أنه كان «برلمانًا» ثانيًا ومجلس شورى آخر في فرنسا، واستمرت «مدام دي ستيل» في طريقها غير مهتمة بشيء ، لا يخفيها تهديد أو وعيد..!

أجمل نساء فرنسا في زمانها «جوزفين» تقع في حب نابليون:

ونحن نعيش في إطار قصة حب وزواج الدكتور أسامة الباز والنجمة نبيلة عبيد نقول: ليس بين سير العظماء ما هو أوقع في النفس من سيرة نابليون بونابرت ، ولقد قال بعض المؤرخين: إن نجم سعد نابليون بدأ في الأفول منذ اليوم الذي طلق فيه زوجته جوزفين، فقد كان في الحقيقة يحبها إلى ما يقرب من درجة العبادة ، ولم يقدم على طلاقها إلا وهو مرغم على ذلك ، لهذا يعتقد الكثيرون أنه لو بقيت جوزفين مخلصة لنابليون لكانت خريطة العالم غير ما هي اليوم!

كانت جوزفين كما لا يخفى من أجمل نساء فرنسا في زمانها، ويظهر أن محبتها لنابليون لم تكن مجردة من شوائب الأنانية فقد كانت تحب فيه مجده وعظمته، أكثر من محبتها لشخصه. أما هو فقد كانت جوزفين أعظم من استولت على عواطفه، وإن لم تكن أول امرأة أحبها، إلا أنه أخلص لها بكل جوارحه، ولم يكن يخطر بباله أنها ستخون عهد ولائه.

وفي الواقع أنه كان خيرًا له إذا لم يقترن بها، لأن طلاقه منها نغص عيشه وكدر صفو هنائه! ومع أنه تجلد كثيرًا وأظهر عزة نفس فائقة إلا أنه لم ينس «جوزفين» حتى آخر لحظة في حياته.

امرأة ترفع زوجها إلى القمة.. وإلى المجد

كلمة قالها «شيلر» الإنجليزي فرددها الزمان في كل عصر، وفي كل ركن من أركان هذا الكون: كلما رأيت رجلًا وصل إلى قمة المجد والشهرة أيقنت أن بجانبه امرأة تدفعه إلى هذا المجد وهذه الشهرة الواسعة، وكلما رأيت رجلًا يهوى إلى الحضيض أيقنت أن امرأة هي التي دفعته إلى هذا المصير..!

هذه امرأة عظيمة مخلصة دفعت زوجها إلى النصر ، ووطنها إلى العزة والمجد وهذه امرأة مدمرة مخربة دفعت صاحبها إلى الفشل والهزيمة!

مدام جولييت آدم في حياة مصطفى كامل السياسية:

أن تعرف مصطفى كامل إلى مدام جولييت آدم حادث مهم في حياته السياسية والقومية، هو حب معنوي ونفسي من نوع جديد، فإن مدام آدم هي من أعظم شخصيات فرنسا في عالم الوطنية والسياسية والأدب، وكان مشاهير الرجال من نواحي الأرض يرحلون إليه ويجتمع بدارها العلماء والأدباء وكبار القوم وملوك الشعر والأدب والسياسة.

وقد سعى الزعيم مصطفى كامل سنة ١٨٩٥م إلى التعرف إليها، إذ أرسل إليها من «تولوز» أول رسالة له في ١٢ من سبتمبر سنة ١٨٩٥م يصور لنا مقدار وطنيته، ويصف فيها مبلغ إيمانه برسالته القومية الكبرى ، في أفصح عبارة وأبلغ بيان ويقول:

«سيدتي»:

إني لا أزال صغيرًا، ولكن لي آمالًا كبارًا، فإني أريد أن أوقظ في مصر الهرمة الفتاة، هم يقولون: إن وطني لا وجود له، وأنا أقول: «يا سيدتي» أنه موجود، وأشعر بوجوده بما أنس له في نفسي من الحب الشديد الذي سوف يتغلب على كل حق سواه، وسأجود في سبيله بجميع قواي وأفديه بشبابي. وأجعل حياتي وقفًا عليه.

ثم يقول: « وأنا أبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة، وقد نلت إجازة الحقوق من تولوز قبل سنة، وأريد أن أكتب وأخطب وأنشر الحمية والإخلاص الذين أشعر بهما في

سبيل الوطن العزيز، وقد قيل لي أكثر من مرة: إني أحاول محالًا، وحقيقة نفسي- تصبو إلى هذا المحال فأعينني يا سيدتي فإنك من الوطنية بمكان يعين على تقدير قولي وتقوية عزمي وشد أزري، وتقبلي كل تحية واحترام. «مصطفى كامل».

وأرسل لها ضمن كتابه رسالته عن «أخطار الاحتلال البريطاني على مصر»، فلبت مدام آدم نداءه، وكتبت إليه ترحب بدعوته، فجاء وقابلها، وما إن عرفته وأدركت سمو آماله في تحرير بلاده حتى ازدادت به إعجابًا، وتوثقت بينهما من ذلك الحين أواصر الاتصال الروحي، إذ كان الزعيم العظيم يعدها أمًّا روحية له، وقد عرفته بكبار السياسيين وأصحاب الصحف والمجلات في فرنسا، وأصبح معروفًا في أوساطهم، إلى أن برح فرنسا وقال وهو يبارحها: إني أعتمد عليك أيتها السيدة الوطنية الكبيرة، وأرجو منك أن تتكرمي بقبول أجل إكبار وأعظم اعتبار من يعترف له بالجميل. «مصطفى كامل».

أم كلثوم النغم الساحر في حياة الشاعر أحمد رامي

والشاعر العاطفي الموهوب أحمد رامي تحدث عن أثر حواء في حياته فقال بعنوان ملهمتي «وهو يقصد بوضوح كوكب الشرق السيدة أم كلثوم» ، قال: الإلهام مبعثه عندي سماع اللحن الجميل يصدر من الطير الشادي أو الماء الهادر، أو الحنجرة الرنانة التي تنطلق بالنغم البديع، ولا أذكر أنني أقبلت على النظم إلا بعد أن امتلأت روحي من هذا النغم الساحر. فحواء ملهمتي، هي تلك التي أسمعها تغني فتتفتح أمامي آفاق الخيال، وأشد ما أكون إقبالًا على قرض الشعر إذا خرجت من سماع قطعة جديدة على أذني وقلبي، فهنا أحسن النظم، يدفعني إليه الطرب الذي تملك مشاعري، والرغبة في ابتداع شيء جديد أسمعه من جديد.

ويا حبذا لو كان هذا هو السماع في جلسة هادئة لا تنبس فيها إلا شفة حواء الملهمة تغني*.. أو ليلة مقمرة لا أسمع فيها إلا همس النسيم يضبط إيقاع النغم في سمعي، أو زروق يسري فيشق صدر النيل، ويجعل هدير الموج تمتمة، كتلك التي تصدر من فم المعجب بالنغم إذا وقع على قلبه كان شفاء لآلامه وآماله.

يضيف رامي:

إذا صحت هذه الخلوة شعرت أن اللحن لي وحدي، والوحي لي وحدي فأبدأ في قرض الشعر، وكلما أخذتني نشوة الطرب شعرت بفكري يرق وروحي تعلو، حتى أسبح في وديان الخيال على جناح رقيق من صوت حواء.. بالطبع أم كلثوم.



* ملهمته هي كوكب الشرق أم كلثوم كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

المرأة في حياة بيتهوفن
تثير فيه نشوة الحب ومنه يستلهم الألحان والأنغام



بيتهوفن

«بيتهوفن» فنان كبير عاش بوحي الحب، يستوحي منه عذاب الألحان والأنغام ويستمد من البلابل أنغامها، ومن القلوب خفقاتها، ويمزج كل ذلك بعصارة قلبه وعواطفه، ويجعل من المزيج ألحانًا تسمو بالنفس البشرية إلى فردوس النعيم.

كان يطمع في الحب.. ولكن كان الحب لا يعبأ به، سوى أن يثير في أعماقه الأشجان والأحزان والآمال تارة.. والألحان والأنغام تارة أخرى. وتأبى الحياة الجامدة الظالمة إلا أن تقسو على ابنها البار، ذلك الابن الذي أدرك أسرار أناشيدها وخفق قلبه بحبها، فنقل عنها أسمى المعاني إلى آذان البشر، فتحرمه من أثمن حواسه وأهمها عنده تلك هي حاسة السمع . هكذا عاش «بيتهوفن» الموسيقار العظيم، يذكي في النفوس نشوة الحب وهو محروم منه ، ويطرب الآذان بعذب ألحانه وأنغامه السماوية وهو لا يسمعها..!!

الفتاة الساحرة التي أغرم بها:

أحب «بيتهوفن» ابنة صديقه الكونت ستفان براونينج، وكانت فتاة فاتنة ساحرة فأغرم بها، ولم يكن قد تذوق لذة الحب من قبل ولا نبض قلبه لامرأة ، فسحرته بحسنها

ودلالها وجمالها، ولكنه كان يخجل من مفاتحتها بغرامة ومكاشفتها بحبه، فظل يشقى بجحيم قلبه حتى اختطفها القدر وأقصاها عنه بأن زوجها من صديقه الحميم الدكتور ويجلر. وعرف بيتهوفن بعد ذلك الفتاة الأخرى التي ألهمته لحن ضوء القمر، وكانت فتاة غاية في الجمال والفتنة والرشاقة فأحبها وعوضته في البداية عما قاساه من آلام حبه الأول، ولكنها لم تعبأ بغرامه مع أنها كانت تعجب بفنه وعبقريته. وكانت تداعبه تارة وتسخر منه تارة أخرى! وتصد غرامه تارة ثالثة..!

وهو بين هذا وذاك يتألم ويحترق بنار الشوق والحب!

ولما استبد به الهوى فاتحها في أمر الزواج، فضحكت وسخرت بصممه! وقالت له: إنها تريد رجلًا ثريًا تسعد معه بمتع الحياة.

تلقى «بيتهوفن» هذه الطعنة بصبر وثبات واتخذ من فنه السلوى والعزاء، وراح يستكمل الصعود إلى قمة الفن والمجد.. والتقى من بعد ذلك بفتاه فاتنة «تيريزافون برونسويك» كان يتولى تثقيفها وتعليمها أصول الموسيقى في فيينا!

وأحست الفتاة بعاطفة أستاذها نحوها، ولكنها لم تستطع أن تتبينها في أول الأمر، ولكنها عادت فعلمت أن هذه العاطفة هي التي تتصل بالقلب فتسبب خفقاته إذا التقيا.

وانتهى الأمر بأن شعرت هي الأخرى بميل نحوه، فبادلته عاطفته وأحبها بكل ما تبقى في قلبه من عاطفة لم تستنزفها غرامياته الأولى، وأحس السعادة تغمره من كل جانب، لقد وهبته الأيام مجدًا ونبوغًا في فنه، وها هي الآن تهبه قلبًا يخفق بحبه.

وفي إحدى سهراته اجتمع «بيتهوفن» بهذه الحبيبة تيرتيزا، فوقف أمامها صامتًا يستوحي قلبه، ويستلهم فته، وطالت لحظة الصمت وهو غارق في تفكير عميق، حتى هبط عليه الوحي والإلهام، فعزف على الفور لحنًا أسماه: **إذا أردت أن تهبيني قلبك فليكن ذلك في الخفاء حتى يمتزج بقلبي دون أن يعرف الناس..!**

وسما عزف وارتقع بسامعيه إلى سماء النعيم في السعادة، وظل بعد ذلك صامتًا لا يجد من الكلمات ما يعبر بها عن عواطفه أقوى من هذه الألحان. وساءت حال «بيتهوفن» فجأة، وقيل: إن مرض «**الزهايمر**» **أصابه**! فصار يخرج إلى الطرقات يطويها سيرًا وهو

يصرخ ويغني حتى أعيته صحته وحطمه المرض..! ومر بموقف مؤلم.

أحس بعده بخدش ما يملكه من كبرياء ويعتز به «كرامته» ، حتى عندما أصبح في حالة سارعت به إلى نهاية عمره وحياته، فارتعد رعدة شديدة وفارق الدنيا عن سبعة وخمسين عامًا .. وكان كلما تجمعت أمامه الأحزان وتذكر فشله في الهوى والحب، لم يجد أمامه سلوى غير «البيانو» يبثه أشجانه وأحزانه من أعماق نفسه الشاعرية الحساسة! ومازالت أدواره الموسيقية حتى اليوم آية من آيات الفن يرددها العازفون كلما دعاهم صوت الحنين إلى الحب والغرام اللذين حرم منهما وأضعهما بغير قصد!

المرأة إما أن تحكُم أو تخدم:

يقول المثل اليوناني : «المرأة إما أن تحكم أو تخدم» ، فإن التاريخ أثبت أن المرأة بما تمتعت به من دهاء وكيد وقدرة على التحكم في الرجال بما يتوفر لها من جمال وإغراء أو باستدرار العطف عليها .. كل ذلك جعلته المرأة وسيلتها لقهر رجال السلطة! الذي تلقى به المقادير أمامها .. ومن خلاله يمكنها بسرعة إدارة دفة الحكم أو خدمة مصالح الآخرين!

إن سطور هذا الكتاب بما يحفل به من قصص حب وهيام وغرام وحكايات عن رجال السياسة ونفوذ زوجاتهم وصديقاتهن.. يتيح للقارئ الكريم الحكم على الكثير مما يراه حوله ولا يجد له تفسيرًا «منطقيًا» معقولًا ، فمن كان يتصور أن ينحاز الرئيس الأمريكي «ليندون جونسون» إلى إسرائيل بتعصب أعمى في حرب يونيو ١٩٦٧م إرضاءً لامرأة أحبها هي «ماتيلداكريم» ، وكانت تهيم حبًا بإسرائيل .. إن هذا المثال وغيره يكشف أيضًا للقراء الأعزاء ببساطة أن ما يراه ليس إلا مسرحًا ظاهرًا تتحرك عليه عرائس بأنامل موجودة خلف الكواليس!



برلنتى

لماذا اختارت أن تتزوج من المشير عبد الحكيم عامر...؟!



أحلام برلنتي

من النادر أن تجد امرأة رائعة الجمال ويطاردها كل الرجال ، وأن تكون مخلصة لرجل واحد، ونحن أمام امرأة تتمتع بجمال وافر وهي الفنانة (برلنتى عبدالحميد) التى اشتهرت فى عالم السينما بأداء أدوار الإثارة والإغراء، واستطاعت فى فترة قصيرة أن تحتل مكانة فى عالم الفن ، مما جعلها موضع اهتمام المخرجين ومؤسسة السينما ، وهذا يعود لجمالها وإنوثتها الطاغية ، ولكن القدر أخذها إلى طريق آخر غير طريق الفن الذى خلقت من أجله وحققت شهرتها الكبيرة من خلال تواجدها وسط جدران الاستوديوهات وشاشات العرض السينمائى، وبالتالى أصبحت حالتها الاجتماعية جيدة ، وانتقلت من المعيشة فى حى السيدة زينب وهو حى يسكنه الفقراء والبسطاء من الناس ، إلى العيش فى حى العجرزة والإقامة فى شقة تطل على نيل مصر ، وهى نفس البناية التى يسكن فيها الأديب الكبير نجيب محفوظ ، وبالتالى حياتها تغيرت ، وأصبحت تعيش وسط علية القوم ، وأصبح لديها سيارة وأموال فى البنوك، وتحولت إلى امرأة يطاردها كل الأثرياء، وأصحاب النفوذ ويتمنون منها الرضا، وعليها أن تشير فقط ، إلى ما تشتهيه ليجاب لها فى الحال ، لينالوا رضاها، وهنا لابد أن أطرح سؤالًا مهم ، وقد يكون بسيطًا فى طرحه وهو

- لماذا اختارت برلنتى عبد الحميد أن تتزوج من المشير عبدالحكيم عامر وتفضله على الكثيرين من الأثرياء؟ هذا الكلام جاء على لسان صاحبه الذى أجرى الحوار معها.

قد يكون السؤال به بساطة وسذاجة لدى البعض ، وهذا التصور ممن يستهزؤون بالسؤال ، يستندون بالسؤال إلى مكانة المشير عامر ونفوذه بصفته الرجل الأول مكرر فى مصر، والرجل المسيطر تماما على المؤسسة العسكرية ، وبالتالى تحقق للفنانة رائعة الجمال المعادلة المكتملة ، وهى (الشهرة والمال والنفوذ والسيطرة) وهذا شيء مستحيل أن يناله أحد، ويستمر لفترة محافظا على أركان المعادلة ، ولكن لا نستطيع أن نلوم برلنتى فى البحث عن القوة والسند، المتمثلة فى زواجها من المشير عامر، الذى سيحقق لها كل ما تريد، ولا يستطيع أحد أن يقف فى طريقها فى تحقيق كل ما تريد من الحياة فى مصر، التى

كان يحكمها اثنان: عبدالناصر والمشير، وهى تزوجت أحد الاثنين بحثًا عن المكانة الرفيعة، هذا حقها مثلها مثل كل الحسناوات فى التاريخ.

ولكن هنا لابد أن نتناقش معها عندما قالت فى مذكراتها : إن زواجها من المشير (عبدالحكيم عامر) كان على حب !!

واختلافنا معها مبنى على أسباب منطقية:

أولًا: إن المشير (عامر) كان أكبر منها بما يقترب من ستة عشر عامًا حيث المشير من مواليد (١٩١٩)، هى ذكرت لى فى أحد جلساتى معها أنها تزوجت عامر عام (١٩٦٣) وكان عمرها ثمانية وعشرون عامًا، وبالتالى لم يكن الشاب الوسيم الذى يجعل المرأة تضحى من أجله بالمال والشهرة ، فالمشير (عامر) كان رجلا ذا بشرة سمراء، مثل أهل الصعيد، وكان شعره مجعد، ولم يكن أبدًا الرجل الجذاب الأنيق ، الذى من أجله أن تترك ملكة الإغراء والإثارة (برلنتى عبدالحميد) كل الشباب ونجوم الفن والمخرجين الكبار لترتمى فى حبه وبالتالى هذا يجعلنا نتفق أن برلنتى تزوجت المشير بحثًا عن النفوذ والقوة ، وهذا حقها، وليس للحب دخل فى هذا الزواج ، كما ادعت هى فى مذكراتها (الطريق إلى قدرى).

-عندما سألتها : كيف تعرفت بالمشير عبدالحكيم عامر؟

قالت قد عرفته عام (١٩٦١) عندما طلبت منى صديقة تعمل صحفية بمجلة (روزاليوسف) أن أحضر اجتماعًا، لأن السلطة تريد أن تعرف ما يعانى منه الناس ، لترفع هذه المعاناه عنهم بدلا من الطريقة التقليدية التى تعتمد على التقارير، فى هذا الاجتماع رأيت عبد الحكيم لأول مرة ، وفيه ألقى كلمة مختصرة قال : إن ما نريده منكم إبلاغنا بما يعانيه الناس من متاعب أو مظالم ، وتعريفنا بأخطائنا فإن كان هناك قرار خاطئ أو انحراف فى أى موقع ، فإننا نريدكم أن تطلعونا به ، لنقوم بإصلاحه ، ثم استمع لكل منا، وقد أبديت رأيى بصراحة ، فتحدثت عن اختفاء والد صديقة دون أن يعرف أحد ما هى تهمته ، ولا يجد أهله من يدلهم على مكانه.

وقد غضب عبدالحكيم ، وتلفت إلى من يجلس بجانبه ، وتساءل هل هذا معقول كيف حدث هذا؟

بعدها بأيام اتصل بها صلاح نصر (رئيس المخابرات) وقال : إنهم عرفوا أن المباحث العامة هى التى اعتقلت والد صديقتها، وأن عبدالحكيم عامر أمر بالتحقيق معه ، لإطلاق صراحه خلال أيام ، ثم زارها (صلاح نصر) فى مساء نفس اليوم ، وطلب منها أن تخرج معه إلى عبد الحكيم عامر لأنه يريد أن يتحدث معها، وبالفعل ذهبت معه إلى أحد المقار الأمنية فى مكان منعزل غارق فى الظلام ، وفى حجرة ضعيفة الضوء، وجدت مجموعة من الرجال ، لا يستطيع أحد أن يتعرف عليهم ، لأنهم غطوا أنفسهم بمعاطف وكوفيات وطواقٍ ، وقدمهم لها (صلاح نصر) بأسماء وصفات اعتقدت أنها غير حقيقية ، كان بينهم رجال ينادونه باسم يا (دكتور) مرتديا طاقية ومتلفحًا بكوفية ، تخفى نصف وجهه ، ويضع على عينيه نظارة ، لكنها عرفته فهو عبد الحكيم عامر.

وفى إحدى مكالماته معها، طلب عبدالحكيم أن يراها فورًا، وعندما ذهبت إليه وجدته ينتظرها فى الحديقة ، وعندما رآها هتف أهلًا عروستى، وذهبت معه إلى حيث يجلس أصدقاؤه (عباس رضوان) وزير الداخلية و(صلاح نصر) ومدير مكتبه (على شفيق).

وعندما كرر كلمة عروستى، استوضحته عنها، فعرفت أنه يقصد الزواج منى، وعرفت أيضا أننى خضعت لامتحان طويل إلى أن وصل إلى قراره ، وأن هذا الامتحان كان ضروريًا، لأن أجهزة الأمن لابد أن تتأكد أن لا ثمن لمن اختارها المشير ليضع بين يدها رقبته وأسرار الدولة ، وأثبت انها امرأة لا ثمن لها لاتشترى فطلب منها الزواج ، وتزوجها عام (١٩٦٣) بعد أن اشترط ألا تعمل فى الفن .

قد تكون الرواية التى روتها لى السيدة برلنتى للتعريف ببداية علاقتها بالمشير عبدالحكيم عامر صحيحة ، ولكن المنطق يجعلنا نقول : إن ما روته برلنتى جزء من الرواية لأن الشىء المقنع أن المشير عندما فكر فى السيدة برلنتى كان شاغله الأكبر هو جمالها وأنوثتها ، وسحرها، الذى شاهده من خلال أدوارها السينمائية عبر الشاشة ، ولذلك الشيء المنطقى أن نظرة المشير لبرلنتى، انها امرأة تصلح لإقامة علاقة عابرة ، قد تستمر أيامًا أو شهورًا، وبالتالى كان المشير يمتلك من القوة ، ما يجعله أن يرسل أحد رجاله للتفاهم مع السيدة برلنتى لمقابلة المشير فى سرية تامة ، بدون اللجوء إلى اللف والدوران ، واستخدام صحفية قد تفشى أسرار المشير الخاصة ، ولذلك أقول : إن السيدة برلنتى لم

ترو ما حدث بالضبط ، حتى تجعل المشير يتزوجها، ولا يكتفى لا قدر الله بإقامة علاقة محرمة معها، قد تستمر لفترة وجيزة ، أنا لا اتهمها بشيء مبتزل أستغفر الله، إنما كنت أريد أن تتحدث عن علاقتها بالمشير بصراحة ، حتى يقتنع الناس ، لأنى بحكم علاقتى القوية جدًا باللواء (فؤاد علام) نائب رئيس أمن الدولة السابق ، والذئ تشرفت بكتابة سيرته الذاتية فى كتاب (ذكريات لا مذكرات) قال : إن المشير كانت له علاقات نسائية متعددة ، وأن الرئيس عبدالناصر كان يعلم بعلاقات المشير عامر، ولم يتخذ موقفا منه ، والشيء الأخر أن اللواء فؤاد علام قال : إن المشير عامر لم يتزوج الفنانة برلنتى عبدالحميد، وأن برلنتى تزوجت أخو المشير (مصطفى عامر) قد يكون (فؤاد علام) استند فى حكمه إلى محاضر التحقيقات ، التى أجريت مع الفنانة برلنتى بعد الهزيمة والتى ذكرت فيها برلنتى أنها متزوجة من (مصطفى عامر)، وهى أكدت هذه المعلومة فى مذكراتها، وكانت حجتها أن إنكارها الزواج من المشير عامر، وقد كان المشير رهن الاعتقال ، كما ذكرت هى، يكون فى صالح المشير، حتى لا تجعل أعداءه يتمكنون منه نفس هذا الخلاف الذى أحدث بلبلة لدى الجماهير، هل المشير تزوج برلنتى أم لم يتزوجها؟

هذا السؤال طرحته على (النبوى إسماعيل) وزير الداخلية لعلاقتى القديمة معه ، قال: الفنانة برلنتى بالتأكيد تزوجت المشير (عبدالحكيم عامر) وأنجبت منه ولدًا اسمه (عمرو).

– ولكن أنا سالت الفنانة برلنتى: هل زواجك من المشير كان يعلم به الرئيس عبدالناصر ؟

هذا السؤال أصابها بالدهشة ، لأنها تألمت من هذا الاتهام لفترة طلويلة ، من أصحاب الرأى، المتمين لحب وتقدير عبدالناصر، التى تتهمهم بالأجراء وأصحاب الأقلام المسمومة ، ولكن إجابتها لى كانت مقنعة ، لأنها قدمت معلومات يفهمها البسطاء من الناس ، أن كل شيء عن الرجل الأول مكرر، يجب أن يعرفه الرجل الأول ، وبشيء من التفصيل قالت : إن أجهزة الاتصالات التليفونية واحدة التى تربط المشير عامر بالرئيس عبدالناصر، وأن الحراسة والأجهزة الأمنية بترصد تحركات المشير بدقة ، حتى إذا طلبه المشير يجده ، وللحقيقة إن السيدة برلنتى ذكرت : أن الرئيس (عبدالناصر) كان بيزورهم

كثيرًا فى منزل الهرم ، وكان يوميا يتحدث معها فى التليفون ، وأن رجال المشير (عامر) كانوا يعرفون بهذا الزواج ، حتى إن الرئيس (السادات) كان يوميا يزور المشير عامر، وكان الأصدقاء ينكتون ويقولون لها: هل أنت متزوجة من الاثنين ، كنوع من الدعابة ، من كثرة تواجد الرئيس (السادات) فى منزلها .

من جلساتى معها العديدة ، تيقنت تمامًا أن برلنتى ليست امرأة جميلة ساحرة فقط، إنما هى امرأة محروقة من الداخل، وعندها جرأة وشجاعة غير عادية، ولكن عندما تحدثت عن علاقاتها العاطفية هناك أشياء كثيرة لم تذكرها، حتى تعطى انطباعًا للجماهير أنها إنسانة حافظت على نفسها ، ولم تنزلق إلى العلاقات الحميمية التى تحدث ربما فى الوسط الفني.

ولذلك عندما سألتها: لماذا لم تتزوجى من أحد الفنانين وتبتعدى عن رجال السياسة ووجع القلب ، وأنت تمتلكين الشهرة والمال ، وطرحت عليها الفنان محمود ياسين كنوع من الدعابة ؟

- فوجدتها تبتسم وتقول: إن هؤلاء الفنانين عيال ورق لا يملؤون عيني!!

وأنها لم يعجبها إلا المشير عامر!! هذه الإجابة لم تكن مقنعة بالنسبة لى، ولن تكون مقنعة للقراء والجماهير لماذا ؟ لأن عندما كتبت فى مذكراتها أنها فى بداية حياتها ولم تكن تجاوزت سن الخامسة عشرة كانت تحب شابا اسمه (مصطفى هيكل) هذا الإنسان تعرفت عليه عن طريق ابن خالتها وكان سر تعلقها به حتى قبل أن تراه أنه ينتمى إلى عائلة من الباشوات ، وظلت تتزين وتلبس أفضل ملابسها استعدادا لمقابلته ، لأنها تريد أن تبحث عن طريقة تخرجها من العيش فى المستوى المعيشى الأقل ، التى كانت عليه فى الحى الشعبى.

صحيح أنها عندما تقابلت مع هذا الشاب لم تكن تبحث عن شاب عادى مهذب يحبها وتحبه ، مثل كل البنات ،إنما هى منذ أن كانت فى مقتبل حياتها، تبحث عن الرجل الذى يرفعها من العيش فى قاع المدينة ، المتمثل فى حى باب الشعرية الحى الذى كانت تسكنه فى ذلك الوقت ، والذى يسكنه البسطاء من الناس ، وحتى عندما تقابلت مع (مصطفى هيكل) وكما توصفه هي: أنه قصير القامة ، وجسمه ضعيف ، ولم يكن وسيم

الشكل ، ومع ذلك تمسكت به وأحبته ، وخرجت معه فى الشوارع العامة ، وجمعهما لقاءات غرامية فى حديقة الأزبكية ، وبررت تمسكها بهذا الشاب بأنه إنسان مثقف ، وأنه يدعو إلى العدالة الاجتماعية ، ويدعو إلى مبادئ الشيوعية ، بالرغم أنه من أسرة ثرية ووالده باشا .

هى فى حقيقة الأمر لم تكتف فى حياتها بالحب العادى، إنما تريد الحب والسلطة ، بدليل أنها تركت هذا الشاب المثقف ذا المبادئ والنسب العريق ، لترتبط بشاب آخر جزائرى اسمه (بن جملين) تعرفت عليه فى مسرح (يوسف وهبى) عندما أخذت دور البطولة فى إحدى المسرحيات ، هذا الشاب الجزائرى، كان دائمًا يقدم لها الهدايا، لإعجابه بها، وسر تمكنها بهذا الشاب ، بأنه وثيق الصلة بالزعيم الجزائرى (بن بيلا) وعندما دعاهم لزيارة الجزائر ليقدم الفنان (يوسف وهبي) عدة عروض مسرحية ، هناك ارتبطت بهذا الشاب ، وقالت : إنها تحبه ، وأنه هو الإنسان الذى سيحقق لها كل طموحاتها .

وفجأة تخلصت من الشاب المثقف (مصطفى هيكل) الذى بسببه تحدث به والدها عندما علم بخروجها معه فى الحدائق ، وفجأة أيضا اتضح لها أن مصطفى هذا الإنسان لا يليق بها، والسر هو الشاب الجزائرى ذو المكانة الكبيرة ، ولذلك عندما تعمقت علاقاتها بالشاب الجزائرى (بن جملين) وجاء الى والدتها ليخطبها ظلت فرحة بهذا الارتباط ولكن بعد فترة قصيرة بدأت نجوميتها تزداد، واصبحت نجمة سينمائية مشهورة ، بعد أن نجحت فى دورها أمام أنور وجدى وشكرى سرحان فى فيلم (ريا وسكينة) ، وانهالت عليها العروض السينمائية ، وكان موقفها فى غاية القسوة ، والتخاذل وعدم الوفاء، عندما جاء (بن جملين) إلى منزل والدتها ليحدد موعد الزفاف ، فقامت بإعلاء صوتها، وقالت لوالدتها: أنا لا أحبه ولا أريده زوجا لى، وبالطبع هذا الشاب الذى كان بالنسبة لها كل شيء عندما يسمع هذا القول ونكران العواطف ، انصرف هى لا تبالي ، المهم مصلحتها وما سوف تجنيه من وراء هذا الزواج .

نحن إذن أمام قلب ملاكى، يخضع ويحب بقوة يدافع عن الإنسان الذى يمتلك المال والنفوذ، وإن كان النفوذ هو الأهم ، بدليل أن برلنتى عندها تركت الشاب الجزائرى الذى توهمت فيه طوق النجاة ، ارتبطت بإنسان آخر ليس له أى مميزات من ناحية الشكل

حسب وصفها هى ، غير أنه كاتب صحفى مرموق ، هو (محمود سمهان) وهو كان يعمل منتجًا سينمائيًا، وقام بعمل عقد معها للقيام ببطولة فيلمين مرة واحدة ، وهما (حياة غانية) (بيت الله الحرام) وتعرفت عليه أثناء تصوير أحد الفيلمين فى صحراء أبو رواش عندما اشتد بها العطش وقسوة الجو فى صحراء الجبل ، فوجدته يقدم لها كوبا من المانجو (الصاقع)، ليبدأ بينهما حوار عادى، ولكن بعد انتهاء آخر مشهد فى الفيلم ، وأثناء عودتها معه فى سيارته ، وجدته يطلب منها الزواج بدون مقدمات غرامية ، فهو رجل صعيدى صريح كما توصفه هى ، فوافقت بدون تردد، بالرغم من عدم وجود الوسامة وفارق السن بينهما، ولكنها وافقت لأنها سوف تنتقل من ممثلة عادية إلى نجمة كبيرة تحتل أدوار البطولة على يد هذا المنتج الكبير، وأنها وجدت من يحررها من قيود والدتها، التى كانت تمنعها من الخروج ليلا ، كما تقول هى، ودائما أخوها ينتظرها، خوفا عليها من كلام الناس لأنها من أسرة شرقية تربيت على أخلاقيات إسلامية .

ولكن الصدمة اليى لم تكن تتوقعها أن الأستاذ (معحود سمهان) رجل صعيدى يغير على أهل بيته ، وبعد الزواج كان يرفض أن زوجته تقوم بفتح باب الشقة مثله مثل كل أهل الصعيد، فكانت صدمتها الأكبر، عندما قام زوجها بمنعها من العمل فى السينما، وعندما اكتشفت أن زوجها روج شائعة أنها اعتزلت الفن ، وكان يمنع عنها مكالمات الصحفيين ، فكرت فورا فى الانفصال ، بعد أشهر قليلة ، لأنه وقف أمام طموحها، وتحقيق ما تريده من نجومية كبيرة ، وتحول الزوج الذى كان فى تخطيطها أنه السند والقوة التى ستنقلها إلى مرحلة أخرى فى حياتها إلى عدو، ولا مكان للحب وأصرت على طلب الطلاق ، بالرغم من تمسك (محمود سمهان) بها ولكن هى طبيعة شخصيتها، الرجل الذى تحبه هو الرجل القادر على نقلها إلى المكانة الكبرى وهى أن تصبح نجمة من نجوم الصف الأول ، إذن نحن أمام امراة تحارب وتكافح من أجل مكانة اجتماعية كبيرة ، ولا يعنيها شكل هذا الرجل إن كان وسيمًا أو من نفس عمرها، المهم هو أن يكون هذا الرجل ذو قوة ومكانة تدفعها للأمام .

وهذا ما يجعلنا نتفق أن دفاع السيدة (برلنتى) عن زوجها المشير، وجمع كل الوثائق التى تدين عبد الناصرونظامه ، وإنهم اجتمعوا جميعا لقتل زوجها المشير (عامر)، ليس

لحب امراة تعيش على ذكرى زوجها الذى تركها وهى فى ريعان شبابها، إنما رأت عبد الناصر ورجاله حرموا زوجة من رجل كان كفيلا لتحقيق كل طموحتها، التى لم تكن تحلم بها، وهى المال فى الشهرة المكتملة والنفوذ والسلطة ، هذا ما جعل عبد الناصر هو العدو الأول للفنانة (برلنتى عبد الحميد) ولذلك فهى تكره اسمه ولا تحب أن ترى صورته ، وتصب عليه اللعنات ، وتكن له كل الكراهية ، ولكن السؤال: هل أحد يستطيع أن يحرم أى فتاة او امرأة من الطموح والحلم بمستقبل أفضل؟

ملاحظة هامة:

اقتربت من الفنانة الكبيرة الراحلة السيدة برلنتي عبد الحميد بصداقة وطيدة ، وكنت في أكثر أيام الأسبوع أجلس في صالونها الأدبي والثقافي ليلًا، حيث يحضر. ضيوفها من السياسيين وكبار الصحفيين والضباط الكبار من أنصار المشير الراحل عبد الحكيم عامر «زوجها» الذين يدينون له بالوفاء والاحترام ، ويرون في زوجته أو أرملته السيدة «برلنتي» نعم الزوجة الوفية لزوجها الراحل، وكانت المناقشات تتنوع في صالوتها.. وأؤكد هنا أنها لم تفتح فهما بكلمة واحدة تسيء لجمال عبد الناصر ، رغم اتهامها له بأنه وراء قتل المشير والتخلص منه، لكن كانت تذكر جمال عبد الناصر بكل الاحترام وأن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية ، هكذا كانت أيضًا تبين لضيوفها وأنها أبدًا لم تكن تكره عبد الناصر، بل كانت تؤكد أن عبد الناصر كان الزعيم والرئيس وزوجها المشير عبد الحكيم عامر كان الرجل الثاني بعده ، وأن غموض عملية موت زوجها المشير فقط هي التي تدعوها لأن تقول بأن المشير عامر قد قُتل ولم ينتحر..!

قصص وحكايات زواج نبيلة عبيد المتكرر في الصحف والمجلات

حكايتى مع
حلم الزوج.. والبيت المليء بالأطفال



«ربما نسيت أنى امرأة»

هذا العنوان الذى وضعه إحسان عبد القدوس -الذى لعبت بطولة أشهر أعماله فى السينما ، وأعتبره الأديب الأقرب إلى نفسى- ينطبق على تمامًا، فقد غرقت فى عملى إلى حد أننى نسيت نبيلة عبيد الإنسانة.

يقينا كنت مثل «الغرقانة» فى السينما.. وليس هذا عنوانا لفليمى الذى أثار -وما زال- يثير ضجة كبرى، ولم يفهمه الناس ، فقد انتشلت نفسى من آفاق الأمومة، وصعدت إلى آفاق الفن ، وقادتنى من نجاح إلى نجاح، فمنذ تركت بصمتى فى «رابعة العدوية» - أول أفلامى التى نقلتنى من مجال عرض الأزياء الذى مارسته مدخلا لعالم السينما- وحتى بطولتى لـ«كشف المستور» الذى أثار لدى عرضه على نقاد وفنانى مصر ضجة

هائلة منذ ذلك الوقت وعبر رحلة فنية امتدت لنحو ٢٠ عامًا . وأنا أنتقل من نجاح إلى نجاح ومن بطولة إلى أخرى ، ومن كاتب إلى كاتب ، وبين مخرج وآخر.

قدمت للسينما الكثير ، قدمت أيام فى الحلال، ولا يزال التحقيق مستمرًا، والراقصة والطبال، وشادر السمك، وقضية سميحة بدران، ومع سق الإصرار ، وحاليا أصور وكر الذنوب من إخراج سعيد مرزوق ، ولى فى العلب فيلم يتوقع أن يفجر الحياة الراكدة فى الأوساط السياسية والفكرية وهو «هدى ومعالى الوزير» قصة وسيناريو وحوار نبيل خالد وإخراج سيد مرزوق ، ويشاركنى بطولته يوسف شعبان وأحمد بدير ومحمود القلعاوي، فضلا عن فيلم «كشف المستور» لوحيد حامد، وإخراج عاطف الطيب ولا أنسى أننى قدمت للتليفزيون رائعة مصطفى أمين «صاحب الجلالة الحب».

لكن هذه المحطات الفنية الناجحة كانت على حساب نهر الزواج الذى لم أشرب منه، أو بمعنى أدق الذى أغرق فيه حيث يكون لى زوج أنتظر عودته عند المساء وأطفال يكبرون أمام عينى يوما بعد يوم ، لأن تجربتى مع الزواج توقفت فى صدر حياتى الفنية عندما ارتبطت بالمخرج عاطف سالم، وتزوجته لبعض الوقت ، بعد أن كان لشقيقته – وكانت تسكن بجوارنا – فضل أن عرفتنى عليه، فنقلنى بفليم رابعة العدوية من عالم عروض الأزياء إلى التمثيل.

إننى نادمة على عدم زواجى وتكوين بيت وأسرة ، فما زلت أحلم بالبيت الآمن.. بالأطفال، وأنا أعترف والاعتراف سيد الأدلة، لقد كان خطأ جسيمًا تأجيل الزواج إلى هذه السن ، وكان خطأ ان أفقد استمتاعى بحياة خاصة مثل «بقية الناس».

لكن أصدقكم القول: إننى أخطأت من دون قصد، وقمت بذلك من دون تفكير، كان تفكيرى فى قصة سينمائية أكبر من تفكيرى فى حياتى الشخصية ، كنت أنشغل بالكاتب وبالسيناريو وعندما يعهد إلى بدور يتوقف الزمن ، وينحصر نطاق تفكيرى بسيناريو الفليم والحوار، وعندما أشعر بصدق الدور المكتوب أقبله، وإذا لا لى غموض هنا أو هناك فإننى ألجأ للكاتب فورًا لأستوضح ما غمض علىّ وما لم يكن مفهوما، وأستطيع أن أقول : إننى أغرق فى الشخصية حتى أذنى ، لأننى أفضل طرح القضايا والموضوعات الساخنة ، ودائما تكون شخصيتى الفيلمية قوية لأن الناس تفضلنى فى الأدوار القوية ، من حقى الآن أن أهدأ بعد رحلة فنية مرهقة، نضجت خلالها مشاعرى

كممثلة تحترف الفن وتمارس بوجدان الهاوي، فالهواية أصدق من الاحتراف، ومن حقى أن أعيش أمومتى ومع أسرتي، هذا لا يعنى أن يخف حماسى وتوهجي، وبالعكس ما أقصده أن أجود أكثر فى أعمالى ، لأننى نادمة على بعضها الذى استهلكنى ولم يعجبنى ولم يضف لرصيدي، وأن تسير حياتى فى رافدين ، رافد حب الفن ورافد حب الحياة، لأننى لن أعيش دون فن، ولن أعيش من دون قصة سينمائية أقدمها للناس لأتواصل معهم، مثل هدى ومعالى الوزير ، ذلك النموذج الذى ظهر فى مصر الانفتاح السداح المداح (بتعبير لكاتبنا الكبير شفاه الله (أحمد بهاء الدين) والتى احتالت على الناس وعلى الدولة، وهربت خارج مصر بعد ارتكاب مخالفات جسيمة.

لقد استغرق إعدادى لهذا الفليم حوالى عام ، خلاله درست جيدًا شخصية «هدى» الملقبة بالمرأة الحديدية، وعرفت كل تفاصيل حياتها من طريقة انتقائها لملابسها ، وحبها للملابس السوداء ، التى كانت ترتديها فى بيتها، لأنها كانت تشعر دائما بخوف من شيء ما، وحتى طريقة تعاملها مع الناس وثيابها الحمراء الفاقعة التى كانت ترتديها وسطهم.

لقد التقيت أصدقاءها والعاملين معها ، وقرات ملفات الصحافة التى نشرت عنها، واستطعت أن أفهم نقاط قوتها ونقاط ضعفها فهى مفاتيح الشخصية السينمائية التى أمثلها دائمًا، ولذلك فأنا بحاجة إلى أدوار ناضجة مثل هذا الدور ، وبحاجة إلى أن أتنفس حبًا أيضا على مستوى حياتى الشخصية.

كما أن فى حياتى نقطة ضعف أكيدة وهى حبى الشديد للأطفال وخصوصا المرضى، ولا أنسى أبدًا انفعالاتى بأطفال البوسنة الذين راحوا ضحية للقصف الصربي، وسوف يقصون حياتهم مبتورى اليدين والقدمين.

لذلك فأنا ما زلت أحلم بهذا البيت الآمن المليء بالأطفال، أحلم بان أتزوج، فالزواج مهم لكل سيدة لابد أن تؤمن لها استقرارًا فى حياتها ولذلك عندما يأتينى «النصيب» سآخذه على الفور وبلاد تردد*.

نجمة مصر

نبيلة عبيد

---

* وراء الأنباء – الكويت الأحد ٢٩مايو ١٩٩٤ – العدد ٦٤٨٤.


الكواكب
العدد ٢٥٣٦ - ٧ مارس


زواج نبيلة عبيد..
التفاصيل الكاملة

أشهر عازبة فى الوسط الفنى تودع حياة العزوبية :

زواج نبيلة عبيد

التفاصيل الكاملة



فجاة - ربما - لاتجد نبيلة عبيد في القاهرة ، فعلى الشاطىء الآخر ينتظرها العريس . نبيلة لم تكن تعرف أن هذا هو العريس المنتظر . فقد قابلته مرارا بين أصدقاء ولم يكن يلفت نظرها ، لكن فجأة تغير كل شيء . فبين يوم وليلة كان يطلبها للزواج . وبدأت حيرة نبيلة عبيد . فهل تطير فجأة إلى الشاطىء الآخر ، وتترك كل شيء . النجومية والشهرة والقاهرة .. وأمها ..



الزواج لم يكن مسألة محسومة فى حياة نبيلة عبيد يومًا كان فقط قرارًا مؤجلًا ، كان عليها بداية أن تحقق وجودها .. ووحدها ، لم يكن بجوارها أحد ، وعرفت كيف تبنى نفسها ، تصبح من الممثلات اللاتى دخلن التاريخ . فهى وحدها التى أخذت قرارًا بأن تنتج لنفسها ، عندما مرت عليها أفلام كثيرة لم تكن لتضيف إليها شيئًا كبيرًا أو تدفعها خطوة للامام ، أكثر من ثلاثين فيلما ليس بينها سوى رابعة العدوية - فيلمها الثانى فى مشوارها الفنى - هو ما تقول: إنه علامة ، ورغم أن رابعة كان المفروض أن يلفت نظر المخرجين والمنتجين . إلا أنهم لم يروا فيها الممثلة التى تستطيع أن تحمل فيلما على أكتافها ، ولذلك قدموها فقط فى أدوار خفيفة .. الأصدقاء الثلاثة السيرك ، زوجة غيورة جدًا، لست مستهترة ، الكدابين الثلاثة، هاربات من الحب ، رحلة شهر عسل ، جنون المراهقات ، وهكذا ، لكنها كانت تعرف إمكانياتها ، كانت فقط تريد من يكتشف قيمتها كممثلة ، ولما تأخر الآخرون أخذت خطوتها الشجاعة ، وقررت أن تنتج لنفسها، وأنتجت فيلم وسقطت فى بحر العسل ، واختارت له كل عناصر النجاح قصة لإحسان عبدالقدوس ، ومخرجًا هو صلاح أبوسيف ، وبطلًا هو محمود ياسين ، الذى كان فارس هذه الفترة ، ونادية لطفى نجمة كبيرة ، لكن الظروف لم تكن فى صالح الفيلم ، غير أنه ألقى كمية ضوء كبيرة على نبيلة عبيد . وكان أشرف فهمى سباقًا ليكتشف بعين المخرج الواعية إمكانياتها ، ربما تحقق ذلك فى فترة سابقة عندما أخرج فيلم واحد فى المليون ، وكانت هى بطلته ، فلما أتيحت الفرصة مرة أخرى فى فيلم رحلة داخل امرأة ، كانت نبيلة عبيد ماتزال فى عقله ، وبداية من رحلة داخل امرأة ، بدأت نبيلة عبيد الحقيقية ، وبدأت قدراتها تتفجر فى المرأة الأخرى، ومع أشرف أيضا . ثم العمر لحظة مع محمد راضى ثم الشريدة مع أشرف مرة أخرى . وجاء فيلم ولايزال التحقيق مستمرا لأشرف كذلك ، لتصبح نبيلة عبيد ممثلة لها قدرها العالى.. لكن..

الزواج:

هل توقفت نبيلة عن التفكير فى الزواج ، وقد حققت مكانة طيبة فى وجودها كممثلة!!

من الضرورى أن تفكر ، ومن الضرورى أن يظهر أكثر من عريس نبيلة تعترف ببساطة :

نعم ظهر أكثر من عريس . وكان مناسبًا . لكن المسألة لم تكن مجرد الاختيار ، لا ..المسألة كانت الإحساس العريس المصرى لم يكن رافضا لعملى كان موافقًا تمامًا، لأن

أظل فى السينما ، لكن كما أقول . المسألة إحساس . ورغم أن التفكير فى الزواج قد تردد ، ورغم أن أكثر من شائعة ظهرت تحدد جنسية العريس المنتظر . وربما حددت الشائعة وقت الزواج ، إلا أن ذلك لم يكن صحيحا ، كذبته نبيلة ، لأنها ترى أن الزواج حلم ، وحلم الزواج يكتمل بعلانيته .

فإذا كان صحيحا . أن هناك عريسا ، وأنها مقبلة على الزواج ، فلماذا تخفى والزواج حق مشروع ؟ وكيف يمكن أن تسهر مثلًا مع زوج ، لايعرف أحد أنه زوجها .. والشهرة يكون فيها الكثيرون .. وتركت نبيلة الشائعات تؤكد ما تؤكد . فقد زوجوها مرة وطلقوها ، وهى لاتعلم . وتضحك نبيلة من أعماقها لأنها أخر من يعلم . لكن!

النجمة :

وعاد أشرف فهمى لممثلته المفضلة مرة أخرى . عندما أخرج فيلم الشيطان يعظ بعد التحقيق بعام . وأصبحت نبيلة عبيد نجمة ، وتوالت الأفلام : الراقصة والطبال لأشرف فهمي قهوة المواردى لهشام أبو النصر ، وجاءت مرحلة حسين كمال ، لتقدم معه العذراء والشعر الأبيض ، وأرجوك أعطنى هذا الدواء ، وأيام فى الحلال يقطعها فيلم التخشيبة لعاطف الطيب .

وتتوالى الأفلام ، ويتوالى المخرجون «موعد مع القدر» لمحمد راضى و «شادر السمك» لعلى عبدالخالق ، و «أبناء وقتلة» لعاطف الطيب مرة أخرى ، وتعددت الأفلام : «انتحار صاحب الشقة» و «الوحل» و «الصبر فى الملاحات» و «التحدى» و «اغتيال مدرسة» ، « حارة برجوان» و «الراقصة والسياسى» و« سهارة الأمير» و«ديك البرابر» حتى «الغرقانة» ، و«كشف المستور» ، و«هدى ومعالى الوزير» ، و«المرأة والساطور» وحتى «الآخر» ليوسف شاهين . لكن هل توقف تفكير نبيلة عبيد فى مشروع الزواج؟ دائمًا كانت تعلن أنها تتمنى ذلك ، فقط عندما يظهر العريس الذى تتمناه ، ليس فقط بالمواصفات الاجتماعية ، ولكن وكما تقول: بالإحساس أولًا ، وجاء العريس رجل أعمال بعيش فى لندن منذ ثلاثين سنة ، رأته مرارًا وسط آخرين ، لكن لم يكن ببالها أن هذا هو العريس الذى سوف يتقدم لها. والذى «لخبط» حساباتها كلها .. مع أنها تجيد فن الحسابات ، كما قالت لى مرة: اقترب منها . وسألها: تشربى إيه ؟ فى اليوم التالى حادثها تليفونيا ودون مقدمات طويلة عرض عليها الزواج . جاءها فى المنطقة التى تتمناها والتى تؤلمها ، فهى نقطة ضعفها خاصة وأن إحساسها اتجه نحوه ، ومادام إحساسها قد رشحه ، فإن الحسابات تأخذ شكلا آخر.

الزوج ، ليس صغيرًا ، فهو مناسب لها تمامًا كان متزوجا وعنده أولاد لكن انفصل عن زوجته ، أخذها بالدخول إليها مباشرة بعرضه الزواج.

لم يلف ، ولم يرسم بأمانة شديدة تحدث إليها . وأخذتها أيضا أمانته . وبدأ الحديث فى التفاصيل . وكانت أهم تفصيله أنه يريدها كلها ، يعنى تتفرغ له تترك مشوارها والأكثر من تسعين فيلما .

وعمرها الفنى كله ، والمكان الذى نحتت فى الصخر حتى حققته ، يريد أن تخرج السمكة من الماء ، تترك بيتها ، أمها ، ذكرياتها علاقاتها .

وتعيش معه هناك . ودخلت المسالة فى حيرة وهو لايعرف أسلوبنا الشرقى مع أنه شرقى ، لكن الثلاثين عامًا جعلت منه إنسانًا أوروبيًا ، إنه يعمل ويفكر بطريقة أن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم .

قالت : أروح وأرجع ، تعنى أن تكون بين القاهرة ولندن ، فرفض ، إنه يريدها بجواره ، وهى ترى أن هذا حقه ، لكن .. كيف تعيش السمكة خارج الماء وتركته فى لندن وعادت إلى القاهرة ، بحيرتها . طلبها أن تأخذ قرارها .

معجب!!

وسط حيرة نبيلة وترددها أمام قرارها الأخير ، جاءت مكالمة تليفونية «الأنسر-ماشين» شغال ، فى هى تسمع من يتحدث ، وكان المتحدث أحد المعجبين ، ترك لها رسالة يقول فيها: إنه لايتصور أبدا أن تتزوج ، وأنه عندما قرأ خبر زواجها ملكته الدهشة ، ولم تستطع الانتظار ، رفعت سماعة التليفون ترد على المعجب . وكأنها تريد من يشاركها الرأى وسألته :ليه مش راضى بمسألة الزواج؟

قال لها : منذ وعيت وأنت ملكى، أرى فيك شموخا ، عرفتك من أدوارك وصورك ، لقد ارتبطت بواحدة ، وكشفت لها اعجابى الشديد بك ، فإذا بها تقلدك فى كل شيء ، لكن هذا لم يقنعنى ، لأنك الأصل والأصل موجود ، وحاولت نبيلة إنهاء المكالمة ، واستطاعت، لكن بعد ساعة ، تردد الصوت من جديد ، والكلام أخذ مسارًا آخر .

تحدث عن دخله ، وعن والده ، وأنه من البلد الفلانى ، وعرفت نبيلة أن الكلام لم يعد يحتاج للاستمرار ، فأنهت المكالمة ببساطة ، لكن ذلك كشف لها بعدًا آخر ، ربما لم يكن فى ذهنها ، وربما ، تعرفه لكنها لاتريد أن تصدقه . البعد الأخر ، هو أن المعجب يصاب بالغيرة وربما بخيبة الأمل عندما يعرف أن نجمته المفضلة سوف ترتبط بإنسان غيره ،

صحيح هو يرتبط بها فى خياله . لكنه لا يريد أن يشاركه أحد فى هذا الخيال.

من يشارك؟

حيرة نبيلة عبيد ، كان من الضرورى أن تشرك فيها بعض المقربين إليها تسألهم ، علها أن تصل إلى قرار ، وقال البعض: تزوجى ، ثم بعد فترة «قوليله عاوزه أشتغل » ، لكن ذلك لم يقنع نبيلة ، فهو - العريس الجديد - جاء من أقصر طريق ، وبوضوح . فكيف تكذب عليه أو تخدعه ، وهذا ليس من طبيعتها ، تفكر نبيلة بصوت عال : أريد من يخاف علىَّ ، من أشعر بالأمان معه ، لقد خدعت كثيرًا ، وتعذبت كثيرًا ، وهذه المرة أفكر بقلبى وعقلى معا ، لكنى لم أصل إلى قرار خاصة وأنه أعطاها وقتا للتفكير ، وقال لها بوضوح : إننى أريد الاستقرار ، فخذى قرارك .، حتى أستطيع أنا الآخر أن أحقق استقرارى ، تقول نبيلة بأسى : أنا فعلا بين نارين.

إنفلونزا .. ضغط:

نبيلة تعيش حالة من التوتر العنيف ، ورغم أنها مريضة بمعدتها ومصيبتها تؤتر عليها وهى فى غنى عن هذا التوتر ، الا أنها يتملكها الصداع ، وتكتشف أن الضغط مرتفع وتهاجمها الانفلوانزا وإذا أكلت شيئا عادت وأفرغته من معدتها ، تعيش بالكاد حتى لاتصرخ من آلام المعدة ، والسبب هو قرارها الذى تصل معه إلى حل ، أحكى لها حكاية كان بليغ حمدى يرحمه الله فى حالة غضب فترك القاهرة ، وقد صمم على أن يعيش بعيدًا عنها ، وفى باريس أسرع إليه المنتجون الفرنسيون يتعاقدون معه على أعمال موسيقية توزع فى جميع أنحاء العالم . وتخرج بالملحن النابغة إلى العالمية ، دفع له مبلغا ضخما ، وأجر شقة ووضع له سيارة تحت تصرفه . وفجأة وجدت بليغ فى القاهرة ، سألته : لماذا عدت وتركت هذا كه ؟! ولم يكن جوابه إلا لم أجد المقعد الذى تعودت عليه فى القاهرة ولاشقتى ، ولا أصدقائى ولا الزمن الذى أتحرك فيه كما أريد وقتما أريد ، إننى أحب أشيائى! وتنهدت نبيلة فهى تعرف ذلك جيدا تعرف عمرها طه الذى قطعت فيه مشوارها الفنى . عمرها كل ما فيه من ذكريات ، هموم، عذابات ، وفوق ذلك كله .. أمها .. التى أعرف قدر ارتباطها بها والتى لم تتدخل فى الموقف برأى. و .. مسكينة نبيلة . لأنه قرار يبدو وكأنه القرار الأخير*.

---

* الكواكب - العدد ٢٥٣٦ ، ٧ مارس ٢٠٠٠م.



الإصدار الثانى – العدد ٦٠٢ – الاثنين ٢٥/ ٦/ ٢٠١٢



سمير فراج يكتب:

نبيلة عبيد .. وعشاقها!





عشاق نبيلة عبيد

ربطت الشائعات بينها وبين الرجل المهذب والسياسى البارع الرائع الدكتور أسامة الباز شخصيا وقيل : إن الرجل ارتبط بالفعل بزواج عرفي مع الحسناء نبيلة عبيد لمدة تسع سنوات بالتمام والكمـــال

وزير الثقافة الذي
وقع في غرامها
وتمنى أن يتزوجها!
ومستشار الرئيس
الذي تزوجها عرفيا

كيف نجت من بطش
وانتقام سوزان مبارك؟
وهل كان زواجها بالمخرج
أشرف فهمي فنيا؟



لكن هناك قصة تم تداولها في المجتمع المصري كله عن علاقة وطيدة عاطفية ربطت بين نبيلة عبيد وأشهر أطباء المخ والأعصاب في مصر أحد أساتذة كلية الطب المصري العظام في تخصصهم ، وهو أحد عشاق نبيلة عبيد أيضًا ، والقصة كانت شهيرة وشائقة ربما موت هذا الطبيب هو الذي أوقف استمرار فصولها وتداولها ، وقيل من ضمن ما قيل: إن أحد عشاق نبيلة عبيد من السياسيين تصدى له بحزم ، وكاد أن يوقفه عند حده، وأن المشاجرات بينهما كانت تجرى ويعلمها البعض من المقربين للاثنين!

ولا أدري ما هو السر- دائمًا في ارتباط الفنانات بمشاهير الأطباء؟ لعلنا نعرف أن الطبيب عبد الحميد الطويل كان متزوجًا من مريم فخر الدين، وأن الطبيب محمد فياض كان متزوجًا من هند رستم ، وأن الطبيب محمد عبد الوهاب متزوج الآن من فاتن حمامة، وأن الطبيب كمال عبد الرحيم وشهرته كمال خلوصي متزوج من المطربة عفاف راضي، وكذلك كوكب الشرق السيدة أم كلثوم تزوجت من طبيب ، وأيضًا المطربة الكبيرة نجاة الصغيرة ، هذا على سبيل المثال وليس الحصر..!

لكن تبقى قصة نبيلة عبيد مع الطبيب الشهير في المخ والأعصاب رحمه الله هي القصة الأشهر في عالم قصص الفنانات في الحب والعشق مع الأطباء ، حيث كان هذا الدكتور صاحب المكانة والشهرة العريضة خ/ س حينها يتألق في جراحة المخ والأعصاب يقولون: السبب في ذلك نبيلة عبيد **لتبقى نبيلة عبيد محورَ ارتكاز دائرة محيطها من العشاق في عالم الثقافة والفن والسياسة والطب..!**

***

أعتز بصداقتى للنجمة الكبيرة العزيزة «نبيلة عبيد» وقد اقتربت منها طويلا خاصة فى مرحلة الثمانينيات وما بعدها وعشت معها أوج تألقها خاصة فى فيلمها السينمائى الرائع «ولايزال التحقيق مستمرا» وبحق اختيرت النجمة الحسناء نبيلة عبيد لتكون نجمة مصر الأولى عن جدارة واستحقاق.. وتربعت على عرش السينما المصرية مع واحدة أو اثنتين على أكثر تقدير.. لكنها فى نفس الوقت تربعت على عرش قلوب السادة والمستشارين والوزراء البارزين فى روايات بالغة الإثارة والتشويق فى وقت واحد.. فنجدها صاحبة مكانة رفيعة ومنزلة كبيرة عند الناس العاديين وكبار المسئولين أيضا وحكاية هذه النجمة مع العشاق حكاية طويلة بالفعل تستحق روايتها وابرزها الوزير العاشق وفى نفس الوقت

نجت تماما نبيلة عبيد من انتقام زوجة المخلوع مبارك «سوزان» التى حملت لقب سيدة مصر الأولي، وكل مناصبها كانت فيها هى الأولي.. ولم تتنبه لنجمة مصر الأولى نبيلة عبيد، وآه لو أدركت ذلك لكانت «بلبلة» فى خبر كان!!..

ولأن السيدة المريضة بداء السلطان والسطوة على كل شيء لا تحب أن تكون فى مصر سيدة أولى سواها حتى لو كانت على الشاشة السينمائية..! ومذكرات نبيلة عبيد المرتقبة بالغة الأهمية لأنها ستكشف النقاب عن الكثير من الأسرار والغموض فى أخطر المواقف لاشك ستتحدث عن الوزير العاشق والمستشار السياسى للرئيس المخلوع وعن خبايا كثيرة فى حادث مقتل أو انتحار النجمة السينمائية الكبيرة سعاد حسنى وستوقف الكثير من تراقص علامات الاستفهام حول كل ذلك وهذه هى مقدمة المذكرات كما أتصورها أضعها أمام نبيلة عبيد فى مسيرة نجمة مصر الأولى «كما هو شائع عنها» نبيلة عبيد شائعات كثيرة دارت معظمها حول العشق والزواج، وبالعودة إلى الوراء بطريقة الفلاش باك نجد أن الشائعات حاصرت نبيلة كثيرا ومن أشهر هذه الشائعات شائعة قصة حبها وزواجها من سعيد مرزوق مخرج «المرأة والساطور» بعد أن نشرت لهما بعض المجلات الفنية فى فترة تصوير الفيلم صورا لهما وهى ترتدى فستان الزفاف الأبيض بينما يرتدى سعيد مرزوق بدلة الزفاف الداكنة واتضح أن نبيلة قد ارتدت فستان الزفاف ضمن مشاهد الفيلم وكان العريس هو أبوبكر عزت ضمن أحداث «المرأة والساطور» وأراد سعيد مرزوق أن يجرى بروفة للمشهد قبل التصوير فوقف بجوار نبيلة ليوجهها فى الوقت الذى كان فيه مصورو الصحف والمجلات الفنية يقومون بالتقاط عدة لقطات لابطال الفيلم ومخرجه لنشرها عندهم فى صحفهم ومجلاتهم، وتم نشر صورة نبيلة مع مرزوق بشكل يوحى بأنهما قد تزوجا، فانتشرت الشائعة بسرعة البرق وقد أراد المنتج محمد حسيب محمد الذى تولى انتاج الفيلم استغلال هذه الشائعة لحساب الدعاية لفيلمه فترك الشائعة تحقق الهدف منها، وبعد فترة قامت نبيلة عبيد ومعها المخرج سعيد مرزوق بتكذيب هذه الشائعة غير الحقيقية على الإطلاق!..

ومن الشائعات التى ثارت حول نبيلة عبيد أيضا والتى تتعلق بالعشق والزواج فى حياتها شائعة زواجها السرى من الفنان محمود عبدالعزيز فى الفترة التى كانا يشكلان فيها ثنائيا ناجحا فى السينما وقدما معا ولايزال التحقيق مستمرا والعذراء والشعر الابيض وأرجوك أعطنى هذا الدواء وابناء وقتلة». فى تلك الفترة أشاعوا أنهما تزوجا فى السر-

ولكن الشائعة لم تمكث طويلا وتم إخمادها على وجه السرعة وكان محمود عبدالعزيز متزوجا أيامها من السيدة جيجى زويد من خارج الوسط الفنى وأم أولاده.

ومن الشائعات التى أثيرت ايضا حول نبيلة عبيد شائعة علاقتها بأحد رجال الأعمال العرب وزواجهما سرا فى إحدى العواصم الأوروبية ولكن نبيلة كذبت الشائعة مثلما كذبت شائعات عديدة دارت معظمها حول علاقاتها وزواجها من رجال أعمال مصريين وعرب!..

شائعة حقيقية!

وبعيدا عن الشائعات فى حياة الفنانة نبيلة عبيد هناك تجربة مهمة فى حياتها تتلخص فى أنها كانت على وشك الزواج من رجل أعمال عربى ولكنه اشترط عليها أن تترك القاهرة وتعيش معه فى بيروت وايضا طلب منها أن تعتزل الفن لكنها طلبت منه أن يمهلها وقتا للتفكير وعادت للقاهرة وبعد تفكير عميق ودراسة متأنية لقرارها قبل أن تتخذه وجدت نبيلة أنها لن تستطيع أن تعيش بعيدا عن مصر.

زواج فنى مع أشرف فهمى

كانت أكبر هذه الشائعات وقد عشت أحداثها مع الاثنين المخرج الصديق الراحل اشرف فهمى والعزيزة الفنانة نبيلة عبيد وقد ربطت بينهما شائعة قوية بزواجهما بالفعل كانت كل الدلائل تشير إلى هذا بالفعل فأشرف فهمى كان سببًا فى نجاح نبيلة عبيد فى عدة أفلام سينمائية وارتاحت له تماما نبيلة وكان أشرف ونبيلة أشبه بكائن بشرى واحد آمالهما وحداة وآلامهما واحدة ومشاعرهما واحدة والحب يجمع بينهما فى كل شيء ليس بالضرورة الحب العاطفى وإنما حب كليهما شخصية الآخر الفنية والاجتماعية.

ومرة قلت لنبيلة عبيد: للمخرج أشرف فهمى دور مهم فى حياتك فهو الذى عرف كيف يوظف قدراتك وإمكاناتك الفنية لصالح السينما، فما رأيك فى أشرف فهمى ودوره السينمائى معك كمخرج وكإنسان؟!

وعلى الفور قالت نبيلة عبيد! لو عشت اتحدث كل يوم عن شكرى وتقديرى للفنان الرائع أشرف فهمى فلن أوفيه حقه الكامل فلقد كان بالفعل المخرج السينمائى الأول الذى وضع قدمى على الطريق السينمائى السليم وكان يفعل ذلك بإصرار على الرغم من بعض الغيوم والعواصف التى حدثت فى مسيرتنا الفنية!

ولى ملاحظة هنا فإننى أرى أن هذه الغيوم والعواصف حدثت فى الحياة الاجتماعية أى كانت هناك صلة خاصة كبيرة يقترب بها الإنسان الرائع أشرف فهمى من الإنسانة الرقيقة نبيلة عبيد أعتقد كان هناك هذا الحب الذى جمع بينهما وكل من كان يقترب منهما يدرك ذلك جليا ولكنهما عاشا مع علاقتهما الجميلة فى طى الكتمان أمام الناس لكن أمام الله أعتقد الحقيقة واضحة وأتصور زواج أشرف فهمى من نبيلة عبيد عرفيا وهذا حقهما ولم يرتكبا إثما أو فعلا فاضحا وإنما على سنة الله ورسوله وأذكر مرة فى حوار بينى وبين نبيلة عبيد وكان اسم أشرف فهمى يأتى كثيرا فيه أن قلت لها ماذا اكتب عن علاقتكما وأنا المقرب منكما؟

فقالت نبيلة على الفور وبوضوح شديد اكتب زواج فنى بين نبيلة عبيد وأشرف فهمى واتصور أن هذا الكلام من فرط ذكاء بلبلة كما نناديها فهو زواج فنى نعم.. لأنه بين اثنين من كبار نجوم السينما تمثيلا وإخراجا والبعض قد يفهم منه علاقة فنية فقط والبعض الآخر يفهم المعنى الثانى وهو زواج بين اثنين من أهل الفن!..

وأعود لحوارى مع نبيلة عبيد وقولها لى كان هناك بعض الغيوم والعواصف بيننا أنا وأشرف فهمي.. وعندئذ قلت لها: هل كنت تغرقين؟!

قالت نبيلة عبيد: نعم كنت .. أغرق.. أغرق.. أغرق وانقذنى أشرف فهمى حيث كان سباحًا سينمائيًا ماهرًا وقائدًا للسفينة الفنية السينمائية التى أستقلها نحو القمة!

اغتيال الخلاف بين أشرف ونبيلة:

قلت لها ايضا فى هذا الحوار الدائر بيننا عام ١٩٨٧ تحديدا: إن تصفية الخلافات بينك وبين أشرف فهمى كانت خطوة مهمة لصالحكما معا ـ على الفور تعتدل نبيلة ـ : نعم فهذا الكلام صحيح ليس لأننى أحد طرفى الخلاف لكن لأن المخرج الكبير أشرف فهمى لا يبخل علىّ بكل إمكاناته الفنية المبدعة والواعية والمتمكنة من حرفية السينما وهذا لاشك من أنه لصالحنا ولصالح السينما والفيلم السينمائى فأشرف مبدع عظيم فى الاخراج السينمائى له رصيده الهائل من الأفلام السينمائية الموضوعية الجادة المتفوقة.

ولما قلت لها: معنى ذلك فإن اغتيال هذه الخلافات بينكما يمثل أمرًا بالغ الأهمية! و«الواقع أننى كنت اقصد الخلافات ليست فقط الفنية وإنما الاجتماعية كنت أحس بعلاقة إنسانية محترمة بين الاثنين نبيلة وأشرف، وأدرك تماما أن تصفية الخلافات بينهما لها مجالها

الاجتماعى والإنسانى أيضا على ضوء هذه العلاقة الخاصة المتميزة بينهما.«

ترد على نبيلة عبيد وهى تضحك ضحكتها الشهيرة من قلبها:

فعلا أنا سعيدة بزوال هذا الابتعاد بيننا لأن أشرف فهمى إنسان كما نعرف جميعا بالغ التأثير لدى الناس عامة وبالتأكيد لدى أنا أيضا بصفة خاصة!«

اغتيال نبيلة عبيد المفاجئ!

ومن المثير أن يأتى فيلم «اغتيال مدرسة» والمدرسة هى نبيلة عبيد.. بعد هذه الخلافات والمخرج بالطبع هو أشرف فهمى بعد الفراق والخصام وفى حوارى معها عام ١٩٨٧ ايضا قلت لها: لماذا يتم اغتيالك فى الفيلم ايضا الذى يقدمك فيه أشرف فهمى مرة أخرى فى سلسلة أفلامكما معا للسينما؟ وترد على نبيلة عبيد وقد اتسعت ابتسامتها:

اغتيال مدرسة هو اسم الفيلم الذى أمثل بطولته من إخراج اشرف فهمى بعد غياب طويل وهو دور مدرسّة تمارس عملها فى مدرسة مشتركة تجمع البنين والبنات وتقع مشكلة بين طالب «هشام سليم» وطالبة صابرين وأتدخل أنا من أجل إنهاء المشكلة.. لاقع فى مشكلة أكبر وهذا يؤدى إلى اغتيالى معنويا فقط لا غير!

وتؤكد نبيلة عبيد: لقد اعتذرت عن نصف دستة أفلام سينمائية من أجل التفرغ لاغتيالى معنويًا مع أشرف فهمي!..

وأنا لم أعد أقبل سوى الفيلم الذى يناسبنى وأبتعد تمامًا عن الفيلم الهابط وتضحك بلبلة وهى تضيف: رغم أن اغتيالى المعنوى فى اغتيال مدرسة هو أمر ضرورى طبقا لسيناريو الأحداث ومهم جدًا إلا أنه فى نفس الوقت رفع معنوياتى كثيرًا لمجرد العمل فى فيلم من إخراج الصديق أشرف فهمى وأتوقع أن يحصل هذا الفيلم على إحدى الجوائز السينمائية الكبرى فى المهرجانات القادمة.

وفى نهاية حوارى معها عاودت تساؤلى إليها: ما رأيك فى الحب! ووجدتها بلبلة فرصة لتجيب فقد فهمت ماذا اقصد من وراء هذا التساؤل قالت بسرعة: إن الحب شيء ضرورى للمرأة وهو سر من أسرار استمرارها فى الحياة فلا حياة بغير حب وأعترف أننى أحب.. ! ولكن من ؟!

هذا هو السؤال الذى لا أحب أن يوجه إلى فهذه هى حياتى الخاصة وهذه هى إرادتى فى أن أحب فى صمت دون ضجيج!

الرجل القادم الذى أحبه لابد أن يكون أكبر فى السن وأقدر فى المال!

مرت سنوات وفى عام ١٩٩٢ تحدثت إلى نبيلة عبيد مرة أخرى فى موضوع الحب كان الحديث الذى يتردد أيامها حول زواج نبيلة من شخصية ما يؤكده البعض وينفيه البعض الآخر، وهو على كل حال حديث معاد دائما بين فترة وأخرى فى حياة نبيلة عبيد.. تتردد الشائعة ولا ترد عليها نبيلة تتركها لمن يريدون الحديث، أما هى فإنها تحاول أن تكون هادئة لأنها- كما تقول- عندما تتزوج فهى لن تخفى ذلك لأن الزواج هو الشيء الوحيد الذى لايمكن إخفاؤه فالزواج ليس جريمة يخاف منها الإنسان مع ذلك يظل هذا الكلام يتردد!

تقول نبيلة عبيد: الناس تحب الفنان وهم عندما يحبونه جدا يبدأون فى الاهتمام بكل تفاصيل حياته ملابسه أكله، نومه، مرضه، عواطفه، أحلامه، أحزانه، كل شيء يتعلق بالفنان الذى يحبه يسأل عنه والفنان يغضب فى بعض الاحيان فهو يرى الشخصية ملكه هو وحده صاحبها مع أنه يجب أن يعرف أن حياته كلها لم تعد ملكا له، إلا فى حدود ما يحبه الناس منه لأنهم فى النهاية هم الذين أعطوه حبهم وأعطوه شهرته والشهرة ثمنها صعب هناك كثيرون يرون أن ثمن الشهرة هو مجرد عدم القدرة فى الخروج بشكل عادى مثل الناس، أبدا فالشهرة ثمنها حياة الفنان نفسه مقابل أن يحقق الشهرة ينبغى أن يتنازل عن حياته وهذه معادلة صعبة لكنها صحيحة ولذلك يهتم الناس بكل شئ فى حياته حتى عواطفه يعتبرونها ملكا لهم!..

الثمن الذى دفعته نبيلة عبيد:

نبيلة عبيد دفعت الكثير أمام شهرتها ونجوميتها فقد دفعت حياتها كلها ثمنا لهذه الشهرة فقد فضلت الفن على الزواج عندما اختلفت مع أول أزواجها عاطف سالم المخرج السينمائى الكبير، طلبت السينما وتنازلت عن الزواج ونبيلة فضلت الفن على الأمومة فهل كانت تستطيع أن تكون كأى واحدة أخرى تتزوج وتنجب أطفالًا وتتفرغ لبيتها وزوجها أو تعطى جانبا من حياتها للفن لكنها فى النهاية لن تحقق كل شيء كما حققت وحتى تستطيع أن تحقق نبيلة عبيد الفنانة المشهورة والمتألقة والمحبوبة فقد ملكت «معدة عصبية» تجعل حياتها عذابا فهى لا تستطيع أن تعيش كالاخريات ولا تأكل مثلهن..! دفعت كثيرا ولكن هذه هى ضريبة الشهرة.

زواج نبيلة عبيد المثير!

نبيلة عبيد تزوجت مرة أو مرتين الله أعلم، عام ١٩٩٢ قالت أنا تزوجت مرة وارتبطت مرتين لكن فى كل مرة كان الارتباط لا يصل إلى النهاية وهى لا تستطيع أن تعلن ارتباطها فى كل مرة لأنه لا يكون الخطوة الاخيرة إلى البيت فهى تريد أن تتأكد من أن ما تفعله هو الصحيح وتتدخل الأمور، أو الظروف ولا يكتمل الارتباط مع ذلك يظل الزواج قضية مهمة فى حياة نبيلة عبيد عندما يسألونها عن نقطة ضعفها تقول «ماما». ملاحظة مهمة: نبيلة كان ارتباطها بوالدتها يرحمها الله غير عادى كانت كل حياتها.. تحبها حبًا جمًا وتعيش معها بشكل دائم.

وكانت نقطة الخلاف الرئيسية بين النجمة الكبيرة نبيلة عبيد وأمها هى «الزواج» فالأم تريد أن تطمئن على ابنتها والإبنة مشغولة بحياتها الفنية.. تريد أن تحقق نبيلة الأحلام التى حلمت بها يوما عندما كانت تلميذة فى كلية البنات القبطية وهى مدرسة ثانوية وليست كلية تتبع جامعة. تركت الدنيا وذهبت للسينما وكان عليها أن تقاتل حتى تحقق وجودها!

ومن الطريف أن كان معها فى نفس الكلية والمدرسة الفنانة نجلاء فتحى والمذيعة التليفزيونية والغنائية أيضا نجوى ابراهيم ومعهما نبيلة يكتمل ثلاثى حرف النون نبيلة.. ونجلاء.. ونجوي.

ونعود لنبيلة، كان عليها أن تقاتل فنيًا ويجب أن تتفرغ لقتالها وهذا ما حدث، نست نفسها وظلت تذكر النجمة نبيلة عبيد.

أخيرًا كان لابد أن تصل إلى حقيقة لقد حققت وجودها يبقى أن تحقق هدوءها أن يكون لها بيت وزوج وأولاد وهذه هى الحقيقة التى فكرت فيها نبيلة ايضا ولكن لم تركن إلى غير هذا التفكير.. عندما قالوا لها:

متي؟! ضحكت ولم ترد!

تركت الحكاية معلقة ولهذا بدأ الكلام.. لكن وكما تقول هى .. يوم أن يصبح ذلك حقيقيا فلن اخفيه لأن الزواج ليس عيبا ولا يمكن أن يختفى أو نخفيه مع سبق الاصرار ثم إنها لا ترضى أن تعيش مع زوج فى السر!!..

هذا الكلام قالته نبيلة عبيد فى اغسطس ١٩٩٢ أى مضى عليه ما يقرب من العشرين عاما بالتمام والكمال.. كانت فى أوج الشباب والحيرة والآن هى فى مرحلة

النضج الأنثوى الجميل ولاشك تتمتع فيها بالاتزان وتأخذ قراراتها بتأن وموضوعية.. ولكن هي - هل نفذت كل ما قالته من قبل وأنها لا ترضى أن تعيش مع زوج فى السر!..

وزير الثقافة العاشق لنبيلة عبيد:

حيث ربطت الشائعات الكثيرة حول النجمة الحسناء «نبيلة عبيد».. وأبرزها كانت شائعة قصة الحب الكبيرة التى ربطت بين أحد وزراء الثقافة المشاهير وبين نبيلة عبيد، وقيل إنه غرق فى حبها عاشقًا لأنوثتها مولعًا بغرامها، لا يستطيع البعاد عنها..! وكانت القصة تتداول سرا فى الأوسط الفنية والاجتماعية والسياسية.. وبطلتها نبيلة عبيد والوزير المثقف العاشق ولم تعد تحظى بالسرية بعد ذلك حيث نشرت فى بعض الصحف والمجلات فى أخبار مثيرة تشير إلى العلاقة بين النجمة الحسناء والوزير المثقف العاشق، واستمرت هذه الشائعة تنمو وتنمو وتنمو وتتطور حتى قيل إنهما قد تزوجا عرفيا بالفعل!..

ولم يحدث نفى قوى لهذه الشائعة أيامها مما جعلها وكأنها حقيقة تجاهلها الجميع، حيث يتمتع الوزير العاشق بأخلاق طيبة وسمعة مرموقة وتتمتع النجمة الحسناء بحرصها على مكانتها الكبيرة فى ربوع المجتمع المصرى وظلت علامات الاستفهام تتراقص وكنا عندما نوقف تراقص إحدى هذه العلامات المتراقصة، تزداد العلامات الأخرى تراقصًا وكان التساؤل الصعب: هل تزوج الوزير العاشق من نبيلة عبيد..؟! هذه القصة، وهذه الشائعة.. وهذا التساؤل.. لا شك سترد تفصيلًا عليه نبيلة عبيد فى مذكراتها المرتقبة!

وكان المجتمع المصرى الذى يحب نبيلة عبيد يقارن أيضا بين قصة فيلم «الراقصة والسياسي» بطولة نبيلة عبيد.. وبين قصة الوزير العاشق وبطلة القصة أيضا هى النجمة الحسناء نبيلة عبيد، وان كانت فى الأخيرة، قصة واقعية ولم تكن قصة وسيناريو وحوار أحد الكتاب، وكعادتها تجاهلت النجمة الكبيرة القصة وما فيها وأيضا الشائعة سواء كانت حقيقية أم محض خيال الناس والذين أطلقوها.. لم تهتم بها على الاطلاق، بل ربما قالت فى نفسها: اتحدى أن يأتى إنسان بأى شائعة فى حياتى الفنية والشخصية فإذا كان هذا الوزير يحبنى ويرتاح إلى وينجذب إلى أنوثتى فما ذنبى أنا فى ذلك..؟ ما دخلى أنا فى هذا؟!

فهل كان حب وعشق وغرام وزير الثقافة الشهير لنبيلة عبيد من جانب واحد!..

هل لم تبادله النجمة الحسناء هذه المشاعر على الإطلاق..؟

أعتقد أن مذكرات النجمة الكبيرة نبيلة عبيد المرتقبة سيكون فيها بكل تأكيد الاجابة الوافية حول هذا الموضوع خاصة أنه ليس فى هذه القصة ما يسيء الى نبيلة عبيد على الإطلاق.. فهذه مشاعر وعواطف يحس بها أى إنسان تجاه الآخر من زاوية معينة وأيضا فهذا الوزير العاشق رجل بمعنى الكلمة حتى يعرفه الجميع، لم تطلق عليه يوما شائعة من أى نوع تمس رجولته أو تمس نزاهته أو تمس كرامته.. وبالتالى ليس فى علاقته التى أكدتها الشائعة الكبرى مع نبيلة عبيد ما يسيء إليه هو الآخر!

المستشار السياسى للرئيس

هل تزوج بالفعل النجمة نبيلة عبيد عرفيا!؟

استمر مسلسل الشائعات الكبرى يطارد نجمة مصر الأولى كما يطلق عليها نبيلة عبيد وهذه المرة ربطت الشائعات بينها وبين الرجل المهذب والسياسى البارع الرائع الدكتور أسامة الباز شخصيا وقيل إن الرجل ارتبط بالفعل بزواج عرفى مع الحسناء نبيلة عبيد لمدة تسع سنوات بالتمام والكمال..وبدأت فى الفترة الاخيرة خاصة بعد خلع الرئيس الذى كان مستشاره السياسى يهيم حبا فى نبيلة عبيد!


الإذاعة والتليفزيون
21 سبتمبر 2013 - العدد 4097
الفنانة والسياسى
لأول مرة.. نبيلة عبيد تعترف:
اتجوزت أسامة الباز بموافقة مبارك

٩ سنوات من الزواج السرى قضتها النجمة الكبيرة نبيلة عبيد فى كنف السياسى المحنك أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس المخلوع مبارك جمعتهما مواقف وذكريات لا تنسى

تقول نبيلة عبيد: تلقيت خبر وفاة أسامة الباز، المستشار السياسى للرئيس الأسبق حسنى مبارك ، ببالغ الحزن والأسى، وكنت أعلم تعرضه لوعكة صحية منذ ٩ أيام ، تطلبت دخوله إلى المستشفى، كنت أتمنى زيارته لكننى أجلت تلك الزيارة لما بعد عودتى من لبنان لكن القدر لم يمهلنى ، ووصلت إلى القاهرة يوم الأحد الماضى مساء أى بعد وفاته بحوالى يوم كامل مما أزعجنى وكان الخبر صعبًا على.

وعن الدكتور أسامة الباز تقول نبيلة : كان رجلًا حكيمًا ، تعلمت منه الكثير أثناء زواجنا ، فكان رجلًا عاقلًا جدًا ، وشخصية وطنية من الطراز الأول والرفيع ، فهو كان يقدم مصلحة الوطن على مصلحته الشخصية ، بل وضع نفسه تحت خدمة وطنه والناس.

وأضافت «عبيد» : أتمنى أن يصبرنا الله جميعا على فراق هذا الرجل الطيب والمحترم ، الكبير فى كل شيء.

وعن فترة زواجها قالت نبيلة : استمرت فترة زواجى من (أسامة) ٩ سنوات أعتبرها من أهم وأجمل سنوات حياتي، تعلمت خلالها أشياء كثيرة ، وكان بالنسبة لى معلمًا ، وكنت تلميذة فى مدرسته خاصة فيما يتعلق بكيفية إدارة شؤون حياتى بطريقة صحيحة ، وكيفية الوصول إلى حلول مباشرة للمشاكل التى تواجهنى ، وبصراحة كنت وسأظل فخورة بهذا الرجل ، وبزواجى منه .

وتستطرد نبيلة : تعلمت من الراحل الدكتور أسامة الباز قيمًا جميلة أهمها التسامح ، كل الأشياء الجميلة تعلمتها وأى فضل فى استمراريتى حتى الآن يعود لهذا الرجل بعد الله سبحانه وتعالى فهو كان ناصحًا أمينًا وصديقًا حقيقيًا بالإضافة إلى زوج رائع وطيب ومحترم ، ومهما قلت عنه فلن أعطيه حقه فهو بالنسبة لى كان السند الحقيقى فى حياتى.

ومهما حكيت لك عن مواقف وذكريات مشتركة جمعتنى به طيلة السنوات التسع التى قضيتها لن أعطيه حقه فهو كان مثالًا للشخصية المعطاءة والمتسامحة ، وفوق كل ذلك الوطنية المخلصة والمحبة لكل حبة تراب لهذا الوطن .. تقدر تقول: « مالوش زي» .

وتتابع نبيلة : كان «الباز» شخصية حكيمة بمعنى الكلمة ، فأثناء زواجنا لم يبخل

لحظة على بإعطائى التوجيهات والنصائح التى ساعدتنى كثيرًا على الاستمرار فى الوسط الفنى وأصبح اسمى « نبيلة عبيد » .

تختتم نبيلة كلامها: أنا فى منتهى الحزن على رحيل قامة سياسية وطنية مصرية اسمها أسامة الباز ، ونفس الوقت حزينة على وطنى مصر بقالى ٣سنين فى منتهى الحزن كما أن وضع البلد لا يحتمل سرد ذكرياتى وحكاياتى مع الباز المعلم الأول بالنسبة لى.

وتؤكد: زواجى من الباز كان على مرأى ومسمع من رموز النظام السابق وعلى رأسهم الرئيس الأسبق حسنى مبارك .

وعن أسباب طلاقهما قالت : هذه أمور شخصية لا أريد الإفصاح عنها لأنها لن تفيد أو تضر لأن الطرف الثانى فيها رحل عن عالمنا ، ويكفى أنه كان خارج أسوار طرة ولم تتم إدانته فى أى قضية من قضايا الفساد التى كشفت عقب الثورة (*) .



(*) أشرف شرف : الإذاعة والتليفزيون – العدد ٤٠٩٧ـ السبت ٢١ سبتمبر ٢٠١٣م.



هل كانت لديه روشتة سياسية لحل مشكلات مصر بعد الأحداث الأخيرة ؟

هو كان يتوقع أن الأمور ستطول حتى تستقر البلاد بشكل مرضى على المستوى الاقتصادى والسياسى وربما تصل إلى ١٥ عاما ، وكان يرى ضرورة إحداث توافق وطنى وأن يكون هدفهم الوحيد استقرار مصر بعيدًا عن الأمور الشخصية ، وكان يرى أن الأمر يتطلب أن تكون البلاد تحت قيادة عسكرية لمدتين رئاسيتين لعلاج المشكلات الأمنية والاستقرار والتمهيد لحكم مدنى

- **د. أسامة الباز كان بسيطا و يتردد أنه كان يذهب الى العمل أحيانا بالمترو ووسائل النقل العامة فهل تم تهديده لمواقفه السياسية ؟**

فى البداية كنت أخاف عليه لأنه تم تهديده من جماعة ارهابية دولية وطمئننى قائلا: "متخافيش " ، لأن الانسان المؤمن بالله لا يخشى من شيء ، وأن الحراسة لا تمنع القدر، وقبل ١٠ سنوات كنت أنزل معه لميدان التحريربحكم أن مكتبه كان هناك ، وكان يتجول بالشارع ويشترى من الباعة ويلمع حذائه ، وكان بسيطا و يحب التعامل مع الناس.

- **فى السنوات الاخيرة اختفى د. أسامة عن الأنظار ولم يظهر فما السبب ؟**

من المعروف أنه تم استبعاده فى السنوات الاخيرة من الرئاسة بمعرفة المجموعة المحيطة بالرئيس الأسبق مبارك وأمانة السياسات .

- **لماذا ؟**

لأن المطبخ السياسى كان به مؤامرات وترتيبات كثيرة ولأن آرائه الصريحة والواضحة كانت تثير استياء البعض ممن يرغبون فى التطبيل للنظام فتم عمل وشايات أدت لاستبعاده لأنه كان يعمل لمصر وليس للنظام.

- **استبعاده تم بشكل مباشر أم ماذا ؟**

تم استبعاده من خلال سحب ملفات العمل ، ولم يجد عمل حقيقى يقوم به.

- **هل كانت نصائحه تلقى آذانا صاغية ؟**

د. أسامة كان ينصح دائما فى كل الاتجاهات ، ولكن النصائح لم تكن تروق للبعض وكل ماقاله وحذر منه تحقق.

- **د. أسامة اعتبروه من الحرس القديم وأنه كان ضد التغيير فما تعليقك ؟**

لم يكن من الحرس القديم لأن أفكاره كانت تسبق عصره لعقله وحكمته و لكن كلمه الحرس القديم كانت تطلق على الشخص الذى يريدون إبعاده والتخلص منه.

- **هل كان الراحل يدعم فكرة التغيير الديمقراطى والدولة المدنية الحديثة ؟**

بالطبع كانت له أفكار ورؤى وأول من دعم الفكر الديمقراطى ووضع الخطط وأول من نادى بالحريات ودعم الشباب وكان يتعاون مع د.سعد الدين إبراهيم فى وضع الخطط والرؤى الحديثة لمستقبل مصر ، ولكن تم وقف ذلك من قبل لجنة السياسات فى ٢٠٠٥م للتمهيد لتسليم جمال مبارك لحكم مصر

- **هل كان يعارض مشروع التوريث ؟**

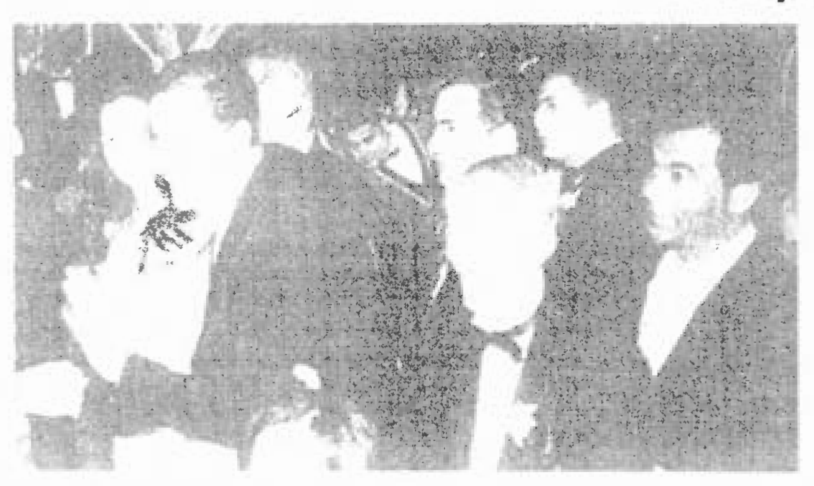
كان يعارض مشروع التوريث بشدة وأعتقد أن ذلك كان سبب استبعاده من الرئاسة.

- **كيف كان يتعاون مع د.سعد الدين ابراهيم المغضوب عليه من نظام مبارك حينها ؟**

هذا كان فى مرحلة قديمة قبل سجن د.سعد وقبل إنشاءه مر كز ابن خلدون.

- **من هم أصدقاء د. أسامة المقربين الذين حرصوا على زيارته؟**

أصدقاؤه المقربين د.نبيل العربى ومحمد شاكر ومصطفى الفقى ومعظم تلامذته بوزارة الخارجية وزاره فى الفترة الأخيرة السيد عمرو موسى وصفوت حلمى ود.أسامه سليمان ومحمد فريد خميس ود.إبراهيم كامل والفنانة يسرا ومحمد هنيدى والعديد من الشخصيات العامة.





42 أسامة الباز ونبيلة عبيد.. أسرار تنشر لأول مرة عن الزواج الأسطورى



نبيلة عبيد وأسامة الباز..
«القصــة الكــاملة»





أكتوبر ٢٠١٣ - مجلة كلام الناس - العدد ١٠٢٥ - صابر العسيلي


رغم «الزهايمر» لم ينس حبه لها:



قضت نبيلة عبيد مع أسامة الباز أجمل سنوات عمرها، فما هى حقيقة اللحظات الفاصلة التى جمعت بينهما كزوج وزوجة ؟ وما هى الضغوط والتحديات التى واجهتها لإجهاض الحب والاستسلام للأمر الواقع والقبول بالطلاق؟ هذه هى القصة الكاملة بلا زيادة أو نقصان.

عملت فى جريدة «القمة» فى مطلع التسعينيات، وكان مقرها فى ثكنات المعادى إلى جوار بيت أسامة الباز، حيث يمكن أن أراه فى اليوم مرتين يجوب شاع ٩ الهادى ويركب المترو، كان يتحدث إلى الركاب بكل شفافية وتلقائية، ولديه قدرة على استيعاب الشعب المصرى كله، وأذكر أنه ظل واقفًا فى ندوة بمعرض الكتاب لمدة ساعتين يتحدث عن مخاطر السلاح النووى الإسرائيلى على المنطقة العربية، وأمامه عشرة آلاف شاب يحاورهم ويرد على أسئلتهم. والكل سكوت، ولا صوت إلا صوته يدوى فى أرجاء المكان إلا أن تردد حكايات عن زواجه من نبيلة عبيد فى ذلك الوقت كان صدمة للبعض، ومفاجأة للبعض الآخر، فقد تسربت المعلومة، ولم يكن أحد يملك أن ينفيها أو يؤكدها ولكن الآن بدأت خيوط العلاقة تتضح للجميع وفكت نبيلة عبيد عقدة لسانها بعد وفاة أسامة الباز، لتكشف أسرارًا تم التحفظ عليها لأكثر من ٢٠ عامًا، ليس هذا فحسب بل هناك الكثير من أصدقاء الطرفين صاروا أكثر جرأة، وبات من السهل التعرف على أجواء قصة الحب بين الفنانة والسياسي، وكيف بدأت وإلى أين انتهت مع العلم بأن ليس كل ما يعرف يقال، فهناك أمور أخرى لا يمكن التحدث عنها لأنها تخص أصحابها فقط، وكثيرمن سيرالفنانين تحفل بالخطوط الحمراء، وقد أتاحت الظروف لى أن ألتقط خيطًا رفيعًا يكشف خفايا هذا الزواج من خلال حديث عابر خرجت منه بشيء مهم وهو لو أن رجلين اختلفا فسوف تكون بينهما امرأة ورابعهم الحب.

شهادة حق:

لم تكن علاقة نبيلة عبيد وأسامة الباز مجرد نزوة أو محاولة للتمسك بالحب فى ظل ضغوط سياسية واجتماعية وعالم مليء بالضباب. بل كانت العلاقة تعبر عن ارتباط حقيقى وزواج شرعى امتد لأكثر من تسع سنوات، فمنذ بداية فترة التسعينيات فى القرن الماضى وهذا الزواج مثار جدل بين أوساط المثقفين إلا أن الجميع كان يخفى من الحقيقة أكثر مما يعلن ربما حرصا على علاقته بمستشار الرئيس مبارك أو تجنبا للخوض فى

قصة حب الفنانة والسياسى الأغرب من الخيال .

التقيت فى الأسبوع الماضى بأحد أصدقاء أسامة الباز ونبيلة عبيد وكان شاهدًا على قصة حبهما، وقال لى : إنه اتصل بها هاتفيًا ليقدم لها واجب العزاء بعد عودتها من بيروت ، وأنه يعرف مدى حزنها على وفاة أسامة الباز، لم يشأ أن يقلب فى الدفاتر القديمة ، بل اكتفى بأن يتطرق إلى بعض الذكريات .

وسألته عن جذور العلاقة بين الفنانة والسياسى فقال : إن أسامة الباز كان سياسيًا بقلب شاعر، وإحساس فنان حيث يرى فى المرأة الجميلة روح الحياة ، وقد التقى نبيلة عبيد صدفة فى إحدى المناسبات فقد كان حريصا على التواجد فى الحفلات العامة والأنشطة الفنية والثقافية ، ولا يترك عرضًا مسرحيًا ولا أوبريت فى الأوبرا إلا ويحضره ، بالإضافة إلى حفلات الموسيقى العربية ، وقد وقعت نبيلة عبيد تحت تأثير شخصيته الجذابة وعذوبة حديثه وقدرته على التحليل والإقناع وتوطدت العلاقة بعد ذلك حيث جمعت بينهما اللقاءات حتى تم الزواج فى إطار من السرية التامة حرصًا على الخصوصية ، وبعيدًا عن أسهم المعارضة وهجوم وسائل الإعلام ، والتى كانت تتربص برجال مبارك ، وتتصيد المواقف الغامضة للفنانات.

زواج على سنة الله ورسوله:

واعترف صديق أسامة الباز ونبيلة عبيد بشيء مهم وخطير، مؤكدًا أن زواجهما لم يكن عرفيًا أو سريًا ، بل كان زواجا على سنة الله ورسوله ، وأن شخصية الباز القوية كانت تتحدى الجميع لإتمام هذا الزواج ، فلم يخضع لأية محاولات تهدف لإثنائه عن الارتباط بنبيلة عبيد ولم يسمح لأحد بأن يتدخل فى حياته الشخصية مهما كان حتى لو كان ذلك مبارك نفسه ، وكنت أقول له : أنت فارس مغوار ، فقد انتشر نبأ هذا الزواج فى الوسط الفنى على الأقل فى محيط الزملاء والأصدقاء إلا أن ذلك قد أثار نوعا من القلق داخل مؤسسة الرئاسة المصرية خوفا من اختراق الفنانة للملفات مهمة وحساسة كان يتولاها الباز وعلى رأسها القضية الفلسطينية واستكمال مفاوضات السلام مع إسرائيل ، وهذا ما جعل الرئيس مبارك نفسه غير راض عن هذا الزواج ، بل يرفضه رفضًا باتًا، وقد أبلغ أحد السياسيين وكان مديرًا لمكتبه بضرورة نقل هذه الرسالة إلى أسامة الباز، وبالفعل تم ذلك فى غضون ساعات ، إلا أن الباز قد رد على مدير مكتب الرئيس مبارك ردًا حاسمًا

وقويًا مؤكدًا أن الزواج شأن شخصي ولا علاقة لأحد به وحتى لا يتحول الأمر إلى أزمة تم التغاضي عن المشكلة برمتها لينمو الحب في الخفاء، وفي ظل تعتيم تام .

يقول صديق أسامة الباز ونبيلة عبيد: إن تجربة الزواج قد تعرضت لضغوط كثيرة ومضايقات أكثر حتى أن إحسان عبدالقدوس قد ألف قصة الراقصة والسياسي من وحي هذه العلاقة[*] ، وقد نشرها في جريدة الأهرام على حلقات ، وهذه القصة قد تحولت إلى فيلم شهير، قامت ببطولته نبيلة عبيد نفسها، حيث تبرز مشاهده تدخل جهات عليا في إفشال هذا الحب ، فما غاب عن عيون الحقيقة ، قد كشفته السينما ملا مواربة ولا ادعاء.

•• أما اعترافات نبيلة عبيد نفسها فتفجر حقائق غائبة طال انتظارها ، حيث وضعت النقاط فوق الحروف وأغلقت الباب أمام الآراء والاجتهادات والشبهات حيث تقول : ربما أتذكر الآن تلك اللحظات الفاصلة التي أدخلتنا معا في قالب واحد لنكون زوجا وزوجة ، وهنا أعترف بأنني لم أسع إلى هذا الزواج لكونه مستشارًا للرئيس مبارك أو لأنه رجل سلطة ونفوذ، فقط تزوجته لأنني أحببته وأحبني.. فأنا لم أجن من حبه لي ربحا ولم أحقق من حبي له ثروة ولا جاها، أحببته واكتفيت وأحبني وكان حبه لي هو أجمل حب في حياتي.. أعود بالسنين إلى الوراء فأتذكر فواصل ومشاهد شهدت على قصة حب جمعتنا على مدار تسع سنوات ، فأذكر كيف كان معلمي في الحياة والذي تعلمت منه أشياء كثيرة وأذكر أنه كان أستاذي الأول ، وكنت أنا أولى تلميذاته ، أتذكر كيف علمني أن أدير شؤون حياتي بطريقة صحيحة وكيف أفكر لأصل لحلول مباشرة لأي مشكلة تواجهني في الحياة أو في عملي وكيف أواجه الصعاب والأزمات ، أذكر أنني تعلمت منه الالتزام والدقة في الاختيارات أذكر كيف جعلني ملكة متوجة حين علم الرئيس مبارك بأمر زواجنا ، واتصل بالدكتور مصطفى الفقي ، وسأله: هل تزوج أسامة بالفعل من نبيلة عبيد؟ فأجابه الفقي: بأننا تزوجنا بالفعل ، وعندما أنهى مقابلته مع مبارك اتصل بأسامة وكنت في هذه الأثناء أجلس إلى جواره . فحكى له ما دار وإذا بأسامة يرد عليه حسنا فعلت فلو لم تقل له الحقيقة لغضبت منك طوال حياتي ، وبعد ثوان عاد ليؤكد عليه إنها

[*] إحسان عبد القدوس انتقل إلى رحمه ربه قبل وجود هذه العلاقة بين أسامة الباز ونبيلة عبيد، ووفاته كانت يوم ١١ يناير ١٩٩٠ ، والقصة كتبها قبل وفاته بسنوات..!!

المرأة الوحيدة التى أحببتها ، وهنا انتابنى شعور غامر بالسعادة ، وبدأت أشعر بأننى أملك هذا الكون ، فأنا المرأة الوحيدة التى أحبها هذا الرجل ، الذى كان هو الآخر الوحيد الذى أحببته .

إلى هنا انتهت شهادة نبيلة عبيد ، لكن القصة لم تنته فقد كان السياسى والفنانة على موعد مع صراع درامى كبير وتحالف أكبر من إجهاض حب وزواج استمر لأكثر من تسعة أعوام بدءا من مناورات إعلامية تلوح بكشف المستور، ومرورًا برسائل موجهة نقلها أحد المسؤولين البارزين إلى نبيلة عبيد ، والذى قال لها: حاولى أن تقنعى أسامة بالانفصال عنك لأن استمرار زواجه بك سوف يؤثر على مستقبله السياسي.





مستشار الرئيس فى بيت نجمة مصر الأول

أسامة الباز ونبيلة عبيد..

أسرار

تنشر لأول مرة عن الزواج الأسطوري

فى رحلة الشهرة أو الأضواء أحاط بالنجمة نبيلة عبيد معجبون بلا حصر.. رجال ذو حيثية فى كل المجالات أثرياء وسياسيون ورجال أعمال وأصحاب مناصب تمنوا رضاها، وعرضوا ثرواتهم ونفوذهم عليها، وكثير منهم عرض عليها الزواج رسميًا، وكانت الإغراءات تدير الرؤس، وتطير العقول، لكن من بين كل الرجال الذين مروا فى حياة نبيلة ، إعجابا وزواجا.. لا يوجد إلا رجل واحد ترك بصمته على قلبها.. أحبته بصدق، ورات فيه نموذج الرجولة التى طالما حلمت به، ومنحته أجمل سنوات عمرها ، وعاشت معه تجربة الحب الحقيقية فى مشوارها ، ولذلك كان حزنها عليه عميقًا ، ولا تكاد تصدق أنه رحل عن عالمنا وعالمها!

جاءت نبيلة عبيد من بيروت قبل ساعات ، لتقطع رحلتها وتعتذرعن كل ارتباطاتها، لتشارك فى وداع حبيب العمر•... أسامة الباز عميد وأمير الدبلوماسية المصرية المتوج والرجل الذى لعب دورا مهما فى سنوات حكم مبارك!

نبيلة فى حالة حداد صامت موجوعة .. حزنها مضاعف ، لأن أسامة رحل فى ظرف قاس والوطن فى محنة ، والبلد تعيش تجربة مرة فى مقاومة جماعات الظلام وعصابات الإرهاب .. منذ أكثر من عامين وهى تعيش على أعصابها، تتابع المشهد السياسى ، وتراقب فى مرارة وإحباط بلدها المختطف ، وشعبها المغلوب على أمره .. حكت لى بصوت مشروخ أن حارس العقار الذى تسكن فيه طلب مساعدتها لتوصية على ابنه المطلوب لأداء الخدمة العسكرية ، فانفجرت فيه : ابنك لازم يدخل ويؤدى واجبه .. محتاجين رجالة تروح تحارب الإرهاب .. الوطن أهم .. كلنا لازم نبقى جنود.. ورغم حالتها النفسية فإنها تحاملت على نفسها ونزلت إلى الشارع مع الحشود التى نزلت ملبية دعوة الفريق السيسى .. وما إن شعرت بقليل من الارتياح بعد زوال كابوس الإخوان ، حتى جاء رحيل أسامة الباز ليجدد حزنها ويضاعف آلامها.. شعرت كأن يدا غليظة امتدت إليها لتنتزع قلبها .

فى شجن تحكى نبيلة عن الرجل الرائع الذى أحبته وتزوجته وتعلمت منه الكثير.. عن أسامة الإنسان حبيب البسطاء، الذى لم يشعر يوما بغرور فى منصبه ولا نفوذه السياسى، وكانت أجمل لحظاته هى تلك التى يقضيها بين الناس ومعهم ، يركب المترو، وينصت لأحاديث البسطاء، وأجمل طعامه هو ذلك الذى يتناوله فى مطاعم الفول والطعمية الشعبية ولم يكن يخجل من أن يعزم أصدقاءه من كبار المسؤولين فى مطعم (التابعى).. كان نموذجًا فريدًا من البساطة والرقى لن يتكرر.

تزوجته نبيلة لتسع سنوات متصلة فى سنوات التسعينات . . كان كثيرون يعرفون بأمر هذا الزواج بما فيهم الرئيس مبارك نفسه . . الثابت أن أسامة الباز اتخذ قراره بالزواج من

• لم يتعرف الدكتور أسامة الباز على نبيلة عبيد وحسب المنطق سوى عدة سنوات هي التي تقول عنها نبيلة عبيد وبالتالي لا يمكن القول أن أسامة الباز كان حبيب عمر نبيلة عبيد..!!

نبيلة دون أن يستأذن أحدا ، أسامة ماكانش من النوع اللى بيستأذن حد فى حياته الشخصية كما وصفته نبيلة . . أو أنه الرجل الوحيد الذى عمل مع مبارك بشروطه هو وليس بشروط الرئيس كما وصفه تلميذه مصطفى الفقي، ولما وصلت لمبارك معلومات متناثرة عن علاقة أسامة ونبيلة ، فإن مبارك سأل مصطفى عن الحقيقة ، فأخبره بأنها علاقة زواج ، ولما عرف الباز بما دار قال : لوكنت قلت حاجة تانية كنت هزعل منك ، ولذلك فليس صحيحًا ما يشاع من أن مبارك غضب من زواج أسامة ونبيلة ، وأن هذا الغضب كان سببًا فى خروج أسامة من مؤسسة الرياسة وتقليص صلاحياته ونفوذه ومكانته لدى مبارك . . فالحقيقة أن مبارك لم يمانع فى الزواج ، وكانت مؤسسة الرئاسة تتصل بأسامة فى منزل نبيلة وقد كان يقضى لديها عندها ثلاثة أيام من كل أسبوع . . أما خروج أسامة من نظام مبارك وتحويله إلى منصب شرفى كمستشار للرئيس ، فكان سببه أن الباز لم يكن متحمسًا لفكرة توريث الحكم لجمال مبارك . . صحيح أن الباز تولى لفترة مسؤولية التثقيف السياسى لجمال ، قطع شوطا فى إعداده وتجهيزه فكريًا وسياسيًا ، إلا أن السيدة سوزان لم تكن مرتاحة ، وترى أن الباز غير مقتنع بما يقوم به ، وأبدت أكثر من مرة اعتراضات علنية على الطريقة التى يتعامل بها الباز مع الوريث ، فقد كان يتباسط معه بحكم فارق السن والخبرة ويناديه باسم التدليل (جيمى) ، هى أمور كانت كفيلة باستبعاد الباز ، والاستعانة بمن رأت فيه الهانم أنه أكثر استعدادًا وحماسا واقتناعا بالمهمة الحساسة . . "د. على الدين هلال"!

احترمت نبيلة حساسية وضع ومكانة وظروف أسامة ، رغبته فى عدم إعلان زواجه منها . . حبها الخالص له جعلها تقبل بهذا الوضع . . كان يكفيها أن يكون بجانبها ، تتعلم منه الحياة وتنهل من ثقافته وعلمه . . تجربة شبيهة مع بعض الفروق بما حدث بين النجمة الأسطورية الهوليودية الساحرة مارلين مونرو والكاتب المسرحى والمفكر الأمريكى الأشهر آرثر ميللر . قصة الزواج بين الجمال والفكر . . قصة ارتباط الفتنة بالعقل . . قصة الحب الناضر بين الفن والثقافة !

كانت تناديه (بابى) وكان يناديها (كتكوت بابى)، وكان يسعد بهذا التدليل .. فى الحقيقة لم يكن مجرد تدليل أنثوى من باب الغواية .. كانت نبيلة صادقة فى اختيار لقب تحس به .. فقد فقدت والدها فى سن مبكرة ، وافتقدت معه حنان الأب .. حنان لم تعرفه

إلا بعد ارتباطها بأسامة الباز.. كان لها الزوج والأب .. ومنه تعلمت وتفتحت مداركها على أمور وثقافات لم تكن لتعرفها بدونه .. كان أسامة موسوعة ثقافية متحركة ، حتى إن كثيرين كانوا يعتبرونه وزير الثقافة الحقيقي، ومنهم من كان يداعبه ويرشحه لتولى وزارة الثقافة المصرية .. وربما لايعرف كثيرون أن الباز فى عز ارتباطاته ومشاغله لم يكن يترك معرضا للفن التشكيلى إلا ويذهب إليه .. أوفيلما سينمائيا إلا ويذهب لمشاهدته مع الناس فى صالات العرض .. وربطته صداقات واسعة بالوسط الفنى، وكان الزعيم عادل إمام من أقرب أصدقائه .

عاشت نبيلة معه ٩ سنوات .. لكن يبدو أنه كان هناك من يدبر ويخطط لإفشال وإفساد تلك العلاقة ويسعى بإصرار إلى تدميرها.. حدث الانفصال .. تعددت الأسباب والروايات .. من الصعب أن تحصل من نبيلة على إجابة محددة واضحة شافية لأسباب انفصالها عن أسامة الباز.. هى أصلا لا تعترف بهذا الانفصال .. ظلت جذوة المحبة فى قلبها لم تنطفىء .. وهوكذلك .. كادت دموعها تخونها عندما حكت لى عن اللقاء الأخير الذى جمعهما.. كان قبل رحيله بفترة وجيزة وبعد أن تمكن منه المرض وضربه الزهايمر.. فوجئت نبيلة بمن يتصل بها راجيا منها أن تسمح للدكتور أسامة أن يزورها بناء على طلبه قال لهم بدون مقدمات : ودونى عند نبيلة .. .جاء .كطفل وديع وجلس معها فى الصالون .. كانت آخر أمنياته أن يراها.. لما سألت طبيبا متخصصا فيها بعد شرح لها أن مريض الزهايمر يشعر أحيانا بحنين ورغبة عارمة فى زيارة الأماكن التى ارتبط بها وعاش فيها لحظات سعادته .. دخل بعدها أسامة إلى دار الفؤاد، ليرقد فيه نحو أسبوعين لتتفاقم حالته ويودع الحياة .

لاتصدق نبيلة أنه رحل .. صحيح أنه ابتعد فى السنوات الأخيرة ، وأصبحت له حياة أخرى وزوجة جديدة* .. لكن العلاقة الروحية لم تنقطع كانت تتابع أخباره عن بعد وتطمئن على صحته عبر أصدقاء مشتركين ولما سقط نظام مبارك ، وذهب رموزه إلى السجن ، وكانت هناك هوجه بمحاكمة الجميع ، العاطل بالباطل ، المسىء والبرىء كانت تضع يدها على قلبها أن يزجوا باسم أسامة فى القضية ، هى تعلم تماما أنه لن يتحمل ليلة

* الزوجة لم تكن جديدة بل هي شريكة حياته وحبه الحقيقي وهي المذيعة التليفزيونية الشهيرة السيدة أميمة تمام.

واحدة من الاعتقال .. يمكن أن يطب ساكتا لو وضعوا يده فى الكلابشات أو شوهوا سمعته .. لقد عاش عمره زاهدًا مخلصًا لهذا البلد وخدمه بعمره، وخرج من السلطة بلا ثروة بلا جاه .. فقط سمعته .. وما كان ليسمح لأحد أن يلوث هذه السمعة التى عاش حياته محافظًا عليها.. هى كل حيلته من الحياة وليس لديه غيرها!

يعرف تاريخ الدبلوماسية المصرية رجلًا نابغًا اسمه أسامة الباز.. لعب أدوارً مهمة خلال عهدى السادات ومبارك .. وكان أحد مهندسى عملية السلام مع إسرائيل .. وكان أحد الذين ساهموا بقوة فى اعادة العلاقات العربية مع مصر بعد أن ضربتها كامب ديفيد.. تاريخ سياسى حافل لواحد من أشهر الدبلوماسيين .. لكن هناك أسامة آخر.. أسامة الإنسان الذى لا يعرفه إلا من عاشه عن قرب القرب كنبيلة عبيد!

ككل الجميلات تزوجت نبيلة مبكرًا.. تزوجت بلا حب .. وربما تكون عاشت قصص حب .. لكن يبقى أسامة الباز هو الحب الكبير.. ربما يكون قد رحل جسدا.. ولكنه حى فى قلب من عرفت قيمته وعظمته ! (*).





(*) أيمن الحكيم : الإذاعة والتليفزيون - العدد ٤٠٩٧ - السبت ٢١ سبتمبر ٢٠١٣م.

نبيلة عبيد فى «الراقصة والسياسي» بعد «الراقصة والطبال»

- **المكان أحد الفنادق المطلة على نيل القاهرة.. الزمن بعد غروب الشمس، وأضواء النيون تملأ المكان.**

حركة هنا – وهناك .. الكل يستعد لدوران الكاميرا ، والمخرج سمير سيف يلقى بتوجيهاته للعاملين حتى يبدأ تصوير أحد مشاهد فيلم «الراقصة والسياسي».

الفيلم يشترك فى تجسيد أحداثه الفنانة «نبيلة عبيد» فى دور البطولة ، ومعها صلاح قابيل ومصطفى متولى ، وفاروق فلوكس، وآخرون.

انتحى جانبًا .. فى ركن بعيد، حتى ينتهى التصوير، والتقى بالمخرج فى حوار سريع حيث تحدث عن الفيلم قائلًا:

– الفيلم من نوعية الأفلام الاجتماعية، وتدور أحداثه فى الثمانينيات، ويتناول قصة صراع بين «الراقصة والسياسي» ، وفيه يستخدم كل منهما أسلحته هو كسياسي، وهى كراقصة ، ومن خلال هذا الصراع نلقى الضوء على العلاقة بين السلطة وأهل الفن، ولماذا يتقرب الفنان من السلطة ؟ وكل هذا بطريق غير مباشر من خلال رواية وأحداث بين رجل وامرأة.

- **وهل للفيلم أبعاد سياسية ؟**

– نعم، فالسياسى فى الفليم ذو منصب مرموق ، وقد استخدم الراقصة لتنفيذ أغراض معينة فى فترة ما من حياته بناء على أوامر عليا ، بينما لا يلبى هو رغباتها عندما تريد أن تستفيد منه .. بمعنى تقريبى – أن السياسى يطلب من أهل الفن أن يخدموه فى أهدافه السياسية، فى نفس الوقت يستعملهم فى الترفيه، وأهل الفن يطلبون من السياسى الحماية والنفوذ ، وقضاء المصالح.

- **هل تتوقع لهذه النوعية أن تنال إعجاب الجمهور؟**

– بصفة عامة أنا لا أقدم على فيم أشك فى شعبيته وجماهيريته وهذا ليس تحديًا لأننى أريد للناس أن يستمتعوا بأى عمل أقدمه.

- **معنى هذا أنه ليست هناك أزمة سينما، لكن الأزمة فى المخرج الذى لا يعرف كيف يقدم موضوعه؟**

– الناس دائمًا لا يرفضون الاستمتاع واذكرى لى فيلما لم يستمتع به الناس، أن الأزمة فى اعتقادى تكمن فى انخفاض عنصر التشويق فى العمل.

- **هذه أول مرة تعمل فيها مع نبيلة عبيد، فهل وجدت صعوبة فى التعامل معها؟**

– إطلاقًا.. فهى فنانة مطيعة جدًا، ولديها اهتمام بالفليم ككل وليس بدورها فقط، واهتمامها الدائم بأن تتوافر للفيلم كل عناصر النجاح، وهذا كله يأتى من أن هناك ثقة واحترامًا متبادلًا الهدف منه فى النهاية مصلحة الفيلم.

- **وماذا عن الجديد فى أعمالك؟**

– فيلم «سد الخطر» قصة وسيناريو وحوار وحيد حامد وإنتاج واصف فايز، وفيلم آخر مرشح لبطولته أحمد زكى وليلى علوي، وهناك فيلما «إثارة» أحدهما قمت أنا بكتابته وهو بعنوان «ملوك الجريمة»، وجاهز للتصوير والآخر لكاتب جديد أعتقد أنه سوف يكون مفاجأة لأنه من نوعية أفلام سلفستر ستالوني.

وكانت الفنانة نبيلة عبيد قد انتهت من ترتيب حاجياتها – بعد انتهاء التصوير – فالتقيت بها ودار هذا الحوار:

قلت:

- **هل تمثل نبيلة عبيد قطاعًا كبيرًا من السيدات المصريات أم قطاعًا خاصًا جدًا؟**

– كل الأنماط التى قدمتها حقيقية وشخصيات موجودة فى الحياة شخصية الفتاة المعقدة الخائنة، فى العذراء والشعر الأبيض.. المرأة ترى نفسها فى اغتيال مدرسة تلك «المدرسة» التى أرادت أن تفعل خيرًا فارتكبت أخطاء وهذا موجود فى الحياة وأنا نفسى مررت بظلم واقع على فى فترة من الفترات .. فيلم «التخشيبة» نفس الحكاية حدثت فى الحياة.. هذا على سبيل المثال، الشخصيات حية وموجودة وليست مفتعلة، وإذا حدث وجاءتنى شخصية ليست طبيعية ولا يمكن أن تحدث فى الحياة فإننى أرفضها.

- **قدمت قبل ذلك «الراقصة والطبال» كانت شخصية الطبال لا يمكن أن تستغنى عنه «الراقصة والطبال»، وقد أراد الطبال أن يثبت للراقصة أنه أهم منها، والراقصة كانت**

تحب عملها من أجل العيش وعندما طرق حياتها الطبال، كانت فقط تريد أن تتزوجه لكن طموحه كان أكبر ، كان يريد السيطرة عليها، فتمردت عليه بينما انطلقت هى «كراقصة»

– وفى الراقصة والسياسى ، أقول : إن المجتمعات فيها الجديد وفيها الرديء ، والراقصة هناك امرأة لها أخلاقها وأحاسيسها وقلبها وتلجأ لعمل مشروع إنسانى حتى يتذكرها الناس بالخير ، وهو إثبات لأن الراقصة إنسانة قبل أى شيء آخر، والرقص أصبح الآن له أصوله وقواعده.

▪ **ما هو تقييمك لأعمالك الفنية الأخيرة مثل «اغتيال مدرسة» و«التحدي» و«حارة برجوان**

– من أحلى الأفلام التى قدمتها «حارة برجوان» وكل الأفلام فيها جهدًا شديدًا جدًا، وفيها تعب، وإذا كان هناك من يفضل فيلمًا على آخر ، فإن هذا يعود إلى اختلاف الآراء والأذواق.

▪ **وهل تعتقدين أن النقاد ينصفونك أم يقسون عليك؟**

– حتى الآن أشعر أنهم يرون العمل الجيد ويشجعوننى عليه، وعمومًا أنا لا أحب أن تكون أرائهم مديحًا، أريد أن يقول كل ناقد رأيه، حتى أعرفه وإذا كان هناك خطأ أستفيد منه.

– عندما أرى فيلما جيدًا أكون سعيدة لأننى أنتمى لهذه المهنة ، وأحب الخير للمهنة نفسها، لكنى عندما أقدم فيلمًا جيدًا، وأرى غيرى يقدم فيلمًا هزيلًا، فإننى أكون حزينة لأن هذا يضر بصناعة السينما، فلا يكفى أن أكون أنا فقط جيدة، بل يجب أن يكون الجميع قدر المسؤولية.

▪ **وهل هناك جديد غير هذا الفيلم؟**

– عندى موضوع عن أطفال الأنابيب فى فيلم باسم «عتبة لستات» وفيلم «القربان».. قصة حسن شاه وسوف تكون مفاجأة للجمهور إن شاء الله(*).

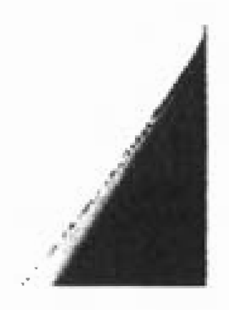
(*) مارى غضبان.


الكواكب





الراقصة والسياسي



الراقصة والسياسي

كانت الراقصة دلال المصرية تسير فى شارع سليمان باشا وبين شفتيها ابتسامة صغيرة هادئة ترد بها على أفراد الجمهور الذين يلاحقونها بنظراتهم وابتساماتهم .. ولم تكن دلال وهى تسير فى الشارع تحمل أى مظهر من مظاهر فنها كراقصة : فخطواتها سليمة معتدلة لا يهتز معها جسدها، وثوبها عادى لا يكشف عن شيء مثير منها وينزل حتى يغطى كل ساقيها ويرتفع حتى يغطى كل صدرها، والألوان التى تغطى بها وجهها كلها ألوان هادئة .. أحمر شفاه هادى وكحل هاديء، وبودرة وردية هادئة .. وشعرها ملفوف فوق رأسها فى جمال متحفظ كأنها عروس لا تطلق شعرها الطويل إلا للعريس ..

وكانت هذه هى طبيعة دلال .. لا تقدم نفسها كراقصة إلا عندما ترقص ، وبعدها تحتفظ لنفسها بشخصية عادية أقرب إلى التحفظ .

وبلا تردد اتجهت دلال إلى مقهى «الأونيون » ودخلت بين الموائد.. وانبهر زبائن المقهى، وعلقوا أنظارهم بها فى دهشة ، ثم انطلقت ابتساماتهم ، ومالت الرءوس تتهامس وارتفعت همسات خافتة .. أهلا.. يا مرحب .. نورت المقهى.. وارتفعت خبطات الزهر وأحجار الطاولة كأنها تزغرد ترحيبا بدلال.

والسيد عبد الحميد رأفت جالس إلى مائدته فى ركن من المقهى وقد جحظت عيناه من دهشة المفاجأة ، وتعلقت أنفاسه فى زوره حتى أحس كأنه يختنق ومد أصابعه يشد رباط عنقه ويفتح ياقة قميصه ..

ماذا جاء بدلال إلى هنا.. ليس هذا المقهى خاصا بأهل الفن حتى تتجرأ عليه لتلقى بصديق أو بمتعهد حفلات .. وهو صديقها ولكنها صداقة لا تتيح لها أن تبحث عنه فى المقهى.. ربما كانت لا تبحث عنه .. سبب آخر لايعرفه دفع بها إلى هنا.. وأدار رأسه إلى الناحية الأخرى حتى لا تراه دلال .

ولكن دلال واقفة أمامه وصوتها الهاديء الجميل يهتف به :

- صباح الخير يا عبد الحميد بيه .

ولم يقم واقفًا ، وتركها تجلس على مقعد بجانبه دون أن يرد عليها ، ثم قال وهو يدير عينيه بين بقية الزبائن ، كان يحاول ان يكتشف وقع الصدمة عليهم ، وصدمته ابتسامات خبيثة تحيط به .. وقال دون أن ينظر إليها :

- ما الذى جاء بك ؟..

قالت فى بساطة :

-جئت لألقاك.

قال وصوته يرتعش :

- ليس هذا مكان لقاء.

قالت فى دهشة صادقة :

- لماذا ؟

وأجاب فى حدة :

- إننا فى مقهى.

قالت مبتسمة:

- تقصد أن المقاهى خاصة بالرجال محرمة على النساء.. إن تفكيرك رجعى يا عبد الحميد.. يجب أن تعترف بالتطور الاجتماعى.. لقد كان المكان الوحيد الذى يمكن أن تجتمع فيه المرأة بالرجل هو الفراش .. غرفة النوم .. ثم حدث تطور وأصبحت المرأة تشارك الرجل فى كل غرف البيت .. ثم اتسع التطور وأصبحت المرأة تشارك الرجل فى كل مكان خارج البيت .. ساد المجتمع المختلط حتى ألغيت أماكن الحريم فى الترام والأتوبيس وألغيت رغم احتجاج المرأة .. فلماذا تبقى المقاهى مخصصة للرجال وحدهم رغم انه لم تقم مقاه مخصصة للنساء.

وقال عبد الحميد وهو لا يزال متعففا عن النظر إليها :

- هذا كلام الجهلة .. المقاهى هى نواد.. نواد تجمع بين أناس لهم صفة مشتركة .. كل مقهى له زبائن يتميزون بطابع معين ومصالح معينة .. ولاشك أن الطابع الذى يجمع الرجال غير الطابع الذى يجمع النساء.. والاهتمامات مختلفة بين الرجال والنساء.. إنك لا تسمعين فى هذا المقهى حديثًا عن آخر الأزياء أو عن اختراع جديد فى طبخة الملوخية .

قالت دلال وهى متجهة إليه بكل وجهها متجاهلة تعففه عن النظر إليها :

- ولكنى جئت لأتحدث إليك فى موضوع مشترك بينى وبينك له طبيعة المقهى..

ونظر إليها نظرة سريعة وهو يلوى شفتيه فى قرف وقال :

- ماذا تقصدين ؟

قالت فى هدوء :

- أقصد المشروع الذى عرضته على عندما التقينا أول أمس .. مشروع افتتاح مطعم باسمى تقوم أنت بتمويله .. مطعم الكلاب الساخنة .. أقصد «الهوت دوجز» ، لقد درست المشروع .. إنه فعلا مشروع ناجح .. أتدرى.. لقد اكتشفت أن أنواع الأطعمة هى مظهر من مظاهر الحضارة .. وكلما ارتفعت حضارة شعب فرض أطعمته على الشعوب الأخرى.. وعندما كانت الحضارة التركية أيام السلطة مفروضة على مصر كنا نأكل الشركسية والبلانج ضولمه وكنا نشرب السوبيا.. ثم عندما دخلت الحضارة الفرنسية أصبحنا نأكل فيليه منيو، وبيكانا أو شمبنيون ، وسكالوب ميزون ، ونشرب الشمبانيا والنبيذ، وبعد أن تسللت الحضارة البريطانية أصبحنا نأكل الروزبيف ، ونتناول الشاى الساعة الخامسة ونشرب الويسكى.. وبعدها جاءت الحضارة الأمريكية فأصبحنا نأكل كنتاكى فراى تشيكن ، وهامبورجر، ويقى أن نقيم مطعما للهوت دوجز أقصد «الكلاب الساخنة»، إن الأطعمة كالموسيقى تنتشر مع ارتفاع مستوى الحضارة .. وسيتشر الهوت دوجز كما انتشرت موسيقى الروك أندرول.

والتفت إليها عبد الحميد ، وقال وهو يضغط على حافة المائدة بأطراف أصابعه حتى يكمم ثورته :

- اسمعى.. لم أعد أطيق كلمة واحدة منك .. ليس هذا مكانا نتكلم فيه .. بل لم أعد أطيق وجودك .. أرجوك اتركى المقهى وأعدك أن أتصل بك بالتليفون .

وقالت فى دهشة بريئة :

- لماذا ؟

قال فى حدة :

بصراحة لأن وجودك يشوه سمعتى كرجل سياسى ويسيء إلى مركزى.. أنت تعرفين ما يمكن أن يقال .

قالت فى براءة :

- لأنى امرأة ؟

وصرخ :

لا.. لست مجرد امرأة .. إنك راقصة .. راقصة معروفة .. ليس هناك مخلوق فى هذا المقهى لا يعرف أنك راقصة .

وركزت عينيها فوق عينيه وقالت فى صوت جاد :

- وماذا لو كنت راقصة ؟..

وهدأ صوته وقال كأنه يتوسل إليها :

- يا دلال .. إنك تعرفين أنى رجل سياسي، وليس من صالح الرجل السياسى أن يجلس علنًا مع راقصات .

قالت وهى تبتسم ابتسامة ساخرة :

-بالعكس .. ليس هناك ما يجمع بين اثنين أقوى مما يجمع بين السياسى والراقصة .

وقال عبد الحميد فى حدة :

- هذه قلة أدب.

وردت بسرعة :

- لو كان وصفك بأنك سياسى يعتبر قلة أدب فوصفك بأنك راقص يعتبر قلة أدب.

وبح صوت عبد الحميد وهو يحاول ان يكتم صرخته :

- لولا أننا فى مقهى لألقيت بك فى الشارع .

قالت فى هدوء :

-إن بعض ما يجمعنا هو حرصنا على رأى الجمهور.. انت لا تستطيع أن تطردنى خوفا من رأى الجمهور وأنا لن أطرد نفسى خوفا أيضا من رأى الجمهور.. عبد الحميد.. اعترف معى أننا أبناء مهنة واحدة .. أنت راقص وأنا راقصة .. وهذا ما جعلنا نتفاهم سريعا منذ أن التقينا.

وسكت عبد الحميد ولم يرد.

وعادت دلال تقول من خلال ابتسامة حلوة :

- ما هو الرقص .. إنه فن التعبير.. كل من يعبر عن نفسه يرقص حتى لو اختلفت وسيلة التعبير.. أنا أعبر عن نفسى بهزات جسدى.. وأنت تعبر عن نفسك بهزات لسانك.. أى أنى أرقص بجسدى ، وأنت عندما تلقى خطابًا بين الناخبين أو تلقى كلمة فى مجلس الشعب فأنت فى الواقع ترقص بلسانك ..

قال عبد الحميد ساخرًا :

- الهدف مختلف ..

قالت دلال بسرعة :

- الهدف واحد.. أنت تريد اكتساب الجماهير وأنا أريد اكتساب الجماهير..

قال عبد الحميد وهو يتمادى فى سخريته :

- ماذا تفعلين بالجماهير بعد اكتسابهم .. وماذا أفعل أنا ؟

قالت دلال فى حماس :

- نفس الشيء.. إسعادهم .. أنا أسعدهم بأن أرتفع بهم الى سماء الفن فوق متاعبهم ، وأنت تسعدهم بالوعود.. كلانا يرتفع بهم فوق الواقع المضنى.. ولكن الجماهير تثق فى الراقصات أكثر مما تثق فى السياسيين .. لأن الراقصة لا تقدم ما يحتمل الكذب ولا الخديعة ولا التضليل .. إنها تقدم صورة إما تقبل وإما ترفض ، أما السياسى فإن وعوده تحتمل دائما الكذب ..

وقال عبد الحميد مع ضحكة مرة :

- والله عال .. يكفى أن ترقصى ساعة لتقارنى نفسك بسياسى مثلى يحرق دمه ليحقق مصالح الناس ..

وقالت دلال :

- الرقص ليس مجرد الساعة التى أرقص فيها.. أنا ايضا أحرق دمى فى إعداد هذه الرقصة .. تجديد اللحن ، تجديد الثوب ، تجديد المنظر.. تجديد كل شيء.. تماما كالسياسى الناجح ، إنه يقضى أيامًا وشهورًا قبل أن يلقى خطابه .. إعداد المناسبة ، وإعداد الأنصار وإعداد الانطلاقات والوقفات والمفاجآت ... إن السياسى الناجح هو الذى يعد رقصته قبل أن يبدأ فى الرقص بلسانه ..هل قرأت ماذا قال الرئيس الأمريكى كارتر أخيرًا.. قال: إن الانتخابات هى رقصات استربتيز.. وأنت تعرف طبعا ما هى الرقصة الاستربتيز.. هى أن تخلع الراقصة ثوبها إلى أن تصبح عارية ، وكذلك السياسى مطلوب منه وهو يرقص رقصته السياسية أن يخلع ثيابه الاجتماعية قطعة قطعة حتى يراه الناس عاريا على حقيقته ..

مطلوب منك أن تكشف عن أبيك وأمك وزوجتك وأولادك وحسابك فى البنك وتصرفاتك .. والسياسى الذى لا يرقص استربتيز ويعرى نفسه يعريه خصومه أو يعريه الجمهور.. جمهور المتفرجين .. وربما كان هذا هو الفرق بينى وبينك .. فرق فى نوع الرقصة التى يقدمها كل منا.. أنت مطوب منك أن ترقص استربتيز.. ترقص عاريا.. أما أنا فتخصصى لا يفرض على أن أظهر عارية .. ما أكشف عنه يكفى..

وقال عبد الحميد ساخرا :

- يكفى للإثارة .

وقالت دلال بسرعة :

- ماهى الإثارة .. إنها إطلاق الأحلام .. أحلام الجنس وأحلام المتعة وأحلام الرخاء وأحلام الحرية وأحلام القوة وأحلام الجنة .. وأنت وأنا عندما نرقص نتعمد الإثارة .. وصدقنى أن رقصاتك أخطر.. انك لا تكتفى بالإثارة ولكنك تتعمد التأثير كأنك تطلق من لسانك مخدرات توزعها على الجمهور.. مخدرات مهدئة أو مخدرات منشطة .. مخدرات تتعمد أن يبقى مفعولها إلى أن تلتقى بجمهورك مرة ثانية لتسقيه جرعة أخرى من المخدر الذى تختاره .. اما أنا فعندما أرقص أقدم للجمهور قصة .. مجرد قصة حلوة تريحه من متاعبه كأنها قصة فى كتاب يقرأه ، وتنتهى القصة بمجرد ان تنتهى الرقصة ، وأترك بعدها الجمهور حرّا دون أن أسعى للسيطرة عليه .

وقال عبد الحميد متأففا :

- إن رقصتك هى دعوة للجمهور إلى الفراش ..

وقالت دلال وهى تضحك :

- وأنت .. أنت أيضا تدعو الجمهور إلى فراشك .. والفرق هو أن فراشى فراش

خاص ، أما أنت فقد جعلت من فراشك فراشًا عامًا..

ويعلم الله ما يجرى فوق الفراش .. إنى فوق فراشى امرأة ، أما أنت فإنك فوق فراشك السياسى يمكن ان تكون أى شيء وكل شيء.. هذه متطلبات السياسة .. أو هى فن الفراش السياسى.. ثم لا تنس إن زبائن فراشى وفراشك لا يختلفون .. أصدقاؤنا العرب وأصدقاؤنا من الدول العالمية الصديقة ..

واحتقن صوت عبد الحميد غيظا ، وقال فى صوت مبحوح :

- هذه قلة أدب .. إنك تستغلين وجودنا فى المقهى وتطلقين لسانك .

وقالت دلال ساخرة :

- إنى أستغل خوفك من جمهور المقهى ووجودى فى حماية جمهور المقهى.. . وقال عبد الحميد فى قرف :

- إن هذا الجمهور يعرف عنك كل شيء.. يعرف أنك لا تعيشين من مجرد الرقص له فى الحفلات العامة .. يعلم أن لك حياة اخرى.

وقالت دلال فى برود :

- يعلم عنى بقدر ما يعلم عنك .. يعلم أن لى رقصات عامة فى المسارح أو فى أفلام السينما، ورقصات خاصة فى الأفراح أو فى الحفلات الخاصة ، ثم لى رقصات شخصية أى أرقص لفلان أو علان .. وأنت .. أنت أيضا لك اجتماعات عامة فى البرلمان أو فى احتفالات المناسبات الوطنية ترقص فيها بلسانك للجمهور الواسع .. ثم لك رقصات خاصة داخل اجتماع سرى للحزب أو للهيئة ، ثم ترقص بلسانك رقصة شخصية لفلان أو علان عندما تجتمع به على انفراد.. الجمهور يعلم كل شيء عنى وعنك ..

وقال عبد الحميد فى خبث :

- والأعمال الأخرى ؟

وقالت دلال ضاحكة:

- كله .. رقص كرقصة الكلاب الساخنة التى نرقصها الآن أنا وأنت ..أنا أرقص لك وأنت ترقص لى حتى نتفق على رقصة واحدة نفتح بها المطعم ..

وتنهد عبد الحميد فى يأس وقال :

- تاب الله عليك من الرقص .

وقال دلال مبتسمة:

- ابصقها من فمك .. لن يحرمنى الله أبدًا من شخصيتى كراقصة .. الناجح يظل محتفظا بصورة نجاحه العمر كله .. الراقصة الناجحة أو السياسى الناجح .. إن تحية كاريوكا توقفت عن الرقص منذ سنوات واشتغلت بالتمثيل وبأعمال أخرى ورغم ذلك فشخصيتها لا تزال شخصية الراقصة تحية كاريوكا.. لا يعرفها الناس كممثلة .. وفؤاد سراج الدين ترك العمل السياسى أكثر من عشرين عاما واشتغل بلتجارة والزراعة والسمسرة ، ورغم هذا لم يعرفه أحد كتاجر أو مزارع أو سمسار ، إنما يعرفونه السياسية .. وزكريا محيى الدين مضى عليه أكثر من خمسة عشر عاما وهو متفرغ للزراعة وتربية الدواجن . ولكنه لا يعرف أبدًا كمزارع إنما يعرف دائما كعضو مجلس قيادة الثورة .. هكذا دائما تبقى الشخصية الناجحة .. كاريوكا كانت راقصة ناجحة وفؤاد سراج الدين كان سياسيًا ناجحا.

وقال عبد الحميد فى سخط :

- والله عال .. وصلنا أن نقارن تحية كاريوكا بفؤاد سراج الدين .

وقالت دلال كأنها تلقى عليه درسًا :

- إنه التاريخ .. تاريخ مصر.. التاريخ الذى ترتفع فيه أسماء بمبة كشر وشفيقة القبطية وألمظ وبديعة مصابنى وعبده الحامولى وسيد درويش وسلامة حجازى.. وبجانب أسماء الشيخ محمد عبده والأفغانى وعرابى وسعد زغلول ولطفى السيد ومصطفى النحاس .. بل ربما كان التاريخ قد أنصف الراقصات ولم ينصف السياسيين ، وقد ظهرت أفلام تمثل حياة بمبة وشفيقة وألمظ وبديعة ، ولم يظهر حتى الآن فيلم يمثل حياة الأفغانى أو سعد زغلول أو النحاس أو جمال عبد الناصر.

وتنهدت دلال واستطردت قائلة :

- إن ما أتمناه بعد أن أموت أن يظهر فيلم يسجل تاريخ حياتى ألا أنسى كما نسى سعد زغلول .

وقال عبد الحميد ساخرا :

- وأنا.

قالت ضاحكة:

- أنت ستلقى فى سلة مهملات التاريخ .. رقصاتك ليس فيها ما يستحق التسجيل.

وشهق عبد الحميد فجأة شهقة مكتومة ، وقال فى صوت مبحوح ممزق:

- يا خبر .. إنه عبد الله رفعت سكرتير الحزب.. ما الذى جاء به إلى هنا .. لعله جاء يبحث عن محسن فرحات ، إنى أعلم أن محس مرشح للوزارة الجديدة.

والتفت عبد الحميد إلى دلال، وقال فى توسل وعيناه ترتعشان كأنه يهم أن يبكي:

- فى عرضك..وحياة أبوك الغالى .. قومى من جانبي.. لو رآك الأستاذ عبد الله جالسة معى فى المقهى فسيقضى على مستقبلى السياسي.. إن بينى وبينه ضغائن كثيرة وستكونين أنت المصيبة التى يحطمنى بها .. فى عرضك.

وقالت دلال فى برود:

- اطمئن.. اصبر لترى.

وازداد صوت عبد الحميد ارتعاشا قائلًا:

- كيف أطمئن .. هذه مسائل لا تفهمين فيها.. قومى واخرجى من الباب الخلفى حتى لا يراك عبد الله.

وقالت دلال فى حسم كانها لا تقبل المناقشة :

- قم انت واتركنى وحدى.

وقام عبد الحميد مهرولا يحمل يأسه من إقناع دلال ودخل دورة المياه واختبأ فيها حوالى ربع ساعة ثم خرج ودخل غرفة التليفون وتعمد محادثه طويلة استمرت ربع ساعة،أخرى، ثم خرج إلى صالة المقهى مطمئنا إلى أن دلال انصرفت .. ووقف مصعوقًا..

إن دلال جالسة فى مكانها وبجانبها يجلس السيد عبد الله سكرتير عام الحزب .. يجلس على نفس المقعد الذى كان يجلس عليه هو.. واختار كيف يتصرف .. ليس أمامه إلا أن يتقدم .. وقال وهو يمد يده مصافحا السيد عبد الله :

- شرفت المقهى يا عبد الله بيه ..

وقال عبد الله وهو ينظر إلى عبد الحميد نظرة ضاحكة :

- المقهى شرفنى بلقاء الآنسة دلال .. ثم قام واقفًا مستطردًا :

- سأترككم الآن .. مضطر.. أعمال ..

وانحنى وهو يصافح دلال قائلا :

- لا تنسى .

وقالت دلال فى دلال: :

- هذا شيء لا ينسى.

ومد عبد الله يده يصافح عبد الحميد فى حرارة وهو يبتسم ابتسامة كبيرة قائلا :

- جئت أبحث عن محسن فرحات .. لعلى تاخرت عن موعده ، إذا رأيته قل له: إنى فى انتظاره فى المكتب ..

وعاد وهز يد عبد الحميد وابتعد خارج المقهى يقفز بخطواته مرحا..

وتعجب عبد الحميد من هذه الحرارة التى صافحه بها عبد الله، وهذه الابتسامة الواسعة التى قدمها له كأنه يعرض عليه معاهدة جديدة تلغى ما فات بينهما من خصام ..

وأسقط نفسه على المقعد بجانب دلال ومد رأسه كله إليها وقال دون أن يتعمد الهمس

وكأنه لم يعد يعانى حرجًا من جلوسه بجانبها:

- ماذا دار بينكما من كلام .

وقالت دلال فى برود وهى تبتسم ابتسامة ساخرة :

- إنه لم يتردد بمجرد أن رآنى من الجلوس بجانبى رغم أن كل الزبائن كانوا يلاحقونه.

وقالى عبد الحميد فى عجلة :

- لا يهم .. ماذا قال لك .

وعادت دلال تقول :

- إنه ليس مثلك . لم يتردد فى الجلوس بجانب امراة راقصة فى مقهى.

وقال عبد الحميد فى زهق :

- ياست دلال .. إن عبد الله ليس مثلى إنه فوق .. فوق .. إنه فى مركز يعطيه الحق فى أن يدعى أن كل تصرفاته فى خدمة المصلحة العامة .. إن من حقه أن يجلس بجانبك فى مقهى لأنه يستطيع أن يدعى أنه يعمل على الارتقاء بالفن وإزالة الفوارق بين الفنانين والسياسيين .. أما أنا فليس من حقى أن أعلن قرارات تخص المصلحة العامة ، وكل تصرفاتى عرضة لأن تفسر على أنها مصلحة خاصة .. إن المصلحة العامة حكر لطبقة معينة من الحكام وأصحاب المراكز.. بل إنك تستطيعين أن تغريه بأن يمنحك وسام الدولة وستكونين أول راقصة تمنح وسام ، ولن يكون من حق أحد أن يحاسبه على الثمن الذى أخذه نظير هذا الوسام .. حاولى أن تحصلى على وسام.

وقالت دلال فى دلال :

- لست فى حاجة إلى وسام .. إنى أعتبر نفسى وسامًا وأعلق نفسى على صدر من يستحقنى .

وقال عبد الحميد فى عجلة :

- المهم ماذا كان يقول لك ؟

وقالت دلال فى خبث:

- اتفق معى على المساهمة فى حفلات العيد الوطنى وأقدم رقصة شعبية جديدة .

وقال عبد الحميد فى غيظ :

- هل هذا كل شيء.

وقالت دلال فى حسم كأنها توقفه عند حده :

- اعتبر أن هذا هو كل شيء.. والمهم ماذا قررت بخصوص مشروع مطعم الكلاب الساخنة .

وقال عبد الحميد فى استسلام :

- أمرك .

وقالت فى جدية :

- إنك ستقدم رأس المال وتختبئ وراء اسمي.. اسمى سيكون أكبر من رأس المال .. نصيبى خمسة وسبعون فى المائة من الأرباح .

وقال عبد الحميد :

- أمرك.

وقالت فى لهجة تهديد :

- تذكر أنك منذ سنوات عرضت على مشروع إنشاء مطعم كافيار وفودكا، ثم عدلت عن المشروع وهربت .. كنا أيامها نرقص رقصة البلاليكا.. أحذرك أن تعدل عن مشروع الكلاب الساخنة ايضا..

وقال فى تأكيد :

- أبدًا.. وحياتك لن أعدل أبدًا .. المستقبل كله كلاب ساخنة.

قالت وهى تهب واقفة:

- سأرسل لك زكريا الطبال ليتفق على كل شيء .

وقال عبد الحميد وهو يقفز واقفا بجانبها:

- ألم تأت سيرة الوزارة الجديدة فى حديثك مع عبد الله؟

ولم ترد دلال وسارت فى خطواتها التى لا تهتز معها ، خارجة من المقهى.

والتفت زبائن المقهى إلى عبد الحميد يسألونه فى ضحكات عن هذا الحديث الطويل بينه وبين دلال.

وقال عبد الحميد وهو يفتعل تنهيدة كأنه يستريح بها من متاعبه:

- أخيرًا أقنعتها أن تشترك فى حفلات العيد الوطنى مجانا.. تبرعا.. كانت تصر على أنت تنال أجرًا مضاعفًا، إنهن فى النهاية راقصات.

وهز زبائن المقهى رؤوسهم حسرة على حال البلد.

من نبيلة عبيد إلى صوفينار

السياسة تحت أقدام الراقصات!





بين يوم وليلة ، أو ليلة وضحاها، تحولت الراقصات إلى حديث الساعة ، من أغانى سما المصرى السياسية وأفلام العيد التى تروج لها راقصات جدد مثل صوفينار وشمس ، إلى المغنيتين الراقصتين مى سليم وحورية فرغلى وحتى المعلمة الكبيرة دينا، ودون أن تنتهى عند اعترافات الممثلة الراقصة نبيلة عبيد بعلاقتها بالسياسى الراحل أسامة الباز.

الراقصات صرن حديث المدينة ، والمقاهى التى تبث قنوات الرقص الشرقى وكليبات أفلام العيد، وصفحات العامة والمثقفين على الفيسبوك .

الناس تعبت من السياسة ، والعنف ، وشبح الإرهاب الجاثم فوق البلاد، وحظر التجول ، والإقبال الهائل على أفلام الرقص والنكات الجنسية أكبر دليل على أن الناس تبحث عن متنفس للاكتئاب والخوف وأخبار الموت .

الجنس ، الذى تمثله الراقصات ، هاجس يسيطر على مجتمعنا طوال الوقت ، ولكنه هاجس تزداد حدته مع تزايد القلق السياسى. «دخلى بالك من زوزو» ظل أنجح أفلام السينما المصرية لعقود طويلة ، ولم يكن ينافسه سوى أبى فوق الشجرة والاثنان ظهرا عقب النكسة ووفاة عبدالناصر عندما كانت الروح المعنوية فى أدنى انخفاضها .

أحاديث الناس لا تقتصر على الأفلام وأسماء الراقصات الجدد وعلاقات الزواج العرفى بين الراقصات والسياسيين . المتطرفون أثاروا المزيد من زوابعهم حول فتوى مزعومة للشيخ سعد الدين الهلالى قال فيها: إن الراقصة التى تقتل أثناء ذهابها لعملها شهيدة ، الرجل وضح أنه كان يجيب على أسئلة مذيع لحوح حول فكرة الاستشهاد ، وكان يقول ، معتمدا على نصوص دينية : إن أى شخص يموت أثناء توجهه لعمل شيء حلال فهو شهيد، ولكن خصومه السياسيين وضعوا على لسانه ما لم يقل ، وذلك لتشويه الأزهر ولجنة الدستور وكل من ليس متطرفا مثلهم .

خصوم الإخوان يزعمون من ناحيتهم أن سنة حكم مرسى شهدت العصر الذهبى للكباريهات والراقصات وفتيات الليل .

الاستخدام السياسى للراقصات واحد فى الحالتين ، لا أحد يكف عن الإساءة للراقصات ، ولا أحد يكف عن استغلالهن أو التحديق فى أجسادهن العارية .

طالما أنك لا تستطيع التوقف عن التفكير والحديث فى أمر ما، فلا يهم إن كنت تتغزل أو تشتم ، هكذا يقول علماء النفس ، فى كل الأحوال هذا دليل على أنك مهووس بالأمر.

لا حديث لأهل هذه المدينة سوى السياسة والراقصات هذه الأيام !

والمال أكثر من أن تحصى، لعل أشهرها زواج المشير عبد الحكيم عامر بالفنانة برلنتى عبدالحميد، وزواج الراقصة دينا برجل الأعمال حسام أبو الفتوح ، وأكثرها دموية زواج ومقتل الفنانة سوزان تميم على يد رجل الأعمال هشام مصطفى ، وزواج ومقتل المغنية ذكرى على يد رجل الأعمال أيمن السويدي.

هناك مغناطيس يجذب الجميلات المغريات نحو أصحاب المال والجاه ، والعكس صحيح ليس فقط فى الواقع ، ولكن فى الخيال الشعبى الذى نسج عشرات القصص حول ابن الأثرياء، السياسى، الذى يقع فى حب غانية لعوب أو طيبة القلب ، وما تؤدى إليه هذه العلاقة من دمار لكليهما ، ولعلنا لا نبالغ حين نقول: إن هذه العلاقة كانت واحدة من التيمات الأساسية للميلودراما المصرية ولا تزال ، من «ليلى » لليلى مراد الذى أنتج عام ١٩٤٢ ، والمأخوذ عن رواية غادة الكاميليا ، وحتى «رمضان أبو العلمين حمودة» لمحمد هنيدى المأخوذ عن «عالم وعالمة» لنادية الجندى والمأخوذ بدوره عن فيلم «الملاك الأزرق» للألمانية مارلين ديتريش. .

لماذا ينجذب أصحاب السلطة للراقصات والغوانى؟ ولماذا تنجذب الراقصات لأصحاب السلطة ؟ الإجابات كثيرة ، ولكن يكفى أن نقول: إن كلا منهما يبحث عما ينقصه فى الآخر، السياسى يبحث عن تنفيس الغرائز والمتع الحسية المحروم منها، بينما الراقصة تبحث عن المال والاحترام اللذين يحميانها فى مجتمع يحتقر مهنتها ويحتقرها .

فى الخيال الشعبى، كما فى الأفلام ، يمثل كل من الراقصة والسياسى قطبين على طرفى النقيض من السلم الاجتماعى، الراقصة رمز الغريزة المنفلتة والتحرر من جميع التقاليد والأعراف ، والسياسى، كبير القوم ورمز العقل المنضبط وحامى الأخلاق والتقاليد، الأنوثة فى صورتها البدائية أمام الذكورة فى أعلى درجاتها ..وفى هذا اللقاء الدامى دائما ما تدور أروع أنواع الدراما الكاشفة ، والفاضحة ، لخواء وغباء هذه الصور المعلبة .

شرف الرقص وكذب السياسة:

فى فيلم "الراقصة والسياسى" للمخرج سمير سيف والمؤلف وحيد حامد، والمأخوذ عن قصة لإحسان عبدالقدوس، يدور الحوار التالى بين الراقصة سونيا - نبيلة عبيد- والسياسى عبدالحميد - صلاح قابيل - عقب رفض السياسى التوسط لتسهيل حصول الراقصة على تصريح ببناء دار للأعمال الخيرية :

- أنت كداب ، علشان بتكدب على نفسك قبل ما تكدب على الناس، كل واحد فينا بيرقص بطريقته .. أنا باهز وسطى.. وأنت بتلعب لسانك.

- الفرق شاسع يا عالمة.

- أقول لك الفرق ، إحنا الاتنين بنطلع فى التليفزيون ، آنا الناس بتتفرج عليا .. وأنت أول ما بتظهر الناس بتقفل التليفزيون ، لأن رقصك مالوش جمهور، إنما أنا رقصى له جمهور، عارف ليه ؟

- لأن بضاعتك رخيصة ، هدفك تشعللى الغرايز المكبوتة عند الناس . انتى شغلك الإثارة .

- اسم الله على مقامك الرفيع ، وانت شغلك يبقى إيه لا لما توعد الناس بمستقبل مشرق وييجى بكرة ما يطلعلوش شمس .

الغريب أن الفنانة التى رفضت الإعلان عن هذا الزواج فى حياة الباز كتبت ما يشبه البيان أو الرسالة المفتوحة فى إحدى الصحف لم تكتف فيه بالاعتراف بحقيقة زواجها الذى امتد - حسب قولها - لمدة تسع سنوات ، ولكنها ذكرت الكثير من التفاصيل حوار علاقتها به وموقف الرئيس السابق حسنى مبارك من هذا الزواج وأسباب الطلاق بينهما .

علاقة نبيلة عبيد وأسامة الباز ليست القصة الوحيدة التى خرجت على الناس مؤخرا حول الراقصات والسياسيين ، من علاقة الراقصة المغنية سما المصرى ونائب البرلمان السابق أنور البلكيمى، صاحب الأنف الصناعية ، إلى طلاق المغنية والراقصة هيفاء وهبى برجل الأعمال المتطفل على السياسة أحمد أبو هشيمة ، عندما كان يتقرب من الإخوان قبل

سقوطهم، ونهاية بزواج الراقصة شمس بالمغنى سعد الصغير، المرشح السابق لرئاسة الجمهورية، الذى صدق نفسه وأنكر هذا الزواج رغم الشواهد الكثيرة التى نشرتها وسائل الإعلام !!

قصص زواج الراقصات والفنانات بالسياسيين وأصحاب السلطة العلاقة بين السياسى والراقصة غالبا ما تدفع إلى الدمار فى الدراما وفى الواقع أيضا . سالومى التى أغرت الملك هيرودس ودفعته إلى قتل النبى يحيى - أو يوحنا المعمدان - ليست مجرد أسطورة .

لدينا فى تاريخنا القريب سالومى أمريكية اسمها كارول شانون أغرت قائد الجيش المصرى المشير عبد الحليم أبو غزالة لاقناعه بصفقة سياسية مرعبة غيرت تاريخ العالم كله وليس مصر فقط .

هذه الصفقة التى كانت جزءًا من خطة السياسى الأمريكى تشارلى ويلسون فى بداية الثمانينيات لدعم الحركات الانفصالية عن الاتحاد السوفيتى، أو «امبراطورية الشر»، كما كان يصفها الرئيس الأمريكى ريجان، بداية من أفغانستان، التى شهدت بداية ظهور التنظيمات الإرهابية المتأسلمة التى ارتدت إلى صدر أمريكا ومصر بعد ذلك بعشر سنوات.

قصة شانون وأبو غزالة كانت محور كتابين شهيرين: الأول هو مذكرات كارول شانون، والثانى هو «حرب تشارلى ويلسون» للكاتب جورج كريل الذى يروى فيه قصة دعم أمريكا للقاعدة، كما أنها أصبحت محورًا لفيلم بنفس الاسم قام ببطولته توم هانكس وجوليا روبرتس .

إذا كانت شانون الأمريكية قد أوقعت السياسى المصرى برقصة شرقية، فمن المدهش أو غير المدهش، أن العكس لم يحدث، فمثلا لما رقصت نجوى فؤاد لوزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر وغيره من زوار مصر دون أن تحصل منهم على صفقة، واضح أن الرقص خطر على المحرومين جنسيا فقط !

الدمار الناتج عن العلاقة مع غانية أصاب مسؤولا كبيرًا آخر فى مصر منذ نحو

عامين، كما أصاب المشير عبدالحكيم عامر قبل نحو ٤٦ عاما، ولكن الدمار لا يقتصر على السياسيين فأحيانا تكون المرأة هى الضحية ، ولعل أشهر ضحايا الاقتراب الخطر من عالم السياسة كانت كاميليا فى مصر ومارلين مونرو فى أمريكا، كما تقول الشائعات .

الدمار يكون أكبر عندما لا تكون الراقصة مجرد راقصة ، ولكن جاسوسة ، ولعل أشهر الراقصات الجواسيس هى ماتا هارى التى كادت تغير مجرى الحرب العالمية الأولى بالمعلومات التى كانت تحصل عليها ضد الحلفاء، قبل أن تعدم رميا بالرصاص بتهمة التجسس عام ١٩١٧ م.

لم يعد للراقصات الجاسوسات كثير من الاستخدام فى عصر الحرية الجنسية الذى نحياه ، لو استثينا هذه البقعة التعيسة التى نعيش عليها، والتى تنشغل بأخبار الراقصات أكثر مما تهتم بأخبار القضاء على السرطان أو غزو الفضاء![*] .

[*] أ/ عصام زكريا ، الخميس الفجر – العدد ٤٢٨ – ٢٠١٣/١٠/١٧.

عادت نبيلة عبيد من بيروت محملة بمزيد من الأسرار، وأكدت أنها كانت على علم بمرور أسامة الباز بأزمة صحية، أدت إلى نقله للمستشفى، وكشفت عن تأجيلها لزيارته بسبب وجودها فى لبنان، لكنها لم تكن تتصور أن القدر سوف يسبقها إليه وتحدث الوفاة.

نبيلة عبيد تزوجت أسامة الباز فى تسعينيات القرن الماضى، واستمر الزواج تسع سنوات عندما قابلها صدفة فى إحدى المناسبات القليلة، فقد كان حريصا على أن يحضر العروض الخاصة للأفلام والمسرحيات ومتابعة عروض فرق الموسيقى العربية فى الأوبرا، ويبدو أن كيوبيد قد لعب دوره فى التآليف بين الأرواح، ويؤكد البعض أن الزواج تم بعقد عرفى وأنه كان حريصا على إعلان هذا الزواج فى الوقت القريب من الفنانة ولم يكن الأمر سرا دفينا، ولعل ذلك ما أثار العديد من المشاكل على الأقل داخل مؤسسة الرئاسة، فالرئيس مبارك لم يكن راضيًا عن هذا الزواج.

وبناء على هذا كتب إحسان عبدالقدوس قصة «الراقصة والسياسى» (*) وتم نشرها على حلقات فى جريدة الأهرام وتعرض الباز ونبيلة عبيد لضغوط اجتماعية كبيرة، فلم يكن أحدًا من أقاربه يتقبل هذا الزواج لدرجة أن أحد الشخصيات البارزة فى مؤسسة الرئاسة قال لنبيلة عبيد: حاولى أن تقنعى أسامة ليطلقك لأن استمرار هذا الزواج سوف يؤثر على مستقبله السياسي.

ومن ناحية أخرى، نقلت إحدى قريبات أسامة الباز الى سوزان مبارك رغبتها فى أن يبتعد مستشار الرئيس مبارك عن نبيلة عبيد، وتمنت أن تتدخل سيدة مصر الأولى لإخراج الأسرة من هذا المأزق، وبالفعل تجمعت الضغوط لتصب فى نتيجة واحدة وهى ضرورة الانفصال حيث تم الطلاق فى أجواء تراجيدية وظهر من خلال الفيلم مشهد دخول صلاح قابيل مكتب أحد المسؤولين وانتهاء المقابلة بطلب قطع علاقته بالفنانة ولم يكن الطلاق فى الحقيقة كافيا لإنهاء الصداقة بين الطرفين لأنهما ظلا يصلان مشاعر الود وغم تغير الظروف، وكثيرا ما كانت نبيلة عبيد تفكر فى مقابلة أسامة الباز وزيارته، وخاصة فى السنوات الأخيرة، إلا أنها كانت تواجه صعوبات فى ذلك، لأن زوجته

(*) مرة أخرى الأستاذ إحسان عبد القدوس كتب قصة الراقصة والسياسي قبل هذه العلاقة أو الصلة بين الفنانة نبيلة عبيد والدكتور أسامة الباز وتوفى أيضا قبلها رحمه الله.

الإعلامية ، كانت تفرض حوله سياجا من الخصوصية لا يمكن أحدًا من رؤيته أو مقابلته أو الحديث معه حتى إن هناك من أكد أنه ربما يكون مريضا جدا بصورة لا تسمح بإزعاج أحد له ، بينما قال البعض: إن الباز كان يعانى من الزهايمر فى عاميه الأخيرين ، إلا أنه رغم ذلك رفض إغراءات مادية كبيرة لكتابة مذكراته أو تسجيلها فى حلقات تليفزيونية ، وكان يعتبر أن كل ما عرفه قد جاء بحكم وظيفته وانه لن يبوح بسر أبدًا .

وعندما سئل الباز عن اختفائه قال : كل شيء فى الدينا تغير، واالعالم لم يعد كما كان ، والتصورات الجديدة تحتاج إلى وجوه جديدة [*] .



[*] مها متبولي





النساء يحكمن العالم !. حقيقة..

قالت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة :

«فى السياسة إذا أردت شيئًا يقال : اسأل رجلًا، وإذا أردت شيئًا يعمل اسأل امرأة»

فالرجل فى عالم السياسة يقول: أما المرأة فإنها تنفذ.. وقد يقتصر دورها على التحريض أو التخطيط لكن فى نهاية الأمر تتحول رغبتها إلى أوامر.

وأذكر أن عضوات فى إحدى الجمعيات النسائية فى إنجلترا خلال فترة حكومة «ونستون تشرشل» قد ذهبن إليه وطلبن منه المزيد من الحقوق والامتيازات الضرورية للمرأة لكى يصبح لها صوت مسموع .. فضحك تشرشل ، وقال لأعضاء هذه الجمعية : «إن المرأة تحكم بالفعل وليست بحاجة إلى قرارات أو امتيازات فالمرأة تدفع الرجل إلى الطريق الذى تريده».

ثم استطرد «تشرشل» ساخرًا وهو يقول : «إن ابنى هو الذى يحكم الإمبراطورية البريطانية .. فابنى يحكم أمه ، وأمه والتى هى زوجتى هى أيضًا صاحبة الكلمة العيا فى البيت والحكم .. ما الذى تحتاجه المرأة بعد ذلك ؟ ...».

حقًا.. ما الذى تحتاجه المرأة بعد ذلك ؟.. هل يتسطيع رجل أنأ يصمد أمام ما تتمتع به المرأة من أسلحة ، بداية من دموع التماسيح وحتى شهوة الجنس مرورًا بالكلمة الناعمة والهمسة الحالمة.

قديما كنا نتبادل نكتة كثيرًا ما أضحكتنا وكانت النكتة، إن إحدى الشركات الكبرى أقامت مسابقة لاختيار رجل للعلاقات العامة ، وطلبت فى المتقدم شرطًا واحدًا أن يكون قوى الشخصية ، وفى المقابل طلبت من كل متقدم أن يأتى ومعه زوجته، وبالفعل تقدم للعمل كثيرون ، وكان مع كل منهم زوجته كطلب الشركة، وعندما تجمع كل هؤلاء وقف مدير الشركة، وطلب من الجميع طلبًا واحدًا ، وهو أن يقف كل الرجال الذين يأتمرون بأمر زوجاتهم فى الجانب الأيمن ، بينما يتجه إلى الجانب الأيسر ـ هؤلاء الذين لا يأتمرون بأمر زوجاتهم.

ودهش مدير الشركة عندما وجد أن كل الرجال ما عدا واحد فقط قد اتجهوا إلى الجانب الأيمن ، فهم لا ينكرون أنهم يسيرون كيفما تريد منهم الزوجات ما عدا واحدًا توجه إلى الجانب الأيسر.. فسرّ المدير وقال : أنت بلا شك رجل قوى الشخصية وهذا ما نبحث عنه.. ثم سأله:

لكن لماذا اتجهت إلى هذا الجانب؟ ألا تخشى زوجتك؟

فأجاب الرجل بجدية شديدة : إن زوجتى يا سيدى هى التى طلبت منى أن أقف فى هذا الجانب.

ربما كان هذا واقعًا لا مهرب منه، فالمرأة تحكم العالم فعلا سواء كان هذا مباشرة من خلال وجودها فى سدة الحكم أو من خلال رجل تحركه بأناملها وكأنه أحد دميات مسرح العرائس.

لقد قال «سوفوكليس» أحد كتاب الدراما الإغريقية القديمة: «إذا جعلت المرأة مساوية للرجل فإنها تصبح أفضل منه» ، وبالفعل تحولت هذه المقولة إلى واقع ملموس على يد نساء فى العصر القديم والحديث مثل شجرة الدر، وزنوبيا ، ومارجريت تاتشر، وسيريمافو باندرانايكه، ومنيوليتارى شامورو.

وكثيرًا ما كان الزعيم الصينى الراحل «ماوسى تونج» يقول: «إن النساء يملكن نصف السماء» .. أى أنهن يملكن النصف فى كل شيء حتى فى قرار الحكم ، لكن زوجته «جيانج كينج» كان لها رأى آخر.

لقد كانت هذه السيدة الشريرة تؤمن بأن المرأة تملك كل السماء أما الرجل فهو تابع لها أو فى أحسن الأحوال هو واجهة لكل ما يصدر عن مؤسسة الحكم، ليس أكثر من ذلك.

كانت «جيانج كينج» ممثلة سينمائية ومسرحية وكانت ابنة امرأة غانية يعرفها الرجال خاصة الأثرياء منهم ، ولقد التحقت «جيانج» بالحزب الشيوعى ، ودرست ماركس ولينين وتدربت تدريبًا عسكريًا ، لكنها وضعت عينيها صوب هدف واحد «ماوتسى تونج» نفسه ومن ثم السلطة ، وحتى تتمكن من تحقيق ذلك نقلت نفسها إلى معسكره، ثم أجبرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى على التوقيع لها حتى يمكنها من الزواج من الزعيم وذلك على أساس أنها هجرت السياسة إلى الأبد.

لكنها ما لبثت أن تسللت إلى السياسة من جديد ، لكن هذه المرة كان تسللها من الأبواب الخلفية ، فقد بدأت تهتم بالفن والأدب ، ومن ثم أصبحت المستشار الثقافى لجيش التحرير الشعبى فى عام ١٩٦٦م.

ومن خلال مركزها الجديد أخذت فى ممارسة دور جديد فى السلطة من خلال فكرة ما يجب وما لا يجب -وهو ما عرفت بـ«الثورة الثقافية» - وهذا مكنها من الحصول على سلطة شخصية واسعة ، فقد أصبحت المتحدث الرسمى باسم «ماوتسى تونج» باعتبارها الحارسة على فكرة الشورى ، ثم أكدت سلطتها بالتحاقها بالمكتب السياسى للحزب الشيوعي، وأصبحت تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة تخص الدولة.

لكن بعد أن توفى «ماوتسى تونج» عام ١٩٧٦م ، وكان لم يمر على وفاته سوى عشرة أيام حتى تم القبض على الأرملة الشريرة «جيانج كينج» ، وأودعت السجن فيما عرف بقبضة عصابة الأربعة حيث تم اتهامها بتهم متعددة تتراوح بين تحطيم سلطة الحكومة واستخدام العنف ضد الأفراد، وكامرأة شريرة مدمرة ، فقد استغلت سلطة ليست ملكها ولا تصلح لها، وقد أصدرت المحكمة حكمها بإعدام «جلينج كينج» ، لقد فقدت هذه المرأة كل مقومات بقائها فى السلطة لأن الزعيم كانت تستمد قوتها واستمرارها من خلاله قد مات، وقبل رحيل الزعيم رحلت المعادلة التى اعتمدت عليها «جيانج كينج» وهى مبادلة الجنس بالسلطة.

تقول الدكتور «روزليند ميلز» فى كتابها «المرأة والسلطة» : إن القوة والسلطة حقيقة من حقائق الحياة ، لكنها حقيقة ينكرها الرجل عن المرأة ، فهم يتصورون أن السلطة تتعارض مع المرأة ولا تناسب طبيعتها ، لذلك حرموها منها طويلًا، وأصبح على النساء أن يكتشفن هذه المنطقة المجهولة.

لقد أظهرت الأيام تجارب عديدة مع نساء حكمن العالم من شرقه إلى غربه، وما أكثر الأسماء ، «أنديرا غاندي» فى الهند، و«سيريمافو باندراناكيه» فى سيلان، و«جيهان السادات» فى مصر ، و«مارجريت تاتشر» فى بريطانيا ، و«إيزابيل بيرون» فى الأرجنتين، و«فيولتيادى شامورو» فى نيكاراجزا، و«بنازير بوتو» فى باكستان، و«كورازون أكينو» فى الفلبين.

هذه عينة من سيدات تسلطن بالفعل على مقدرات الحكم فى العالم، منهن من تغلغلن فى شؤون الحكم ومن خلفهن حزب مؤيد يعمل جاهدًا على تجميع كل الأوراق فى أيديهن، ومنهن من كن يحكمن من خلال رجال الحكم وكن يعتمدن فى سلطتهن على مؤسسة الرئاسة نفسها.

ولا نستطيع القول بأن نساء الحكم أو السلطة قد سيطرن على مقاليد الأمور سواء كانت سياسية أو غير ذلك من الأنشطة الأخرى، لم يسيطرن بما يتمتعن به من جاذبية جنسية فحسب بل إن بعضهن كان يملك قوة الشخصية والقدرة على الحسم.

ويمكن أن نصف امرأة مثل «جولدا مائير» أو «مارجريت تاتشر» أو «جيهان السادات» بأنهن من هؤلاء اللاتى اعتمدن على طموحهن الشديد للسلطة مع ما يتمتعن به من عزيمة وشخصية مسيطرة.

وبنفس النظرة يمكن النظر إلى امرأة مثل «إيزابيل بيرون» أو «إيمليدا ماركوس» أو الشهبانو «فرح ديبا» كذلك سوزان مبارك بأنهن حكمن ما لديهن من طموح للسيطرة والسلطة ليس له حدود، لقد قالت الشهبانو «فرح ديبا» بعد أن فقد شاه إيران الحكم وتم نفيه خارج البلاد، قالت: «عيب زوجى الشاه أنه لم تكن أذنه صاغية فى الفراش إلى نصائحى ، فقد كنت الوحيدة القادرة على الإبقاء على كرسى الطاووس»!!.



فرح ديبا


الأهرام
العربي
AL AHRAM AL ARABI
مجلة كل العرب


نبيلة عبيد:
تزوجت أسامة الباز
9 سنوات «حب» بلا سياسة





حكايات «مستشار الرئيس» تخصه هو ولا تخصنى ونادرا ما تحدثنا فى أمور سياسية وكان بيننا «الحب فقط»

أكتب مذاكراتى ولن تتناول أى شخصية من رجال مبارك

أسواء شىء فى الدنيا عدم إحساسك بالأمان فى بلدك

مشوار طويل من أجل إعلاء قيمة الفن والإبداع عبرت من خلاله الفنانة نبيلة عبيد إلى جمهورها، وما زالت تحمل معها وحضورها أينما حلت.

منحت نبيلة عبيد عمرها للفن بدءاً من أول دور لها – رابعة العدوية – وحتى مسلسلها الأخير، ديدنها الحرص والإخلاص وثقل الموهبة وانتقاء الفكرة والبحث عن الرواية التى تنام شخصيتها بين أوراقها.

كما أنها لم تكن بعيدة عن السياسة ولكن فى إطار الفن، فقدمت أعمالًا لها أبعاد سياسية واضحة ودلالات – كشف المستور والراقصة والسياسى مثال – فهى دائما مهمومة بقضية وبفكرة وبموهبة يؤرقها حضورها .. وقد جمعنى بها مهرجان الدوحة للمسرحى فى قطر لعشرة أيام، فاستعدت معرفتى بها التى بدأت على أعتاب المرحلة الأولى من دراستى الجامعية حين كنت أتدرب فى بلاط صاحبة الجلالة، وفتحت لى باب تاريخها عبر حوار امتد طويلًا، لكن المدى امتد أيضًا والرؤى اتسعت والتجربة صارت مساحاتها أوسع.

- نبيلة عبيد فى الدوحة وفى مهرجان مسرحى ؟

حضرت كضيف شرف ومكرمة فى مهرجان الدوحة المسرحى، ولأتابع المسرحيات الخليجية، يشغلنى كثيرًا المسرح وأهتم به، كما أننى من خلال المسرح الخليجى أتعرف على المجتمع بشكل جيد وأحلله، فهم جزء من جمهورى.

- تأتين إلى قطر وهناك صراع محتدم وهجوم دائم ؟

الحقيقة هنا تختلف تماما عما أقرأه فى صحافتنا المصرية، وما أتابعه فى برامج التو شو المصرية، فمن خلال هذه البرامج عرفت أن قطر تلعب دورًا يسىء إلينا. وأنها تهدف إلى شراء مصر والاستيلاء عليها بأموالها، وحين جئت إلى هنا والتقيت وزير الثقافة القطرى الدكتور حمد بن عبد العزيز الكوارى وعددا من المسؤولين عن الثقافة – لأن وزارة الثقافة هى الجهة المنظمة لمهرجان المسرح – وجدتهم يذوبون عشقًا فى مصر ولا يتمنون لها إلا كل خير، وأن تنهض من عثرتها وتعود إلى طريقها الصحيح وألا تقع فى أزمة اقتصادية لا تقوم لها بعدها قائمة، أهل قطر يقولون لى إن نهضة مصر من نهضة الدول العربية، وثبات مصر يعنى ثبات كل الدول العربية، وأنه على مر التاريخ ثبت لنا أن مصر إذا مالت كل

الدول العربية معها .. يتحدث القطريون عن ذكرياتهم فى مصر وكيف تعلموا فيها واستفادوا من جامعاتها ومكانتها بين الأمم.

- **تردد كثيرا فى الصحف أنك تنوين كتابة مذكراتك وتتحدثين فيها عن رجال مبارك وعلاقتك بهم ؟**

لا توجد علاقة لى بأحد من ساسة مبارك، لذا لن يكون هناك حديث فى مذكراتى عن أحد من عصر مبارك من هؤلاء الساسة، عن مشوارى وفنى فقط وكيف بقيت نبيلة عبيد حتى الآن، ولأقول إن الفن ليس حاجة سهلة، وأتناول الأثر الجيد الذى تركته.

- **الزواج من سياسى قريب من مبارك شىء لا ينسى أيضا؟**

لا تقال كذلك لكن الموضوع فقط هناك رجل أحبنى وأحببته بصدق وتزوجنا لتسع سنوات، وعشت معه حياة سعيدة أفخر بها وأسعدتنى، وهى تجربة محترمة من رجل محترم، ولا علاقة لى بأحد سواه. تعلمت من هذا الرجل الكثير واستفدت منه فى الحياة لأنه بحق قيمة كبيرة. وشخص بسيط للغاية ونظيف إنسانيًا وماليًا.

- **لكن بالتأكيد كان أسامة الباز يحكى لك أسرارًا وحكايا لقربه من مبارك ؟**

حكاياه تخصه هو لا تخصنى أنا، ونادرا ما تحدثنا فى أمور سياسية. كان بيننا الحب فقط. أتحدث فى مذكراتى عن تجربتى، أى ما يخصنى، وأذكر أن مصطفى محرم هاتفنى مرة وقال لى إنه كتب فى مذكراته عنى وقال إننى " قدوة " وهو ما أحرص عليه، وأن أقدم تجربتى للآخرين ليستفيدوا من نجاحاتها وعثراتها .. من كيف يستطيع الفنان أن يحفر له المكانة التى تليق به، وأن يفصل بين حياته الشخصية وتجاربه الفنية، كما استطاع كاتب مثل إحسان عبد القدوس أن يفصل بين تجربته السياسية والروائية وحياته مع زوجته وأولاده

- **تعاطيت مع أعمال إحسان عبد القدوس وقدمت للسينما عددا كبيرا منها بدءا بـ " وسقطت فى بحر العسل " وحتى " ولا يزال التحقيق مستمرا " إخراج أشرف فهمى ..ما الاختلاف لدى إحسان عن غيره من الكتاب ؟**

إحسان كان كاتبا عظيما، اقتربت منه وعرفته جيدا، وكنت أشترى حق إنتاج أغلب

رواياته التى قدمتها للسينما، كنت أشترى القصة من إحسان ثم أولى أشرف فهمى مسألة إخراجها، لأنى أؤمن بأن إحسان استطاع أن يقدم تشريحا حقيقيا لمجتمعه، وأن يعبر عن الطبقة التى كان يكتب عنها بشكل رائع وراصد، وما كان ينجح الأفلام التى قدمتها الصدق والعفوية فى الكتابة والأداء، كما أن مصطفى محرم كسيناريست كان يضع لمساته عبر سيناريو متميز وجرىء يفهم المعنى الرئيسى للقصة ويطرحه فى سيناريو وحوار مرئى

- **لكن إحسان قصصه كانت تباع أغلى من أى كاتب وقتها، حيث كان يبيعها بـ ٧٥٠٠ جنيه، بينما نجيب محفوظ كان يبيع القصة بـ ٤٥٠٠ جنيه وكنت تشترينها رغم ذلك ؟**

هذا الرقم كبير، إحسان عبد القدوس كان يبيع القصة بـ ٢٥٠٠ جنيه، وظل هذا المبلغ ثابتًا .. كان يقول لى إن سعره ثابت مثل ورقة البوستة.

ونجيب محفوظ كاتب عظيم أيضًا ولا يضاهيه أحد، لكن بطلات إحسان عبد القدوس كن الأقرب لى ولطبيعتى وللأدوار التى كنت أود أن أقدمها وللرسالة التى كنت أحملها للفن المصرى، فإحسان هو أقدر كاتب كتب عن المرأة وشرحها بشكل رائع يليق بها.

- **كنت فى العديد من أدوارك ناصفة للمرأة وللقضايا الإنسانية والفساد فى المجتمع المصرى .. كيف ترين هذه القضايا الآن؟**

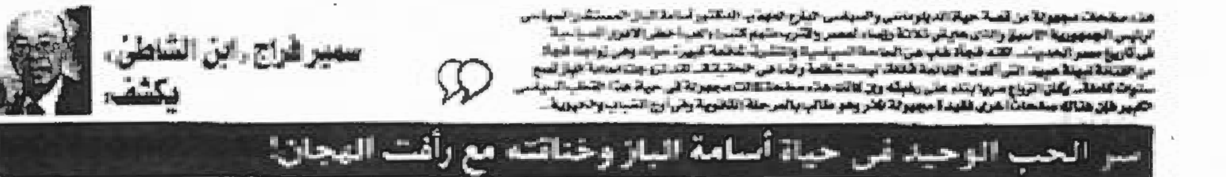
بالتأكيد الأمر تغير الآن وحصلت المرأة على العديد من حقوقها، وقد أسهمت السينما المصرية بدور كبير فى هذا الأمر، لكن المجتمع المصرى مثله مثل كل المجتمعات به الصالح والطالح، لكن للأسف الأمر تفشى كثيرًا وزاد على حدة .. أسوأ شيء فى العالم عدم إحساسك بالأمان فى بلدك، وأنا لم أعد أحس بالأمان والفوضى وعدم الوجود الأمنى والخوف من المجهول القادم لهذا البلد، وأتمنى لمصر أن تحقق مكانتها ويعود لها أمانها وسلامها .. لابد أن ترجع مصر للاستقرار حتى نحس نحن كمصريين باستقرارنا الداخلى(*).

(*) أجرى الحوار فى الدوحة سامى كمال الدين ، الأهرام العربي – العدد ٨٤٠-٢٧ أبريل ٢٠١٣.

صفحات مجهولة من حياة الدكتور أسامة الباز

آخر ما نشر عنه قبيل صدور الكتاب





سمير فراج «ابن الشاطئ» يكشف:

سر الحب الوحيد فى حياة أسامة الباز وخناقته مع رأفت الهجان!

«الباز» قال إنه لم يحب أحدا فى حياته بعد أمه سوى ليلى وفى اللقاء الوحيد الذى جمعهما اتفقا على أن يفترقا

وفى دمياط المدينة الساحلية الجميلة عاش أزهى فترة فى حياته الاجتماعة والعاطفية وكاد أن يتزوج من فتاة دمياطية رائعة الجمال وتتمتع بدماثة الخلق ومن أرقى عائلات دمياط من الأعيان كما كان يطلق على الصفوة فى ذلك التاريخ الجميل من الماضى الجميل . . وتعتبر هذه الفتاة التى كانت طالبة فى مدرسة اللوزى الثانوية للبنات بدمياط هى التى ملكت قلب وعقل هذا الطالب النابغة المؤدب «أسامة الباز» هذا كله ستتعرف عليه من خلال الكتاب الجديد : قطوف من أوراق . . أسامة الباز . . الاجتماعية والسياسية . . والعاطفية . .قبل نشره مباشرة وصدور الطبعة الأولى منه الذى سيصدر عن دار نشر جزيرة الورد.

كان الدكتور أسامة الباز يعتبر نفسه واحدًا من أبناء دمياط . . حيث قضى- فيها أحلى أوقات عمره - كما قال لى شخصيا عندما كان والده يعمل بالأزهربدمياط ،حصل أسامة الباز على الثقافة والتوجيهية من مدرسة دمياط الثانوية للبنين والمعروف أن كلا منا يتعلق بموطنه الأول ، ويشهد نحوه بالحنين ، ويحفظ له الذكريات ويدين له بالفضل ، ويود أن يرد ويوفى له بعض الجميل ، من هذا المعنى ورغم أن مولد أسامة البازكان خارج دمياط، إلا أن فترة المراهقة والشباب كانت فى دمياط . . ولذلك كان كثيرًا ما يتحدث عن دمياط وكأنها مسقط رأسه الحقيقى مثله مثل الكاتب الكبير الدكتور يوسف إدريس، والكاتب الكبير صلاح منتصروكذلك مصطفى أمين وعلى أمين.

فى مدينة وجدت قبل الإسكندرية والقاهرة وبغداد بقرون وأجيال ..! ومن أبنائها المشاهير الكبار الدكتور على مشرفة والدكتور زكى نجيب محمود والدكتور عبدالرحمن البدوى والدكتورة بنت الشاطئ والدكتور شوقى ضيف والدكتور محمود حافظ والدكتور محمد حسن الزيات وإبراهيم عبدالهادى والدكتور رفعت المحجوب . . ورأفت الهجان . . «رفعت على سليمان الجمال » فى هذد المدينة عاش أسامة الباز أحلى فترة فى حياته كما كان يؤكد.

أسامة الباز . الطالب بمدرسة دمياط الثانوية :

عاشت أسرة الطالب أسامة الباز فى دمياط حيث كان يعمل رب هذه الأسرة والد أسامة الباز فى الأزهر - وكانت الأسرة تقطن أحد المنازل القديمة فى المنطقة الأثرية التى

تسمى سوق القلل - نهاية شارع سوق الخضار - والتى تقترب تماما من جامع البحر. . الذي كان يجلس فيه دائما المشاهير من العلماء بدمياط ومنهم والد أسامة الباز. . والشيخ إبراهيم الدمهوجى شيخ الأزهر الأسبق وجد الدكتورة عائشة عبدالرحمن - ووالدها الشيخ محمد على عبدالرحمن . . والشيخ محمد عمر أستاذ الخط العربى بالمعهد الدينى وغيرهم من كبار العلماء الذين لهم فى المدينة مكانة كبيرة ومحطة طيبة ومنزلة رفيعة فى ذلك الوقت كان الطالب أسامة الباز يتنقل بين مدارس دمياط فى المرحلة الابتداتية والثانوية . . زميلا لحسب الله الكفراوى وزير الإسكان الأسبق وعبد الرءوف الريدى فى مدرسة دمياط الثانوية الذى أصبح سفيرًا لمصر بعد ذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية قبل هذا كان أسامة الباز طالبًا جيدًا فى مدرسة دمياط الأميرية زميلا لمجموعة من التلاميذ على رأسهم الأصدقاء الذين ارتبطوا معه بصداقة حميمية . . منهم عبدالمنعم البهائى والسيد المصرى ولبيب الجمال الشقيق الأكبر لرأفت الهجان الذى كان فى نفس الوقت رغم أنه أكبر من أسامة الباز بأربع سنوات كاملة حيث ولد أسامة عام ١٩٣١ وولد رأفت الهجان عام ١٩٢٧ يرتبط بصداقة مع أسامةمة الباز. . كان أسامة الباز دبلومامسيا منذ صغره . . يتسم بالحكمة فى أقواله ومقتصد فيها كثيرا ، والكلمة عنده بحساب ، رغم ما كان شائعا فى دمياط أيامها .

الكلام ليس عليه جمرك..!

حيث طبيعة الناس فى هذه المدينة تقتضى فى أغلب الأحيان الكلام الكثير لأنها بلد صناعية وتجارية وزراعية والجدل فيها على نطاق واسع فى إطار حركة البيع والشراء خاصة فى صناعات الأحذية والأثاث والحلويات التى تشتهربها دمياط .. فيأخذ الباعة والذين يشترون بضاعاتهم فى الكلام حتى يستتى لكل طرف الفوز بانغنيمة من حيث الأسعار المناسبة وجودة المعروض من بضاعة . . ومن الطريف أن تجار دمياط كانوا يقولون لكل من يحاول الاستخفاف بالبضاعة من أجل الشراء بسعررخيص:

قولوا زى ما ،أنتم عايزين.. !.

هو الكلام .. عليه جمرك ..!

هذه الجملة الكلام عليه جمرك ولا .. لأ ..لأ كان يتذكرها دائما أسامة الباز ويعلق عليها فى مؤتمراته فيقول : هو الكلام عليه جمرك . .! هكذا يقول أهل دمياط كما كنت أسمعهم ..وكان أسامة الباز يستفيد من هذ» الجملة فيما بعد فى عمله الدبلوماسى والسياسى. . وكثيرا ما علق عليها الرئيس الراحل السادات أيضا : سيبهم يتكلموا فى أى شيء . . هو الكلام يا أسامة عليه جمرك ..؟! سمعها السادات من الباز وأُعجب بها كثيرًا وكان أسامة الباز يستخدمها كثيرًا فى العمل الدبلوماسى والسياسي..!

ارتبط أسامة الباز بدمياط والمجتمع بدمياط وصداقاته المتعددة مع أبنائها منذ الصغر وفى مرحلة الطفولة والصبا فى المدارس الابتدائية الأميرية . . ثم فى مرحلة الشباب بمدرسة دمياط الثانوية التى له فيها ذكريات كثيرة متعددة .

مشادة بين أسامة الباز ورأفت الهجان فى رأس البر..!

في فتوات شبابه كان أسامة البازشديد الحب والعشق لرأس البروالمصيف المفضل له ولأسرته ولكل الأسر الأرستقراطية فى مصر. . وأسامة الباز لايذهب لرأس البر إلا عن طريق البواخر النيلية المتعددة التى تشق طويتها عبر مياه النيل من دمياط لرأس البر والمسافة من منزل الأسرة فى قلب دمياط إلى شارع النيل قصيرة جدًا وبالتالى كان النيل وبواخره وسفنه فى دمياط الوسيلة المفضلة لأسامة البازوأصدقاء شبابه ، وذات مرة كان رفعت الجمال الذى هو رأفت الهجان فيما بعد البطل المصرى الذى لعب دورًا كبيرًا لصالح المخابرات المصرية العظيمة ضد إسرائيل - كان في طريقه لرأس البرهو الآخر مع شقيقه الأكبر لبيب الجمال وطاهر الجمال ابن عمهما الذى أصبح فيما بعد نقيب التطبيقيين فى دمياط والفنان البارع الموهوب وكان على نفس الباخرة أسامة الباز ومجموعة الأصدقاء الكل فى طريقه إلى المصيف الساحر - رأس البر - والمسافة لا تزيد على ساعة واحدة من الزمن وحينما استقرت الباخرة على شاطئ النيل فى رأس البر - حاو ل رأفت الهجان وكان شديد الشقاوة أن يكون أول الصاعدين للشاطئ - فنهره أسامة الباز الأصغر سنا منه - طالبا ألا يسبق غيره الأقرب إلى الرصيف منه خاصة أن بالباخرة بعض السيدات والإناث ويجب أن يكون السبق لهن فى مغادرة الباخرة إلى الرصيف - إلا أن رفعت الجمال أو رأفت الهجان وبخ أسامة الباز ونهره بصوت عال : و انت مالك يا أخي. .

خليك فى حالك .. و هذا لم يعجب لبيب الجمال واعتذر لأسامة الباز. . الذى أصر على مقولته : عيب يا رفعت ، وتحول الموقف إلى صدام عنيف بين رفعت الجمال وأسامة الباز الذى كان الأصغر، والأكثر حكمة واتزانًا وتمسكًا بالواجب والنظام . . لكن فى النهاية الكل أصدقاء، ويا دار مادخلك شر.

نجاة الصغيرة تدافع عن أسامة البازورأفت الهجان يغلي :

ومن المواقف الطريفة والمثيرة والشائعة فى محطات أسامة الباز فى دمياط هذا الذى حدث فى منطقة الهوم برأس البر. . وهي منطقة كانت تزدحم باليهود - معروفة بأنها خاصة باليهود . . ولها جمالها الخاص أيضا ومعروف أن الفنانة نجاة الغفيرة فى مطلع شبابها وفنها كانت معشوقة المصطافين برأس البر - وتغنى فى كازينو الجندول المطل على منطقة اللسان الساحرة فى رأس البر، وكان رفعت الجمال من المعجبين جدًا بنجاة الصغيرة وهام بها عشقا ، كان ذلك معروفا للجميع وأسامة الباز يحضر حفلاتها فى رأس البر خاصة وهى تقلد الفنانين ، وذات ليلة كانت فيها نجاة تغنى والباز والهجان يستمعان ضمن رواد كازينو الجندول الشهير المطل على البحروالنيل معا فى لسان رأس البروأسامة الباز يجلس فى هدوء مع الأصدقاء يستمع لنجاة الصغيرة بينما رفعت الجمال أو رأفت الهجان الولد الشقى يرفع صوته مشجعًا أكثرنجاة الصغيرة التى استاءت من الزعيق .. ولم تتقبل صخب رفعت الجمال الدائم حتى لتشجيعها .. وتوقفت عن الغناء عندما اشتد غضبها وأشادت بهذا الشاب الهاديء ولم تعرف اسمه وهو أسامة الباز.. عندما وبخ رفعت وطلب منه الهدوء.

أن ينصت للغناء معهم :

أراد رافت الهجان أن يعتدى على أسامة الباز بالضرب وتحول الموقف إلى ما يهدد الحفل بالإلغاء . . واستاء الناس من المصطافين على فعل الهجان . . وتعاطفوا مع الباز. . وألقت الفنانة نجاة الصغيرة كلمة قصيرة عبرت فيها عن تعاطفها مع هذا الشاب المهذب تقصد أسامة الباز وهذا جعل رأفت الهجان تغلى الدماء فى عروقه ، ولولا تدخل الأصدقاء وعبدالمنعم عبده الذى أصبح بطلا للمانش وأعظم سباح فى العالم وكان ضمن الموجودين لحدث مالا يحمد عقباه بين الطالب المهذب أسامة الباز والشاب الشقى

رفعت الجمال «رأفت الهجان» . . ولم يكن أحدهما يدرك أنه فيما بعد سيصبح هو والآخر من مشاهير انسياسة فى مصر والعالم رفعت الجمال أصبح كما أسلفنا رأفت الهجان البطل القومى المصرى وجاسوس المخابرات المصرية العريقة فى قلب تل أبيب بإسرائيل وأسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية والشخصية السياسية البارزة على مستوى العالم العربى كله والمشهود عالميًا أيضًا . . هذه الحادثة رواها لى الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق وأنا اكتب قصة حياته وذكرياته فى مسقط رأسه بدمياط وأضاف عليها: كان والد هذا الشاب أسامة الباز صديقا لعائلات دمياط كلها وارتبط بصداقة خاصة مع شقيقى الأكبر المستشار إبراهيم الزيات الذى كان يحبه كثيرًا ، ويتجاذبان معا أطراف الحديث . . خاصة فى مصيف رأس البر المفضل لهما . . ولكل أهل دمياط.

ليلى الفتاة الدمياطية الحسناء التي أحبها أسامة الباز وأحبته :

الخوض فى حياة الدكتور اسامة الباز العاطفية لا تتوقف عند ثلاث نساء هن : زوجته الأولى السفيرة الاستاذة مها فهمى . . وزوجته الثانية المذيعة التليفزيونية الشهيرة أميمة تمام . . وزواجه العرفى كما أعلنت الفنانة نبيلة عبيد أنه تزوجها لمدة تسع سنوات بالتمام والكمال ..!

والواقع يقول: إن هناك من سبق وأحب أسامة الباز وكانت الفتاة الدمياطية الحسناء الرائعة الجمال «ليلى» الطالبة بمدرسة اللوزى الثانوية للبنات ، كانت ساحرة من أسرة عريقة بدمياط هي أسرة العلايلي. . قريبة لأسرة محمد عبدالسلام االزيات نائب رئيس الوزراء الأسبق والكاتبة الكبيرة الدكتورة لطيفة الزيات . . وسمير العلايلى زوج أخت الراحل ضياء الدين داود رئيس الحزب الناصرى وعضو اللجنة التنفيذية العليا والوزير الأسبق فى عهد عبدالناصر، لكن كيف بدأت وتكونت العلاقة والصلة بين الطالب الثانوى أسامة الباز والطالبة الجميلة فى المرحلة الثانوية أيضًا «ليلى العلايلى» ؟ وكيف كان الحب والهيام والغرام بين أجمل شابين ليلى العلايلى وأسامة الباز؟ تتراقص هنا علامات الاستفهام كثيرا . . ! كانت مدرسة اللوزى الثانوية للبنات بدمياط تجاورها مباشرة مدرسة دمياط الثانوية للبنين ، وكانت الطالبة ليلى العلايلي تلفت الأنظاركثيرًا إليها فهى ملكة

متوجة على عرش جمال فتيات رأس البر فى المسابقة السنوية التى تجرى فى مصيف رأس البر لاختيارملكة جمال مصيف رأس البر.. التى كانت تفوز بها الطالبة ليلى العلايلى حيث تجمع بين الجمال والثقافة والعلم ودماثة الخلق فهى من بنات الأعيان «الأسر العريقة» . . وكان يتهافت على رؤيتها وهى تدخل المدرسة او تغادرها شباب الطلاب فى مدرسة الثانوية للبنين ، ولم تكن هى تهتم من قريب أو بعيد بمثل هذه الامور وربما كانت تستمتع بهذا دون ان تفصح لأحد عن مشاعرها ، على كل حال كانت تهتم بدراستها أكثرمن أى شيء آخر. . ولفت ذلك الطالب المتفوق النابغة أسامة الباز الذى كان هو الآخر حديث الفتيات الطالبات فقد كان يشارك فى المسابقات التى تجرى بين الطلاب والطالبات المتفوقين ويطلق عليها : مسابقات أوائل الطلبة .. وكان أسامة الباز وليلى العلايلى من الأسماء البارزة وثقافتهما تلفت الانظار. . بالإضافة إلى الأدب الجم ، وكان أسامة يعجب بالطالبة ليلى العلايلى وبثقافتها وهى كذلك تبادله ذلك لكن فى حدود الزمالة ولايخرج الإعجاب المتبادل عن الحدود . .

لقاء فى الجندول على لسان رأس البر :

ذات أمسية لعبت الأقدار لعبتها فقد كانت أسرة ليلى العلايلى مدعوة لحضور إحدى مسرحيات يوسف بك وهبى على مسرح الجندول وفى نفس الوقت كانت أسرة أسامة الباز مدعوة هى الأخرى مع العديد من العائلات ذات المكانة الرفيعة . . وشاءت الأقدار أن تجلس عائلة الباز بجوار عائلة العلايلى وأن تجمع المائدة العائلتين ومن بين الأفراد أسامة الباز وليلى العلايلى وكان الاستلطاف لاشك موجودًا بينهما لكن لم يفصح أحدهما للآخر. .(لكن هذه المرة كانت الفرصة متاحة لتبادل النظرات وتبادل المشاعر لكن فى حرص شديد . . احترامًا لأفراد الأسرتين من الكبار وكذلك الأسر الأخرى. .!

حسين رياض : ليلى العلايلى نجمة سينمائية !

ولاحظ الفنان حسين رياض الذى كان من رواد مصيف رأس البر هذه المشاعربين أسامة وليلى فأفضى لأمينة رزق التى كانت بجواره أثناء الاستراحة بين فصل وآخر من المسرحية بأن هذه الفتاة الساحرة تستحق أن تكون نجمة سينمائية كبيرة ..ملامحها . . جمالها .. حضورها . . أنوثتها . . شخصيتها القوية بالإضافة إلى أن حسين رياض نفسه كان

عضوًا فى لجنة اختيارها ملكة جمال المصيف التى كان يترأسها يوسف بك وهبى وأمينة رزق ومحمد عبدالوهاب، انتهت المسرحية وفصول الاستراحة أثناء عرضها بالفرص التى كانت متاحة لليلى وأسامة لتبادل النظرات خلسة فى احترام شديد للموجودين من كل الناس .

ماذا يفعل طالب المدرسة الثانوية بأمر الحب؟!

لاشك أن الحب جمع بين أسامة الباز وليلى العلايلي . . لكن ماذا يفعل كلاهما فى أمر هذا الحب؟ أسامة أصبح طالبا فى التوجيهية وسينتقل إلى الجامعة العام التالى ويترك دمياط كلها . وهى كذلك فى نفس السنة الدراسية لكن لن تذهب للجامعة كعادة أهل دمياط ، ستكتفى الاسرة بهذا القدر من تعليم البنت - خاصة وهى تتمتع بهذا الجمال الربانى الذى يلفت الأنظار والزواج فى هذه الحالة هو الحل سترًا للفتاة . .! ولم ينفذ أسامة الباز أمر الحب . . !

لم يستطع أن يخبر والده وأسرته بهذا الحب الهائل فى قلبه لملكة جمال مصيف رأس البر الفتاة ليلى العلايلى - الطالبة بالتوجيهية فى مدرسة اللوزى الثانوية للبنات بدمياط - وجمع بينه وبين ليلى لقاء خاصًا جدًا هو الأول والأخير أخبركلاهما الآخر باستحالة أن يجمع بينهما البيت الواحد ويتم الزواج خاصة وأسامة ظروفه لا تسمح على الإطلاق ووالده لن يوافق على مجرد قراءة الفاتحة وإعلان الخطوبة لأنه يعرف أن ابنه أسامة «نابغة » ومتفوق والمستقبل أمامه عريض جدًا ليس من أجل المؤهل العالى ولكن الاستمرار فى طلب العلم والوصول إلى درجة رفيعة فيه ، وهو ما حدث بالفعل حيث حصل الدكتور أسامة الباز على الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية وتزوجت ليلى العلايلى شخصية بارزة بعد حصولها على التوجيهية وقد حزن أسامة الباز على ضياع هذا الحب الذى جمع بينه وبين هذه الفتاة التى قال عنها فى مناسبات كثيرة : إنه لم يحب فى حياته بعد أمه سوى هذه الفتاة الرائعة « ليلى» ، وكل أصدقاء وزملاء الدراسة فى دمياط يعرفون قصة حب أسامة وليلى العلايلى، وهكذا كانت النهاية بين الاثنين وانقطعت أخبار ليلى تماما عن أسامة الباز أما هو فقد كانت هى تتابع أخباره بعد الشهرة الواسعة العريضة التى حظى بها وأصبح المستشار السياي لرئيس الجمهورية - ولاشك كانت تحتفظ بحبها الدفين فى أعماقها لهذا الرجل الجميل المحترم أسامة الباز.


نجاة الصغيرة أنصفت «الباز» عندما تشاجر
مع «الهجان» في كازينو الجندول



محطوش في حياة الدكتور
الباز العاطفية لا يتوقف
عند ثلاث نساء هن:
زوجته الأولى السفيرة
الأستاذة مها فهمي





.. وزوجته
الثانية المذيعة
التليفزيونية
الشهيرة
أميمة تمام..









هناك من سبق واحب الباز وكانت الفتاة الدمياطية الحسناء الرائعة الجمال «ليلى» الطالبة بمدرسة اللوزى الثانوية للبنات كانت ساحرة من اسرة العلايلى بدمياط

المؤلف فى سطور


سمير فرّاج
ابن الشاطئ
عضو اتحاد كتاب مصر



نبذة قصيرة عن المؤلف سمير فراج «ابن الشاطئ»

دمياط مسقط رأس المؤلف سمير فراج «ابن الشاطئ» ومسرح طفولته وصباه، ورفات آبائه وتراب أجداده إلى أجيال عدة، تضل في ليل الزمن، والمعروف أن كلا منا يتعلق بموطنه الأول، ويشعر نحوه بالحنين، ويحفظ له الذكريات، ويدين له بالفضل، ويود أن يرد ويوفى له بعض الجميل، وتاريخ هذه المدينة التاريخية القديمة «الشاتق» الذي تمتزج فيه الحقائق بالأساطير ويترامى إلى عصور سحيقة يحتجب أقدمها بالغيوم، فمدينة هكذا، امتازت بالقدم، ومسايرة العصور، ومعاصرة الأديان والحضارات وبذلك التاريخ المديد الزاخر بالأحداث، وبهذه الشهرة القديمة والحديثة في دنيا الصناعة والتجارة، وبهذا العدد الوافر من الأعلام الذين نشؤوا فيها وبما لم تزل تحويه من آثار وشواهد، ثم ذلك المستقبل الباهر الذي تتطلع إليه وتسير نحوه حثيثا، وهي تقع على مقربة من مصب النيل الشرقي في البحر الأبيض وعلى قمة فرعه المعروف بفرع دمياط، مدينة لم تزل جاثمة في مكانها منذ أكثر من عشرين قرنًا من الزمان، لم تزل أيضًا على صلة قوية بالعالم.. بحرًا ونهرًا وبرًا، وهي لموقعها بين البحر والنهر أثرت في نشأة وفكر وعقل ووجدان المؤلف، إنها دمياط المدينة القديمة التي لها من العمر نحو ألفين أو ثلاثة آلاف سنة أو يزيد، وهذا التاريخ القديم استلهم منه المؤلف حبه للتاريخ بشكل عام ودءوب.

تلقى المؤلف تعليمه الأولى في منتصف القرن العشرين في مدرسة الهداية -الشهيرة بمدرسة فراج- ويمتلكها جده ثم والده، وهي من المدارس الخاصة التي أسست في القرن التاسع عشر. ولها رسالتها الرفيعة.

المؤلف حفيد العالم الإسلامي الجليل الشيخ الإمام محمد محمد فراج المتوفي بدمياط عام ١٩٥٠، ونجل الكاتب الصحفي والمربي الجليل والشاعر الأستاذ طاهر محمد فراج المتوفي عام ١٩٦٣ بدمياط.. ولهما في المدينة سمعة مرموقة ومكانة كبيرة.

اختير المؤلف سمير فراج «ابن الشاطئ» الطالب المثالي الأول في السلوك والأخلاق والثقافة في دمياط كلها وعلى مستوى المدارس الثانوية، ثم على مستوى الجمهورية العربية المتحدة أثناء الوحدة مع سوريا في ذلك الوقت.

- حصل على شهادة معهد المعلمين التربوي العام ثم على ليسانس الآداب جامعة القاهرة، وعمل كمشرف في الصحافة المدرسية ثم احترف العمل الصحفي على مستوى مصر والعالم العربي، وعمل في بعض الصحف والمجلات العربية التي تصدر في بعض الدول الأجنبية،

واستقر به الحال في مؤسسة دار الهلال بالقاهرة، فعمل ككاتب صحفي بمجلتي المصور والكواكب معًا وهما من إصدارات الدار، واستمر لعدة سنوات حتى انتقل ككاتب صحفي في جريدة «الأنباء» الكويتية، وهي واحدة من كبريات الصحف السياسية العربية اليومية وتصدر في الكويت، واستمر بها من عام ١٩٨٢ حتى الآن.

- عمل رئيسًا لقسم المراجعة العربية بمؤسسة الشرق الأوسط للعلاقات العامة، وشارك في العمل الصحفي بها تحت إشراف الرائد الإعلامي الكبير الدكتور زين العابدين ماضي نجاتي الرئيس الأسبق لوكالة أبناء الشرق الأوسط.

- رشحه مع الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ جلال الدين الحمامصي صديق والده للدراسة بالجامعة الأمريكية في إطار تفوقه الإعلامي الواضح والبارز.

- عمل مديرًا لإدارة العلاقات العامة والإعلام والعلاقات الخارجية وذلك بمؤسسة الزهراء للإعلام العربي وهي دار نشر كبرى بالقاهرة ومؤسسة تليفزيونية وإذاعية ضخمة قدمت أعظم الأعمال الدرامية للإعلام المرئي الدرامي والإذاعي المسموع بتفوق هائل.

- عمل مديرًا للإعلام والاتصالات الخارجية بمؤسسة هناء للإنتاج الإعلامي بالرياض - المملكة العربية السعودية - «الإنتاج الدرامي التليفزيوني».

- عمل بالعديد من الصحف المصرية والعربية وكذلك المجلات في مصر ولبنان والأردن وسوريا والكويت وله فيها مئات المقالات والتحقيقات الصحفية وأبرزها كان في المملكة العربية السعودية في جريدة الندوة بمكة المكرمة عن حريق المسجد الأقصى وجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية وجريدة الأنباء بالكويت التي انتظم بها، وبعد الثورة المصرية المجيدة في ٢٥ يناير ٢٠١١ نشرت له جريدة صوت الأمة وهي من الصحف الشهيرة بمصر أهم التحقيقات الصحفية الجريئة، كذلك في جريدة الأنباء الدولية، ويعتبر من أنصار الثورة.

- يشارك في العديد من الندوات والصالونات الأدبية والثقافية في مصر، وترأس صالون مصر الجديدة الثقافي ويحضره لفيف ضخم من المثقفين والأدباء.

- محاضر مركزي لوزارة الثقافة الهيئة العامة لقصور الثقافة على مستوى الجمهورية.

- استضافه التليفزيون المصري والعربي في الكثير من البرامج في مناسبات هامة، وكذلك الإذاعة في برامج ثقافية واجتماعية وسياسية متنوعة.

- له العديد من المؤلفات التاريخية والاجتماعية والسياسية وخاصة في مجال السير الذاتية وأبرزها عن: الملكة فريدة، والملك فاروق، والدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية الراحل، والدكتورة بنت الشاطئ والوزير حسب الله الكفراوي، والدكتور أسامة الباز.

- له ما يقرب عن مائة كتاب مؤلفاته، ومرشح للدكتوراه الفخرية عن موسوعة الحضارة الإسلامية من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض المملكة العربية السعودية

- تم تكريمه في كلية الآداب جامعة الزقازيق ، وفي جامعة المنصورة وكلية التربية بدمياط، ونال الجائزة عن فن كتابة التاريخ الحديث بمنهج جدي «المبدع سمير فراج»

- مرشح لجائزة الدولة التقديرية عن كافة أعماله ومؤلفاته.

- نال العديد من الجوائز وشهادات التقدير الكبرى في مصر والعالم العربي.

- اتجه إلى كتابة السيناريو والحوار لأعماله ومؤلفاته وأبرزها عن كتاب قطوف من حياة سيلة نساء العصر الدكتورة بنت الشاطئ، وتم الاتفاق بينه وبين صوت القاهرة على تقديم العمل كإنتاج درامي على مستوى رفيع بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، ويجري تنفيذ العمل الآن.

- نال العضوية الشرفية مدى الحياة من أكاديمية الخط العربي لاهتمامه به.

- نال العضوية الفخرية مدى الحياة من أغلب الصالونات الأدبية والثقافية في مصر.

- عضو جمعية أصدقاء السائح ومنح العضوية الفخرية مدى الحياة.

- حصل على درع الغرفة التجارية بدمياط تقديرًا لمساهماته معها.

- حصل على درع محافظة دمياط في الملتقى الثقافي الأول عام ٢٠٠٣.

- صاحب الصالون الأدبي والثقافي «لابن الشاطئ» بدمياط والقاهرة.

- عضو مجلس أمناء مكتبة مبارك بدمياط وقدم استقالته منها قبل أن تُسمى مكتبة دمياط العامة، وله أفكاره لتطويرها بما يناسب المرحلة لصالح المدينة التاريخية الكبيرة دمياط.

- عضو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية ونال العضوية الفخرية بها مدى الحياة تقديرًا لمكانته الثقافية، وتسلم هذه العضوية في اتحاد كتاب مصر بالقاهرة.

- كرمته الكويت رسميًا لدوره الكبير في مساندة الحق ووقوفه معها أثناء الغزو الغاشم العراقي، وذلك من خلال مقالاته ومؤلفاته وتحقيقاته الصحفية المساندة للكويت، ونال تقدير وزارة الإعلام بالكويت.

- حصل على شهادة رفيعة من جريدة الأنباء الكويتية بتوقيع رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير اعترافًا بدوره الصحفي الكبير بها.

- تحظى مؤلفاته باهتمام كبير بمكتبة الكونجرس بالولايات المتحدة.

- تحتوي مكتبته التاريخية بدمياط ورأس البر والقاهرة على أكثر من خمسين ألف كتاب في الأدب والفكر والثقافة والسياسة وغيرها.

- عضو عامل في اتحاد كتاب مصر.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله

